دكتورمحمد مؤنس عوض

الإمبراطورية البيزنطية

دراسة فى تاريخ الأسر الحاكمة



الإمبراطورية البيزنطية

دراسة فى تاريخ الأسر الحاكمة

(٣٣٠ - ١٤٥٣م)

إعداد

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب- جامعة عين شمس

وكلية الآداب والعلوم- جامعة الشارقة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م

عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

الناشـر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية – الهرم – ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693
E-mail : dar_Ein@hotmail.com
book ein @ yahoo.com

الموقع الالكترونى web site: WWW.Dar -Ein.com

على قــدر أهل العــزم تـأتى العــزائم

وتـأتـى عـلـى قــــدر الـكـرام المـكـارم

وتعظم فى عين الصــغـيــر صــغــارها

وتـصـــغـــر فـى عـين العـظـيم العظائم

أتوك يجـــرون الحــــديد كــــأنهـم

ســـروا بجـــيــــاد مــــالهـن قــــوائم

خـــمـــيس بشـــرق الأرض والغـــرب

زحـفـه وفـى أذن الجـوزاء منه زمــازم

المتنبى فى مـدح سـيف الدولـة الحمدانى

الإهـــداء

إلى روح إيمان سـالم ؛ التـقـيـة النقيـة .. التى اختطفـهـا الموت فـجـأة (ت ٢٠٠٣م) ، وهى فى ربيع العـمر الأخضر الوثّاب ... فـبكت عليـهـا كل عين رأتهـا ... !!! وعَصَفَ الحزن القتّال بكل قلب عرفـهـا ... !! ، ورثتـهـا فى عنان السـمـاء طيـور مـدينة رشـيـد الجـمـيلة ... وإنّا لله وإنّا إليـه راجعون...!!

المحتـويات

القسم الأول

القسم الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

يشرفني أن أقدم هذا العمل العلمى المتميز بقلم الأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض إلى القارئ العربى الخاص والعام جميعًا، ولعل أكثر ما يثير الاعجاب فى هذا المؤلف الرائع ذلك المدخل البيليوغرافى للتاريخ البيزنطى بطريقة تحليلية نقدية التى هى ما سمات المؤرخ محمد مؤنس ؛ فلقد عالج فى هذا القسم المصادر اليونانية واللاتينية من خلال الباترولوجيا وأيضا الجامع للمخطوطات البيزنطية ومجموعة مؤرخى الحروب الصليبية التى تضم المصادر الأرمينية والشرقية ، والجامع للنقوش اليونانية وتلك الخاصة بآسيا الصغرى ، ومجموعة مؤرخى ألمانيا، والجامع للكنائس البيزنطية في الأرض المقدسة ، ومجموعة مؤرخى الغال وفرنسا وحوليات بريطانيا وأبرلندا ، والباترولوجيا الشرقية ، وأعمال الكتابات الايطالية ومجموعة نصوص حجاج فلسطين إلى جانب عمد المؤرخين البيزنطيين من أمثال يوساب القيسارى وميناندر ويوحنا الأفسوسى ، وثيوفيلاكت ، وأميانوس ماركلينوس ، وحنا مالالاس، وسقراط، وسوزيمين وميخائيل بسللوس ، ويوحنا الليدى، وجورج الراهب ، ومانويل فيليس وجورج كدرينوس والامبراطور الأديب قسطنطين بورفيرو جنيتس ، وليو الشماس، وليو الحكيم ، وجورج البسيدى، وبولس الصامت ، وثيوفانس، والقائد كيكومينوس، وبطرس الصقلى ، وزوسيموس، وبروكوبيوس القيسارى ، وإيفاجريوس اسكولاستيكوس ، وجورج باخيميرس وثيودوس الراهب وصولاً إلى الأميرة المؤرخة أنا كومنينا والعملاقين كيناموس ونيكتاس خونياتس.

أما المصادر اللاتينية فتشمل إكهارد ورادولف ديكاين وجيبرت النوجنتي وأودو الدولى وفوشيه دى شارتر ، ورغوند داجيل ، وروبرت كلارى ، وأوتو الفريزى، ووليم الصورى وبنيامين التطيلى، ومارينو سانودو وغيرهم .

أما المصادر الأرمينية فتشتمل على : متى الرهاوى ، وسيبيوس، وجيفوند وصمويل من آنى، وموسى خورنيه إلى جنب المصادر السريانية وتتضمن ميخائيل السريانى وابن العبرى وغيرهم كذلك يعرج المؤلف على المصادر الروسية من قبيل حولية نسطور وحولية نوفوجورد .

ومن المصادر العربية المسعودى ، وياقوت الحموى، وأبا الفداء ، والقزوينى، والطبرى، وابن الأثير، وغيرهم كثر .

وبتجرد خالص أود أن أقرر فى هذا التقديم أن هذه أول دراسة نقدية نزيهة لمصادر التاريخ البيزنطى شرقا وغربا .

ويعالج المؤلف فى القسم الثانى تواريخ الأسر البيزنطية ما بين سنة ٣٣٠م - وهى سنة تأسيس مدينة القسطنطينية على يدى القسطنطين الكبير - مروراً بأسر قسطنطين وثيودسيوس وجوستنيان وهرقل وليو الأيسورى والعموريين والمقدونيين وآل دوكاس وكومنين وصولا إلى الغزو الصليبى للقسطنطينية سنة ١٢٠٤م ، ثم تحريرها على يد أسرة باليولوغوس سنة ١٢٦١م ، وأخيرا الفتح العثمانى لمدينة القسطنطينية على يد السلطان محمد الثانى الفاتح سنة ١٤٥٣م .

وبهذ يغطى المؤلف تاريخ الدولة البيزنطية من الألف إلى الياء والجميل أنه يزود عمله الرائع بخاتمة وملاحق تخدم المتخصصين من طلاب الدراسات العليا فى التاريخ البيزنطى ومن أمثلتها تواريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة من ٣٣٠م إلى ١٤٥٣م والخلفاء الفاطميين فى مصر من ٩٧٢م إلى ١١٧١م ، السلاطين العثمانيين من ١٢٩٩م إلى ١٥٢٥٠م ، والترتيب الزمنى لأهم أحداث التاريخ البيزنطى وأبيات من القصيدة الأرمينية التى أرسلها نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسى المطيع لله متهدداً ومتوعداً ،إلى جانب المستعمرات البيزنطية التى خضعت للبندقية بعد عام ١٢٠٤م .

ويؤكد المؤلف فى خاتمته لهذا المؤلف الضخم على فاعلية العوامل الداخلية ودورها البارز فى سقوط بيزنطة مرتين الأولى ١٢٠٤م فى أيدى الصليبيين ، والثانية فى ١٤٥٣م على يدى السلطان الفاتح متبعًا رؤية المؤرخ البريطانى المرموق أرنولد توينبى وأستاذه عبد الرحمن ابن خلدون مؤكدا على أن السقوط فى التاريخ دائما من الداخل وليس من الخارج .

كما يتوقف الأستاذ الدكتور المؤلف عند النموذج اللاأخلاقى البيزنطى والذى ورثه عنهم العثمانيون من دسائس ومؤامرات البيت الحاكم ، كذلك يوضح المؤلف للقارئ أن التعامل مع المصادر التاريخية وقراءتها بالنسبة لبيزنطة يختلف من مدرسة إلى أخرى وذلك بحكم الايدلوجية التى تحكم هذا الكاتب أو ذاك .

أخيراً يسعدنى أن أقرر فى موضوعية ونزاهة كاملة ؛ أن هذا العمل يعد إضافة علمية موقرة للمكتبة العربية .

أ.د. اسحق عبيد

أستاذ العصور الوسطى - كلية الآداب جامعة عين شمس

المقدمـــة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة ؛ تاريخ الإمبراطورية البيزنطيـة خلال المرحلة الممتدة من القرن الرابع الميلادى إلى ما زاد على منتصف القرن الخامس عشر الميلادى . وبالتحديد من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م. أى على مدى ما فاق أحد عشر قرنًا من عمر الزمان من خلال الأسرات الحاكمة .

والواقع ؛ أن ذلك التاريخ يحتل أهميته الخاصة ؛ إذ أخضعت تلك الإمبراطورية بلاد الشام، ومصر . وبقية الشمال الأفريقى لسيطرتها السياسية إلى أن ظهر الإسلام وأخضع الفاتحون العرب تلك المناطق لسيادتهم وانتزعوها من السيادة البيزنطية، وهكذا ؛ فإن المرحلة البيزنطية ليس فى الإمكان إسقاطها من تاريخ منطقتنا ، كما أن تلك الإمبراطورية دخلت فى علاقات سياسية وحربية، وحضارية مع الأمويين والعباسيين والأتراك السلاجقة والعثمانيين، وبالتالى؛ فإن فهم تاريخها يعد أمراً ضروريًا من أجل دراسة تاريخ العلاقات بين عالم الإسلام وعالم المسيحية فى المرحلة القروسطية .

جدير بالذكر ؛ يرجع إهتمامى بالتاريخ البيزنطى إلى نحو ثلاثة عقود ، فالملاحظ أن المتخصص فى تاريخ الحروب الصليبية خلال القرنين الثانى عشر ، والثالث عشر الميلاديين؛ يدرك حجم الاتصال الوثيق بين التاريخ البيزنطى، وتاريخ الصليبيين فى الشرق، كما أنه فى أطروحتى للدكتوراه- عن السياسة الخارجية للدولة النورية (١١٤٦-١١٧٤م) خصصت فصلاً عن العلاقات النورية - البيزنطية ، ولا أغفل كذلك جانب الخبرة التدريسية وتأثيرها الوضّاح؛ فقد قمت بتدريس التاريخ البيزنطى فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها بالمملكة العربية السعودية طوال ست سنوات كاملة، ولانزاع فى أن تدريس التاريخ البيزنطى يعطى للباحث فى رحابه أبعاداً فكرية جديدة لاتتوافر إلا لمن خاض غمار التجربة تأليفًا وشرحًا ومعايشة العصر التاريخى ذاته، ومن خلال دراسة العلاقات الدولية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر ؛ فتأليف كتاب عن تلك المرحلة الزمنية يحتاج إلى مجهود كبير، خاصة أن هناك العدد الوافر من الدراسات فى الغرب الأوربى والولايات المتحدة الأمريكية عن كافة جزئياته. كذلك توجه أطروحات علمية للماجستير والدكتوراه من جانب عدد من الباحثين العرب، ناهيك عن إصدارات متعددة لمؤرخين مصريين، وعرب ساهموا فى تطوير الدراسات

البيزنطيـة فى العالم العربى وذلك على مدى نحو سبعين عامًا ، ولاشك فى أن ذلك يضع عبئًا ثقيلاً على من يسعى إلى عرض التاريخ البيزنطى فى دراسة واحدة مستقلة .

من ناحيـة أخرى : سيـلاحظ القارئ أن الكتـاب يهتم - قـدر الإمكان- بالجانب النقدى، فليس هدف كاتب هذه السطور اللهث وراء الأحداث وتوهم اقتناصها بل البحث فيها ، وتأملها قدر الجهد الممكن.

وقد انقسم الكتاب إلى قسمين ، اهتم الأول منهما بتقديم عرض ببليوغرافى أولى لمصادر ومراجع التـاريخ البيـزنطى، وذلك من خلال أسلوب النماذج المختـارة ويهدف إلى تقديم لمحة بانوراميـة عامة عن مصادر ذلك التاريخ وحيث أن إيجاد دراسة ببليـوغرافيـة شاملة أمر خارج القدرات الفردية نظراً لوفرتها وتعددها ؛ لذا فإن جهدى يظل فى هذا المجال جهداً فرديًا ومن المفترض فى المستقبل - بإذن الله تعالى- سيتم تخصيص دراسة أكثر شمولية عن ذلك الجانب الببليوغـرافى البالغ الأهميـة بالنسبة للباحثين . كما اهتم بدراسـة المشكلات المنهجيـة الخاصة بتاريخ الإمبراطورية البيـزنطية ، والأمر المؤكد: أن تلك المشكلات لها أهميـتها الواضحة عند التعامل مع مصادر ذلك التاريخ التى تمتاز بالتنوع الكمى، والكيفى فى آن واحد.

وفيـما يـتصل بالقـسم الثـانى : نجده يتنـاول عـرضًـا للتـاريخ البيـزنطى فى صورة مـلامح بانورامية عامة ، وذلك من خلال دور الأسر البيـزنطية الحاكمة ، والعمل - قدر الإمكان- على المقـارنة بين كل أسـرة وأخـرى وعـوامل النجـاح والإخفـاق، وذلك من خـلال الظروف الدوليـة المختلفـة التى صاحبت تاريخ كل أسـرة حـاكمـة، وشكلت أدوارها فى السـيـاسـتين الداخليـة ، والخـارجيـة . وأود لفت انتبـاه القـارئ إلى أن بـيـزنـطة لايزال هناك إمكانيـة تقـديم تصـورات تاريخية مغايرة بشأنها ؛ فالتاريخ - عموما- لم يقل كلمته الأخيرة بعد !

كذلك تم تزويد الدراسة بخاتمة احتوت على أهم ما أمكن التـوصل إليـه من نتائج، وكذلك تم إيراد عـدد من الملاحق والخرائط . ثم أخـيـراً قـائمـة بالمصـادر والمراجع بلغـات مـتـعـددة كالإنجليزية، والفرنسيـة، والألمانيـة، والعربيـة .

وقـد يتـصـور البـعض: أن تناول التـاريخ البـيـزنطى من خلال الأسـرات الحـاكـمـة يعد أمراً تقليديًا نمطيًا لاجديد فيـه، وللرد على ذلك ؛ نقول ؛ أن طبـيـعـة المعالجة هى التى تحسم الأمور؛ إذ أن عـهـد إمـبـراطور بيـزنطى مـا: لايمكن فـهـمـه دون فـهم طبـيـعـة التطور التـاريخى للأسـرة الحاكمة التى وجد فيها من خلال إيجابيات ، وسلبيات سياستها.

من زاوية أخرى ؛ من المهم التنويه إلى أن المقارنة بين الأباطرة فى الأسرة الحاكمة الواحدة، وكذلك بين أسرة وأخرى؛ يعتمد على الاقتراب أكثر من طبيعة التاريخ البيزنطى التى لم تتخذ أشكالاً ثابتة أو نمطية خاصة فى الصراع، من أجل البقاء مع القوى الخارجية . وما أكثرها والتى عرفت بمعاداتها للإمبراطورية المترامية الأطراف جغرافيًا ، والمترامية تاريخيًا على نفس المقدار !

وهكذا ؛ ففى تصورى أن التعامل مع الأسرات البيزنطية الحاكمة، يمكن الدارس من تسليط الأضواء على جوانب محددة لاتتوافر له وفى حالة دراسته لتاريخ بيزنطة وفق تصور مغاير.

والآن ؛ أتى موعد قطف زهور الثناء ، وورود الشكر والتقدير، وأقدمها إلى عدد من المؤرخين المصريين فى صورة المؤرخ والمترجم والمحقق الرائد الراحل أ.د. حسن حبشى ؛ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية جامعة عين شمس الذى رحل عن عالمنا عام ٢٠٠٥م[١]، تاركًا في القلب غصة لاتنتهى !، وقد عكف ابن مصر البار على ترجمة عدد من مصادر التاريخ البيزنطى والتعليق عليها على نحو يعجز عن القيام به فريق عمل من الباحثين حاليًا ؛ وكل ذلك باقتدار ، وأستاذية العالم الراهب الذى توحد مع المداد والأوراق، ولايفوتنى هنا ؛ الإشادة بترجماته الثرية بالتعليقات لكتابات كيناموس Kinnamos ، وأنًا كومنينا Anna Comnena، ونيكتاس خونياتس Nicetas Choniates وقد طالعتها وهى مخطوطة ومنها ما لم يطبع بعد، بالإضافة إلى معجم التراجم البيزنطية الذى أعده دونالد نيكول Donald Nicol عالم البيزنطيات الشهير .

أما المؤرخ الثانى ؛ فهو أ.د. إسحق عبيد أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب- جامعة عين شمس الخبير بالتاريخ البيزنطى، والعلاقات البيزنطية - اللاتينية، وأغتنم الفرصة للإشادة بمؤرخ تدين له الدراسات البيزنطية في جامعات نوتنجهام Nuttingham بانجلترا، ومصر وبنى غازى بليبيا ، والكويت، واليمن بالكثير. وقد أفدت من خبرته العلمية الواسعة منذ أن تتلمذت على يدى ابن أسيوط عام ١٩٧٧م، وما زالت ذكرى محاضراته منتعشة فى الأذن، والقلب والعين ، والروح وكأنه ألقاها على التو منذ لحظات على الرغم من توالى الأعوام مهرولة ولا أستطيع لها دفعًا !!!

١- عن سيرته أنظر: محمد مؤنس عوض، عصر الحروب الصليبية ٢٠٠٦م، ص٢٤٣- ص٢٦٢ .

كذلك لا أغفل الإشادة بكتابات مؤرخين بارزين فى حقل الدراسات البيزنطية من أرض الكنانة وأذكر منهم أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج ، أ.د. محمد مرسى الشيخ أ.د. عليه الجنزورى ، أ.د. زبيدة عطا، أ.د. عفاف صبره ، أ.د. ليلى عبد الجواد، وقد أفدت من مؤلفاتهم، ومن سوريا- الشقيقة الجغرافية والتاريخية لأرض الكنانة- أذكر أ.د. عادل زيتون ، أ.د. نعيم فرح ، د. عبد السلام زيدان ، الذى قدم لى كل عون فى الحصول على بعض المؤلفات الصادرة فى دمشق ، وللزميل الفاضل د. حاتم الطحاوى لمراجعته الدقيقة لقسم كبير من الكتاب وللأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى لافادتى من مكتبته العامرة فى كلية الآداب والعلوم بجامعة الشارقة، والدكتور سلامه البلوى بنفس الكلية للملاحظات القيمة التى قدمها لى بعد مطالعة مخطوط الكتاب ، كذلك أشكر عدداً من تلاميذى خاصة محمد فوزى، وأحمد عبدالله، وهنادى السيد خاصة الأخيرة التى صورت لى عدداً من المقالات والمراجع المهمة . كذلك لا أغفل تقديم شكر خاص للزميلة د. زينب توفيق خبيرة اللغة اليونانية.

بصفة عامة ؛ أفدت من مكتبات اليونان ، وتركيا ، والسعودية، والإمارات العربية، ومصر، وذلك على مدى زمنى طويل، وفى الأخيرة أذكر مركز البحوث الأمريكى ، والجامعة الأمريكية والكلية القبطية والمعهد الفرنسى والمعهد الألمانى للآثار ، ومكتبات جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية وأسيوط، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة لعدد من الأساتذة الأفاضل فى حقل الدراسات البيزنطية.

لقد كان إعداد هذا الكتاب فرصة سانحة لاقتناء مئات الكتب والمقالات عن التاريخ البيزنطى ، وقد استغرق العمل فيه ثلاث سنوات من الجهد المتواصل وقد نتج عن ذلك قائمة المصادر، والمراجع فى نهاية الدراسة، وأتصور أن القارئ الموضوعى سيقدر ما بذل فيه من جهد علمى.

على أية حال ؛ أدعو القارئ إلى تصفح صفحاته، ودائمًا وأبداً أردد قول الحق تبارك وتعالى : «وفوق كل ذى علم عليم». صدق الله العظيم

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

القاهرة- مصر الجديدة - مساكن الشيراتون

القسم الأول

مدخل ببليوغرافى للتاريخ البيزنطى

ومشكلات دراسته

مدخل ببليوغرافى للتاريخ البيزنطى

ومشكلات الدراسة

يتناول هذا القسم من الكتاب ؛ لمحة عن نماذج لأهم المصادر والمراجع التاريخية التى من خلالها يمكن للباحث الإطلاع على وقائع التاريخ البيزنطى ، وبداية أود الإشارة إلى أن ذلك المدخل ليس من مهمته إيراد حصر شامل للمصادر والمراجع المذكورة ؛ إذ أن ذلك خارج عن حدود النطاق الفردى ويتطلب فريق عمل من الباحثين خاصة أنها مصادر تاريخ أحد عشر قرنًا من عمر الزمان .

واقع الأمر ؛ من المهم التعرض لمجموعات مصادر التاريخ البيزنطى، ثم الكتابات العلمية، والآثار، والنقوش ، والنقود ، وتقديم نماذج مختارة من كل نوع من تلك المصادر حتى يمكن للباحث الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك من خلال مطالعة المزيد منها من خلال قدراته الشخصية البحثية .

وفيما يتصل بمجموعات المصادر ، من الممكن إيرادها على النحو التالى :

- الباترولوجيا اليونانية ، إصدار ج.ب ، مينى ، باريس ١٨٥٧-١٨٦٦م، ١٨٨٠-١٩٠٣م وتقع فى (١٦١) جزءاً :

Patrologiae Cursus Completus , Series Graeco - Latine, ed J.P. Migne , Paris 1857 - 1866 , 1880-1903 , 161 vols .

- الباترولوجيا اللاتينية ، إصدار ج. ب مينى ، باريس ١٨٤٤-١٨٥٥م ، ١٨٦٢-١٨٦٤م وتقع فى (٢٢١) جزءاً .

Patrologiae Curus Completus Series Latina , ed . J.P. Migne , Paris 1844-1855, 1862-1864 , 221 vols ,

- الجامع للمخطوطات البيزنطية .

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae , Bonn, 1828-1897 , 50 vols.

- مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية :

Recueil des Historiens des Croisades, Paris .

وتنقسم إلى :

- الوثائق الأرمينية، مجلدان ، باريس ١٨٦٩-١٩٠٦م .

Documents armeniens, 2 vols ., Paris 1869 - 1906 .

- المؤرخون الاغريق ، مجلدان ، ط. باريس ١٨٧٥-١٨٨١م.

Historiens grecs , 2 vols ., Paris 1875-1881 .

Lois, 2 vols , Paris , 1841-1843 .

- المؤرخون الغربيون ، ٥ مجلدات فى ٨ أجزاء باريس ١٨٤٤-١٨٩٥م.

Historiens Occidentaux , 5 vols ., in 8 pts, Paris 1844-1895 .

- المؤرخون الشرقيون ، ٥ مجلدات فى ٦ أجزاء ، باريس ١٨٧٢-١٩٠٦م.

Historiens Orientaux, 5 vols , in 6 pts , Paris 1872 - 1906 .

ومن مجموعات المصادر نذكر أيضًا :

- الجامع للنقوش اليونانية ، ٤ أجزاء، ط. برلين ١٨٢٨-١٨٧٧م.

Corpus Inscriptionum Graecarum , 4 vols , Berlin 1828- 1877 .

- مجموعة النقوش اليونانية المسيحية لآسيا الصغرى، ط. باريس ١٩٢٢م.

Recueil des Inscriptions Grecques Chretinnes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

- مجموعة مؤرخى ألمانيا[١] .

Monumenta Germaniae historica.

١- من المهم الإقرار بأن مجموعة تاريخ ألمانيا التذكارية قام بنشرها ج.هـ برتز G.H. Pertz، وتتناول تاريخها فيما بين عامى ٥٠٠ - ١٥٠٠م، ووقعت فى ١٢٠ مجلداً وقد صدرت فى برلين وهانوفر فيما بين عامى ١٨٢٦-١٩٢٥م ويلاحظ أنها تعد من أكبر مجموعات التاريخ القومى فى كل أوربا ، ولاريب فى أنها صدرت على مدى قرن كامل ، وعكست حرص الألمان على تجميع ونشر مصادر تاريخهم القومى.

عن هذه المجموعة أنظر:

على الغمراوى : « المؤلفات الدينية فى آدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن» ، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤م، ص١٢٧ ، «معالم ألمانيا التاريخية Monumenta Germaniae Historica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألمانى فى العصور الوسطى.» مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٨٦م.

محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٥٢ .

وتنقسم إلى :

- Monumenta Germaniae historica: Aucta - rerum antiquissimorum, 15 vols. , Berlin 1877-1919 .
- Monumenta Germaniae historica: Epistolarum, 8 vols , Berlin 1887-1939 .
- Monumenta Germaniae historica: Legum, 5 vols, Hannover 1835-89 .
- Monumenta Germaniae historica Poetarum latiuorum medi aevi, 6 vols , Berlin - Leipzig - Weimar 1880-1951 .
- Monumenta Germaniae historica: Scriptorum , 32 vols : Hannover 1826-1934 .
- Monumenta Germaniae historica, Scriptores rerum langobardicarum et italicarum Saec., Hannover 1878 .
- Monumenta Germaniae historica Scriptores rerum merovingicarum 7 vols , Hannover 1885-1920 .

- الجامع للكنائس البيزنطية فى الأرض المقدسة ، نشر أوفاديا ، ط. بون ١٩٧٠م.

Corpus of the Byzantine Churches in the Holy land , ed. by Ovadiah , Bonn 1970 .

Nicene and post Nicene Fathers of the Church of the Christian Church , ed. by Philip Schaff and Henry Wace , Michegan 1891 .

- مجموعة مؤرخى الغال وفرنسا ، ٢٧ جزءاً باريس ١٧٣٨-١٨١٨م.

Recueil des Historiens des Gaules et de la France , Par des religiens Bendic tins , 27 vols ., Paris 1738-1818 .(١)

١- تجدر الإشارة إلى أن المجموعة المذكورة ؛ تعد بمثابة أول مجموعة ضخمة شملت مصادر التاريخ القومى فى أوربا ، وقد بدأ بوكيه Bouquet فى نشرها فى باريس ، وذلك عام ١٧٣٨م، وصدر منها فى عام ١٧٨٦م ثلاثة عشر مجلداً ، وتوقف إصدارها خلال أحداث الثورة الفرنسية وعادت بعدها للصدور، وللمجموعة المذكورة طبعة أخرى نشرها ل. دلسيل L. Delisle فى باريس من عام ١٨٦٨ إلى عام ١٨٨٠ مع ملاحظة أنه اقتصر على المجلدات التسعة عشر الأولى، عن ذلك أنظر : على الغمراوى: تقرير ببليوغرافى عن بحوث فرنسا ونشراتها فى القرن الثامن =

- حـــوليـــات بريطانيـــا وأيرلندا خـــلال العـــصـــور الوسطى. ٩٩ جـــزءاً ، لندن ١٨٥٨-١٨٩٦م[1].

Rerum Britannicarum medii devi Scriptores , or Chronicles and memorials of Great Britain and Ireland during The Middle Ages, published by the authority of her Matesty's Treusury under the direction of the Master of the Rolls, 99 vols ., London 1858-1896 .

- الباترولوجيا الشرقية ، نشر ل. جرافين، ف . ناو ، ط. باريس ١٩٠٤ .

Patrologia Orientalis , ed . R. Graffin et F. Nau , Paris 1904 FF.

Corpus Fontium Historiae Byzantinae.

وهى مجموعة مصدرية بيزنطية مهمة صادرة عن مركز دامبرتون أوكس Dumbarton Oaks [2] فى واشنطن وقد صدر منها حتى عام ١٩٩٢م (١٠) أجزاء ، وتحتوى على النصوص اليونانية ، وترجماتها الإنجليزية . ومن أمثلة إصداراتها الآتى :

= عشر ، مجلد كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود العدد (٧) عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص١١١ ، محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٨ .

١- عن بعض محتويات تلك المجموعة المصدرية انظر: زينب عبد القوى، الإنجليز والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م،، ص١١ . وتذكر الباحثة أن عددها يقترب من المائة مجلد والواقع أن العدد الحقيقى هو (٩٩) مجلداً أنظر رأيها فى الصفحة المذكورة .

٢- أقيم مركز الدامبردون أوكس Dumbaron Ouks Center فى واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠م . وقد توالى على المركز المذكور عدد من العلماء الذين عملوا على دراسة التاريخ البيزنطى من كافة جوانبه السياسية والحضارية ونشر المصادر وترجمتها وكذلك الأبحاث التاريخية، نذكر منهم : جون س. تاكر John S. Thacher (١٩٤٠-١٩٦٩م) وكان مسئولاً عن إدارة التنظيم الداخلى، ثم هناك ألبرت م. فرند Albert M. Friend (١٩٤٣-١٩٥٦م) ، ومن بعده، نذكر إرنست كـتـزنجيـو Ernest Kitzingeo (١٩٠٠-١٩٦٦م) وكذلك روميلى ج. هـ. جنكز Romilly J. H. Jenkins (١٩٦٧-١٩٦٩م) ووليم ر. تيلور William R. Tyler (١٩٦٩-١٩٧٧م) ، ثم جيلز كونستابل Giles Constuble (١٩٧٧-١٩٨٤م) وروبرت و. تومسون Robert W. Thompson (١٩٨٤-١٩٨٩م) ، عن ذلك المركز البحثى الذى يعد من أعظم المراكز المتخصصة على مستوى العالم إن لم يكن أهمها مع عدم إغفال دور مركز جامعة برمنجهام ومركز الدراسات البيزنطية فى سالونيك ومركز جامعة السربون فى باريس، أنظر : =

- Constantine Porphrogenitus, De Administrando Imperio , ed . by Gy . Moravesik, Trans . by R. J. H. Jenkins , 1967 .
- Nicholas I, Patriarch of Constantinople Letters , ed . and Trans. by R.J.H. Jenkins and L.G. Westerink , 1973 .
- The Correspondence of Athanasius I Patriarch of Constantinople: Letters to the Emperor Andronicus II, Members of the imperial Family and officials , ed . with Translation and commentary by Alice - Mary Maffry Talbot , 1975 .
- The Letters of Manuel II Palaeologue , ed. and Trans . by George T. Dennis , 1977 .
- The Synodicon Vetus , ed. with Translation by John Duffy and John Parker, 1979 .
- Nicholas I , Patriarch of Constantinople : Miscellaneous Writings, ed. and Trans. by L.G. Westerink
- Letters of Gregory Akirdynos , ed. and Trans. by Angela Constantinides Hero , 1983 .
- The Correspondence of leo , Metropolitan of Synada and Syncellus , ed. and Trans . by Martha Pollard Vinson , 1985 .
- Three Byzantine Military Treatises, ed . and Trans . by George T. Dennis , 1985 .
- Nikephoros , Patriarch of Consfantinople , Short History , ed. and Trans. by Cyril Mango , 1990 .[1]

= Anastos , " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies , a Personal Account", in Laiou and Maguire (eds.) Byzantium A World Civilization , D.O., Washington 1992, pp. 5-18 .

١- عن ذلك أنظر : Laiou and Maguire (eds) , Byzantium A world Civilization , D.O., Washington 1992, pp. 159-160 .

- أعمال الكتابات الإيطالية ، نشر ل. ز. موراتورى (٢٥) مجلد فى (٢٨) جزء، ط. ميلانو ١٧٢٣-١٧٥١م .

- Rerum Italicarum Scriptores ed. L.A. Muratori , 25 vols ., in 28 pts., Milan 1723-1751 .

وأيضًا :

Rerum Italicarum Scriptores, Citta di Castello- Bologna 1900 .

- Historici Graeci Minores, ed. L. Dindor F, 2 vols ., Leipzeg 1870-1871 .

- Fragmenta Historicorum Graecorum , ed. Muller , 5 vols ., Paris 1874-1885 .

مجموعة نصوص حجاج فلسطين (١٣) جزءاً وتحتوى على عدد من الحجاج الأوروبيين الذين مروا بمناطق الدولة البيزنطية أو كانوا من مناطقها المختلفة وقدموا إلى فلسطين ودونوا رحلاتهم ومن أمثلتهم يوحنا فوكاس Joannes Phocas وغيره .

وهناك أيضًا مجموعة :

- Palestine Pilgrims Text Society , 13 vols ., 1880-1897 .

- Byzantine Monastic Foundation Documents, Acomplete Translation of the Surving Founders Typika and A.C. Hero , 5 vols . Washington 2000 .

وتختص بوثائق المؤسسات الديرية البيزنطية وتقع فى ٥ مجلدات ، وصدرت فى واشنطن عام ٢٠٠٠م.

كذلك نجد مجموعات وثائق فى الكتاب التالية :

- Gumel (V.), Les Regesta des actes du patriarcat de Constantinople , 1, Paris 1972 , II, Chalcedon 1936 , III, Chalcedon and Buchares 1947 .

- Tafel (G.) and Thomas (G.), un kunden zur Alfaren Handels und Staats geschichte der Repablik Venedig Mit Besondr Beziehung Auf Byzanz und Dielevante (814-1205), Wien 1856 .

١- عن المجموعة المذكورة انظر: محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٩ .

- Movozzo Della Roca and Lombardo, Documendi del Commercio Veneziano nel secoli XI- XII , Romg 1940 .
- Miklosich (F.) et Muller (J.) Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi.
- Pothasti (A.), Regesta Pontificum Romanorum (1198-1304) , 2 vols., Berlin 1874 - 1878 .
- Jaffe (P.), Regesta Pontificum Romanorum .
- Dolger , Regesta Von Kaiserur kenden des Ostromischen Reiches von 565-1453 .

وبعد ؛ فتلك لمحة من مجموعات مصادر التاريخ البيزنطى ، ويضاف إلى ذلك الكتابات القلمية ونذكر منها :

- المصادر البيزنطية .
- المصادر اللاتينية .
- المصادر السريانية .
- المصادر الروسية .
- المصادر العربية .

وفى العرض التالى ؛ نذكر أمثلة كنماذج مختارة من كل مجموعة من المصادر المذكورة .

أولاً : المصادر البيزنطية :

يوساب القيسارى Eusebius of Caesarea [1] مؤلف كتاب Vita Constantini :

١- يوساب القيسارى ؛ رجل كنيسة ومؤرخ ولد عام ٢٦٠م، وقد تلقى العلم على يدى بامفيليوس؛ وهو راهب فى قيسارية تأثر بأفكار كليمنت السكندرى Clement of Alexandria الذى كان أحد آباء الكنيسة ، ويلاحظ أنه عقب صدور مرسوم التسامح عام ٣١٣م ، صار يوساب أسقفًا على قيسارية ، ونعلم أن صلاته توطدت بالإمبراطور قسطنطين ويعد مؤرخ سيرته ، ونعرف أن يوساب قام بدور بارز فى المجمع المسكونى الأول الذى عقد فى نيقية Nicaea عام ٣٢٥م ، وقد توفى عام ٣٣٩م ، عنه أنظر :

Grant , Eusebius as Church Historian , Oxford 1980 .

Nicol, A Biographical dictionary of the Byzantine Empire , London 1991 , pp. 37-38 Cantor , Medieval History , the life and death of civilization , New york 1969 , pp. 37-38 , p. 42, p. 46 .

أى حياة قسطنطين وكذلك كتاب Historia Ecclesiastica [١]؛ أى التاريخ الكنسى ويعد الكتاب الأول تاريخًا للإمبراطور قسطنطين الأول، وهو عامر بالثناء عليه، وبالتالى؛ يقدم لنا رؤية منحازة له ولأعماله، ولايتحدث ، إلا عن إيجابياته ، ويلاحظ أنه إعتبره الحوارى الثالث عشر للسيد المسيح ، وقد ألفه بعد وفاة ذلك الإمبراطور عام ٣٣٧ م[٢].

أما الكتاب الثاني؛ فتناول فيه الأحداث التاريخية التى مرت بالكنيسة منذ عهد السيد المسيح عليه السلام حتى معركة خريسوبوليس Chrysopolis عام ٣٢٣م التى انتصر فيها قسطنطين على منافسه ليكينيوس .

= على الغمراوى ، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط. ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٦٨ ، زبيدة عطا ، الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أناستاسيوس ، ط. القاهرة ب-ت ، ص٩ ، جونز ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ت. إحسان عباس ، ط. عمان ١٩٨٦م، ص٢٧ ، حاشية (٢)، جورج عطيه ، «الأثر السريانى فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام» ، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور ، ط. عمان ١٩٨٦م، ص١٥٧ .

ويلاحظ أن هناك مدينتين حملتا اسم قيسارية الأولى على الساحل الفلسطينى إلى الشمال من أرسوف Arsuf وبعدت عنها ١٨ ميلاً ، والثانية فى إقليم كبادوكيا Cappadocia فى آسيا الصغرى ومن المقرر أن يوساب عمل أسقفا لقيسارية فلسطين ، عن ذلك أنظر: أبو الفداء ، تقويم البلدان ، تحقيق رينو دى سلان ، ط. باريس ١٨٤٠م، ص٣٨ ، حسن عبد الوهاب ، قيسارية الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م . مرجرجى الدومنيكى ، بلدانية فلسطين العربية ، منشورات المجمع الثقافى، ط. أبوظبى ١٩٩٣م، ص٢٧٧، ص٢٧٨ ، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى الصليبى معركة أرسوف - ١١٩١م / ٥٨٧هـ ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٢٨ ، أسامة زكى زيد، صيدا ودورها فى الصراع الصليبى - الإسلامى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م، ص١٠٠ ، حاشية (٥) .

انظر : Eusebius, Extraits from Eusebius life of Constantine , Trans . by Gohn Bernard, P.P.T.S., vol . 1 , london 1896 .

وتوجد ترجمة عربية انظر : يوساب القيسارى، حياة قسطنطين العظيم، ت. مرقص داود، ط. القاهرة ١٩٧٥م.

Eusebius, The Ecclesiastical Hisotry . Thrans . by Kirsopp - Lake, L.C.L., London 1930-1940 .

١- التاريخ الكنسى ، ت. مرقص داود ، ط. القاهرة ١٩٧٩ .: عرفان شهيد ، روما والعرب مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب، ت. محمد فهمى عبد الباقى محمود، ط. القاهرة . ب-ت ، ص١٤٤ ، حاشية (٢).

٢- Nicol, A Biographical dictionary., p. 37 .

ميناندر[١] Menander مؤلف Excepta ex historia[٢] أى التاريخ المتوالى أو المتعاقب، ويتناول الأحداث التاريخية التى جرت فيما بين عامى ٥٥٨-٥٨٢م . يلاحظ أنه ارتبط بخدمة الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) الذى لقبه بلقب موظف البلاط الكبير.

ألف ميناندر كتابه ليكون مكملاً لكتاب أجاثيوس Agathius - كما لاحظ دونالد نيكول- وقد فقد ذلك العمل ، ولم يبق منه إلا النذر اليسير، ولا نغفل أنه اعتمد على الوثائق الرسمية كذلك روايات شهود العيان ، ويقرر المؤرخ السالف الذكر؛ أن تاريخ ميناندر يعد المصدر التاريخى الوحيد عن السنوات الأخيرة من حكم جستنيان الأول وكذلك الأعوام التى حكم خلالها خلفه جستين الثانى (٥٦٥-٥٧٨م) ، وهى من المراحل الشاقة التى ظهرت فيها بيزنطة ككائن مثقل بالأعباء والجراح .

يوحنا الافسوسى John of Ephsus[٣] مؤلف Historia Ecclesiatica[٤] أى التاريخ الكنسى .

١- ميناندر ؛ محامى ومؤرخ ، ولد فى القسطنطينية ودرس بها القانون ، وقد عمل فى بلاط الإمبراطور موريس الذى منحه لقب موظف البلاط الكبير، بصفة عامة ويعد ذلك الإمبراطور معاصراً للنصف الثانى من القرن السادس الميلادى عنه انظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 83 .

Ure, Justinian and his age , London , 1951 , pp. 187-190 .

أرنولد توينبى ، الفكر التاريخى عند الاغريق، ت. لمعي المطيعى ، ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص١٢٤-ص١٢٥ .

هارى ألمز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية، ت . محمد عبد الرحمن برج، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ج١ ، ص١٣١ .

٢- نشره نيبور فى مجموعة الكوربس وصدر عمله فى عام ١٨٢٩ انظر:

Menander, Excepta ex historia , ed. Niebuhr, C.S.H.B., Bonn 1829 .

وظهرت ترجمة إنجليزية له من جانب ر.سى. بلوكلى فى ليفربول عام ١٩٨٥م، أنظر:

- Menander , The History of Menander The Guardsman , ed . and Trans . by R.C. Blockley , Liverpool 1985 .

٣- يوحنا الافسوس ؛ مؤرخ عاصر القرن السادس الميلادى، عنه أنظر: نعيم فرح، تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٩٥م، ص٢٤ .

٤- John of Ephsus , Eccleriastcal History . Trans. by W.J. van Douwen and J.P.N. Land , Ameserdam 1889 .

وقد إحتوى على إشارات مهمة عن إغارات العناصر السلافيه على أراضى الإمبراطورية البيزنطية خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى .

مجهول ، Miraciula Sancti Demetri أى معجزات القديس ديمترى[1].

ويتناول أمر محاصرة العناصر السلافية لمدينة سالونيك خلال المرحلة الواقعة بين أخريات القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين؛ كذلك يتعرض لدور القديس ديمترى من أجل إنقاذ المدينة المذكورة ، كما أنه قدم إشارات مهمة عن الغزو السلافى لمقدونيا وحوض البحر الايجى.

ثيوفيلاكت سيموكاتس Theophylact Simocattes [2]، ألف كتاب Historiae [3].

ويعد المؤرخ المذكور من مؤرخى العصر البيزنطى المبكر ، وقد ألف تاريخًا للإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) ، ويعد مكملاً لتاريخ ميناندر [4]، ويقدم فيه معلومات لها

١- نعيم فرح، المرجع السابق، ص٢٤ .

وعن ذلك المصدر انظر أيضًا:

وسام عبد العزيز فرح ، السلاف Slavs فى شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد وسيادتها (٥٩١-١٠١٨م) ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والإدارى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٥٧ . وأنظر الترجمة الفرنسية التى قام بها ليميرل Lemerle وظهرت فى باريس عامى ١٩٧٩م ، ١٩٨١م .

Les Plus ancients recueils des miracles de Saint Demetrius et la Penetration de Slaves dans les Balkans, trad . par lemerle , 2 vols, Paris 1979-1981 .

٢- ثيوفيلاكت سيموكاتس : مؤرخ مصرى قدم من الاسكندرية، وعرف بتلك التسمية نظرًا لأنه كان يشبه إلى حد كبير "قط الأنطس الأنف، وقد اتجه إلى اللقسطنطينية لدراسة القانون فى بدايات عهد الامبراطور هرقل عام ٦١٠م، وقام بتولى عدد من الوظائف ، ويعد ما نعرفه عنه عمومًا أمرًا محدودًا .

عنه انظر:

Nicol. A Biographical Dictionary, p. 129 .

٣- نشرة دى بور فى لبزج عام ١٨٨٧م، انظر:

Thoophylact Simocatta, Historiae . ed. de Boor , Leipzeg 1887 .

٤- وسام عبد العزيز فرح، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإمبراطورية البيزنطية، ٣٢٤-١٠٢٥م . ط. الاسكندرية ١٩٨٧م، ص٢٢٤ .

شأنها عن بلاد فارس، والصقالبة، والآفار خلال حكم ذلك الامبراطور ، مما عكس أهمية فى شأن العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والعالم المحيط بها .

أيوردانوس[١] مؤلف جيتكا Getica أى تاريخ الشعب القوطى ، واعتمد فى تأليف كتابه على عدد من المصادر التاريخية المفقودة مثل مقالات كاسيدور [٢]، وتناول العلاقات البيزنطية مع عناصر القوط فى عهد الإمبراطور ڤالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨م) وتعرض لأمر معركة أدرنة الحاسمة عام ٣٧٨م التى هزم فيها الجيش البيزنطى وقتل خلالها الإمبراطور نفسه .

أميانوس ماركلينوس[٣] Ammianus Marcellinus مؤلف كتاب Res Gestae ؛ أى الأعمال تناول فيه الأحداث التاريخية من عام ٣٥٣ إلى ٣٧٨م، ويلاحظ مشاركته فى الأحداث بوصفه محاربًا أو مفاوضًا أو قائمًا بمهام سرية تتصل بتلك العمليات، كما شارك فى إحدى العمليات العسكرية ضد الفرس عام ٣٦٣م .

جدير بالذكر ؛ تكون كتاب إمياتوس مارسيلينوس من (٣١) جزءاً ، وقد فقدت بعض الأجزاء، ووصلت إلينا الأجزاء من (١٤) إلى (٣١) [٤]، وهناك من يقرر أن كتاب ذلك المؤرخ يعد تكملة لتاريخ تاكيتوس Tacitus [٥].

١- أيوردانوس ؛ مؤرخ معاصر للقرن الرابع الميلادى عنه انظر:

نعيم فرح، تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى، ص٣٦ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- مؤرخ ولد فى أنطاكية عام ٣٣٠ م وقد توفى فى روما فى أخريات القرن الرابع الميلادى عنه انظر: نفسه ، ص٣٦ .

رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة المسيحية الجديدة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٣٨ .

٤- نعيم فرح ، تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى، ص٣٦ .

٥- نفسه، نفس الصفحة.

حنا مالالاس John Malalas[١] مؤلف Chronographia ؛ أى المزمنة [٢].

وقد عاصر القرن السادس الميلادى، وتناول فى حوليته تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) ، ويعد أول حولية بيزنطية عالمية [٣]؛ مما عكس ريادة ذلك المؤرخ .

من الملاحظ أن تلك الحولية؛ يلقى فيها مؤرخها الأضواء إلى جانب الأحداث السياسية والحربية على جوانب من الحياة اليومية مما أعطاها أهمية خاصة.

سقراط[٤] Socrates مؤلف:

١- حنا مالالاس، ولد فى أنطاكية حوالى عام ٤٩٠م ويلاحظ أن كلمة مالالاس ، Malalas تعنى الخطيب أو معلم البلاغة فى اللغة السريانية ، وقد تلقى تعليمه فى المدينة المذكورة ثم انتقل إلى العاصمة البيزنطية عام ٥٣٠م أو فى أعقاب عام ٥٤٠م وتوفى عام ٥٧٠م، عنه أنظر :

Jeffreys, Croke and Scott (eds.) Studies in John Malalas , Sidney 1990 .

دراسة قيمة عن ذلك المؤرخ خاصة أن ممن شارك فيها قام بترجمة تاريخه إلى الإنجليزية وعلى غير المعتاد لم يظهر العمل المذكور فى أوربا والولايات المتحدة ، بل فى استراليا .

Nicol, A Biographical dictionary . p. 77 , O.D.B., vol . 2 . p. 1215 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 183-184 .

هارى المز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية، ص١٣١ .

٢- نشر ل. ديندورف تاريخ مالالاس وصدر عمله فى بون عام ١٨٣١م .

Malalas , Chronoqraphia , ed , L. Dindorf, Bonn 1831 .

وقد صدرت ترجمة إنجليزية لتاريخ حنا مالالاس فى استراليا من جانب اليزابيث جيفريز ، وميشيل جيفرز ، وروجرز سكوت وصدر العمل من جانب الجمعية الاسترالية للدراسات البيزنطية عام ١٩٨٦م، عن ذلك انظر:

The Chronicle of John Malalas , Trans. by Jeffreys, Michael Jeffreys, R Scott (eds.) Byzantine Australiensia Australian Association for Byzantine Studies , University of Sidney 1986 .

٣- O.P.B., vol . 2, p. 1275 .

٤- سقراط: مؤرخ كنسى؛ ولد فى القسطنطينية عام ٣٨٠م ، وفيما بعد تلقى تعليمه على أيدى عدد من كبار علماء عصره مثل أمونيس Ammonios ، وهيلاديوس Helladios، وقد توفى عام ٤٥٠م ، عنه أنظر : =

Historia Ecclesiastica [١]. أى التـاريخ الكنسى ، وتناول فيـه الأحداث ذات الطابعين الدينى والسياسى منذ عام ٣٠٥م إلى عام ٤٣٩م، ووقع فى سبعة أجزاء، وقد خصص كل جزء من الأجزاء لعهد إمبراطور من الأباطرة منذ عهد قسطنطين الأول إلى ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨-٤٥٠م) .

ويقرر دونالد نيكول Donald Nicol ؛ أن ذلك المؤرخ يعد أول رجل علمانى حاول كتاب تاريخ للكنيسة ، على الرغم من أنه يدين بالفضل إلى درجة كبيرة فى هذا الموضوع إلى سلفه يوسيبيوس،[٢] وقيمة الكتاب من وجهة نظر المؤرخ المذكور إحتوائه على عدد من الوثائق الدينية ، وكذلك الديوانية على نحو أثرى كتابته التاريخية [٣].

سوزومين[٤] Sozomenos ألف كتابًا عنوانه[٥] : Historia Ecclesiastica أى التاريخ الكنسى.

= Nicol, A Biographical dictionary , p. 115 , O.D.B., vol . 3, p. 1923 .

سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٨ حاشية (١) .

١- نشر الكتاب المذكور من جانب ر. هسى وراجع عمله ب. برايت ، وصدر فى أكسفورد عام ١٨٩٣م.
Socrates , Ecclesiastical History , ed . R. Hussey, revised by W. Bright, Oxford 1893.
O.D.B., vol . 3, p. 1923 .

٢- Nicol , Op. cit., p. 115 .

٣- Ibid, p. 115 .

٤- سوزومين ؛ ولد فى باثيليا Bathelia (بيت لاهب حاليًا) فى القرن الخامس الميلادى وتحديداً عام ٤٠٠م، وقد مارس المحاماة فى القسطنطينية، توفى عام ٤٥٠م. عنه أنظر :
O.D.B., vol . 3 , pp. 1922 - 1923 .
Nicol, Op. cit., p. 115 .

رأفت عبد الحميد ، «سوزمين المؤرخ الغزاوى» ضمن كتب فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، جامعة القاهرة ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٨٥-١٢٨ .

سليم عرفات المبيض، النصرانية وآثارها فى غزة وما حولها . ط. غزة- فلسطين ١٩٩٨م، ص١٠٥ .

٥- نشر بدز التاريخ الكنسى وصدر عمله فى باريس ١٩٨٣م .=

عاصر المؤرخ المذكور القرن الخامس الميلادى حتى منتصفه، وقد احتوى كتابه على الأحداث التى وقعت منذ بواكير الكنيسة الأولى حتى الربع الأول من القرن الخامس وتحديدا من عام ٣١٤م إلى ٤٣٩م وقام باهداء كتابه للإمبراطور ثيودسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م) .

تجدر الإشارة ؛ إلى أن نهاية ذلك التاريخ تعد مفقودة ، وهى التى تتناول الأحداث الواقعة بين عامى ٤٢٥-٤٣٩م وبصفة عامة يعد مصدراً مهمًا للتاريخ البيزنطى المبكر، ويقرر دونالد نيكول عنه «أن الكتاب مصدر فريد للعديد من الأحداث المبكره فى التاريخ الكنسى» [١].

ديمتريوس كيدونيس Demetrios Kydones [٢]، مؤلف الرسائل Letters [٣]، ألف ذلك المؤرخ (٤٥٠) رسالة تناولت عدداً من الأحداث التاريخية خلال النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى ، وترجع أهميته إلى أنه كان من دعاة الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية .

بصفة عامة؛ تعد رسائله مصدراً مهمًا من مصادر العصر البيزنطى المتأخر، خاصة من خلال الوضعية السياسية التى احتلها كرنيس للوزراء فى مرحلة قلقة من مراحل التاريخ البيزنطى.

= Sozomenos , Hisoire Ecclesiastique , ed. par J Bidez, Paris 1983 .

كما توجد له ترجمة في N.P.NF., vol . 2 .

١- Nicol. ABiographical dictionary , p. 116 .

٢- ديمتريوس كيدونيس؛ عاش خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٣٢٤م ، ١٣٤٧م، وقد صار رئيسًا لوزراء الإمبراطور يوحنا السادس كونتاكوزين ١٣٤٦-١٣٥٥م John V Cantancuzene ومن الملاحظ أنه تحول إلى المذهب الرومانى ثم تقاعد حينًا من الوقت . وأمضى الأعوام المتبقية من عمره وذلك بين كريت والبندقية، ومات عام ١٣٩٧م.

عنه أنظر :

Nicol . A Biographical dictionary, Id, p. 719, The Reluctant Emperor , A biography of John Cantacuzene , pp. 134-135 , pp. 144-148 . pp. 157-159 .

٣- نشرها لونيرتز فى الفاتيكان فى جزأين فيما بين عامى ١٩٥٦م، ١٩٦٠م، انظر Demetrios Ky-drones ed. R.J. Loenertz 2 vols . vatican city 1965 - 1960. Nicol. the Reluctant . p. 189.

جريجوري النيسي Gregory of Nyssa [١] وهو مؤلف عدة كتب هي «ليس بآلهة ثلاث» On not three Gods ، «العـذرية» on Virginity ، و«حيـاة مكرينا»[٢] The life of Macrina عـاصر القرن الرابع الميلاد، ويعد من أكبر مفسري اللاهوت المسيحي، وفق مجمع نيقية . ويعد ما ألفه مصدراً تاريخياً مهماً عن الجدل الديني في القرن المذكور.

أجاثياس سكولاستيكوس Agathias Scholasticus [٣]، مؤلف Historiarum [٤] أي التواريخ ألف تاريخًا في خمسة كتب بدأه بأحداث عام ٢٥٢م حتى عام ٥٨٠م، وأهتم فيه بذكر حملات القائد نارسيس Narses ضد عناصر القوط، والوندال ، والفرس ، ويلقي الضوء على الكوارث الطبيعة التى حدثت في عهد جستنيـان كزلزال عـام ٥٥٧م وهناك من يقرر أن تاريخ أجاثياس هو تكملة لما كتبه بروكوبيوس Procopius [٥].

١- جريجوري النيسي : هو أسقف نيسا Nyssa في إقليم كبادوكيا Cappadocia بآسيا الصغرى Asia Minor عام ٣٣٥م ، وهو الأخ الأصغر للقديس باسل الكبير St. Basil The Great ، وقد تزوج ممن اسمها ثيوسيبيا Theosebeia ، ويلاحظ معارضته لفكر الآريوسية وقد توفي عام ٣٩٥م وصار قديسًا ويوم عيده يوافق يوم ٩ مارس ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 46 .

Attwater , The penguin dictionary of Saints , Penguin Book, London 1977, p. 161 .

علي الغمراوي، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط. ص٦٨- ٧٠ ، حاشية (٣) .

٢- عن تلك المؤلفات انظر:

Nicol , op. cit , Cit ., p. 46 .

٣- أجاثياس سكولاستيكوس ، هو مؤرخ وشاعر كانت ولادته في ميرينا في آسيا الصغرى وتلقى تعليمه في كل من الاسكندرية والقسطنطينية ودرس القانون ومارس المحاماه وقد توفي حوالي عام ٥٨٢م، عنه أنظر:

Nicol , op. cit, p. 1.

هاري ألمز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ص١٣١ .

٤- نشره ديندروف وصدر في لبزج فيما بين عامي ١٨٧٠-١٨٧١م، عنه أنظر:

Agathius Schlasticus , Historiarum , ed . L.A.Dindorf , Historici Graeci Minores, Vol . II, Leipzig 1870-1871 .

وقد صدرت ترجمة إنجليزية من جانب أ.ج ر فرندو في نيويورك عام ١٩٧٥م ، عنها أنظر:

Agathius , The Histories , Trans. by J.D. Frendo , New York, 1975 .

٥- زبيدة عطا، الدولة البيزنطية ، ص١٠ .

ميخائيل بسللوس[1] Michael Psellus مؤلف كتاب Chronographia [2]؛ أي المزمنة عاش المؤرخ المذكور بين عامي ١٠١٨ ، ١٠٧٨م . وترجع أهميته إلى أنه عمل لدى كل من الإمبراطورين ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م) وقسطنطين التاسع Constantine IX (١٠٤٢-١٠٥٤م). وقد تناول في كتابه أربعة عشر إمبراطوراً بيزنطيًا في المرحلة الممتدة من وفاة باسل الثاني حتى عهد نقفور الثالث Nicephor III (١٠٧٨-١٠٨١م) .

بصفة عامة ؛ يعد كتابه مصدراً أساسيًا من مصادر القرن الحادى عشر الميلادى.

يوحنا الليدى[3] John The Lydian مؤلف كتاب De Magistratibus Populi Romani[4] ويعد من المصادر التاريخية المهمة عن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) .

١- ولد ميخائيل بسللوس عام ١٠١٨م من أسرة متواضعة ، وتلقى تعليمه على أيدى عدد من الأساتذة ومنهم يوحنا موروبوس John Mauropus ، وقد عمل في مجال الإدارة المدنية ،، وارتبط بمجموعة من المفكرين الشبان، مثل يوحنا الثامن اكسفيلينوس John VIII Xiphilinos ، وقسطنطين الثالث ليودوس Constantine III Leiyhoudes وكان يحدوه الأمل فى أن يمثلوا قوة ضغط فى عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر Constantine X (١٠٥٩-١٠٦٧م) ، وفيما بعد؛ أجبر ميخائيل بسللوس على أن يحيا حياة ديرانية فى جبل أوليمبس، ثم عاد أدراجه إلى العاصمة البيزنطية ، وشارك فى الحياة السياسية ، وقد توفى عام ١٠٨١م، عنه انظر : Hussey, "Michael Psellus ", S. vol. X ,, 1935 , pp. 81-90 . O.D.B., vol. 2, p. 1754 - 1755 .

Jugie , " Michael Psellus ", D.T.C., T.XIII, 1936 , pp. 1149-1158 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 367 .

تقوم حاليًا الباحثة آمال حامد غانم زيان المدرس المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة بإعداد أطروحتها للدكتوراه بعنوان الدور السياسى للمؤرخ البيزنطى بسللوس.

٢- انظر الترجمة الإنجليزية : . Psellus , Fourteen Byzantine Rulers: The Chronographia Trans. by E.R.A. Sewter Penguin Book, London, 1966 .

٣- يوحنا الليدى، ، ولد وفى فيلادلفيا Philadelphia (ليديا Lydia) عام ٤٩٠م، وقدم إلى القسطنطينية عام ٥١١م، وهناك عمل فى الخدمة المدنية أربعين عامًا، وحظى بإعجاب وتقدير الإمبراطور جستنيان، وألف كتابه De Maytstrations وتوفى حوالى عام ٥٦٥م ، عنه أنظر . O.D.B., vol 2, 1061

Maas , John Lydus and the Roman past, London 1992 .

٤- انظر الترجمة الإنجليزية التى أعدها باندى وظهرت فى فيلادلفيا =

چورج الراهب[١] George Monachos وهو المعروف باسم Hanartolus (أى المذنب) مؤلف كتاب حوليه العالم World Chronicle[٢] عاصر المؤرخ المذكور القرن التاسع الميلادى، وفى كتابه ؛ تناول الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى عام ٨٤٢م، أى حتى نهاية عهد الإمبراطور ثيوفيلوس من أباطرة الأسرة العمورية ، حيث حكم خلال المرحلة من ٨٢٩ إلى ٨٤٢م[٣]، وهناك من يقرر؛ أنه انتهى من تأليف عام ٨٦٦م و٨٦٧م [٤]؛ أى خلال عهد الامبراطور ميخائيل السكير، وهو من أباطرة نفس الأسرة وحكم خلال المرحلة من ٨٤٢ إلى ٨٦٧م وقد ظهرت ؛ ظهرت تكملة لذلك التاريخ عنوانها : تكملة جورجيوس وقد ألفت فى عهد الامبراطور نقفور فوكاس وتشمل الأحداث التى وقعت من نهاية تاريخه، إلى عام ٩٤٨ وهو عام وفاة رومانوس الأول [٥].

مجهول ، الوصف الكامل للعالم والشعوب[٦] Exposito Totius mundi et gentium

---

=John The Lydian, John Lydus , De Magistratibus , ed. with Trans, by A.C. Bandy , Philadelphia , 1983 .

١- جورج الراهب هو جورج موناخوس George Monachos ، وقد عاصر القرن التاسع الميلادى. وهناك من يقرر أنه اجتمع فيه كل من صفة الراهب وكذلك صفة المؤرخ ، ويلاحظ أن مؤلفاته لقيت استحساناً شعبيًا كبيراً وتمت ترجمتها خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين إلى اللغتين السلافية والجورجية ، عنه أنظر:

Nicol, Biographical dictionary, p. 43 .

2- Ibid , p. 43 .

3- Ibid , p. 43 .

4- Ibid, p. 43 .

5- Ibid , p. 43 .

٦- نعيم فرح ، «ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام فى العهد البيزنطى »، ضمن مؤتمر بلاد الشام فى العهد البيزنطى. الندوة الأولى من أعمال المؤتمرالدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور، ط. عمان ١٩٨٦م، ج١ ، ص١٩٩ .

ويلاحظ أن ذلك المصدر نشر من جانب موليريوس، وصدر فى باريس عام ١٨٦١م، انظر:

Geographi Graei Monores , ed . Par C. Mullerus , Paris 1861 .

عن ذلك انظر: نعيم فرح ، المرجع السابق، ص١٩٩ .

وقد أطلق البعض على ذلك المصدر إسم «الجغرافيا الاقتصادية أو التجارية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن الرابع » .

جدير بالذكر ؛ تناول المؤلف في كتابه الأوضاع الاقتصادية فى مدن إيطاليا، وأسبانيا ، وموريتانيا ، ونوميديا ، وشبه جزيرة البلقان، وآسيا الصغرى، ومصر ، وسورية ؛ مما عكس اتساع النطاق الجغرافى الذى تناوله .

يلاحظ أن ذلك المصدر ؛ يقدم لنا إشارات مهمة عن مدن بلاد الشام مثل صور، وبيروت، وصيدا ، وأنطاكية ، واللاذقية ، وكانت من المراكز الصناعية ، والتجارية البارزة فى العصر البيزنطى المبكر[١].

من ناحية أخرى؛ أشار ذلك المصدر إلى بعض المدن التجارية الواقعة فى مناطق الحدود البيزنطية الفارسية فى بلاد ما بين النهرين مثل نصيبين ، والرها Edessa، وذكر أنهما كانتا تحتويان على تجار برعوا فى التجارة مع الفرس وقاموا باحتكارها، كما قاموا ببيع المنتجات البيزنطية ماعدا النحاس والحديد، التى فرضت الدولة البيزنطية الحظر عليهما حتى لايستخدمها الفرس فى صناعة الأسلحة وقد امتد ذلك الحظر حتى القرن السادس الميلادى .

قزما الملاح المبحر فى الهند ، الطبوغرافية المسيحية[٣] Cosmas Indicopleustes , The Christian Topography.[٤]

١- نعيم فرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص٢٠١ .

٢- نفسه ، ص٢٠٤ - ص٢٠٥ .

٣- عن قزما الملاح المبحر فى الهند وكتابه أنظر:

Wolska . la Topographic Chretienne de Cosmas indrcopleustes: Theologie et Sience au vie Siecle , Paris 1962 .

Beazley . The Dawn of Modern geography , vol . I , p. 190-196 , p. 273-303 .

Vasiliev . History of the Byzantine Empirre , p. 163 , p. 165-167 .

يورى ميخايلوفتش كوبيشانوف ، الشمال الشرقى الأفريقى فى العصور الوسيطه المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨م، ص١٦ .

٤- يلاحظ أن نص الكتاب المذكور تجده لدى الباترولوجيا اليونانية مجلد (٨٨) عن ذلك أنظر: =

(تعنى كلمة indicopleutes المبحر إلى الهند) وهو مصدر مهم عن التجارة البيزنطية خلال القرن السادس الميلادى ، ويلاحظ أن المؤلف عمل بالتجارة فى بحار ثلاثة هى: البحر الرومى أو المتوسط ، والبحر الأريترى أو المحيط الهندى، البحر الفارسى أو الخليج العربى.

جدير بالذكر؛ استمد المؤلف معلوماته التى أوردها في كتابه من السكان أنفسهم الذين عاشوا فى المناطق التى زارها، مما عكس أهمية مصدره فى هذا المجال كذلك نعرف أنه قام بزيارة الحبشة فى عام ٥٢٢ أو ٥٢٥م فى زمن معاصر لعهد الامبراطور البيزنطى جوستين الأول .

مانويل فيليس[١] Manuel Philes له أشعاره.

وهو من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وتعد كتاباته مصدراً تاريخيًا مهمًا عن المرحلة التى عاصرها [٢] فى العصر البيزنطى المتأخر .

جورج كيدرينوس George Kedronos مؤلف Synopsis Historion [٣] أى موجز التاريخ، وقد تناول فيه الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى حوالى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى ، وتحديدا عام ١٠٥٧م، مع تركيزه على المرحلة من ٨١١م إلى العام الأخير ، وقد أفاد من عدة مؤرخين مثل ثيوفانيس Theophanes، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ، وغيرهما .

= Cosmas Indicopleustes, Topographia Christiano , XI , ed . Migne , p. G., T. LXXXVIII.

عن ذلك : vasiliev, op cit ., p. 165 . not (100) .

وتوجد ترجمة إنجليزية له أنظر:

The Christion Topography of Cosmos, An Egyptian Monk, Trans . by J.W. McCrindle, London , 1897 .

١- يعد مانويل فيليس من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادى ، ولد عام ١٢٧٥م، ووصف بأنه شاعر البلاط في العاصمة البيزنطية، وقام بدور دبلوماسى حيث شارك فى سفارات إلى كل من روسيا، وفارس، وفيما بعد إتهم وزج به ، فى السجن، وقد توفى عام ١٣٤٦م.

عنه أنظر: Nicol, A Biographical dictionary , p. 104-105 .

٢- Ibid ,p. 104 .

٣- لانعرف شيئًا عن حياة جورج كيدرينوس ويلاحظ أن تاريخه نشر من جانب بكر فى جرأين وصدر =

مجهول ، Odoiporiari apo Edem أى طرق الرحلات التى تم استخدامها منذ آدم حتى الرومـان[1] يحتوى المصدر المذكور على معلومات جغرافية وتاريخية فيما قبل القرن السابع الميلادى ، ويلاحظ أن الطريق المشار إليه بدأ من الهند التى كانت بمثابة المركز التجارى البارز فى الشرق يقوم بتصدير البضائع ، عبر إيران، ووصل إلى روما عبر البحر المتوسط، ومن روما انتقلت إلى غاله أو فرنسا ، ولانغفل هنا الإشارة - كما يقرر نعيم فرح- إلى أن التجار السوريين قاموا بدور بارز فى تلك التجارة العالمية.

يبقى أن نلفت نظر القارئ إلى أن تعبير «جنة آدم» جاء غامضًا فى المصدر المذكور ، ولانغفل أن قزما الملاح الهندى السالف الذكر، لايعترف بوجودها أصلاً وقد ذكر أنه ما من أحد عرف جنة آدم على الأرض أو وصل إليها ففى حالة إمكانية الوصول إليها لذهب إليها الكثيرون ، إذ أن الناس يذهبون إلى أقاصى الأرض للحصول على الحرير الخام، فكيف لايذهبون إلى جنة آدم لو كانت موجودة فى الأرض فعلاً ؛ مما عكس إنكار البعض لذلك التصور الذى أحيط بالطابع الأسطورى.

قسطنطين السابع بورفيروجنيتس[2] Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م) ، وله عدة مؤلفات :

= فى بون فيما بين عامى ١٨٣٨م و١٨٣٩م انظر:

Georgius Cedrenus, ed. 7 . Bekker , 2 vols. , Boun 1838-1839.

عن ذلك انظر:

O.D.B.. vol . 2, p. 118 .

١- أورد نعيم فرح ترجمة عنوان المصدر على أنه «الطريق من جنة آدم حتى الرومان» وهى ترجمة جانبها الصواب والصحيح ما أثبته فى المتن ، أنظر :

نعيم فرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص٢٠٩ .

ويلاحظ أن أ. كلوتز قام بنشر المصدر المذكور عام ١٩٨٠م، عن ذلك أنظر:

A. Klots, Odoiporiai apo Edem Phelonisches Moseum Fur Philologie , T. LXV, 1910, 11. 608-610 .

عن ذلك انظر: نعيم فرح، المرجع السابق، ص٢٠٩ .

٢- من قسطنطين السابع بورفيروجنيتس انظر: القسم الثانى.

عن الثغور De Thematibus (١) ويتناول فيه الثغور التى وقعت على الحدود بين بيزنطه وجيرانها فى القرن العاشر .

عن المراسيم De Ceremoniis aulae Byzantinae (٢) وفيه يقدم وصفًا يتسم بالدقة للبلاط البيزنطى، ويتجه إلى الإعلاء من شأن الإمبراطورية البيزنطية كقوة عالمية حينذاك.

عن الإدارة البيزنطية De Administando imperio (٣) ويقدم فيه أصول الدبلوماسية البيزنطية، كذلك يشير فيه إلى اشارات جغرافية على جانب كبير من الأهمية .

حياة باسل Vita Basilii (٤)، هى سيرة لباسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد كتبت من جانب قسطنطين السابع حوالى عام ٩٥٠م (٥)، وتقدم لنا «حياة باسل» الإمبراطور على أنه

١- صدرت ترجمة إيطالية له من جانب برتوس، ونشرت فى الفاتيكان عام ١٩٥٣م أنظر:
Constantine VII, De Thematibus, ed . with Italian Translation by A. Petusi, Vatican City 1953 .

٢- صدر فى مجموعة الكوربس C.S.H.B فى جزأين من جانب ريسك بين عامى ١٨٢٩، ١٩٣٠م؛ انظر:

Constantina VII , De Ceremoniis, ed . J.J. Reiske, 2 vols , C.S.H.B., 1829-1830 .

٣- صدرت ترجمة إنجليزية له قام بها هنكنز عام ١٩٦٧م، أنظر Constantin VII, De Administran-do Imperio , ed . by Gy . Morovcsik, Trans. by R.J.H. Jenkins 1967 .

كما توجد ترجمة إلى العربية قام بها أ.د. محمود سعيد عمران تحت عنوان : إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٨٠م، وهو المصدر الوحيد الذى ألفه ذلك الإمبراطور وتمت ترجمته إلى العربية مما عكس ريادة ابن جامعة الاسكندرية .

٤- عنه : O.D.B., vol . 3, p. 2180 .

وقد نشره بكر وصدر فى بون عام ١٨٣٨م.

Theophanes Continuatus, ed. I . Bekker . Bonn 1838 .

وهناك ترجمة ألمانية للمصدر المذكور قام بها ل. برابر .

L. Breyer von Bauershof auf den kaiserthron, Trans . by L. Breyer, Cologne 1981 .

عن ذلك أنظر : O.D.B., vol . 3, p. 2180 .

٥- وسام عبد العزيز فرح، «الأتباع والسادة»، دراسة فى ظاهرة التبعية الشخصية فى العصر البيزنطى=

منحدر من أحد النبلاء، وتؤكد على أنه أقام حكومة عادلة وقام بحماية الفلاحين من ظلم جامعي الضرائب ومما يذكر ؛ أن المؤلف كان كارها لكبار رجالات الدولة ، وعلى نحو خاص للخصيان [١].

بصفة عامة ؛ يقدم المصدر المذكور عرضًا يغلب عليه طابع المديح لباسل الأول ولذلك فعلى الباحث أن يتنبه لتلك الزاوية الأساسية في الكتاب المذكور، لأنه يقدم رؤية منحازة.

ليو الشماس[٢] Leo The Deacon مؤلف كتاب[٣] Historiae أي التواريخ ويعد مصدراً تاريخيًا يونانيا وحيدا عن المرحلة الواقعة بين عامي ٩٥٠م، ٩٧٥م[٤]، وبالتالي ؛ تعرض لعهدي الإمبراطورين نقفور فوكاس Nicephore Phocas (٩٦٣-٩٦٩م)، ويوحنا تزيمسكس John Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م) وهم من القادة العسكريين الذين وصلوا إلى العرش البيزنطي في عصر الأسرة المقدونية .

ليو السادس (الحكيم) Leo VI (٨٨٦-٩١٢م)[٥] مؤلف كتاب Tactica الذي يلقي أضواء كاشفة على توزيعات الجيش البيزنطي، وعناصره ، وأساليبه الحربية ، وهو مصدر .

= الأوسط، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي . القاهرة ٢٠٠٣م ، ص١٦٠ .

١- O.D.B., vol . 3 , p. 180 .

٢- ليو الشماس : مورخ بيزنطي عاصر القرن العاشر الميلادي : وقد ولد تحديدا عام ٩٥٠م في كالوي Kaloe في آسيا الصغرى ، وقد انضم فيما بعد إلى رجال القصر الإمبراطوري ومدح باسل الثاني واشترك معه في حملته على البلغار عام ٩٨٦م، عنه أنظر :

Nicol. A Biographical dictionary . p. 75 .

هاري ألمز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ص١٣٣ .

٣- نشر الكتاب المذكور في مجموعة الكوربس .C.S.H.B من جانب ب. هاسيوس B. Hasius عام ١٨٢٨م .

٤- Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 770 .

٥- انظر ما سيتم إيراده بشأنه ضمن الأسرة المقدونية وعن ذلك المصدر انظر :

لاغنى عنه للباحث فى النظم الحربية البيزنطية خاصة خلال القرن التاسع والعقدين الأول والثانى من القرن العاشر الميلاديين ، وهو يذكرنا- بصفة عامة- بكتاب الإمبراطور موريس Maurire (٥٨٣-٦٠٢م). الاستراتيجيكون .

جورج البسيدى[١] George of Pisidia مؤلف Poemi [٢] أى الأشعار وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) ووصف بأنه أحد شهود العيان على حملته على الفرس التى جرت وقائعها عام ٦٢٢م ، كذلك وصف من خلال أسلوبه الشعرى الحملة المشتركة التى قام بها كل من الفرس والآفار على العاصمة البيزنطية وحصارهم لها عام ٦٢٦م ، كما عرض احتفالات الإمبراطورية فى عهد ذلك الإمبراطور بالانتصار النهائى على الفرس.

مجهول ، Chronicon Paschale أى حولية الفصح وتتناول الحولية المذكورة الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ٦٢٩م، ويلاحظ أن المؤلف فى كتابه شاهد وعاصر عدداً من الأحداث ويذكر أسماء مؤلفات عدد من المؤرخين [٣].

بولس السيلنتيارى Paul Silentiary (أى الصامت)[٤] مؤلف عمل شعرى بعنوان Ek-phrasis أي وصف وقد وصف بأنه شاعر البلاط فى عهد الامبراطور جستنيان

= طارق منصور ، فن القتال عند البيزنطيين دراسة فى الاستراتيجية فى ضوء تكتيكا ليو الحكيم، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى» ، أبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين ، التحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

أيضًا :

Mohammad , “Ibn Mangli between The Arab and Byzantine Worlds: New Evidence” :, J.M.I .H., vol. III, pp. 25-43 .

١- جورج البسيدى ؛ أحد موظفى كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia في عهد البطريرك سرجيوس Ser-gius (٦١٠-٦٣٩م) ، وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل، عنه أنظر:

وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٢٢ .

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 43 .

٢- Haldon , Byzantium in the Seventh Century , Cambridge 1997 , p. XXV .

٣- عن ذلك المؤرخ ومحتويات تاريخه أنظر: أسد رستم ، الروم، ج١ ، ص٢٨٥ .

Haldon, op. cit , p. XXII .

٤- بولس السلنتيارى؛ شاعر يرجع إلى القرن السادس الميلادى ، وقد وصف بأنه كان صديقًا للمؤرخ=

(٥٢٧-٥٦٥م) ، وقد قام بنظم قصيدتين شهيرتين فى وصف كنيسة أيا صوفا Hagia Sophia، وبالتالى؛ يعد إنتاجه الشعرى فى هذا الصدد؛ من المصادر الأدبية المهمة عن عصر ذلك الإمبراطور، وكذلك فى أمر تاريخ الفن البيزنطى (١)، خلال القرن السادس الميلادى.

وتجدر الإشارة أن ما كتبه فى هذا الشأن حدث فى ظروف إعادة افتتاح الكنيسة المذكورة عام ٥٦٢م بعد أن انهارت قبتها (٢).

ثيوفانيس(٣) Theophanes مؤلف أى الحولية(٤) Chronographia ، عاش ذلك المؤرخ

أجاثيوس Agathius ، ووصف بأنه كان من أدباء البلاط فى عهد الإمبراطور جستنيان، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary pp. 103-104 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 186 .

Evans , procopius , New York , 1972 , p. 29 .

٣- ثيوفانيس Theophanes ؛ مؤرخ بيزنطى ولد عام ٧٦٠م، فى عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥م) ، وتعرف أنه أقام ديراً فى سجريان Sigriane وعرف بتأييده لعبادة الأيقونات ، وتوفى عام ٨١٨م عنه أنظر:

The life and Conduct of and narrative about our thrice Blessed and inspired Fathers David , Symeon , and George, in Talbot (ed.), Byzantine defenders of images, Eight Saints lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1998, p. 183 , note (208) .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 127 .

عبد الشافى المغربى، العصور الوسطى الأوربية رؤية فى المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة، ط. الاسكندرية ، ٢٠٠٤م، ص٣٧، لطفى عبد الوهاب «حولية ثيوفانيس مصدر بيزنطى عن بلاد الشام فى العصر الأموى »، المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام فى العصر الأموى ، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول ١٩٨٧م.

٤- ترجم أحداث الأعوام من ٦٠٢ إلى ٨١٣م . هارى تورتيدوف ، أما أحداث الأعوام من ٢٨٤ إلى ٨١٣م فترجمها سيريل مانجو، وروجرسكوت وجوفرى جريرر عن ذلك أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Translation of anni mundi 6095-6305 (A.D. 602-813) , with Introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .

Theophanes, The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantium and Near Eastern History A.D. 284-813 , Trans. by Cyril Mango and Roger Scot, with assistance , of Goffrey Greater , Oxford 1997 .

خلال المرحلة ما بين عامى ٧٦٠م، ٨١٨م وقد ألف حوليته - كما قرر دونالد نيكول- بين عامى ٨١٠، ٨١٤م، وهى تعد تكملة لما ألفه صديقه جورج سينكيلوس George Synkellos واشتملت على الأعوام من ٢٨٤م إلى ٨١٣م [١]، وقد اعتمد على بعض المصادر المفقودة ويلاحظ ؛ أن عدداً من المؤرخين اليونانيين المجهولين عملوا على كتابة ذيول على ذلك التاريخ بلغت ستة كتب اشتملت على الأعوام من ٨١٣ إلى ٩٦١م وعرفت باسم تكملة على ثيوفانيس أو Scriptores post Theophaneon[٢].

القائد كيكومينوس[٣] Kekaumenos مؤلف كتاب Strategicon أى الاستراتيجية وقد إنتمى إلى عناصر الأرستقراطية العسكرية وقام بتأليف كتابه خلال الأعوام من ١٠٧٥ إلى ١٠٧٨م. اعتماداً على خبرته الشخصية ، وفى ختامه كتب فصلاً صغيراً إحتوى على نصائح قدمها لمن يتولى المنصب الامبراطورى ، كما احتوى كتابه على إشارات سياسية مهمة خاصة عن منطقة البلقان ، وأرمينية ، والحدود الإسلامية - البيزنطية [٤]؛ مما عكس أهمية ذلك المصدر بين مصادر العصر البيزنطى الأوسط .

بطرس الصقلى[٤] Peter of Sicily مؤلف كتاب[٥] Historia Manichaeorum أى

١- Nicol, ABiographical dictionary., p. 127 .

٢- Ibid, p. 127 .

٣- كيكومينوس Kekaumenos ؛ ولد في جنوب مقدونيا Macedonia فيما بين عامى ١٠٢٠ م، ١٠٢٤ م، وقد توفى فيما بعد عام ١٠٧٠م، والواقع أننا لانعرف معلومات مفصلة عن حياته يغر أنه كان من أصل مختلط أرمينى .

عنه أنظر: O.D.B., vol . 2, p. 119 .

وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص٣٤٣ .

٤- بطرس الصقلى ؛ مؤرخ بيزنطى معاصر للقرن التاسع الميلادى، ووفق ما قرره عن نفسه، ثم إرساله فى سفارة دبلوماسية إلى تفريك Tephrike عام ٨١٩م وهى التى اعتبرت مركزاً لعناصر البولسيين ، ويلاحظ أن ما نعرفه ضئيل عنه، انظر: . O.D.B., vol 3 , p. 1640-1641

هانى عبد الهادى البشير، « البيالصه فى آسيا الصغرى فى ضوء مصنف بطرس الصقلى»، المؤرخ المصرى العدد (٢٤) ، يناير ٢٠٠١م، ص٤٥ .

٥- تجدر الإشارة إلى أن كتاب بطرس الصقلى باليونانية وترجمته بالإنجليزية هى : =

تاريخ المانويين ويعد تاريخه مصدراً أساسيًا لدراسة حركة البولسيين وهى حركة دينية معارضة نظرت إليها الكنيسة البيزنطية على أنها مهرطقة ؛ وقد برز أمرها فى عهد الإمبراطور بازل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) .

تجدر الإشارة ؛ إلى أن هناك كتابات أخرى تناولت البولسيين مثل ما كتبه فوشيوس Pho-tios، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ،، وهناك إعتقاد أن ما كتبه بطرس الصقلى كان بمثابة الأساس الذى اعتمد عليه المؤرخون الذين أرخوا للبولسيين[1].

بصفة عامة؛ يحتوى كتابه على مادة مهمة عن تاريخ وعقائد تلك الطائفة الدينية المعارضة والتى تمثل دراستها أهمية كبيرة فى القاء الأضواء على تاريخ الحركات الدينية المعارضة فى الساحة البيزنطية .

زوسيموس Zosimus [2] مؤلف كتاب Historia Nova ؛ أى التاريخ الجديد، وهو مؤرخ بيزنطى عاصر القرن الخامس الميلادى، وتناول فى حوليته أحداث التاريخ منذ عهد الإمبراطور أغسطس Augustus حتى سقوط روما على يدى ألارك عام ٤١٠م ، ولانغفل ؛ الإشارة إلى أنه يقدم تفصيلات مهمة عن عهد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian .

= Useful History and refutation of the senseless and Vain Heresy of the Manichaeans .

أى تاريخ مفيد وتفنيد لهرطقة المانويين الخاطئة والتافهة ويسمى الكتاب أيضًا : Paulicians .

عنه أنظر :

Peter of Sicily , Hisoria Manichaeorum qui et Pauliciani dicuntur , ed . ch Astruc, W. Carus - Wolska, J. Gouillard, p. Lemerle , D. Papachryssanthou and p. Paramelle, Les sources greques Pour L'Histoire des Pauliciens d' Asie Mineure , Travaux et Memoire , Paris 1970, O.D.B., vol . 3, p. 1640 .

١- سيتم تناول البولسيين بالتفصيل فى القسم التالى من خاصة خلال عهد الإمبراطور باسل الأول .

٢- زوسيموس ؛ مؤرخ بيزنطى عاصر القرن الخامس ، ولانعرف عنه الكثير ، ويبدو أنه عمل كموظف فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى وخلفائه التاليين مباشرة ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 138 . O.D.B., vol . 3, p. 2231 .

نعيم فرح، تاريخ أوربا السياسى، ص٣٧ .

بروكوبيوس القيسارى Procopius of Caesarea [١]، مؤرخ معاصر للإمبراطور جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥م) ، وقد ألف عدة مؤلفات يمكن إجمالها فى الآتى:

De Bello Persico , De Bello Vandalico, De Bello Gothico.

أى الحروب الفارسية ، والوندالية ، والقوطية على التوالى. وفيها يقدم وصفًا يتسم بالدقة للحروب التى خاضتها الجيوش البيزنطية خلال عهد الامبراطور جستنيان ونظراً لكونه شاهد عيان لأحداثها؛ لذا احتلت مؤلفاته أهمية خاصة .

كذلك ألف كتاب: Libri De Aedificius أى بالمبانى، وفيه أورد كافة الإنشاءات التى شيدت فى عهد ذلك الإمبراطور حيث شهدت سنوات حكمه ما يوصف «بنهضة معمارية» .

كما أن له كتاب :Historia Arcana أى التاريخ السرى [٢]، وفيه قام بنقد كافة

١- بروكوبيوس القيسارى Procopius of Caesarea من المرجح أنه ولد عام ٥٠٠م، فى مدينة قيسارية بفلسطين ، وفيما بعد درس القانون، وفى عام ٥٢٧م صار بمثابة المستشار القانونى للإمبراطور جستنيان، كذلك عمل كاتبًا للقائد بليزاريوس، وقد صحب جيوشه فى حروب بيزنطه ضد الفرس ، وكذلك الجرمان ، ويقال أنه ختم حياته بأن صار محافظًا للقسطنطينية عام ٥٦٢م، ويقرر المؤرخ دونالد نيكول أنه يعد من أكبر كتاب التاريخ اليونانى القديم، عنه أنظر:

Procopius, Secret History, Trans. by Richard ATwater , Michigan 1961 , pp. V-XIV Nicol, A Biographical dictionary, p. 108 .

Cameron , Procopius and the Sixth century , Oxford 1989 .

دراسة قيمة متخصصة عن بروكوبيوس والمؤلف له خبرة سابقة فى ترجمة مؤلفات ذلك المؤرخ .

Ure , Justinian and his age , pp. 169-184 .

Evans, Procopius, New York, 1972, pp. 15-151 .

ويلاحظ أن دراسة كاميرون تعد أفضل من الدراسة الأخيرة .

إسحق عبيد «الذات والموضوع فى كتابات مؤرخى العصور الوسطى قراءة فى يوسابيوس وبروكوبيوس »، ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية السمنار، جامعة الكويت، ط. الكويت ، ١٩٩٥م، ص١٧ .

٢- هناك ترجمة إنجليزية لتلك المؤلفات فى مجموعة اللويب The Loeb Classical Library =

الأعمال التى امتدحها من قبل والتى قام بها الامبراطور جستنيان ، ولانغفل الإشارة إلى أن الكتاب المذكور لم يظهر إلا بعد وفاته .

لقد هاجم بروكوبيوس الامبراطور وزوجته ثيودورا وكال لها الاتهامات، وترجع أهمية الكتاب إلى المعلومات الخاصة بالجانبين الادارى والمالى خلال عهد الامبراطور المذكور.

إيفاجريوس سكولاستيكوس Evagarius Scholastikos[1] مؤلف Historia Ecclesiastica[2] أى ؛ التاريخ الكنسى .

= فى ٧ أجزاء صدرت فى نيويورك فيما بين عامى ١٩١٤-١٩٣٥م ؛ وهى التى قام بها هـ. ب ديونج H.B. Dewing.

كذلك توجد ترجمة إنجليزية أخرى للحروب الفارسية ، والوندالية، والقوطية بالإضافة إلى التاريخ السرى، والمبانى من جانب أفبريل كاميرون، وصدر عمله في نيويورك عام ١٩٦٧م ، عن ذلك أنظر:

Procopius , History of Wars, Secret History and buildinga, Trans. by Averil Cameron, New York 1967 .

توجد ترجمة إنجليزية للتاريخ السرى قام بها ريتشارد أتووتر، وصدرت فى ميتشجان عام ١٩٦١م ، عن ذلك أنظر: Procopius , Secret History , Trans. by Richard A twater , Michigan 1961 .

ولا أغفل الإشارة إلى أن الراحل «أ.د. حسن حبشى» قام بترجمة التاريخ السرى وهو تحت الطبع ، عن هذه الإشارة والأعمال الأخرى التى فى طريقها إلى النشر انظر:

محمد مؤنس عوض ، أ.د. حسن حبشى مؤرخ مصرى رائد للعصور الوسطى، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات . ط. القاهرة ٢٠٠٦ م، ص٢٥٨ .

ومع ذلك ؛ يلاحظ صدور ترجمة عربية للكتاب المذكور قام بها الراحل د. صبرى أبو الخير ، انظر: بروكوبيوس ، التاريخ السرى، ت. صبرى أبو الخير، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

وعن مؤلفات بروكوبيوس بصفة عامة أنظر:

Cameron , Procopius and the Sixth century , los Anglos 1985 , pp. 49-207 .

١- إيفاجريوس سكولاستيكوس؛ ولد فى إيفانيا Ephania فى سوريا المجوفة Coele Syria عام ٥٣٦م، وفيما بعد عمل فى مجال المحاماه فى أنطاكية كما التحق بعدد من الوظائف المرموقة إداريًا ، وتوفى فيما بعد عام ٦٠٠م عنه أنظر:

O.D.B., vol .2 , p. 761 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 39 .

٢ نشره بيدز وبارمينيتر فى لندن عام ١٨٩٨م ، كما أعيدت طباعته عام ١٩٦٤م انظر: =

وقد عاصر القرن السادس الميلادى، ووقع تاريخه فى ستة أجزاء وأستفاد فيه من كتابات سقراط ، سوزومين ، وثيودوريت ، وتناول الأحداث الواقعة بين عامى ٤٣١م ، ٥٩٣م بحكم معاصرته لها [١].

جورج باخميريس George Pachymeres[٢] له كتاب De Michaele et Andronico Palaeologis[٣] أى تاريخ ميخائيل وأندرونيكوس باليولوغوس وقد عاصر النصف الثانى من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلاديين، واحتوى تاريخه على تناول لعهد الإمبراطورين ميخائيل الثامن (١٢٥٩-١٢٦١م) وأندرونيكوس الثانى باليولوغوس (١٢٦١-١٣٠٨م) واستخدم فى تأليفه أسلوبًا يونانيًا تقليديًا دعمه بكلمات مهجورة[٤] .

Evugrios Scholastikos , Ecclesiastical History , ed. J. Bidez, L. Parmentier , London, 1898 , : Amestrdam 1964 .

وهناك ترجمة حديثة من جانب ميشيل وينبى صدرت فى ليفربول عام ٢٠٠٠م أنظر:

Evagrius Scholastcas , The Ecclesiastical History , Trans. by Michael Whitby , Liverpool 2000.

عن ذلك أنظر: O.D.B., vol 2, p. 761 .

١- Nicol, Abiographical dictionary . p. 39 .

٢- جورج باخميريس، ولد فى نيقية عام ١٢٤٢م وفيما بعد اتجه إلى العاصمة البيزنطية حيث درس هناك مع جورج أكروبوليتيس . وصار شماسًا وعضواً فى السلك البطريركى، وقد تعددت اهتماماته الفكرية وتراوحت بين التاريخ، والفلسفة والرياضيات ، والقانون ، وتوفى عام ١٣١٠م، عنه أنظر:

O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

Nicol, Op. cit ., p. 102 .

٣- نشره بيكر فى بون عام ١٨٣٥م وصدر فى مجلدين أنظر:

Georgii, Pachymeris , De Michaele et Andronico Palaeologis , ed . Bekker , 2 vols, Bonn 1885 .

عن ذلك أنظر: O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

وعن الكتاب المذكور انظر هذه الدراسة:

Laion , "On Political geography : The Black Sea of Pachymeres". in Beaton and Roveche (eds.) , The Making of Byzantine History, Studies dedicated to Donald M. Nicol , Centre of Hellenic Studies, king's College , London 1993, pp. 94-121 .

٤- Nicol , op. cit ., p. 102 .

حولية المورة The Chronicle of Morea [١].

تعد بمثابة المصدر الأكثر أهمية للتاريخ السياسى للدولة الصليبية فى اليونان خلال القرنين الثالث عشر ، والرابع عشر الميلاديين ولذلك ؛ لاعجب أن اهتم بها عدد من الباحثين من خلال ترجمتها ، وكذلك إعداد دراسات عنها ، وتلقى الحولية المذكورة أضواء كاشفة على إمارة أخايا Achaia ، كما تقدم مادة مهمة عن بحر ايجه Aegean Sea تحت السيادة الصليبية.

ولانغفل ؛ أن تلك الحولية تروى لنا أمر اتصال الحكام اليونانيين فى المورة بالفرسان اللاتين حيث كونوا مجتمعًا إقطاعيًا ، وقد ورد فيها العديد من المصطلحات الخاصة بالنظام الإقطاعى البيزنطى (البرونويا) ونظام الإقطاع فى الغرب الأوربى[٢]، مما عكس أهمية تلك الحولية بصفة عامة.

يوحنا سكايلتزيس John Skylitzes [٣] ألف كتابًا عنوانه : Synopsis Historiar-um أى مختصر التواريخ .

يتناول فى الكتاب المذكور ؛ وقائع الأعوام من ٨١١ إلى ١٠٥٧م ، ويعد تكملة لما كتبه ثيوفانيس المعترف Theophanes The Confessor

---

١- عن حولية المورة انظر هذه الترجمات :

The Chronicle of Morea, Trans . by J. Schmitt, London 1904 , Reprint , New York 1979 .

- Crusaders, Conquerors, The Chronicle of Morea , Trans . by H.E. Lurier , New York 1964 .

- To Chronikon Tou Moreos, p. Kalonaros, Athens 1940 .

ونجد ترجمة عربية للحولية المذكورة لدى: سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط. دمشق ١٩٩٥، ج١٠، ص٣٠٥-٥٨٥ .

٢- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٦٣ .

٣- مؤرخ بيزنطى عاش خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادي، ولاتزال حياته يكتنفها الغموض .

عنه أنظر: O.D.B., vol . 3, p. 1914 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 115 .

محمد زايد عيد، العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢-١٠٥٩م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م، ص٣ .

ثيودسيوس الراهب Theodosius The Monk[١].

هو شاهد عيان على فتح سيراكوز Syracuse على أيدى المسلمين عام ٨٧٨م ، وقد وصف تلك الأحداث فى رسالة أرسلها إلى الشماس ليو The Deacon Leo، ويلاحظ أن المخطوطة اليونانية الكاملة للخطاب فقدت، وتم نشر النص على أساس مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس B.N ، وتحتوى على جزء فقط من ذلك الخطاب، ولحسن الحظ فإن الترجمة اللاتينية الكاملة من جانب يوسفات أزال Josophat Azzale تم حفظها فى مخطوط يرجع إلى القرن ١٧م.

وهناك من يقرر ؛ أنه على الرغم من كونه ثيودوسيوس الراهب شاهد عيان لتلك الأحداث؛ إلا أن عرضه لم يكن شخصيًا ، وهو يقدم عرضه على أنه ضمن من مجموعة من رجال الاكليروس السيراكوزيين الذين واجهوا الحصار العربى، ويحتوى وصفه قسمًا من المبالغات كما هو متوقع فى مصادر ذلك العصر .

وجدير بالذكر؛ كتب نفس المؤرخ قصائد شعرية عن سقوط سيراكوز [٢].

سوفرونيوس Sophronios [٣] بطريرك بيت المقدس ٦٣٤-٦٣٨م الذى سلمها للخليفة عمر بن الخطاب .

١- مؤرخ معاصر للقرن التاسع الميلادى.

عنه أنظر: . O.D.B., vol . 3, p. 2053 - 2054

٢- . O.D.B., vol . 3, p. 2054

٣- سرفرونيوس : هو بطريرك بيت المقدس خلال المرحلة ٦٣٤-٦٣٨م وقد ولد فى دمشق عام ٥٦٠م ، وتوفى فى بيت المقدس فى ١١ مارس ٦٣٨م. والمعتاد أن يورد اسمه على أنه Sophronios The Sophist أي سوفرونيوس المتجادل على الرغم من أن تلك الناحية ما زالت موضع خلاف ويلاحظ أنه كان راهبًا ، وقد قام بالاشتراك مع معلمه يوحنا موسكوس John Moschos برحلة على نطاق متسع زار فيها أديرة متعددة فى مصر وفلسطين ، وروما ، وعاد أدراجه إلى بيت المقدس للالتحاق بدير ثيودوسيوس Monastry of Theodosios ، وقد أدت صراعاته اللاهوتية إلى ذهابه إلى مصر عام ٦٣٣م والقسطنطينية ، وعلى الرغم من دفاعه المجيد عن مجمع خلقدونيه إلا أنه لم يتمكن من إقناع كيروس السكندرى Cyros of Alexandria أو سرجيوس الأول من القسطنطينية Sergios I of Constantinople

عنه أنظر : O.D.B., vol . 3, p. 1928 .

وقد ألف سيرة حياته وأرسلها إلى صديقه يوحنا إليمون John Elemon ، ويلاحظ أن أهمية سوفرونيوس تتمثل فى كونه يمثل نهاية السيادة البيزنطية على المدينة المقدسة وبداية السيادة الإسلامية عليها فى القرن السابع الميلادى.

تيودور ليكتور Theodore Lector[١] مؤلف Tripartite أى الكتاب الثلاثى الأجزاء

وقد أفاد فى كتابه مما كتب كل من سقراط Socrat، وسوزيمون Sozomenos وسيودوريت أوف كيرولوس Theodoret of Cyrillus ويتناول المرحلة الممتدة من أوائل القرن الرابع الميلادى وتحديداً عام ٣٠٥ إلى عام ٤٣٩م . وله أيضا : التاريخ الكنسى.

وقد تناول فيه الأحداث التاريخية التى مرت بها لكنيسة حتى عام ٥٢٧م.

يوحنا زوناراس John Zonaras[٢] معاصر للقرن الثانى عشر م، ومؤلف Epitome His-toriarum [٣] أى مختصر التواريخ .

وترجع أهميته إلى أنه عمل فى بلاط الإمبراطور الكسيوس كومنين Alexius Comne-nus (١٠٨٠-١١١٨م) ، يمتد تاريخه منذ بدء الخليقه إلى عام ١١١٨م ، ويعتمد اعتماداً كبيراً على ما كتبه سكليتزيس Skylitzes ، ويسللوس Psellus وذلك خلال كتابته للمرحلة بعد عام ٨١١م غير أنه بالنسبة لعهد ذلك الامبراطور البيزنطى السالف الذكر، نجد أن ما كتبه زوناراس يعد مصدراً أساسيًا يعوضنا عن الرؤية المنحازة التى نجدها فى الكسياد أنا كومنينا.

١- مؤرخ كنسي عاصر قسمًا من القرن الخامس ، والربع الأول من القرن السادس الميلادى، وتوفى بعد عام ٥٢٧م.

عنه أنظر : O.D.B., vol 2 , p. .

٢- يوحنا زوناراس: مؤرخ ورجل قانون وعالم لاهوت، احتل مكانًا بارزاً فى بلاط الامبراطور الكسيوس كومنين، ومن المحتمل أنه فقد منصبه بعد عام ١١١٨م ، وصار راهبًا فى دير القديس جليكيريا St. Glyke-ria ، وقد توفى بعد عام ١١٥٩م، عنه أنظر :
O.D.B., vol . 3, p. 2229 .

٣- نشر ل . وندروف تاريخه فى ٦ أجزاء فى لبزج خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٨٦٨م ، ١٨٧٥م، أنظر: Epitome Historiarum , ed . L. Dindorf , 6 vols ., Leiozig 1868 - 1875 .

عن ذلك انظر: O.D.B., vol . 3, p. 2229 .

من ناحيـة أخرى ؛ ألف تعليقـات على نظم الدسـاتير البـابوية Commentaries on the Apostolic constitutions وقوانين المجـامع وآباء الكنيـسـة Churrch Fathers ، وكـذلك بعض الكتابات الهيجيوجرافية Hagiographical Works (أى الخاصة بسير القديسين).

چورج سفرانتزيس George Sphrantzes مؤرخ معاصر للقرن الخامس عشر م مؤلف حولية Chronicon Minus وترجع أهميـته إلى أنه التحق بالعـمل لدى الامبـراطور مـانويل الثـانى Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) كذلك قام بعدة سفارات إلى الأتراك ، وجورجيـا Georgia، وطرابيـزون Trebizond والمـوره Morea، والجـزر الايجيـة Aegean Islands ، كـذلك تم تعيينه حاكمًا على باتراس Patras عام ١٤٣٠، ومسترا Mistra عام ١٤٤٦م.

جدير بالإشـارة ؛ يعـد الكتـاب المذكـور يومـيـات تغطى المرحلة من ١٤٠١ إلى ١٤٧٧م ، ويلاحظ ؛ أن أسلوبه الأدبى فى كتابتها نجد فيـه ألفاظًا تركية وإيطاليـة .

ملحمة ديجنيس أكريتيس Diogenis Akritis [٢].

١- جورج سفرانتزيس ؛ ولد عام ١٤٠٠م، وفيمـا بعد صار أحد موظفى الدولة منذ عـام ١٤١٨م، وعمل فى المجال الدبلوماسى، بل صار رئيس وزراء الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر، وقد قبض عليـه الأتراك العثمـانيـون بعد نجاحهم فى فتح القسطنطينيـة عـام ١٤٥٣م، إلا إنه تمكن من الهرب إلى شبه جزيرة البليبونيز أو المورة Morea ثم إلى كورفو، وهناك مات عام ١٤٧٨م، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical Dictionary , p. 116 , O.D.B., vol . 3 p. 1937 .

٢- من الملاحظ أن كلمة ديجنيس Digenes، لفظ يونانى يعنى المولود من شعبين ، على اعتبار أن والد باسيليوس ديجنيس وصف بأنه كان عربيًا مسلمًا أما أمه فرومية مسيحية ، وكلمة اكريتيس Akrites ؛ لفظ يونانى يعنى الذى ينتسب إلى حدود الدولة.

عن ملحمة ديجنيس اكريتيس أنظر:

Digenes Akrites, ed . and Trans . by J. Mavrogordat , Oxford 1926 .

Beaton and Ricks (eds.) , Digenes Akrites , New Approaches to Byzantine Heroic Poetry , London 1993 .

طارق منصور، «الملحمة البيزنطية ديجنيس اكريتيس رؤية أدبية»، ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص٦٨-١٠٣ ، الأمين أبو سعده ، «بيزنطة فى الملاحم العربية- قراءة فى سيرة=

وهى ملحمة بيزنطية ظهرت فى القرن العاشر الميلادى ، وتدور أحداثها حول محارب مسلم من أصول بيزنطية قام باختطاف فتاة بيزنطية ، وذلك خلال إحدى الغزوات ، ثم قام بالارتداد عن الإسلام، وعاد إلى مناطق الدولة البيزنطية، وهناك؛ أنجب طفلاً يعد بطل الملحمة المذكورة. وقد أطلق عليه اسم بازيل ديجنيس اكريتيس Basil Digenes Akrites وعاش فى مناطق الحدود البيزنطية الإسلامية وهناك أثبت كفاءته الحربية فى محاربة خصومه ، وهناك من يقرر أنه رفض الخضوع للسلطة البيزنطية الرسمية. وتعد الملحمة المذكورة ؛ مصدراً أساسيًا من مصادر التاريخ البيزنطى خاصة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - العربية.

الإكلوجا Ecloga (١) أى المختارات وهى تلك المجموعة القانونية التي صدرت فى عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى Leo III The Isaurian (٧١٧-٧٤١م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١-٧٧٥م) ، وهى تلقى أضواء كاشفة على التطور القانونى فى الإمبراطورية ، كما أنها تعين الدارسين على دراسة المجتمع البيزنطى من خلال القانون .

الامبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م) الذى ينسب إليه كتاب Strategikon (٢) أي الاستراتيجية.

= الأميرة ذات الهمة» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى مهداة إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين، تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٣٣١ ، حاشية (٥٩) ، نعيم فرح، الحضارة البيزنطية ، ط . دمشق ٢٠٠٣م، ص٢٦٠ .

Rinciman , Byzantine Civilization , p. 201 . Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 132 . Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 369-371 .

Kazhdan and Epdtein , Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth Centuries , los Anglos 1985, pp. 117-119 .

١- عن الأكلوجا أنظر:

Leo III. Ecloga, ed. with German Trans . L. Burgmann, Ecloga: Das Gesetzbuch Leon III und Konstantions, V , Frankfurt 1983 .

٢- هناك ترجمة ألمانية لذلك الكتاب : أنظر:

Dennis G.T.E., Gamillscheg, Das Strategikon des Maurikios , Vienna 1981 .

كما أن له ترجمة إنجليزية ، انظر:

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984 .

عن ذلك انظر: O.D.B., vol . 2, p.

ويلاحظ أن هناك جدلاً حول نسبة الكتاب المذكور لذلك الامبراطور ، وبصفة عامة ؛ فإنه يعد مصدراً أساسيًا لدراسة الفكر العسكرى البيزنطى خاصة خلال الربع الأخير من القرن السادس الميلادى، ويحتوى على عدد من النصائح التى تعكس الخبرة الحربية عن كيفية القتال لدى الشعوب التى حاربتها بيزنطة .

يوحنا السادس كانتا كوزين John VI Cantacuzene[١] مؤلف Historiae أي التواريخ[٢] .

والمؤلف هو الإمبراطور البيزنطى الذى حكم خلال المرحلة من ١٣٤٧ إلى ١٣٥٣م مما أعطى لكتابه أهمية خاصة ، وهو يفيد فى دراسة أوضاع الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الرابع عشر الميلادى، وقد احتوى على إشارات مهمة - إلى جانب الناحية السياسية- تناولت الأوضاع الاقتصادية ، والاجتماعية، ومنها ما اتصل بالفناء الكبير Black Death الذى حدث فى القرن المذكور.

كتاب الإبارخوس Eprchikon Biblion[١] أى الوالى وقد ألف فى القرن العاشر

= كما أن له ترجمة إنجليزية ، انظر:

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984 .

عن ذلك انظر: O.D.B., vol . 2, p.

١- عن يوحنا السادس كتاكوزين أنظر القسم الثانى من هذا الكتاب .

٢- تم نشر الكتاب فى مجموعة الكوربس .C.S.H.B فى ثلاثة أجزاء من جانب ل. شوبين و ب. نيبور وصدر فيما بين عامى ١٨٢٨م، ١٨٣٢م، عن ذلك أنظر:

John VI Cantancuzenus , Historiae , ed. L. Schophen and B. Niebuhr , 3 vols., C.S.H.B., 1828- 1832 .

ويشير دونالد نيكول إلى أن هناك ترجمه إنجليزية للجزء الثامن من تاريخ حنا كنتاكوزين لم تنشر فى صورة رسالة جامعية أعدها ت.س ميلر من الجامعة الأمريكية الكاثوليكية عام ١٩٧٥م، عن ذلك انظر:

Nicol, The Reluctant Emperor, A biography of John Cantacuzene , Byzantine Emperor and Monk, C. 1295 - 1383, Cambridge 1996, p. 188 .

٣- عنه أنظر : Vasiliev, History, of the Byzantine, Empire , p. 343 .

الميلادى، وهو مصدر أساسى لدراسة النقابات البيزنطية Byzantine Guilds ، ويلاحظ أن كلمة إيبارخوس كانت تعنى «أمين العاصمة» ، وهو الذى وقع على عاتقه الإشراف على جميع النقابات سواء الصناعية أو التجارية فى القسطنطينية.

على أية حال ؛ من الأهمية بمكان الإقرار بأن الكتاب المذكور(١) ، أحتوى على القواعد التى أقرتها الامبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور ليو السادس Leo VI (٨٨٦-٩١٢م)؛ من أجل تنظيم النشاط الاقتصادى فى العاصمة.

= نعيم فرح، الحضارة البيزنطية ، ص٢٣٥-٢٤٩ . وفيما يتصل بتاريخ كتابته، يلاحظ، أنه فى عام ١٩٣٥م، قام مؤرخ يونانى هو أ.د. كريستوفيلوبوليس A.P. Christophilopoulos بدراسة تمكن من خلالها من تحديد تاريخ كتابته وهى خلال المرحلة الواقعة بين أول سبتمبر ٩١١م إلى ١١ مايو ٩١٢م ، عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantinc Empire, p. 188 .

١- عثر المؤرخ السويسرى جوليس نيقولا Julius Nicole على وثيقة كتاب الوالى عام ١٨٩٢م، ونشره مع ترجمة لاتينية فى صيف عام ١١٩٣م، وفى عام ١٩٢٩م؛ قام بوك A.E.Book بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية فى: . Journal of the Economic History and Business (J.E.H.B)

أما فى عام ١٩٣٨م، فقد صدرت الترجمة الإنجليزية الثانية انظر.

Freshfield , Roman Law in the lafer Roman Empire, Byzantine Guilds, Professional and Commercial , Cambridge 1938 .

ثم قام السيد الباز العرينى بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان : «كتاب عن الحسبة فى بيزنطة فى القرن العاشر الميلادى أو كتاب الوالى »، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة ، (١٩)، ج١، مايو ١٩٥٧م، ص١٣٥-١٨٧ .

عن ذلك انظر:

وسام عبد العزيز فرج ، «الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ضمن كتاب بيزنطه قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص١١٩-١٢٠ .

وهناك نص منه انظر:

Lopez and Raymond, Medieval Trade in The Mediterranean World , New York 1961 . pp. 20-23 .

وقد وقع الكتاب فى (٢٢) فصلاً، وتناولت الفصول التسعة عشر الأولى نقابات تجارية ، وكذلك حرفية متعددة ، أما الفصل العشرين، فإنه اختص بتناول واجبات ما عرف بنائب الــوالــى أو Leyatarios ، واختص الفصل الحادى والعشرين بواجبات الوسطاء الرسميين الملحقين بالأسواق المتخصصة فى بيع الماشية، ونجد أن الفصل الأخير وهو والثانى والعشرين إختص بتناول القواعد العامة المؤثرة على نشاط النجار والحرفيين[١]، مما عكس تعدد العناصر الاقتصادية التى تناولها الكتاب المذكور ويقرر العلامة فازيليف عنه ؛ أنه بمثابة كنز لتاريخ الأوضاع الداخلية للقسطنطينية [٢]، وهو أمر لاتكشفه بمثل هذه الصورة كتب الحوليات الأخرى التى تفيض بالأحداث السياسة ، والحربية.

نقفور برينيوس[٣] Nicephor Bryennios مؤلف.

Historiarum Libri quattour أى كتب التاريخ الأربعة عاصر المؤرخ المذكور قسماً من القرن الحادى عشر الميلادى، وكذا جزءاً من القرن الثانى عشر الميلادى، وقد تناول فى كتابه ؛ الأحداث التاريخيه التى مرت بالإمبراطورية البيزنطية منذ عام ١٠٧٠ إلى ١٠٧٩م، وفيه يقدم إشارات مهمة عن معركة مانزكرت عام ١٠٧١م الحاسمة التى انتصر فيها السلاجقة على القوات البيزنطية وهو ينقل رواياته عن جده الذى اشترك فعليًا فيها[٣] ؛ مما أعطى لرواياته أهمية خاصة.

١- وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة، ص٨١ .

٢- vasiliev, History of the Byzantine, Empire, p. 343 .

٣- نقفور برينيوس ؛ ولد عام ١٠٦٢م، وهو حفيد نقفور برينيوس الذى سعى إلى العرش البيزنطى عام ١٠٧٧م، وقد تزوج من الأميرة البيزنطية انا كومنينا Anna Comnena عام ١٠٩٧م . ويلاحظ أنه عمل فى الجهاز الإدارى البيزنطى. كذلك التحق بالجيش البيزنطى فى عهدى الكسيوس كومنين وابنه حنا الثانى، وقد حصل على لقب قيصر ، وتوفى عام ١١٣٦م ، عنه انظر ،

Nicol, ABiographical dictionary, p. 21 .

٤- عن ذلك انظر:

فايز نجيب اسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة مانزكرت (١٠٧١م / ٤٦٣هـ) فى مصنف نقفور برينيوس دراسة مقارنة للمصادر، ط. الاسكندرية ١٩٨٢م، ص١١-١٢ .

- البطريرك نقفور Nicephorus مؤلف كتاب [1]: Breviarium Historicum Gestis Post imperium Mauricii ؛ أى مختصر تاريخى لما حدث بعد الإمبراطور موريس .

وقد عمل المؤلف بطريركًا للقسطنطينة فيما بين عامى ٨٠٦، ٨١٥م، وبالتالى احتل منصبًا دينيًا بارزاً ، وفى الكتاب نجده يتعرض للأحداث التاريخية فيما بين عامى ٦٠٢، ٧٦٩م ؛ أى منذ عهد الإمبراطور فوكاس Phocas (٦٠٢-٦١٠م) حتى نهاية عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥م) وتعرض لأمر الصراع البيزنطى - الفارسى، كما قدم إشارات مهمة عن علاقات الامبراطور البيزنطية مع عناصر الخزر.

نقفور جويجواراس Nicephorus Gregoras [3]: وعاصر القرن الرابع عشر م، وألف

١- البطريرك نقفور ؛ بطريرك القسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى، ولد فى العاصمة البيزنطية عام ٧٥٠ أو ٧٥٨م، وهو مؤرخ وقديس تولى منصب البطريركية خلال المدة من ١٢ أبريل ٨٠٦م إلى ١٣ مارس ٨١٥م، وقد وصف بأنه كان من المدافعين عن عبادة الأيقونات ، وفيما بعد توفى فى دير القديس ثيودور St. Theodore بالقرب من خريسوبوليس Chrysopolis فى ٥ أبريل ٨٢٨م، عنه أنظر:

Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople , Trans. by Elizabeth A. Fisherin Talbot (ed.0 Byzantine defenders of images , Eight Saints, Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1998, pp. 25-147 .

هانى عبد الهادى البشير، «نقفور بطريرك القسطنطينية (٨٠٦-٨١٥م) ومؤلفه التاريخ المختصر» المؤرخ المصرى، العدد (٢٦) ، يناير ٢٠٠٣م ص٣٩-٧٥ .

O.D.B., vol . 3, p. 1477 .

٢- الترجمة الانجليزية قام بها مانجو ، وصدرت فى واشنطن عام ١٩٩٠م.

Nicephorus , Short History , ed. C. Mango Washington 1990 .

٣- نقفور جريجوراس ؛ عالم ومؤرخ ، عاصر القرن الرابع عشر م ، فى صغره قام بكفالته عمه يوحنا الذى عمل أسقفا لهرقلية بونتيكا Herrakleia Pontika ، وارتبط ذلك المؤرخ بالامبراطور يوحنا السادس كونتاكوزين John VI Contacuzen (١٣٤٦-١٣٥٥م) ومبعوثًا من جانبه للقوى السياسية المعاصرة له، ويقرر دونالد نيكول أن نقفور جريجواراس وصف بأنه من أعظم رجال القرن الرابع الميلادي ، وقد توفى عام ١٣٦١م.

عنه أنظر: Nicol, Abiographical dictionary, pp. 44-45 .

كـتـابه التـاريخ Historia [1] الذى وقع فى ٣٧ كـتـابًا واشـتمل على المرحلة الزمنية بين عـامى ١٣٢٠ ، ١٣٥٩م، وهو مصدر مهم لعصره.

من جهة أخرى؛ ألف ذلك المؤرخ عدداً من تراجم القديسين ، كذلك نعرف أنه نظم قصيدتين لرثـاء كل من الإمـبـراطورين أندرونيكوس الثـانى Androniicus II (١٢٨٢- ١٣٢٨م)، وأندرنيكوس الثالث Andronicus III (١٣٢٨-١٣٤١م) .

- يوستاش السالونيكى[2] Eustathios of Thessalonike مؤلف[3] : سقوط سالونيك On the Capture of Thessalonike وتحسين الحياة الديرانية On the improvement of Monastic life.

١- تم نشـر تاريخ نقفور جويجوراس فى ثلاثة أجزاء من جانب كل من شـومين، بيكر فى مـجـموعـة الكوربس فيما بين عامى ١٨٢٩ ، ١٨٥٥م.

Nicphorus Gregoras , ed. L. Schopen and I Bekker, 3 vols, C.S.H.B., 1829-1855 .

٢- يوسـتـاش السـالونيكى، مـوظف كنسى وعـالم، ولد فى عـام ١١١٥م، وقـد تعلم فـيـمـا بعـد فى القسطنطينية ، وصـار شمـاسًا ، وفي عـام ١١٧٨م صار رئيسًا لأساقفة سالونيك ، وقد إتجه إلى تأليف مؤلفات عبارة عن تعليق وشروح على هوميروس Homer مبدع الإلياذة والأوديسا وكذلك الأديب المسرحى أرستوفانيس Aristophanes ، ويوحنا الدمشقى John of Damascus ، وقد توفى عام ١١٩٥م عنه أنظر:

Kazhdan and Epstein, Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth centurucs , Berkaly 1995, p. 165-166 .

O.D.B., vol . 2, p. 754 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 38 .

عبد العـزيز رمضان، العلاقـات البيـزنطيـة - اللاتينيـة فى عـهد الامـبـراطور مانويل الأول كـومنينوس ١١٤٣-١١٨٠م، رسالة مـاجـسـتير غـير منشـوره كليـة الاداب - جامعة عين شـمس عام ٢٠٠٠م، ص١، حاشية(١) .

٣- الترجمة الإنجليزية قام بها مالڤيل جونز، وصدرت فى كانبرا عام ١٩٨٨م.

أنـظـر: Eustasios of Thessaloniki , The Capture of Thessaloniki, ed. Trans. by J.R. Mel-ville Jones, Canberra 1988 .

وهو مؤرخ معاصر للقرن الثانى عشر م. ووصف بأنه مفكر أصيل ، وقد دعم الإمبراطور مانويل كومنين ، ويعد الكتاب الأول مصدراً أساسيًا عن سقوط سالونيك وهى من الحواضر البيزنطية البارزة- فى قبضة النورمان عام ١١٨٥م.

أما الكتاب الثانى؛ فيمثل نقداً للحياة الديرانية البيزنطية فى عصر ذلك المؤرخ.

٨٠- زكريا المتلينى Zachariah of Mitylene مؤلف Historia Ecclesiastica أى التاريخ الكنسى وهو من رجال الكنيسة وقد شارك بالحضور فى جمع القسطنطينية الذى عقد عام ٥٣٦م، وقد ألف كتابه التاريخ الكنسى من مظور مونوفيزيتى ويشتمل على دراسة للمرحلة الواقعة بين عامى ٤٥٠م ، ٤٩١ ، وهناك احتمال أن يكون قد امتد ليشمل المرحلة من ٤٩٢ إلى ٤٩٥م. ويعد الكتاب المذكور من المصادر التاريخية عن القرن الخامس الميلادى.

يوحنا فوكاس Joannes Phocas[٣] وله رحلته بعنوان Descriptio Tevrae

---

١- زكريا المتلينى، رجل كنيسة ولد فى مايوما Maiouma بالقرب من غزوة بين عامى ٤٦٥، ٤٦٦م، وفيما بعد ؛ درس الفلسفة فى الاسكندرية ، والقانون فى بيروت، وقد صار أسقفًا لمتلين Mytilene كذلك حضر المجتمع الكنسى في القسطنطينية عام ٥٣٦م، وقد توفى عام ٥٣٦م.

عنه أنظر:

O.D.B., vol . 3, p. 2218 .

٢- نشر بروكس التاريخ الكنسى فى أربعة مجلدات فى باريس خلال المرحلة ١٩١٩ إلى ١٩٢٤م، عن ذلك انظر:

Historia Ecclesiastica, ed. E.W. Brooks , 4 vols , Paris 1919-1924 .

O.D.B., vol . 3, p. 2218 .

٣- ولد يوحنا فوكاس Joannes Phocas فى جزيرة كريت Crete، ووالده هو ماثيو Mathiew الذى عمل فى السلك الديرانى ووصل فيه إلى رتبة مرتفعة ، وأدركته منيته فى جزيرة باتموس Patmos، وعندما شب يوحنا فوكاس عن الطوق، عمل فى الجيش البيزنطى فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين، عن يوحنا فوكاس انظر:

Beazly , The Dawn of madern geography , A History of expedition and geographical Science from " the cloise of the nineth to the middle of the Thirteenth century , vol . II, London 1901, p. 199 .

Tobler , Bibliographia Geogphica Palestinae , Leipzrg 1867, p. 21 .

Sanctae [١]؛ أى وصف الأرض المقدسة وهو من كريت وقد عاصر القرن ١٢م وقام برحلة إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين حوالى عام ١١٨٥م، وقد زار كنيسة الضريح المقدس Church of Holy Sepulchre فى بيت المقدس عندما قام برحلة حج إلى هناك، وأشار فى رحلته إلى النقش الذى وجده هناك تخليداً لذكرى تجديد الكنيسة المذكورة فى عهد الملك الصليبى عمورى الأول (١١٦٣-١١٧٤م) وذلك خلال حكم الامبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) على نحو يلقى الضوء على العلاقات البيزنطية مع الشرق اللاتينى Levant.

- كيناموس[٢] Kinnamos له كتاب Epitome Historiarum [٣]،أى مختصر التاريخ.

= محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٢١٤ ، الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٥٧-٦٢ .

١- انظر الرحلة فى البترولوجيا اليونانية:

Descriptio Terrae Sanctae P. G., T. CXXXIII, cols 997-1063 .

ومجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المؤرخون الإغريق ، ج١ .

R.H.C., T.I, Paris 1875, pp. 527-559 , T.II, pp. 683-695 .

والترجمة الإنجليزية التى قام بها أوبرى ستيوارت فى مجموعة نصوص حجاج فلسطين ، مجلد (٥) ط. لندن ١٨٩٦م:

Joannes Phocas, A Brief Decription of the Holy land , Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol . V , London , 1890 .

محمد مؤنس عوض، فصول بيبلوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية، ص٦٩ ، ص٣٧٥ الترجمة العربية أ.د. سهيل زكار الموسوعة الشامية، رقم ١٩٩٥م، ص٣٥ ، ص٤٠٤ .

٢- كيناموس Kinnamos ؛ ولد قبل عام ١١٤٣م وهو مؤرخ بيزنطى معاصر للإمبراطور مانويل الأول (١١٤٣-١١٨٠م) وعمل سكرتيراً له، شارك فى معارك متعددة وتوفى بعد عام ١١٨٥م، عنه أنظر :

O.D.B., vol . 2, p. 1130 .

ليلى عبد الجواد ، «حملات مانويل كومنين على المجر (١١٥١-١١٦٧م) في ضوء كتابات حنا كيناموس» ، المجلة التاريخية المصرية، العدد (٣٧) ، عام ١٩٩٠م، ص٧٣- ص١٠٠ .

هارى المزبارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص١٣٤ .

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية التى قام بها شارلز ببراند وصدرت فى كولوميا عام ١٩٧٦م، عنه أنظر:

وقد تناول فى كتابه عهد كل من الإمبراطورين حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، ومانويل كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، ويمثل الكتاب أهمية خاصة نظراً لكون المؤرخ المذكور اتصل بالقيادات البيزنطية، وقد توافرت لديه وثائق متعددة أفادته فى إعداد كتابه بالإضافة إلى كونه من شهود العيان المشاركين فى الأحداث، ولذلك يحتل كتابه أهمية خاصة بين مصادر العصر البيزنطى الأوسط.

نيكتاس خونياتس Nicetes Choniates [(١)] وله حوليه بعنوان Historia؛ أى التاريخ وقد عاصر النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، والعقد والنصف الأولين من القرن الثالث عشر ميلادى[(٢)].

وقد قسم كتابه إلى عشرة كتب أو فصول جعل الأول عن عهد حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، والثانى عن مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م)، والثالث عن الكسيوس

= Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 .

تجدر الاشارة إلى أن العلامة الراحل أ.د. حسن حبشى أستاذ العصور الوسطى بكلية التربية- جامعة عين شمس سابقًا قام بترجمة الكتاب المذكور وسيصدر من جانب الهيئة المصرية العامة للكتاب قريبًا وقد طالعت أصله المخطوط.

١- نيكتاس خونياتس Nicetas Choniates، ولد فى خوناى فى آسيا الصغرى Asia Minos وعاش فيما بين عامى ١١٥٠، ١٢١٥م، درس فى القسطنطينية والتحق فى خدمة الامبراطورين الكسيوس الثانى (١١٨٠-١١٨٣م) واسحق الثانى (١١٨٥-١١٩٥م) وعندما حدثت الحملة الصليبية الرابعة ضد القسطنطينية عام ١٢٠٤م. فقد كافة ممتلكاته ، ولذلك بادر بالفرار إلى نيقية حيث عمل لدى الامبراطور تيودور الأول لاسكاريس عنه أنظر:

Nicol, A Biogrophical Dictionary, p. 22-23 .

فايز نجيب اسكندر ، نيكتاس خونياتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرية الصليبيين - قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ» ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. المنصورة ب-ت . المنصورة ص٥٥- ص٥٧ .

هارى ألمز بارنز ، تاريخ الككتابة التاريخية، ص١٣٤ .

٢- توجد ترجمة إنجليزية لها، من جانب هارى ماجولياس وصدرت من جامعة ولاية واين عام ١٩٨٢م.
Nicetas Choniates O'city of Byzantium , Annals of Nicetas Choniates. Trans. by Harry Magolias Wayne state University, Detroit 1984 .

وقد قام أ.د. حسن حبشى بترجمته إلى العربية وسيصدر من الهيئة العامة للكتاب قريبًا.

الثـانى ابن مـانويل كـومنين (١١٨٠-١١٨٣م) ، والرابع عن أندرونيكوس كـومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والخامس عن إسحق انجيلوس (١١٨٥-١١٩٥م) ، والسادس عن عهد الكسيوس الثالث إنجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣م) والسابع عن المدة القصيرة التى عاد فيها إسحق أنجيلوس، وابنه الكسيوس الرابع إلى الحكم عام ١٢٠٣م ، كذلك خصص الثامن لمدة حكم الكسيوس الخامس دوقاس، كما خصص الفصلين التاسع ، والعاشر لتناول الحملة الصليبية الرابعة والاحتلال اللاتينى للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م[١].

والكتاب المذكور يعد مصدراً على جانب كبير من الأهمية من علاقات الامبراطورية البيزنطية بالمدن الإيطالية خلال المرحلة الممتدة من ١١٨٠ إلى ١٢٠٤م ، كذلك يعد المؤرخ شاهد عيان لسقوط القسطنطينية لأول مرة فى العام الأخير [٢].

لانغفل أن نيكيتاس خونياتس كان عاشقًا لبيزنطة، ورأى بعينى رأسه كيف تذبح معشوقته بسكين الغرب الأوربى الغازى لها ، ويصل إلى التوحد مع بيزنطة خاصة خلال الفصل الأخير من حوليته، ومنطقى- والأمر كذلك- أن نجده يكتب حوليته بمداد المرارة والكراهية الشديدة للاتين.

- أنا كومنينا Anna Comnena [٣] مؤلفة كتاب Alexiad [٤](أى المنسوب إلى الكسيوس).

١- عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠م، ص٢٦ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- أنا كومنينا Anna Comnena؛ أميرة بيزنطية ومؤرخة ولدت فى ديسمبر عام ١٠٨٣م، وتعد أكبر بنات الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) ، وقد تمت خطوبتها فى صغرها لقسطنطين دوكاس، وعندما مات خطيبها؛ تزوجت من نقفور برينيوس ، ويقرر دونالد نيكول أنها تعد المؤرخة الوحيدة التى أنجبتها الإمبراطورية البيزنطية ، ويلاحظ أنها أنجبت ولدين وابنه ، وقد عاشت بعد وفاة زوجها ١٥ عامًا ، وتوفيت عام ١١٥٣م، عنها أنظر:

Nicol, Aiographical dictionay , p. 9. Buckler, Anna Comnena, London 1929 .

٤- هناك ترجمة إنجليزية له قام بها سوتير وصدرت فى لندن عام ١٩٧٩م،

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Sewter , Penguin Book, London , 1979 .

ولابد من الإشارة إلى الترجمة العربية التى أعدها العلامة أ.د. حسن حبشى.

يعد مصدراً أساسيًا لعهد الإمبراطور الكسيوس كومنين والد المؤلفة (١٠٨٠-١١١٨م) ، وقد حدث فى عهده مقدم الحملة الصليبية الأولى، وبالتالى؛ فإن المؤلفة تعبر عن وجهة النظر البيزنطية تجاه الحملة المذكورة ، وهى نظرة ملؤها الكراهية الدفينة، والعداء ، والشكوك خاصة تجاه عناصر النورمان التى سبق لها مهاجمة أملاك الامبراطورية فى إيطاليا والاستيلاء عليها.

جدير بالذكر ؛ يظهر فى الكتاب الإعجاب الزائد بالامبراطور الأب ، ولذلك من المهم إدراك الطابع المنحاز بالضرورة من جانب الأميرة المؤرخة تجاه والدها ، ولاينفى ذلك- بطبيعة الحال- أنها فى بعض الجوانب عارضته وكانت لها شخصيتها المستقلة فى عرض الواقع التاريخية منفصلة عن «كاريزما Charisma الامبراطور الأب» غير أن ذلك حدث فى القليل النادر .

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ الظروف النفسية التى ألفت فيها تلك الأميرة البيزنطية كتابها المذكور، فقد قامت بنصب خيوط مؤامرة بالإشتراك مع زوجها ضد شقيقها حنا كومنين وصولاً إلى السلطة ، وذلك فى عام ١١١٩م وأرادت قتله تحقيقًا للرغبة الجامحة للجلوس على العرش الإمبراطورى، إلا أن المؤامرة كشفت وذلك عن طريق زوجها نفسه ! ، وقد أحسن حنا كومنين للمتآمرين فلم يفتك بهم، واكتفى بالقبض عليهم وصادر أموالهم، ورفض إيداع أخته أحد الأديرة [١]، بل تركها وشأنها فأختارت الانعزال عن الحياة العامة يفترسها الشعور بالمرارة والإحباط وخلال ذلك الحين اتجهت إلى تأليف الكسياد ليكون لها بمثابة العزاء عن تلك الظروف العصيبة.

= أنا كومنينا ، الكسياد ، ت. حسن حبشى، المشروع القومى للترجمة، ط. القاهرة ٢٠٠٥م وهى آخر أعمال الراحل العالم المذكور قبل وفاته، وأحيل القارئ إلى المقدمة الممتازة التى وضعها ، وهناك ترجمة لقسم من الكتاب لدى سهيل زكار ، الموسوعة الشامية، ط. دمشق، ١٩٩٠، ج٦، ص٩ ، ص٧٦ .

Mango. Byzantium The Empire of New Roman, New York 1980, p. 29, p. 242 .

أيضا : ماجدة حسن صدقى، العلاقات البيزنطية التركية فى ضوء كتاب الكسياد، رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م.

آمال حامد زيان ، الإمبراطور الكسيوس كومنين والحملة الصليبية الأولى من خلال كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥م.

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٤٥، ص٣٤٦ .

والأمر المؤكد ؛ أن الكتاب المذكور على النحو الذى وصل إلينا يعكس قدرة أنا كومنينا على تجاوز ظروفها النفسية العصيبة، وهكذا حولت عقدة الإخفاق إلى نجاح عاش بعدها قرونًا!!

- ثيودوروس سكوتاريوتيس[١]. Theodoros Skoatariotes

مؤلف : Syhopsis Chronika وفيها ، يتعرض لأباطرة الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادى عشر الميلادى منذ عهد الإمبراطور باسل الثانى Basil II (٩٧٦-١٠٢٥م) حتى رومانوس الرابع ديوجنيس Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١م) [٢].

- الكتابات الهجيوجرافية[٣] Hagiography وهى عبارة عن سير القديسين والقديسات، وهى تحوى مادة تاريخية على جانب كبير من الأهمية عن النواحى الدينية ، والسياسية على مدى التاريخ البيزنطى.

ويلاحظ أن أهم الدراسات التي تحتوى تلك المصادر هى:

- Bibliotheca Hagiographia Graeca, ed. F. Halkin, 3 vols . , Bruxelles 1957 .

ويعد أشمل كتاب عن الكتابات الهييموجرافية اليونانية، ووقع فى ٣ أجزاء وطبع فى بروكسيل ١٩٥٧م.

- Talbot (ed.), Holy Women of Byzantium , Ten Saints' Lives in English Transtation , Washington 1996 .

١- مؤرخ بيزنطى معاصر للقرن الحادى عشر الميلادى.

وقد أورد د. عبد العزيز رمضان أن ذلك المصدر يتعرض لأباطرة القرن الحادى عشر من باسل الثانى حتى رومانوس السابع ديوجينيس» ، والواقع أنه لايوجد إمبراطور بهذا الاسم فى القرن المذكور، والأصح رومانوس الرابع ديوجينيس والذى حكم خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٦٧ ، ١٠٧١ وهزم فى معركة مانزكرت ، انظر عنه القسم الثالث من هذا الكتاب ، انظر عبد العزيز رمضان ، مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية، ص٨٦ .

٢- ترجمة روبرت بيدرو سيان ، انظرعبد العزيز رمضان، المرجع السابق، نفس الصفحة.

٣- عن تلك المصادر فى الغرب الأوربى أنظر هذه المقالة الرائدة بالعربية:

على الغمراوى ، «المصادر الهجيوجرافية قبل النهضة الكارولية» ، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، العدد (٢) ، عام ١٩٧٢م، ص٨٩- ص٩٨ .

- Talbot (ed.), Byzantine Defenders of Images, Eight Saints lives in English Translation, Washington 1998 .

وصدرت الدراستان المحتويتان (١٨) سيرة مترجمة إلى الإنجليزية من جانب مركز دامبرتون اوكس بواشنطن وتعد المؤرخة اليس مارى تالبوت Alice - Mary Talbot أبرز متخصصة فى المجال المذكور وقد أشرفت على فريق عمل من المترجمين لترجمتها إلى الإنجليزية .

mlk Bil jg; hgsdn kc;n:

- سيرة القديسة أنتوسا ابنة قسطنطين الخامس[١] St. Anthousa daughter of Constantine V.

- سيرة القديسة أنتوسا من مانتين [٢].

St. Antousa of Mantine.

- سيرة القديسة أثناسيا الإيجينية[٣]

St. Athanasia of Aegina.

- سيرة القديس كيريل الفيليونى [٤].

St. Cyrille le Phileote.

- سير القديسين ديفيد ، وسيميون، وجورج اللسبوسيين[٥].

١- عنهـــا أنظر: The lifee of St. Anthous Daughter of Connstantine V, Trans . by N. Constas. in Talbot (ed.0), Byzantine Defenders of Images Eight Saints Lives in Englishh Translation Washington 1998, pp. 21-24 .

٢- عنهـا أنظر: The life of St. Amthousa of Mautineon in Byzantine Defenders of Icons, pp. 13-20 .

٣- عنها أنظر: The Aegina , Trans. by L.F. Sherry, in Talbo (ed.) Holy woman of Byzantium, pp. 137-158 .

٤- عنهـــا أنظر : La Vie de Saint Cyrille Le Phileote Mione Byzantim 1100) , Trans. E. Sargoloyos , Brussel 1964 .

٥- عنها أنظر: The Life of Sts . David , Symeon and George of Lesbos . Trans. by D. Domiugo- A. Foraste and D. Abrahamse , in Byzantine Defendrs of Images , pp. 143-241 .

St. David , St. Symcin, St. Georye of Lesbos .

- سيرة القديس أيونيكيوس (١).

St. Ioannikios .

- سيرة الإمبراطورة القديسة ايرين (٢).

St. Irene.

- سيرة القديسة ايرين كريسوبالتون(٣).

St. Irene Abbess of Chrysobalantum.

- سيرة القديسة ماريا أو (مارينوس) (٤).

St. Maria Marinos

- سيرة القديسة مريم المصرية(٥):

St. Mary of Egypt .

- سيرة القديسة ثيودور السالونيكية:

St. Theodora of Thessalonike

- سيرة القديسة مريم الصغرى(٦).

١- عنهـا أنظر: The Life of St. Ioannikios Talbot ces., Trans. by D.F. sullivan in Talbot (ed.), Byzantine Defenders of ImagesByzantine Defenders of Images , pp. 243-391 .

٢- عنهـا أنظر : La Vie de L'imperatire Sainte Irene , et Trans. by F. Halkin, A.B 106 , 1988, pp. 5-27 .

٣- عنهـا انظر: The lif St. Irene Abbess of Chrysobalanton , Trans. by J.O. Resenquist uppsala, 1986 .

٤- عنهـا أنظر: Life of St. Mary / Marinos , in Talbot (ed.), Holy women of Byzantium, pp. 1-12 .

٥- عنها أنظر: Life of St. Mary of Egypt , in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 65-93 .

أيضًا : طارق منصور «ماريا المصرية نموذج للقصص الدينى فى العصور الوسطى»، ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى، أولاً : الأدب، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٤٦ ، ص٦٥ .

St. Mary The Younger.

٦- Life of St. Theodora of Thessalonike, in Talbot (ed.), Holy woman pp. 159-237 .

- سيرة القديسة ثيودور الأرتية[١]. St. Theodora of Arta.
- سيرة القديسة أثناسيا الأجينية[٢]. St. Athanasia of Aegina.
- سيرة القديسة ماترونا البرجية[٣]. St. Matrona of Perge.
- سيرة القديسة ثيوكتستى الليسبوسية[٤]. St. theoktiste of Lesbos.
- سيرة القديسة تومايوس اللسبوسية[٥]. St. Thomais of Lesbos
- سيرة القديسة إليزابيث صانعة العجائب[٦]. St. Elisabeth the Wonderworker

وهناك فى مجال كتابات سير القديسين مصدر مهم فى صورة:

جاكوبوس القوراجينى Jacobus de Voragine وتحت عنوان : The Golden Legend or Lives of Saints.

وقد ألفه فى عام ١٢٧٥م وتم نشره عام ١٤٧٠م.

وتمت ترجمته إلى الإنجليزية على يدى وليم كسون William Caxton ونشر عام ١٤٨٣م، ويلاحظ أنه يقع فى ٧ مجلدات كاملة[٨].

١- Life of St. Mary The Younger , in Talbot (ed.) Holy women, pp. 239-290 .

٢- Life of St. Theodora of Aegina, in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 323-333 .

٣- life of St. Athanasia of AAegina, in Talbot (ed.) , Holy Women , pp. 137-158 .

٤- عنها أنظر : Life of St. Marona of Perge, in Talbot (ed.) Holy Women, pp. 13-64 .

٥- عنها أنظر: Life of St. Theokliste of Lesbos in Talbot (ed.) Holy Womeen , pp. 95-116.

٦- عنها أنظر : Life of St. Thomais of Lesbos, in Talbot (ed.), Holy Women pp. 291-322.

٧- عنها أنظر: Life of St. Elisabeth the Wonder worker , in Tlabot (ed.) Holy Women, pp. 117-136 .

٨- عبد العزيز رمضان ، «مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت، حولية التاريخ الإسلامية والوسيط، م (٣) ، عام ٢٠٠٣م، ص٨٣ .

ثانيًا : المصادر اللاتينية :

مجهول [١]، مؤلف Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum [٣] أى أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس.

والمؤلف أحد الجنود الذين شاركوا فى الحملة الصليبية الأولى، ووصف بأنه من أتباع الزعيم النورمانى بوهيمند Bohemond ابن روبرت جويسكارد Robert Guischard ويعد الكتاب المذكور مصدراً أساسيًا من مصادر الحملة الصليبية الأولى وبالتالى لايمكن إغفاله فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية اللاتينية[٢].

أوردريك ڤيتاليس [٣] Ordericus Vitalis مؤلف كتاب Historia Ecclesiastica؛

١- عن المؤلف المجهول أنظر: مقدمة الترجمة العربية التى أعدها حسن حبشى ، أعمال الفرنجه وحجاج بيت المقدس، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٩-١٦ ، ويلاحظ أن الطبعة الأولى صدرت بالقاهرة ، عام ١٩٥٨م، محمود الرويضى، إمارة الرها الصليبية ، ط. مؤتة ٢٠٠٢م، ص٢٥-٢٦ .

٢- توجد ترجمة إنجليزية للمصدر المذكور من جانب روزالين هل ، وصدرت فى لندن عام ١٩٦٢م ، أنظر:

Anonymous , The Deeds of the Franks and Other Pilgrims, Trans by R. Hill, London 1962 .

ويلاحظ أن كراى قام بنشر فقرة كانت مفقودة من التاريخ المذكور، أنظر:

Krey , " A Naglected Passage in The Gesta and its Beating on The literature of the First Crusade , in the Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his Former Students , New York 1928 , pp.

٣- أوردريك ڤيتاليس مؤرخ إنجليزى ولد فى إنجلترا عام ١٠٧٥م لأب نورماندى وأم إنجليزية ، وقد درس فى شروسبرى Shrewsbury فى صغر سنه، وأرسله أبوه إلى نورمنديا ليصبح راهبًا فى دير القديس أفرول St. Evroul وألف تاريخه بناء على طلب روجر أوف لى ساب Roger of le Sap أسقف دير افرون ١٠٩١- ١١٢٧م، ومات أوردريك عام ١١٤٣م، عنه أنظر: محمود الرويضى، إمارة الرها الصليبية ، ص٣١، حاشية (٣) . سرور عبد المنعم ، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك=

أى التاريخ الكنسى. ويتكون من ثلاثة عشر فصلاً وقام بتأليفه ذلك المؤرخ الإنجليزى بين عامى ١١١٤-١١٤١م، ويعد مصدراً مهمًا عن العلاقات بين الصليبيين ، والبيزنطيين خاصة خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى ، وما تلاها من أحداث .

ومع ذلك؛ يوجه للمؤرخ وكتابه النقد من خلال عدم التزامه بالتسلسل الزمنى للأحداث .

ويكهارد Ekkehard [١] مؤلف كتاب[٢] Hierosolymitana ؛ أى بيت المقدس ويعد الكتاب المذكور مصدراً من مصادر الحملة الصليبية الأول . وكذلك أمر العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والصليبيين خلال تلك المرحلة من تاريخ الصليبين فى الشرق وعلى نحو خاص علاقة الأمير الصليبى تانكرد مع تلك الامبراطورية خلال عهد الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م).

رادولف دى كاين[٣] Radulf de Caen

= الانجوى ١١٣١م - ١١٤٣م / ٥٢٦- ٥٣٨هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمسعام ٢٠٠٠م، ص٤ ، حسين عطيه، امارة انطاكية والمسلمون ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م. ص٣١ .

١- إيكهارد ؛ مؤرخ ألمانى من مدينة مين Main، وارتبط بالرهبنة وصار مرتبطًا بدير مدينة أورا، عنه أنظر:

Cahen, la Syrie du nord a l'epoque des croisades, paris 1940, p. 11 .

السيد الباز العرينى ، مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص٦٠ .

R.H.C., Hist. Occ. , vol . V .

٢- يوجد فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية ، المؤرخون الغربيون ، الجزء الخامس .

٣- رادولف دى كاين ؛ ولد فى مدينة كاين Caen بفرنسا عام ١٠٨٠م تقريبًا ، واتجه إلى سلك الرهبنة ، وقد رافق بوهيمند خلال حملته على بيزنطة عام ١١٠٧م، ثم توجه إلى بلاد الشام عام ١١٠٨م ، حيث مكث بها إلى أن توفى بعد عام ١١٣١م ، عنه أنظر:

مؤلف كتاب Gesta Tancardi[١] أى أعمال تانكرد.

ويعد من المصادر المهمة عن الحملة الصليبية الأولى، والعلاقات المبكرة بين البيزنطيين ، والصليبيين خاصة فى علاقة الأمير تانكرد مع الإمبراطور الكسيوس كومنين، وبالتالى يفيد فى تتبع جذور ما عرف بالمشكلة الأنطاكية فى السياسة البيزنطية؛ وهى التى سنتناولها فيما بعد بشئ من التفصيل .

جبيرت أوف نوجنت[٢] Guilbert de Nogent مؤلف كتاب Gesta Dei per Froncos[٣] .

وقد عالج المؤرخ المذكور فى كتابه أحداث المرحلة الممتدة بين عامى ١٠٩٥م، ١١٠٤م، وعلى الرغم من عدم مقدمه إلى الشرق ؛ إلا أنه اعتمد على روايات شهود العيان الذين شاركوا فى أحداث الحملة الصليبية الأولى، وبصفة عامة؛ يعد الكتاب المذكور من مصادر تلك الحملة وأمر العلاقات بين الجانبين البيزنطى والصليبى.

أودو أوف دل Odo of Deul [٤].

= محمود الرويضى ، إمارة الرها الصليبية ، ص٢٨ ، حاشية (١)، السيد الباز العرينى، مؤرخو الحروب الصليبية، ص٥٦-٥٧ .

Sybel , The History and Literature of The Crusades, Trans . by Duff Grdon, London 1861, p. 147 .

١- يوجد التاريخ المذكور فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المؤرخون الغربيون ، الجزء الثالث R.H.C., Hist. Occ., Vol . III.

٢- جبيرت أوف نوجنت؛ ولد فى كلير مونت Clermont بفرنسا عام ١٠٥٣م وانحدر من إحدى الأسرات النبيلة ، ودخل سلك الرهبنة ، وقد صار رئيسًا لأحد الأديرة، توفى عام ١١٢٤م. عنه أنظر: محمود الرويضى ، المرجع السابق، ص٣٣ ، حاشية (٣) ، السيد الباز العرينى، السيد الباز العرينى، المرجع السابق، ص٤٥-٤٦ .

Sybel, op. cit , p. 122.

٣- يوجد التاريخ المذكور فى مجموعة الحروب الصليبية والمؤرخون الغربيون الجزء الرابع .
R.H.C., Hist , Occi , vol VI .

٤- أودو دى دول، راهب فرنسى بندكتى من دير القديس دنيس St. Denis ولد عام ١١٠٠م، من أصول اجتماعية متواضعة وقد خدم الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) كسكرتير وقسيس خلال أحداث الصليبية الثانية، التى إتجهت إلى الشرق بعد أن تمكن المسلمون بقيادة عماد الدين =

وله كتابه De Profectione Ludovici VII in Orientem [١].

أى : أعـــمـــال لويس الســـابع فى الشـــرق وهو مـــؤرخ حـــملة ذلك الملك الفـــرنسى (١١٣٧-١١٨٠م) إلى بلاد الشام المعروفة بالصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩م) .

بصفة عامة؛ يعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً أساسيًا لدراسة تطور العلاقات البيزنطية اللاتينية فى أخريات النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى من خلال وجهة نظر فرنسية بطبيعة الحال.

ويلاحظ أن ذلك المؤرخ يكشف لنا فى ثنايا كتابه عن تطور الصراعات بين بيزنطة والغرب الأوربى منذ القرن الثانى عشر الميلادى ومع ذلك ؛ يؤخذ عليه تعصبه الشديد للعناصر اللاتينية، وكذلك البابوية ضد البيزنطيين، وكذلك كنيسة القسطنطينية وعلى حين وصف الإمبراطور مانويل كومنين بأنه إمبراطور القسطنطينية ؛ نجده قد زاد فى مديحه لروجر الثانى ملك صقلية Roger II of Sicily ؛ وهو العدو اللدود للإمبراطورية البيزنطية[٢]، ولانزاع فى أن الصراع السياسى ، والخلاف الدينى المذهبى ؛ إنعكس بدوره على المصادر التاريخية التى وصلت إلينا من ذلك العصر فكان هناك سجال بين مؤرخى كل فريق .

وإلى جانب ذلك ؛ نجد أن ذلك المؤرخ يقدم لنا وصفًا مهمًا للعاصمة البيزنطية على نحو يفيد فى تتبع التطور التاريخى لعمرانها خاصة خلال أواسط القرن ١٢م.

= زنكى من السيطرة على الرها ، وخلال صحبته ألف كتابه كتاريخ لأعمال لويس السابع فى الشرق، وقد صار رئيسًا للدير المذكور عام ١١٥٢م، وتوفى عام ١١٦٢م.

عن أودو دى دول أنظر: . O.D.B., vol . 3, p. 1512

عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية، ص٣٢-٣٣ . ؛ شعبان محمد خلف، ، هنغاريا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة المنيا عام ٢٠٠٤م، ص١١ ، ومقدمة الترجمة الانجليزية.

١- أنظر الترجمة الإنجليزية:
Odo of Deuil , De Profectione Ludovici VII in Orienten, ed. and Trans. by V. Berry, New York 1948 .

٢- عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص٣٣ .

فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres [١].

مؤلف كتاب : Gesta Francorum Itherusalem Peregrinantium [٢]. أى : أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس. ويعد كتابه من المصادر اللاتينية الرئيسية عن التاريخ المبكر للعلاقات بين بيزنطة والغرب الأوربى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى، والربع الأول من

١- فوشيه الشارترى : ولد بفرنسا حوالى عام ١٠٥٩م وشارك فى الحملة الصليبية الأولى وهناك اعتقاد عن حضوره مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م وقد رافق بلدوين دى بويون وأقام معه فى الرها Edessa حيث حكمها قرابة العامين، ومن بعد ذلك انتقل معه إلى بيت المقدس حيث حكمها بعد رحيل شقيقه جودفرى دى بويون وصاحب بلدوين الأول حتى وفاته عام ١١١٨م ومكث في تلك المدينة المقدسة حتى عام ١١٢٧م ، عنه أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem , Trans . by Frances Rita Rian , Tennesse 1969, pp. 3-56 .

فوشيه الشارترى ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العسلى ط. عمان ١٩٩٥م، ص١٠-١٢ .

السيد الباز العرينى ، مؤرخو الحرروب الصليبية ، ص٣٧-٤٤ ، على أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية، (١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ) ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٢٨ ، حاشية (٢) ، نور الدين خاطوم، المدخل إلى التاريخ، ط. دمشق ١٩٦٥م، ص٤١١ ، محمد مؤنس عوض، التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية ، القرنين ٦ ، ٧هـ / ١٢-١٣م، ط. رام الله ٢٠٠٤م، ص٢١ ، إغارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م ٥٠٩-٥٥٤هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ص٥٠-٥١ ، حاشية (٣)،جلال حسنى سلامه، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، ط. نابلس ١٩٩٨م، ص٢٥ ، سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية فى بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩٠م / ٤٩٢-٦٩٠هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ، نابلس الأوضاع السياسة والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٩٠) ط. عمان ١٩٩٠، حاشية (١٠) ، ص٢٨ ، «الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها ١٠٩٩-١١٨٧م». ضمن بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد، وابراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٢٨٧ ، (حاشية (١) . محمود الرويضى، إمارة الرها الصليبية ، ص٢٠-٢٥ ، مفيد الزيد، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية ، ط. عمان ٢٠٠٤م، ص٢٢٩ .

٢- الترجمة الانجليزية أشرت إليها من قبل وهناك ترجمتان إلى العربية الأولى إعداد قاسم عبده قاسم والثانية أعدها زياد والعسلى ، وعنوانها على التالى : تاريخ الحملة إلى القدس، ط. عمان ١٩٩٥م، سنة ١٩٩٠م. الوجود الصليبى فى الشرق العربى، الاستيطان الصليبى فى فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٨-١١٢٧م ، ط. الكويت، ١٩٩٣م.

القرن الثانى عشر الميلادى وقد عاصر ذلك المؤرخ عهد كل من الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) وحنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ويلاحظ أن تاريخه يتوقف عند عام ١١٢٧م. وقد شارك فى الحملة الصليبية الأولى، ويعد كتابه مصدراً أساسيًا عن أحداثها .

- رايموند اجيل Raymond d'Aguilers [1] مؤلف كتاب تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس:

Historia Francorum qui Cepurunt Therusalen

شارك المؤرخ المذكور فى أحداث الحملة الصليبية الأولى خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٩٥ ، ١٠٩٩م، ويعد كتابه من المصادر التاريخية الأساسية عن العلاقات بين الغرب الأوروبى وبيزنطة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الحروب الصليبية.

- روبرت كلارى Rober of Clari [3] له كتاب سقوط القسطنطينية The Fall of Constantinople [4].

١- عن رايموند اجيل أنظر: مقدمة الترجمة العربية التى قام بها حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠ م.

٢- وتوجد ترجمة إنجليزية للكتاب من جانب جون هل ولورين هل وصدرت فى فيلادلفيا ١٩٦٨م .

Raymond d'Aquiliers, Historia Francorum , Trans. by John Hill and Laurita Hille, Philadelphia 1968 .

كما أن له ترجمة عربية قام بها حسين عطية أنظر:

رايموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. حسين عطية ط. الاسكندرية ١٩٩٠م.

٣- روبرت كلارى ؛ ولد فى كلارى Clari وهى التى تعرف باسم Clery- les- Pernois ، ويعد المؤرخ الفرنسى للصليبية الرابعة ١٢٠٣-١٢٠٤م، وقد شارك فيها على اعتبار أنه نفصل تابع لبطرس الامياني Peters of Amiens ، وفيما بعد عاد أدراجه إلى فرنسا، ومن المحتمل أن ذلك حدث عام ١٢٠٥م.وقد توفى بعد عام ١٢١٦مم، عنه أنظر : O.D.B., vol . 2, p. 1799

٤- توجد ترجمة إنجليزية أعدها مكنيل وصدرت فى نيويورك عام ١٩٣٦م، أنظر:

Robert Clari , The Conquest of Constantinople , Trans. by E.H. McNeal, New York 1936 .

وهناك ترجمة عربية قام بها حسن حبشى أنظر:

روبرت كلارى، فتح القسطنطينية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.

ويعد مصدراً يتسم بالأهمية عن أحداث الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م على أيدى اللاتين ، ويلاحظ أنه يتفق مع جوفرى اوف فلهاردوين فران تحول الحملة إلى القسطنطينية حدث نتيجة تطور بعض الأحداث ولم يحدث من خلال مؤامرة بندقية[١].

جوفرى أوف فلهاردوين Geoffry of Villeharduin [٢] وله كتاب The Conquest of Constantiople [٣] أى غزو القسطنطينية.

الكتاب المذكور ، مصدر أساسى لأحداث الحملة الصليبية الرابعة وسقوط العاصمة البيزنطية خلالها عام ١٢٠٤م بالإضافة إلى ما كتبه روبرت كلارى Robert of Clari ومجموعة مصادر معاصرة أخرى، ويقدم لنا فلهاردوين وجهة نظر فرنسية لتلك الأحداث .

أوتو الفريزى[٤] Otto of Freising

١- O.D.B., vol. iI, p. 1799 .

٢- جوفرى أوف فلهاردوين : مؤرخ فرنسى ، ولد بالقرب من تروى Troyes قبل عام ١١٥٢م، ويعد المؤرخ الفرنسى للحملة الصليبية الرابعة، وقد توفى فيما بين عامى ١٢١٢ ، ١٢١٨م عنه انظر: O.D.B., vol 3, p. 2169.

Bear, Villehardouin : Epic Historia, Geneva 1968 .

٣- توجد طبعة فرنسية قام بها فرال أنظر: . Villeharduin, la Conquete de Constantinople , ed E. Farrat , 2 vols , Paris 1938-1939

توجد ترجمة إنجليزية Villeharduin, Chronicles of the Crusades, Trans. by Shaw, Penguin Book, London 1963 .

وهناك ترجمة عربية قام بها حسن حبشى، تحت عنوان : مذكرات فلهاردوين فتح القسطنطينية ، ط. جدة ١٩٨٢م.

٤- أوتو الفريزى : ولد عام ١١١٤م ،، وفيما بعد عمل كأسقف فريزنج، ويلاحظ أنه عم الامبراطور فردريك بارباروسا ونعرف أنه ألف كتابين شهيرين هما: كتاب المدينتين ، وأعمال الامبراطور فردريك الأول، ويعتبره هارى المز بارتز أول فيلسوف للتاريخ يستحق الذكر فى العصور الوسطى، ومن المتصور أن ذلك القول يحوى مبالغة واضحة . وقد توفى ذلك المؤرخ عام ١١٥٨م تقريبًا ، عنه أنظر: جوزيف دهموس، سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى، ت . محمد فتحى الشاعر، ط. القاهرة ١٩٨٩ م، ص١٢١-١٥٢ .

مؤلف كتاب The Deeds of Frederick Barbarossa[(١)] أى أعمال فردريك باربروسا ، وهو امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة خلال المرحلة من ١١٥٢ إلى ١١٩٠م وقد دخل فى علاقات عدائية - بصورة متعددة- مع الإمبراطورية البيزنطية ووصل الأمر إلى حد الصدام المسلح بين قواته والبيزنطيين ، بل فكر جديًا فى غزو القسطنطينية دون أن يتمكن من تحقيق ذلك.

وليم الصورى William of Tyre [(٢)].

مؤلف كتاب : Historia Rerum Impartibus Transmarinis gestarum.

=عبد اللطيف عبد الهادى السيد، «دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية عند جاك دى فترى» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى تحرير محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٦٧ . هارى المز بارتز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص١٢٣ - ١٢٤ .

١- الترجمة الانجليزية : Otto of Frising , The Deeds of Frederick Barbarossa, Trans. by Charles Microw , Toronto 1966 .

٢- وليم الصورى : هو المؤرخ الرسمى لمملكة بيت المقدس الصليبية فى القسم الأكبر من القرن ١٢م ، ولد فى بيت المقدس عام ١١٢٧م من أبوين فرنسيين ، وينبغى التفرقة بين اثنين من الأشخاص حملا اسم وليم الصورى ، أولهما وليم الصورى ؛وهو إنجليزى شغل منصب حارس القبر المقدس A Historian والثانى المؤرخ الصليبى البارز وقد كان مؤرخا على معرفة بسميه الانجليزى، وقد تلقى مؤرخنا تعليمه الأولى فى احدى المدارس التابعة للأديرة وفيما بعد سافر إلى الغرب الأوربى حيث تتلمذ هناك على مراكز العلم خلال نهضة القرن الثانى عشر . لمدة عشرين عاما فيما بين عامى ١١٤٦م-١١٦٥م ، وعندما عاد أدراجه إلى المملكة الصليبية خلال عهد الملك عمورى الأول ١١٦٣م-١١٧٤م جعله مؤدبًا لابنه بلدوين الرابع، وطلب منه تأليف تاريخ للمملكة الصليبية وبالفعل ألف تاريخ الأعمال وتاريخ الأمراء الشرقيين والأخير مفقود ، وقد مات مسمومًا فى ١٩ سبتمبر عام ١١٨٦م كما قرر البعض ، عنه أنظر:

Edbury and Rowe , William of Tyre Historian of the latin East, Cabridge, 1988, pp. 13-173. Krey. " William of Tyre , The making of an historian in the Middle Ages", S. vol . XVI, 1941 . pp. 149-166 , Davis", William of Tyre' in Barker (ed) , Relations between East and West i the Middle Ages , Edinburgh 1973 , pp. 64-75 , Vissey , " William of Tyre and the art of Historiography" M.S., vol XXXV, 1973 . pp. 433-455 , Edbury," William of Tyre, A Historian, of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130-1148), B.F.A.A.U., 1988, pp. 43-52 . =

وترجمته الانجليزية A History of deeds done beyond The Sea وهو عمدة مؤرخي الصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي، وقد عمل رئيسًا لأساقفة صور Tyre وهو مؤرخ يعد مصدراً أساسيًا للعلاقات البيزنطية - الأنطاكية- الايطالية خاصة خلال المرحلة الممتدة بين عامي ١١٢٧م ، ١١٨٤م . وقد شارك ذلك المؤرخ في سفارات دبلوماسية ومؤتمرات إلى كل من روما والقسطنطينية ولذلك وصف بأنه صاحب إطلاع واسع على تطور العلاقات بين البيزنطيين والغرب الأوربي[1].

ويعتبر كتابه[2] مصدراً أساسيًا لاغني عنه لتاريخ العلاقات الصليبية - البيزنطية منذ بداية اندلاع الحروب الصليبية حتى ثمانينيات القرن ١٢م خاصة خلال أحداث الحملتين الأولى، والثانية ، ويلاحظ كراهيته الشديدة لبيزنطة على نحو خاص، ويعدها دومًا خائنة للصليبيين.

Hammad , Latin and Muslim Historiography of the Crusades, Acompcrative Study of William of Tyre and 127 Addin Ibn Alathir , ph. D., Pennsylvania Universty 1987 .

وهناك فصل مترجم منها في الكتاب الآتي : منى حماد ، «وليام الصوري والصراع الفرنجي الإسلامي ١٠٩٩-١١٨٤م»، ضمن كتاب أبحاث ودراسات في التاريخ العربي مهداة إلى ذكرى مصطفى الحياري، ١٩٣٦-١٩٩٨م، تحرير صالح الحمارنه، الجامعة الأردنية ط. عمان ٢٠٠١م، ص٢٥٣-٢٧٥ .

وهي دراسة قيمة لمؤرخه أردنية متميزة وتتمنى أن تكمل ترجمة فصول الرسالة الجديرة بالترجمة.

سمايلي ، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص١٨٦-١٨٧ ، عمر كمال توفيق ، «المؤرخ وليم الصوري» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م(٢١) . عام ١٩٦٧م تقديم حسن حبشي الوافي للترجمة العربية لتاريخ وليم الصوري ج١، ص١٠-٤٠ ، محمد مؤنس عوض ، وليم الصوري مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م / ٥٣٢-٥٤٥هـ . سلسلة دراسات شرق أوسطية مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ط. عمان ١٩٩٩م، ص٦٣-١٠٤ ، محمد الرويضي ، إمارة الرها الصليبية ، ص٣٩-٤٢ .

١- عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٥ .

٢- فيما يتصل بكتاب وليم الصوري نجد أن النص اللاتيني يوجد في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية، المؤرخون الغربيون ، المجلد الأول، R.H.C.,T.I, Hist. Occ.

بنيامين التطيلي[١] Benjamin of Tudela ، وله رحلته[٢].

= وهناك ترجمة إنجليزية قام بها بابكوك وكراى وصدرت فى نيويورك عام ١٩٤٨م تحت عنوان:
A History of deeds done Beyond The Sea , Trans . by E.A. Babcock and A.B. Krey , 2 vols ., New York 1948 .

كذلك اهتم هاينز بنشر ترجمة أخرى لتاريخ وليم الصورى أنظر:
, ContinatioتاقهسفهشرخقعوGuillaume de Tyre, Chronicon, ed. Robert B.C. Haygens, Corpus Mediaevlis , 2 vols ., Turnhout 1986 .

كذلك لانغفل اهتمام هاينز السابق بنشر الفصل المفقود فى تاريخ وليم الصورى عن ذلك أنظر:
= Huygens , : La Tradiction manuscrite de Guillaume de Tyr" S.M., , ser. 3, no . 5, 1964, pp. 281-373 .

وهناك ترجمتان عربيتان فى صورة جهد كل من سهيل زكار . ط. دمشق ١٩٩٠م حسن حبشى، (٤ أجزاء× ج١، ط. القاهرة ١٩٩١م، ج٢ ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ج٣. ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج٤، ط. القاهرة ١٩٩٥م. ويلاحظ أن المترجم الأخير زود ترجمته بتعليقات ثرية وقيمة.

١- بنيامين التطيلى ؛ هو الربى بنيامين ، ووالده يدعى يوحنا Jonah؛ رحالة يهودى أسبانى ارتحل إلى الشرق من مدينة تطيلة Tudela، وقام بالتجوال فى مناطق متعددة: فى جنوبى فرنسا ، وايطاليا واليونان وبلاد الشام والعراق ومصر وغيرهما ، ثم عاد أدراجه إلى أسبانيا فى سبعينيات القرن الثانى عشر الميلادى، وقد تصورت خطأ فى بعض كتبى السابقة أنه من طليطلة والصواب ما أثبته هنا ، عنه أنظر:
Ency . Jud., " Benjamin of Tudela" Jerusalem 1973 , vol . IV , pp. 535-538 .
Wright, Early Travels in Palestine London 1848, p. 63 .
Roth, Ashort History of the Jwish People , London 1953 , p. 16 .
Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Krenzzuge , Hannover 1965 . p. 65.
Rohricht , Chronologisches Verseichiss der Auf die geographic der Heillgen Landes . Bezuglichen Literatur , von 333 Bis 1878. Berlin 1878, pp. 37-38 .

صلاح الدين المنجد ، المشرق فى نظر المغاربة والأندلسيين فى القرون الوسطى، ط. بيروت ١٩٦٣م، ص٢٨ .

٢- هناك ترجمة إنجليزية لرحلة بنيامين التطيلى قام بها رايت فى كتابه عن الرحلات المبكرة فى فلسطين الصادر فى لندن ١٨٤٨م والمشار إليه من قبل.

كما أن هناك ترجمة عربية على يدى عزرا حداد، وصدرت فى بغداد عام ١٩٤٥م، كذلك أعيد نشر الترجمة المذكورة مع مقدمة من جانب عبد الرحمن عبدالله الشيخ. وصدر من المجمع الثقافى أبوظبى عام ٢٠٠٢م.

وقد قدم إلى الإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) ، ووصف أهم معالم العاصمة البيزنطية حينذاك ، وأفادت رحلته فى إلقاء الضوء على الحضارة البيزنطية ومظاهرها العمرانية فى عهد أسرة آل كومنين.

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن الرحلات من المصادر الأساسية فى التاريخ البيزنطى حيث زار القسطنطينية عشرات الرحالة الذين دونوا رحلاتهم واهتموا بجوانب لم تهتم بها حوليات المؤرخين ولذا نقول أن الرحلة - وبحق- هى عين الجغرافيا المبصرة .

٦٣- مارينوسانودو Marian Sanudo [١] مؤلف كتاب Secreta Fidelium Crucis أي: أسرار للصليبيين الحقيقيين[٢] وقد قدمه إلى البابا كليمنت الخامس Clement V (١٣٠٥-١٣١٤م) .

كما ألف تاريخًا لاتينيًا عن الإمارة الفرنجية وبيزنطة، وظل قائمًا على أساس ترجمة بندقية بعنوان :

Istoria del regno di Romania ويلقى أضواءً كاشفة فريدة على دور ميخائيل الثامن Mi-chael VIII فى إستعادة القسطنطينية .

١- مارينو سانودو الملقب بالكبير The Elder، ؛ تاجر ودبلوماسى ومؤرخ بندقى ، ولد عام ١٢٧٠م. ومات بعد ٩ مارس ١٣٤٣م، وقد انحدر من عائلة بندقية أرستقراطية ونعلم أنه ارتحل إلى مناطق متعددة فى نطاق البحر المتوسط خلال المرحلة الممتدة من عام ١٢٨٩م إلى ١٣٣٣م ، وكان يدعو إلى القيام بحملة صليبية ضد مصر كذلك دعا إلى وحدة الكنائس ، وقد توفى عام ١٣٤٣م، عنه أنظر : جمال فاروق الوكيل، تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى فى ضوء كتابات مارينو سانوتو، رسالة جامعة طنطا عام ٢٠٠٦م، ص٥١-٥٨ . وانظر بعض الرسائل المترجمة ص١٣٣- ص١٥٩ . حسين السيد متولى النحال، الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس فى أواخر العصور الوسطى ١٣٦٥-١٤٠٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م، ص١١٥ -١١٧ .
O.D.B., vol . III, p. 1840 .

محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٠٣-١٠٩ .

٢- هناك ترجمة إنجليزية قام بها أوبرى ستيوارت انظر :

Marino Santo, Secrets for True Crusaders to help Them to recover The Holy land Aubrey Stewart , P.P. T.S. vol V 2 , london 1896 .

وهناك ترجمة عربية غير مكتملة ، أنظر مارينو سانتو . كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب فى استرجاع الأراضى المقدسة والحفاظ عليها ت. الأب سليم رزق الله . ط. بيروت ١٩٩١م.

كذلك ينسب له تأليف تاريخ مختصر باللاتينية عن ضعف ، وإنهيار الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية[١] وجهود بلدوين الثانى Baldwin II (١٢٢٨-١٢٦١م) .

ولمارينو سانودو رسائله [٢]، وتبلغ (٤٢)، رسالة كتبها فيما بين أعوام ١٣٢٣م، ١٣٣٦-١٣٣٧م، خاطب فيها - على سبيل المثال- أندرونيكوس الثانى باليولوغوس Andronicos II Palaiologos ، وستيفن سيروبولاوس Stephen Syropoulos وجيروم الأسقف الفرنسيكان لكافا Jerom. Franciscan bishop of kaffa .

١- عن ذلك التاريخ أنظر نشر سى. هوف له فى برلين عام ١٨٧٣م.

C.Hoph. Chroniques greco romanes , Berlin 1873 .

عن ذلك أنظر: O.D.B.. vol . 3 , p. 1840 .

٢- عن رسائل مارينو سانتو انظر نشرها على يدى سرلينى فى مجلة بيليوفيليا العدد (٤٢) عام ١٩٤٠م.

A. Cerlini, Nuove lellere di Marine Sanudo il Vecchio", La bibliofilia. 42 , 1940, pp. 321-459 .

وكافة هذه المعلومات يجدها القارئ فى:

O.D.B.. vol 3, p. 1873 .

ويلاحظ أن الباحث رودى S. Roddy أعد أطروحة للدكتوراه عن مراسلات مارينو سانتو ونوقشت فى جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧١م، انظر:

S.Roody. The Correspondence of Marino Sanudu Torsello, Ph. D., Sanudu Torsello, Ph. D., University of Pennsylvania 1971 .

عن ذلك O.D.B.. vol . 3, p. 1873 .

ثالثًا : المصادر الأرمينية :

متى الرهاوى Matthieu d'Edesse [١] وله حوليته Chronique [٢].

عاصر المؤرخ المذكور القرن الثاني عشر الميلادى، ووصف بأنه شاهد عيان لأحداث متعددة مرت بها إمارة الرها أولى الإمارات التى أقامها الغزاة الصليبيون فى الشرق وتبدأ حوليته بأحداث عام ٩٥٢م وتمتد حتى عام ١١٣٦م . وقد رتب الوقائع التاريخية وفق التقويم الأرمينى اعتماداً على مصادر شفوية ومكتوبة ووفق ما قرره ؛ فقد استغرق ثمانى أعوام فى تأليفها .

وعمل جريجورى الراهب Gregory The Priest على تكملته ووصل بالأحداث حتى عام ١١٦٢م[٣].

١- متى الرهاوى ؛ راهب ومؤرخ ولد فى الرها Edesaa، وقد عمل رئيسا لأحد أديرتها ، ومن المقرر أنه كان موجوداً فى مدينة كيسوم عام ١١٣٦م، وهو العام الذى قام فيه محمد بن غازى بن الدانشمند بمهاجمتها، وهناك من يقرر أنه توفى خلال حصار الأتابك عماد الدين زنكى لتلك الإمارة الصليبية عام ١١٤٤م، وقد وصف بأنه من شهود العيان لأحداث سياسية ، وحربية مهمة حلت بتلك الإمارة ، وكذلك بالعلاقات بين الأرمن والبيزنطيين عنه أنظر:

فايز نجيب اسكندر ، متى الرهاوى والحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥- ١٠٩٩م / ٤٨٨-٤٩٢هـ)، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت،ص١٥-١٦ .

عليه الجنزورى ، إمارة الرها الصليبية ، ص٤٤، ، ط. القاهرة ١٩٨٦م ص١١ ، عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص٣٩ ، حسين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ط. الاسكندرية ، ص٦٤ .

محمود الرويضى ، إمارة الرها الصليبية ، ص٤٤، حاشية (٤) .

٢- للحولية المذكورة ترجمة فرنسية قام بها م.ب. بولكلرين ، وصدرت فى باريس عام ١٨٥٨م، عن ذلك انظر:

Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136), avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed. M.B Bulqurier , Paris 1858 .

كما نشر فى مجموعة : R.H.C. Hist. Arm, vol . I , pp. 1-150 .

أيضًا : محمد مؤنس عوض ، فصول ببيلوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٣٢ .

ATiya, The Crusade, Historiography and Bibliography, London 1962 , p. 42 .

٣- O.D.B., vol . II , p. 1316 .

وبصفة عامة؛ تعد حولية متى الرهاوى مصدراً أساسيًا للتاريخ البيزنطى ، والصليبى، والتركى فى كيليكياCilicia، وآسيا الصغرى Asia Minor[١].

ولانغفل : أنه عارض الإمبراطورية البيزنطية مثل غيره من المؤرخين الأرمن[٢] ، ومع ذلك نلاحظ امتداحه لعدد من الأباطرة مثل باسل الثانى وغيره .

- سيبيوس Sebeos[٣]، تاريخ هرقل Histoire d'Heraclius [٤].

والمؤرخ أرمينى معاصر للفتوحات الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية فى القرن السابع، وتعد حولية مهمة عن عصر الإمبراطور هرقل، وقد أفاد منه مؤرخ أرمينى آخر هو جيڤوند Ghévond.

ويلاحظ أن سيبيوس تعرض فى تاريخه لمعركة اليرموك عام ٦٣٦م وانتصار المسلمين الحاسم فيها ضد البيزنطيين .

- جيفوند Ghévond [٥]، كتاب : تاريخ حروب وفتوحات العرب فى أرمينيا :

Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie .[٦]

يبدأ تاريخه بعام ٦٣٢م، ويستمر فى ايراد الأحداث التاريخية حتى عام ٧٩٠م ؛ أي على مدى ما ما زاد علي قرن ونصف من الزمان . ويوصف ذلك المؤرخ وكتابه بأنه من المصادر المهمة فى التاريخ الأرمينى فى العصور الوسطى وتاريخ بيزنطة خلال القرن السابع ، والثامن الميلادى.

١- O.D.B., vol. 2, p. 1310 .

٢- عادل زيتون ، العلاقات الكنسية ، ص٣٩ .

٣- عنه أنظر : . O.D.B., vol . III, p. 1863

٤- أنظر الترجمة الفرنسية :
Sebeos . Histoire d'Heraclius, Trad. Par F. Macler , Paris 1904 .

٥- جيڤوند ؛ عالم لاهوتى ، ومؤرخ عاصر القرن الثامن الميلادى . وعمل مستشاراً للكنيسة الأرمينية عنه أنظر:

فايز نجيب إسكندر ، الفتوحات الاسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م) ، ج١ ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص٣-١٣ .

٦- أنظر الترجمة الفرنسية:
Ghevond , Histoire des Guerres et des Conquete des Arabes en Armenie, Trad. Par. G.V. Chahnazarians, Paris, 1856

عن ذلك انظر: فايز اسكندر ، المرجع السابق، ص٤.

صموئيل من آنى[١] Samuel of Ani مؤلف حولية [٢]:

وقد تناول فيها الأحداث منذ ميلاد السيد المسيح حتى عام ١١٧٩م، وتعرض خلالها للأحداث التى مرت بأرمينيا وعهود الأباطرة البيزنطيين حتى القرن الثانى عشر الميلادى، ويفيد كتابه فى دراسة السياسة البيزنطية فى الأناضول ويلاحظ أن الكثيرين من الكتاب الأرمن فى القرن الثالث عشر أفادوا منه مما عكس أهميته، بل إن هناك ذيولاً ألفت لتكملة وقائع تاريخه .

موسى خورنيه[٣] Moses Khorenots مؤلف كتاب تاريخ الأرمن [٤] History of the Armenians.

١- صموئيل بن آنى ، كاتب حوليات وراهب ، لانعرف إلا القليل عن حياته ، ويقال أن البطريريك الأرمينى لكيليكيا Cilicia ويدعى جريجورى Gregory، ومن المحتمل أنه جريجورى الثالث (١١١٣-١١٦٦م) ؛ طلب منه أن يكتب حوليته .

عنه أنظر : O.D.B., vol . 3, p. 1837 - 1838 .

فايز نجيب اسكندر، استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م .

٢- تم نشر الحولية المذكورة فى الباترولوجيا اليونانية P.G 19: 607-742 ، وهناك ترجمة فرنسية ، قام بها م.ف بروسية M.F. Brosset ونشرت فى مجموعة مؤرخى الأرمن، المجلد الثانى، ط. ستراسبورج ١٨٧٦م، أنظر:

C. H.A., vol . II , Strasburg 1876

وأعيدت طباعته فى امستردام عام ١٩٧٩م.

عن ذلك انظر: O.D.B., vol 3, p. 1883

كذلك نجد مقتطفات منها لدى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية . الوثائق الأرمينية R.H.C., Docau-ments Armeniems.

عن ذلك انظر: محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافية، ص٣٣ .

Atiya, Op. cit , p. 43 .

٣- عنه أنظر : محمد عبد الشافي المغربى، مملكة الخزر اليهودية وعلاقاتها بالبيزنطيين والمسلمين فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م، ص٢٤ .

٤- أنظر الترجمة الإنجليزية للتاريخ المذكور التى أعدها روبرت و. طوسون ، وصدرت فى لندن ١٩٧٨م.

وهو مؤرخ أرمينى معاصر للقرن السابع الميلادى، قدم في كتابه إشارات مهمة عن علاقة الإمبراطورية البيزنطية بالقوى السياسية المجاورة لها، ومنها الخزر، ولذلك عد من المصادر المهمة فى ذلك القرن الذى شهد تحولات محورية فى التاريخ البيزنطى.

رابعًا : المصادر السريانية :

ميخائيل السريانى[١] Michael le Syrien مؤلف حولية Chronique[٢].

= عن ذلك أنظر:

Moses khorenots, History of the Armenians , Trans. and Commentarty on the literary Sources by Robert W. Thomson , London 1978 .

١- ميخائيل السريانى ؛ ولد عام ١١٢٦م ، وفيما بعد ؛ صار راهبًا ثم أصبح رئيسًا لدير سمعان إلى أن تولى منصب بطريرك أنطاكية على مدى المرحلة الواقعة بين عامى ١١٦٦م إلى ١١٩٩م ؛ أى على مدى ثلاثين عامًا ، وقد ألف عدة مؤلفات دينية خاصة بطقوس الكنيسة السريانية ، وتوفى فى العام الأخير عن عمر بلغ نحو ٧٣ عامًا ، عنه أنظر : Atiya, The Crusade, Historiography and Bibliography, p. 43

.

O.D.B., vol . II , pp. 1362-1363 .

Cahen , la Syrie du nord a' L'epoque des Croisades , p. 97 .

حسين عطيه ، إمارة أنطاكية الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، ص٣٠، امارة انطاكية والمسلمون ، ص٦٣ ، محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ص٣٣ ، محمود الرويضى ، إمارة الرها الصليبية ، ص٤٨ ، حاشية (٤) ، على العواجي، مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية فى الفترة من ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م إلى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م ، ص١٦ ، فايز نجيب اسكندر ، الفتوحات الإسلامية الأرمينية ، ص١٠٥ ، حاشية (١٨٧) .

٢- قام ج.ب شابو بترجمة الحولية المذكورة إلى الفرنسية وصدرت فى ٤ أجزاء فى باريس بين عامى ١٨٩٩م ، ١٩٢٤م، عن ذلك انظر:

Michael le Syrien, Chronique du Michael Le Syrien Patriarche Jacobite, d' Antioche (1166-1199) , ed. Trad. Par . J.B. Chabot, 4 vols ., Paris 1899-1924 .

وقد عاصر القرن الثانى عشر الميلادى، وبالتحديد خلال المرحلة الممتدة من ١١٢٦م إلى ١١٩٩م وتعد حوليته بمثابة العمل الرئيسى المتكامل فى اللغة السريانية، وتستمد أهميتها من أهمية مؤلفها الذى عمل بطريركًا لأنطاكية Antioch حاضرة شمالى بلاد الشام على مدى ثلاثة وثلاثين عامًا.

تجدر الإشارة ؛ تألفت الحولية المذكورة من (٢١) كتابًا ألفت على النمط الحولى، وتناول فيها ميشيل السريانى الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ١١٩٥م، أى حتى قبل وفاته بأربعة أعوام [١].

- ابن العبرى[٢] الملطى المعروف باسم بارهبرايوس Barhebraeus

مؤلف كتاب[٣] The Chronography of Georgory Abul Farag

وقد تعرض فى تاريخه لجوانب متعددة عن علاقات بيزنطة السياسية الخارجية ومنها صراعها مع المسلمين والصليبيين حتى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى.

وله أيضًا : تاريخ مختصر الدول وهو من المؤلفات المهمة خاصة فى وقائع القرن الثالث عشر الميلادى حيث عاصرها ذلك المؤرخ .

١- وقد قرر الباحث محمود الرويضى أن الحولية المذكورة تناولت الأحداث الواقعة منذ بدء الخليقة حتى زمن هيثوم ملك أرمينية الصغرى (١٢٢٤-١٢٥٢م) غير أن ذلك القول مردود نظراً لوفاة ميشيل السريانى عام ١١٩٩م ، انظر رأى الباحث ، محمود الرويضى، إمارة الرها الصليبية، ص٤٩، حاشية (١) .

٢- ابن العبرى ؛ أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطى ولد عام ١٢٢٦م . ويبدو أن أباه كان على الديانة اليهودية ثم تحول إلى اليعقوبية ، وقد درس ابن العبرى فى ملطية بالجزيرة اللغات اليونانية والسريانية والعربية ، كذلك درس اللاهوت ، والطب ، والفلسفة ، ومع مقدم الغزو المغولى إلى أنطاكية ويقال أنه اتجه إلى سلك الرهبنة، وقد توفى عام ١٢٨٦م، عنه أنظر:

شاكر مصطفى، التاريخ العربى والمؤرخون ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ج٢، ص٤٥٥-٤٥٦ .

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية :

Bar Hebraeus. The Chronography of Gregory Abup Faraj , The Son of the Aron, Trans. to English from the Syriac by E.A.W. Budge. Oxford 1932 .

- مجهول، الحولية السريانية المجهولة The Anonymous Syriac Chronicle [١].

وتتناول أحداث خاصة بالقرن الثانى عشر الميلادى وتلقى الضوء على علاقات بيزنطة بالقوى الإسلامية والصليبية وتفيد فيما يتصل بأحداث الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية.

خامسًا : المصادر الروسية

ومن أمثلتها ما ألفه نسطور Nestore تحت عنوان حولية نسطور [٢] Chronicle of Nestor وتعرف على أنها حولية وقائع الأيام الخالية، وفيها قام نسطور بالتأثر بالكتابة التاريخية البيزنطية ، وهى تفيد فى إلقاء الضوء على العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية حيث أورد أمر المعاهدات التى أبرمت بين الجانبين خلال القرنين العاشر، والحادى عشر الميلادين على نحو مفصل ، مثلما نجده فى معاهدات أعوام ٩٠٧م، ٩١١م، ٩٤٥م، ٩٧١م . مما عكس أهميتها التاريخية.

حولية نوفجورد[٣] The Chronicle of Novgord

وهى حولية تهتم بتاريخ إحدى المدن الروسية فى صورة نوفجورد خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠١٦، ١٤٧١م أى على مدى خمسة قرون وهى تفيد فى أمر العلاقات الروسية البيزنطية .

١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

The First and Second Grusades From an Anonymous Syriac Chronicle, ed. and Trans. by A.S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol. pp. 273-306 .

وهناك ترجمة عربية قام بها سهيل زكار انظر: مجهول ، الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، ت. سهيل زكار فى كتاب الحروب الصليبية، ج١ ، ط. دمشق ١٩٨٤م.

٢- ولد نسطور حوالى عام ١٠٥٠م ووصف بأنه كان راهبًا فى دير الكهوف Caves Monastry عند كييف Kiev منذ الربع الأخير من القرن الحادى عشر وحتى بداية القرن الثانى عشر الميلاديين، وقد ألف عدة مؤلفات عن القديسين بوريس Boris وجليب Gleb وهى ابنى فلاديجير اللذين تم قتلهما عام ١٠٨٠م عنه أنظر:

طارق منصور ، الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥-١٠٥٤م ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص «ظ» من المقدمة .

٣- عن الحولية المذكورة انظر: طارق منصور، المرجع السابق، ص «ب» من المقدمة.

سادسًا : المصادر العربية

لايخلو مصدر جغرافى أو تاريخى عربى منذ القرن الثامن حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادى من إشارات هنا وهناك عن العلاقات الإسلامية - البيزنطية، ولذا سأتعرض لنماذج مختاره - منها .

من أمثلة تلك المصادر الجغرافية : نذكر المسعودى[١] (ت ٩٥٧م) وكتابه مروج الذهب ، وابن خرداذبة[٢] (ت ٨٨٥م) وكتابه المسالك والممالك ، وابن رسته[٣] (ت ٩١٢م) وكتابه الأعلاق النفيسة ، وابن فضلان[٤] (ت ق ١٠م) وابن بطوطة[٥] (ت ١٣٧٧م) فى رحلتيهما ، وشيخ الربوة الدمشقى[٦] (ت ١٣٢٦م) وكتابه نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر والادريسى (ت ١١٦٦م) وكتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق وأبو الفداء[٨] (ت ١٣٣٢م) وكتابه

١- عنه أنظر: دمترى ميكولسكى ، المسعودى هيرودوت العرب، ت- عادل إسماعيل مراجعة نوفل ينوف ط. دمشق ٢٠٠٦م ، ص٦٥- ص٢٠٨ .

٢- عنه أنظر : السيد عبد العزيز سالم. التاريخ والمؤرخون العرب ، ط. الاسكندرية ١٩٧٦م، ص١٨٨ ، الفاخورى، تاريخ الأدب العربى ، ط. بيروت ب-ت ص٧٧٣ .

٣- عنه أنظر : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة «ابن رستة».

٤- عنه أنظر: نقولا زيادة الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص١٤١ - ص١٤٩ .

٥- عنه أنظر : دائرة المعارف الاسلامية مادة «ابن بطوطة» .

٦- عنه أنظر: كراتشكوفسكى، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ت. صلاح الدين هاشم ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج١، ص٣٨٦ .

٧- عنه أنظر: محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص١٧-٧٢ ، أحمد سوسه ، الشريف الإدريسى فى الجغرافية العربية ، ط. تونس ١٩٧٤م ابراهيم خورى، الشريف الإدريسى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط. أبوظبى ٢٠٠٠م، ص١٧-٤٧ .

٨- عنه أنظر: عبد الرحمن حميدة ، أبو الفداء ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م، ط. دمشق - ١٩٧٤م ص٧-٢٣ ، سهيل زكار، أبو الفداء، ضمن الكتاب السابق. ص٢٤-٤١ ، حسن الساعاتى ، «منهج أبى الفداء فى البحث»، الكتاب السابق، ص٥٦-٧٤ ، مصطفى الحاج ابراهيم، «الآفاق الجغرافية عند أبى الفداء وكتابه تقويم البلدان» . الكتاب السابق، ص١٣٠-١٥٠، كامل عباد ، المؤرخ أبو الفداء، ونزعته العلمية ، الكتاب السابق، ص٧٥-٩٥ ، عمر فروخ ، أبو الفداء وتعليل التاريخ ، ص٩٦-١٢٩ .

تقويم البلدان، وياقوت الحموى[١] (ت ١٢٢٨م) وكتابه معجم البلدان، والقزوينى[٢] (ت ١٢٨٣م) وكتابه آثار البلاد وأخبار العباد وغيرهم من أوردت أسماءهم ومؤلفاتهم فى خاتمة المصادر والمراجع .

أما المصادر التاريخية، فنذكر من أمثلتها، الطبرى[٣] (ت ٩٢٢م) وكتاب تاريخ الرسل والملوك والبلاذرى[٤] (ت ٨٩٢م) وكتابه فتوح البلدان. وابن الأثير[٥] (ت ١٢٣٢م) وكتابه

١- عنه أنظر: عباس فاضل السعدى، ياقوت الحموى دراسة فى التراث الجغرافى العربي مع التركيز على العراق فى معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص٩-١٧ .

عيد على الخفاف ومحمد أحمد عقله ، دراسات فى التراث الجغرافى العربى الاسلامى، ط. عامن ١٩٩٩م ، ص٧٤-٩٠ .

٢- عنه أنظر: ابن القوطى، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، تحقيق مصطفى جواد، ط. بغداد ١٣٥١هـ، ص١٣٠ ، ابن الساعى، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، ج١٤ / ق٢ ، ط. بغداد ١٩٦٧م، ص٧١٥-٧٢٦ .

محمد مفيد آل ياسين ، الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص٣١٦-٣١٧ ، محمد مؤنس عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون. ص١١٣-١٣٤ .

٣- عنه أنظر : أحمد الحوفى، الطبرى، ط. القاهرة ١٩٦٣م، على بكر حسن ، الطبرى ومنهجه فى التاريخ ط. القاهرة ٢٠٠٤م ص١٨-٤٠ ، مرغوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب، ت. حسين نصار ط. القاهرة ٢٠٠١م ، ص٩٩-١٠٧ ، محمد الزحيلى ، الامام الطبرى ، ط. دمشق ١٩٩٠، ص١٥-٨١ .

٤- عنه أنظر: محمد جاسم حمادى مشهدانى، موارد البلاذرى عن الأسرة الأموية فى أنساب الأشراف ط. مكة المكرمة ١٩٨١م، ج١، ص٤٤-٦٧ .

أبو الفداء، المختصر فى أخبار البشر، ط. صيدا ١٩٦٠م ، ج٤ ، ص٣٨٩ ، عبد القادر طلبات، ابن الأثير المؤرخ، ط. القاهرة ١٩٦٩م، فيصل السامر ، ابن الأثير، ط. بغداد ١٩٨٦م.

٥- عنه أنظر:

أبوشامة ، الذيل على الروضتين ، ط. القاهرة ١٣٦٦هـ، ص١٣٥ ، صلاح الدين المنجد ، المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة، مجلة معهد المخطوطات العربية، م(٢) ، ج (١) عدد مايو ١٩٥٦م، ص٨٠ ، معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط. بيروت ١٩٧٤م، ص٣٤ ، هاملتون جب، تاريخ دمشق ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبى، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ت. يوسف أيبش ، ط. بيروت ١٩٧٣م، ص٤٠ ، روزنتال، =

الكامل فى التاريخ، وابن القلانسى[1] (ت ١١٦٠م) وكتابه ذيل تاريخ دمشق، وابن العديم الحلبى (ت ١٢٦١م) وكتابه زبدة الحلب .

ويلاحظ ، أن تلك المصادر تتناول أمر العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين بصورة أو بأخرى، مع إدراك أنه لاتوجد هناك مصادر بلغة ما هى المتسيدة فى البحث التاريخى عن الإمبراطورية البيزنطية. إذ أن كافة المصادر سواء كانت البيزنطية أو اللاتينية أو السريانية أو الأرمينية أو العربية جميعها تعين على الاقتراب قدر الإمكان من ذلك التاريخ الذى تعددت مصادره من خلال الاتساع المكانى والزمانى لتلك الإمبراطورية .

أما فيما يتصل بالمؤلفات الحديثة عن التاريخ البيزنطى؛ فيتطلب الآن التعرض على نحو موجز للرحلة التى قطعتها الدراسات البيزنطية إلى أن وصلت إلى مطلع القرن الحادى والعشرين، وسنركز الحديث . إعتماداً على أستروجورسكى- فيما يتصل بأوربا ، ثم من خلال المتابعات الببليوغرافية عن العالم العربى وخاصة مصر والأخيرة قائمة على ملاحظاتى الشخصية.

ويقرر المؤرخ المذكور ؛ أن هيرويموس ولف Hicroymus Wolf (١٥١٦-١٥٨٠م) عمل على أن ينشر حوليه حنا زوناراس John Zonaras، وكذلك تاريخ نيكتاس خونياتس Nicetas Choniates ، ونيقفورس جريجوراس Nicephorus Gregoras ، وبالتالى يوصف بأن دوره العلمى يعد رائداً مقارنة بمن أتى من بعده من الباحثين.

= علم التاريخ عند المسلمين، ت . صالح العلى، بيروت ١٩٨٣م، ص٢٠٣ ، جمال فوزى محمد عمار، التاريخ والمؤرخون فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ٥٢١-٦٦٠هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٠٣ - ص٢٢٥ .

١- عنه أنظر: ابن العديم ، الدرارى فى ذكر الذرارى، تحقيق علاء عبد الوهاب ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص٥-١١ ، عباس عزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ط. بغداد ١٩٨٧م، ص٧٧-٧٨ ، شاكر مصطفى، التاريخ العربى والمؤرخون، ط. بيروت ١٩٧٩، ج٢، ص٣٦٣ .

٢- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 3 .

وتجدر الإشارة هنا؛ أننى اعتمدت اعتماداً أساسيًا فى الجزء الخاص بالمؤلفات الحديثة عن التاريخ البيزنطى على العرض الببليوغرافى الممتاز الذى قدمه اوسترو جورسكى .

أنظر: Ibid, pp. 1-20 .

ولانغفل ؛ أن القرن السابع عشر، وفي منتصفه على نحو خاص ، بدأت الدراسات البيزنطية تنتعش بصورة حقيقية كما قرر المؤرخ السالف الذكر، وخاصة من خلال الإزدهار الفكري في بلاط الملك الفرنسي لويس الثالث عشر Louis XIII (١٦١٠- ١٦٤٣م) ، ومن بعده وبصورة أكبر لويس الرابع عشر Louis XIV (١٦٤٣-١٧١٥م) [١].

جدير بالذكر ؛ من خلال رعاية الملك المذكور، ومن خلال دار نشر شهيرة هي كولبرت Col-bert التابعة للوفر Louvre بدأ نشر سلسلة كبيرة من أعمال المؤرخين البيزنطيين ، وكان أول ما صدر متمثل في تاريخ يوحنا كناكوزين John Contacuzene وذلك عام ١٦٤٥م. وفي عام ١٦٤٨م، صدر كتاب عن الامبراطور قسطنطين بورفيروجنيس Constantine Porphy-rogenitus هو : Constantine Porphyrogenitus Excerpta Legationibus [٢].

من ناحية أخرى، ظهر خلال القرن السابع عشر م عدد من كبار المؤرخين في صورة جوسويت فيليب لابيه Jesuits Philippe Labbé (١٦٠٧-١٦٦٧م) ، وبيير جوسين Pierre Pous-sines (١٦٠٩-١٦٨٦م)، جاك جوا Jacques Goao (١٦٠١-١٦٥٣م) ، وفرانسوا كومبيف Francois Combefis (١٦٠٥-١٦٩٧م) و شارل أنيبال فابرو Charles Anni-bal Fabrot (١٥٨٠-١٦٥٩م) .

= حيث خصص الصفحات المذكورة لتناول الدراسات البيزنطية حتى صدور الترجمة الإنجليزية للكتاب عام ١٩٥٦م. مع عدم اغفال أنه خلال النصف قرن الأخير حدث تطور معرفي غير مسبوق كمًا ونوعًا في حقل الدراسات البيزنطية في الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية.

ولمعرفة المزيد عن ذلك المؤرخ اليوغوسلافي الرائد واصداراته أشير إلى صدور كتاب تذكاري Memorial Book أو Melanges لتكريمه من جانب فرانجو باريسيك وصدر في بلغراد عام ١٩٦٣م من جانب معهد الدراسات البيزنطية في بلغراد ، عنه أنظر:

Barisic (ed.) , Melanges Georges Ostrogorsky, Beograd 1963 .

١- Ostrogorsky, History of the Byzantine State,p. 4 .

أيضًا : وسام عبد العزيز فرج، «الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقيقة الهوية»، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٧ .

٢- Ibid. p. 4 .

ويقرر أوستروجورسكى أن المؤرخ دى كانج Du Cange (١٦١٠- ١٦٨٨م) يعد المؤسس الحقيقى للدراسات التاريخية البيزنطية[1]، وقد قام بنشر عدة مصادر مثل تاريخ يوحنا كينامـوس John Kinnamos، وحولية يوحنا زوناراس John Zonaras، وحولية باسكال Paschal وقد قدم تعليقات مفصلة على تلك المصادر وهنا تكمن أهمية مجهوداته العلمية خلال تلك المرحلة المبكرة فى تاريخ الدراسات البيزنطية.

جدير بالإشارة ؛ قام المؤرخ المذكور بجهد وافر فى مختلف الدراسات كما فى التاريخ، الفيلولوجيا Philology (علم فقه اللغة) ، والطوبوغرافيا Topography، والنوميات المتصلة ببيزنطة وحتى منتصف القرن العشرين عندما أصدر اسوتروجورسكى كتابه عن تاريخ الدولة البيزنطية أشار إلى أن الباحثين لايزالون يستفيدون من مؤلفاته القيمة .

وقد أعد دى كانج عدة مؤلفات مثل:

- Histoire de L'empire de Constantinople Sous les empereurs Francais .
- Historia Byzantina duplici commentario illustrato.
- Constantinoplis Christiana .
- De Familiis byzantinis.

والعمل الأكبر فى الأهمية لكانج يتمثل فى قواميسه المتعددة عن اليونانية واللاتينية الوسيطة، ومنها.

Glosarium ad Scriptores mediae et infimae graecitatis.

وعلى الرغم من وجود قواميس متعددة ، إلا أن ذلك القاموس - على نحو خاص - بما احتواه من إشارات مصدرية متعددة ، وتعليقاته التاريخية يظل- كما اعتقد اوستروجورسكى- من أدوات الباحثين فى حقل الدراسات البيزنطية [2].

وهناك رائد آخر من أولئك المؤرخين الرواد فى صورة جين مابيلون Jean Mabillon (١٦٣٢-١٧٠٧م) الذى وضع أساس الدراسات العلمية البيزنطية من خلال الاعتماد على

١- Ostrogrsky History of The Byzantime State, p. 4 .

وعن مؤلفاته أنظر: . p. 4-5

٢- Ibid, p. 5 .

الوثائق الأصلية، ويعد جين مابيلون معاصراً لكانج[١] واكمل دوره ، كما نذكر برنارد دى مونتفاكون Bernard de Montfauco (١٦٠٥-١٧١١م) .

وهو مؤلف دراسة: Paleographia Graeca

الباليوغرافيا اليونانية ، وبها افتتح دراسة الباليوغرافيا اليونانية Greek Palaeography[٢].

كذلك هناك دور مهم قام به ميشيل ليكوين الدومينكانى The Dominican Michel Lequien (١٦٦١-١٧٣٣م) من خلال عمله بعنوان : Oriens Christianus [٣].

كما نشير إلى دور قام به انسلمو بن ورو الراجوزى البندكتى The Benedictine Anselmo Banduri of Ragusa (١٦٧٠-١٧٤٣م) الذى ألف الامبراطورية الشرقية Imperio Orientale ، ووفق ما قرره اوستروجورسكى احتوى على مادة طوبوغرافية ، وأثرية مهمة[٤].

ويقرر اوستروجورسكى ؛ أن الدراسات البيزنطية قد واجهت إنتكاسة Setback فى القرن الثامن عشر م وذلك من جراء جهود مفكرى عصر الاستنارة الذين أعلوا من شأن النزعة العقلية، ومنهم من نظر بازدراء للتاريخ البيزنطى ونذكر فى هذا الصدد المؤرخ الشهير إدوار جيبون Edward Gibbon [٥] (١٧٣٧-١٧٩٤م) وكتابه الشهير: History of The decline and Fall of the Roman Empire.

١- Ostrogorsky , History of The byzantine State, p. 5 .

٢- Ibid , p. 5 .

٣- Ibid, p. 5.

٤- Ibid, p. 5 .

٥- أدوارد جيبون، ولد فى ٢٧ أبريل ١٧٣٧م ، وتلقى تعليمه المبكر فى وستمنستر Westminster، وفى عام ١٧٥٢م انتقل لمواصلة تعليمه فى كلية ماجدلن Magdalen College فى اكسفورد ، وبعد إقامة قصيرة هناك، اتجه إلى لوزان Lausanne فى سويسرا ، حيث مكث ٥ سنوات اهتم فيها بدراسة اللغة الفرنسية والأدب الكلاسيكى والأعمال التاريخية والفلسفية البارزة ، ويقرر فازيليف أن تلك السنوات تركت أثراً كبيراً على عقلية الشاب ادوار جيبون وغدت سويسرا بالنسبة له بمثابة الوطن الثانى، وعندما عاد أدراجه إلى انجلترا نشر أول كتبه بالفرنسية بعنوان مقالة فى دراسة الأدب : Essai sur l'etude de la Literature

ويلاحظ أن أفضل طبعة للكتاب المذكور هى التى قام بها ج.ب. بيورى J.B. Bury التى صدرت خلال المرحلة من ١٨٩٧-١٩٠٠م، نظراً للتعليقات القيمة التى قام بها ذلك العالم على نص جيبون؛ على نحو أدى إلى إثرائه.

من الملاحظ أن الدراسات البيزنطية لم يقض عليها من خلال جهد مفكرى عصر الاستنارة؛ وفى هذا المجال نذكر جهد لـ ج.أ J.A. Fabrius الذى أصدر كتابه: Bibliotheia Graeca ؛ أى المكتبة اليونانية . وفيه يقدم مادة مهمة عن تاريخ الأدب البيزنطى فى (١٤) جزء، وطبع الكتاب المذكور فى مدينة هامبورج خلال المدة الواقعة بين عامى ١٧٩٠م، ١٨٠٩م.

مهما يكن من أمر ؛ فى نفس العام الذى اكتمل فيه إصدار كتاب فابريكوس أى عام ١٧٢٨م ، قام نيبور Niebuhr بوضع أساس «الجامع للكتابات التاريخية البيزنطية».

Corpus Scriptorum historiae byzantinae

المعروفة اختصاراً بـ (C.S.H.B.) وهى مجموعة على جانب كبير من الأهمية من حيث اشتمالها على (٥٠) مصدراً من المصادر التاريخية البيزنطية، ونجد فيها النص اليونانى مصحوبًا بالترجمة اللاتينية .

من جهة أخرى ؛ ظهر دور للمؤرخين الألمان فى صورة كارل كرامباشر Karl Krambucher (١٨٥٠-١٩٠٩م) الذى أصدر عند أخريات القرن التاسع عشر م كتابه عن تاريخ الأدب البيزنطى : Geschichte der byzantinischen literatur .

والعمل الذى يذكره له الباحثون فى حقل الدراسات البيزنطية ؛ تأسيس المجلة البيزنطية Byzantinische Zeitschrift والتى سرعان ما صارت مركزاً للدراسات البيزنطية فى الغرب الأوروبى، وأهمية دورها أنها زودت الباحثين بقاعدة ببليوغرافية أساسية لدراساتهم.

= وقد استقبل الكتاب المذكور بحفاوة فى فرنسا ، وهولندا ، ولكن بدرجة أقل فى إنجلترا ، ومن بعد ذلك اتجه جيبون إلى وجهة سياسية حيث انفق عامين ونصف فى الانضمام إلى ميليشيا هامبشير Hamp-shiere Militia التى تم تنظيمها خلال حرب السنوات السبع بين انجلترا وفرنسا، وفى عام ١٧٦٤م تأتت له فكرة كتابه الذائع الصيت تاريخ اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية ، على أية حال ؛ توفى ذلك المؤرخ البارز فى أخريات القرن الثامن عشر وتحديدا عام ١٧٩٤م . عنه أنظر :

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 8 .

وأيضًا : وسام عبد العزيز فرج. «الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقيقة الهوية»، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والإدارى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٢٧، حاشية، (٢٦) .

ويذكر لنفس المؤرخ الرائد: أن السمنار الذى كان يعقد فى مدينة ميونخ Munichen صار بمثابة مركز دولى للدراسات البيزنطية حيث قصده المؤرخون من أنحاء متعددة من أوربا كما قرر أستروجورسكى .

وعند نهاية القرن ١٩م حدثت نهضة كبيرة من خلال جهد عدد من العلماء الألمان فى صورة كل من كارل نيومان Karl Neumann وهنريش جلزرHeinrich Gelzer وقد ألف المؤرخ الأول كتابه: Die weltstelluny des byzantinischen Reiches von den Kreuzzgen, 1894 .

وإذا اتجهنا صوب الدراسات البيزنطية فى روسيا؛ نجد أن بداياتها كانت على يدى إرنست كونيك Ernest Kunick (١٨١٤-١٨٩٩م)، ويعد من كبار المؤرخين الرواد، وكان عضواً فى الأكاديمية الامبراطورية للعلوم فى بطرسبرج :

The imperial Russian Academy of Sciences in St. Petersburg

وقد قام بدور بارز فيما يتصل بالتأليف عن التاريخ الروسى، وما يتصل بمصادر التاريخ البيزنطى.

ونذكر كذلك إدوارد دى مورالت Eduard Muralt (١٨٠٨-١٨٩٥م) الذى اهتم بالدراسات الكرنولوجية (المزمنة) Chronological Studies، وله دراسته :

Essai de Chronographic byzantine

ووقعت فى جزأين، ط. سان بطرسبرج ١٨٥٥-١٨٧١ م، ويقرر أوستروجورسكى : أنها ذات فائدة على الرغم من أنها لم تعد دراسات حديثة وقت صدور كتاب تاريخ الدولة البيزنطية عام ١٩٤٠م.

على أية حال: فإن المؤرخ الذى يعد المؤسس الحقيقى للدراسات البيزنطية فى روسيا هو ف.ج . ڤاسيلجفسكيج V.G. Vasiljevskig (١٨٣٨-١٨٩٩م) ، وقد اهتم بدراسة العلاقات الروسية - البيزنطية ، ومما يذكر عنه تأسيسه دورية هى:

Vizantijskij Vremennik وذلك عام ١٨٩٤م.

وقد قدمت تلك الدورية ومعها byzantinische Zertschrift التى ظهرت قبلها بعامين أى عام ١٨٩٢م قدمت خدمات جليلة لباحث البيزنطيات.

ثم ظهر دور قام به ف.أ اوسبنسكج G.I. Uspenskij (١٨٤٥-١٩٢٨م) وقد اهتم بالدراسات الآثارية البيزنطية من خلال معهد عمل على إدارته وبصفة عامة؛ يوصف بأنه قام بدور بارز فى تطوير الدراسات البيزنطية فى روسيا .

على أية حال ؛ حققت الدراسات البيزنطية نقلة نوعية من خلال جهد العلامه فازيليف Vasilev [1] الذى عشق التاريخ البيزنطى حتى النخاع ، وألف عدة مؤلفات أهمها :

- كتابه : بيزنطة والعرب Byzantce et les Arabes , ed. Bar H. Gregoire et M. Canard, 3 viols , Brussel 1959 .

وقد وقع فى ٣ أجزاء ، ونشره هـ. جريجوار وماريوس كنار فى بروكسيل عام ١٩٥٩م، ويلاحظ هنا أن محمد عبد الهادى ترجم جزءاً واحداً من ذلك العمل الموسوعى .

- ثم كتابه : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وقد ألفه باللغة الروسية.

وقد تمت ترجمة الكتاب المذكور إلى الإنجليزية وصدر فى جزأين فى ماديسون بالولايات المتحدة الأمريكية عامى ١٩٢٨-١٩٢٩م :

Vasiliev, History of the Byzantine Empire , 2 vols, Madison 1928-1929 .

كذلك ظهرت له طبعة أخرى عام ١٩٥٢م.

١- يقدم لنا ميلتون ف. أناستوس إشارات مهمة عن شخصية العالم الروسى الكبير الكسندر الكسندروفتش فازيليف Alexandre Alexandrovich Vasiliev وقد وصف بأنه «توحد» مع تاريخ الامبراطورية البيزنطية وعمل فى جامعة وسكنسون Wisconson فى الولايات المتحدة الامريكية ، ونعرف أنه لم يتزوج وظل عاكفًا على كتابة مؤلفات فى التاريخ البيزنطى وتدريسه لتلاميذه ، وقد أفادته كراهيته للمرأة حيث وصف بأنه "misogypist" فى الإنصراف كلية إلى عشق التاريخ البيزنطى والتأليف فى مجاله . ويقرر نفس المؤلف؛ أنه إنخرط فى البكاء عندما كان يحاضر تلاميذه عن سقوط القسطنطينية ويفهم من السياق العام للمقالة أن ذلك السقوط هو الخاص بعام ١٤٥٣م ومن المعلومات المهمة ذات المفارقة «التاريخية»، ما ذكره نفس الباحث من أن فازيليف:توفى عن عمر يبلغ السادسة والثمانين (٨٦ عامًا) فى يوم ٢٩ مايو ١٩٥٣م، وهو يوافق الذكرى الخمسمائة لسقوط القسطنطينية فى ٢٩ مايو ١٤٥٣م؛ وهكذا فقد رحل فى نفس اليوم الذى انتهى فيه التاريخ البيزنطى ذاته الذى عشقه ! عن ذلك أنظر:

Anastos , " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies, a Personal Account " , in Laion and Maguire (eds). Byzantium A World Civilization, D.O. Washington 1992, p. 10 .

يلاحظ أن أهمية الكتاب المذكور لاترجع فقط إلى إحاطة المؤلف بكافة دقائق التاريخ البيزنطى، والعلاقات بين البيزنطيين والمسلمين، بل استخدامه عدة لغات قديمة وحديثة فى بحثه التاريخى، ثم إنه زود كتابه بقائمة ببليوغرافية ثرية يندر وجودها فى كتاب آخر فى عصره ، ولايزال هذا الكتاب- على نحو خاص- عمدة الدراسات البيزنطية ، وعلى مدى نصف قرن من صدور الترجمة الإنجليزية له؛ لم يتمكن باحث آخر من أن يقدم لنا دراسة مسحية للتاريخ البيزنطى سياسيًا بمثل تلك الكفاءة دون إغفال أهمية كتاب اوستروجورسكى عن تاريخ الدولة البيزنطية.

يبقى أن نذكر ؛ أن كتاب فازيليف عن تاريخ الامبراطورية البيزنطية له ترجمة فرنسية صدرت فى باريس عام ١٩٣٢م عنوانها :

Histoire de L'empire byzantine , 2 vols , Paris 1932 .

كذلك صدرت ترجمة تركية له عام ١٩٤٣م ومن بعد ذلك ؛ ظهرت ترجمة أسبانية عنوانها:

Historia del impero Bisantino 2 vols , Barcelona 1948 .

ولانزاع فى أن صدور عدة ترجمات للكتاب المذكور يدل على الحرص على الإفادة منه من جانب أكبر قطاع من الباحثين من خلال ترجمة لعدد من اللغات الأوربية وكان الأجدر بالعرب أن يترجموه منذ عقود مضت .

ولانغفل من بين المؤرخين الروس ما ألفه المؤرخ كلاكوفسكيج Kulakovskij الذى ألف كتابًا عن تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من عام ٣٩٥ إلى ٧١٧م ، ووقع فى ٣ أجزاء ، وصدر فى كييف Kiev خلال المرحلة من ١٩١٣ إلى ١٩١٥م.

مهما يكن من أمر، يقرر اوستروجورسكى؛ أن الدراسات البيزنطية فى روسيا تقدمت من خلال إصدار دورية تضاف إلى الدورية السالفة الذكر فى صورة: Vizantijskoe Obozienie أو ما عرف بالمجلة البيزنطية .

أما إذا ما اتجهنا صوب إنجلترا؛ فلابد من ذكر المؤرخ الكبير بيورى (١٨٦١-١٩٢٧م)

ويصفه استروجورسكى بأنه كان من الرواد وأنه إمتلك ندرة بارزة على النقد والتحليل [١]، وقد أصدر كتابه : History of the Later Roman Empire وتناول فيه المرحلة من ٣٩٥ إلى ٨٠٠م ، ووقع فى جزأين .

كما ألف كتابه : History of the Eastern Roman Empire وأصدره عام ١٩١٢م.

كما يذكر لبيورى؛ تأليفه دراسة عن النظام الإدارى للإمبراطورية البيزنطية فى القرن التاسع الذى صدر عام ١٩١١م.

The Imperial Administration in the ninth century , London 1911 .

ويلاحظ ؛ أن بيورى ترك مؤرخين من خلفه مثل نورمان بينز Norman Panes؛ الذى اهتم بالمرحلة المبكرة من التاريخ البيزنطى، وكذلك فى المرحلة المتأخرة من العصور الوسطى وخاصة مجال العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى نطاق بحر إيجه Aegean Sea [٢].

ومما يذكر عنه تأليف دراسته الشهيرة عن الإمبراطورية البيزنطية الصادرة فى لندن عام ١٩٢٦م.

History of the byzantine Empire , London 1926 .

والواقع أننا بعد ثلاثة أرباع قرن من الصعب أن نجد دراسة مناظرة لها على الرغم من الطفرة المعرفية فى العقدين الأخيرين على نحو خاص مما عكس ريادته المستمرة.

كما نذكر أمر تاريخ كمبردج الوسيط Cambridge Medieval History الذى تم التخطيط له من جانب بيورى، وقد تم تخصيص عدة أجزاء لتناول التاريخ البيزنطى مثل الجزء الأول الصادر عام ١٩١١م، والثانى الصادر عام ١٩١٣م . وصدر الجزء الرابع عام ١٩٢٣م ، ونعرف أن الجزء الرابع احتوى تناولاً للمرحلة الواقعة من عهد ليو الثالث الأيسورى (٧١٧-٧٤١م) حتى عهد الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر (١٤٤٨-١٤٥٣م) [٣].

١- Ostrogorsky , History of The Byzantine State, p. 11 .

٢- Ibid , p. 11 .

٣- Ibid , p. 18 .

كذلك لانغفل دور بارز للمؤرخ الإنجليزى السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman الذى ألف عدة مؤلفات رائدة فى التاريخ البيزنطى أهمها :

- History of the First Bulgarian Empire, London 1930 .

- The Byzantine Civilization, New York 1956 .

- The Eastern Schism, Oxford 1956 .

كذلك ظهر فيما بعد عدد من الباحثين الغربيين من أمثلتهم براند Brand، وهسى Hussey وبروكس Brooks ، وبراون Brown، وبرونج Browning، وكاهن Cahen، وشابمان Chapman، وخرانيس Vharanis، وكولمان Coleman ، وكونستانتيس Constantinides ، وديل Diehl، وإيڤانز Evans وجيرو Gero، وجارلاند Garland ، وجرانت Grant، وكريستديدز Christides، وماجدولينو Magdalino، ودوڤريتك Dovrnik، وجيناكوبوليس Geanakoples، وجيل Gill، وهيرن Herrin، وجونز Jones، وابولونسكى Obolensky، وميندورف Meundorff وبرايس Brice، وبيرن Byrne، وكنار Canard، ودايجرون Dagron ، ومانجو Mango، وايكونوميد Oikonomide وجوجى Jugie، وليل Lille، وكزدان Kazhdan وهوتون Hutton، ورايس Rice، وماكريدس Macrides وغيرهم.[١]

أما فيما يتعلق بالقواميس ؛ فنذكر من أمثلتها الكسندر كزدان (رئيس تحرير) قاموس أكسفورد للبيزنطيات ، فى ٣ مجلدات ط. أكسفورد ١٩٩١م.

Alexander , p. Kazhdan (ed.), The Oxford Dictionary of Byzantium, Oxford 1991 .[٢]

وقد شارك فى إصداره فريق عمل ممتاز عبارة عن عشرات الباحثين البارزين فى حقل الدراسات البيزنطية ومن أبرزهم أليس – مارى تالبوت Alice - Mary Talbot

وأنتونى كتلر Antony Culter وهو محرر تاريخ الفن .

١- عن بعض مؤلفاتهم أنظر: قائمة المراجع الأجنبية نهاية الكتاب.

٢- سيلاحظ القارئ دون عناء اعتمادى إلى حد كبير على القاموس المفصل المذكور فى إعداد المدخل البيبليوغرافي نظراً لأهميته الخاصة.

وتيموثى إى جريجورى Timothy E. Gregory وهو محرر علم الآثار ، والجغرافيا التاريخية .

ونانى ب سفسنكو Nany P. Sevcenko أما رئيس التحرير فهو الكسندر كازدان Alex-ander Kazhdan وهو من كبار مؤرخى الدراسات البيزنطية حاليًا على مستولى العالم.

ويعد القاموس المذكور من أشمل ما صدر فى التاريخ البيزنطى وأحتوى على مئات المواد المتصلة به فى الجوانب السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والقانونية والدينية ، والآثارية ، وما أتصل بالنقوش والعملات وغيرها ، ومثل هذا الكتاب الجامع الشامل لايستغنى عنه الباحث فى التاريخ البيزنطى ، وتاريخ الحروب الصليبية أيضًا .

ومن الممكن العودة إلى المؤلفات الحديثة عن ببليوغرافيا التاريخ البيزنطى لمعرفة المؤرخين واسهاماتهم[١].

كذلك ؛ لانغفل ما ألفه دونالد أتووتر Donald Attwater تحت عنوان: قاموس بنجوين للقديسين ، الصادر فى لندن عام ١٩٧٧م.

Attwater, The Penguin Dictionary of Saints , London 1977.

وهو كتاب يقع فى (٣٦٣) صفحة وذو أهمية كبيرة حيث احتوى على تراجم أكثر من (٧٥٠) قديس من قديسى الكنيسة الشرقية والغربية والمؤلف متخصص فى سير القديسين Hagiography.

جدير بالإشارة ؛ لايمكن للباحث فى مجال الدراسات البيزنطية أو الغرب الأوربى فى العصور الوسطى الاستغناء عن الكتاب المذكور.

وهناك أيضًا ما ألفه ج.ت.د. كيلى عن قاموس البابوات الصادر فى أكسفورد عام ١٩٩٦م.
Kelly , Dictionary of Popes , Oxford 1996 .

١- من المهم للغاية الرجوع إلى كتاب فهرس مؤلفى الدراسات البيزنطية الذى أعده جليسافيدا س. الان والصادر من جانب مركز دامبرتون اوكس فى واشنطن عام ١٩٨٦م.

Jelisaveta S. Allen Author Index of Byzantine Studies, Washington 1986 .

ويجد فيه القارئ مادة ببليوغرافية مفصلة وأتمنى أن يقوم أحد الباحثين العرب بإعداد دراسة ببليوغرافية في تاريخ الامبراطورية البيزنطية وبالتالى يسد ثغرة طالما وقفت حائلاً دون تطوير تلك الدراسات.

ويقع فى (٣٤٩) صفحة، واحتوى على تراجم بابوات كنيسة روما من القديس بطرس St.Peteo مؤسس تلك الكنيسة حتى البابا يوحنا بول الثانى John Paul (١٩٧٨-٢٠٠٥م) وهو مثل سابقه صغير الحجم كبير القيمة.

وهناك قاموس اللاهوت الكاثوليكى فى ١٥ جزء بدأ صدورها فى باريس عام ١٩٢٣م.

- Dictionnaire de Theologie Catholique, 15 Tomos Paris, 1923 , sqq.

كذلك لانغفل ما ألفه دونالد نيكول تحت عنوان:

قاموس التراجم للإمبراطورية البيزنطية الصادر فى لندن عام ١٩٩٠م.

- Nicol, Biographical dictionary of the Byzantine Empire, London 1991 .

ويحتوى الكتاب المذكور ، على عشرات التراجم لأعلام التاريخ البيزنطى سواءً من الأباطرة، أو البطاركة أو المؤرخين ، وغيرهم . ومثل هذا القاموس من الصعب تجنب استخدامه خاصة أن مؤلفه من أعلام التاريخ البيزنطى المعاصرين.

وقد قام العلامة الراحل أ.د. حسن حبشى بترجمته إلى العربية تحت عنوان: معجم التراجم البيزنطية ، وصدر بالقاهرة عام ٢٠٠٣م ويلاحظ أنه لم يزوده بتعليقات على عكس ما حدث لدى ترجماته السابقة الخاصة لدى المصادر البيزنطية والصليبية ، ومع ذلك قدم لنا عملاً متكاملاً فى فن الترجمة الرصينة من الإنجليزية إلى العربية كعهد الباحثين بذلك المؤرخ والمترجم والمحقق الرائد.

أما فيما يتصل بالعالم العربى، واهتمامه بالدراسات البيزنطية ؛ فيلاحظ أن مصر - دونما مبالغة أو حماس وطنى- كانت الرائدة فى ذلك الحقل من الدراسات التاريخية قبل غيرها من شقيقاتها العربيات ، وقد بدأ الاهتمام بها؛ خلال الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ثم من بعد ذلك ، وكان من الطبيعى أن تظهر إلى الوجود مرحلة الترجمة نظراً لعدم توافر دراسات متعددة بالعربية تغطى تاريخ الامبراطورية البيزنطية بصورة بانورامية عامة ، ومن أمثلة ذلك قيام د. مصطفى طه بدر بترجمة كتاب شارلز أومان بعنوان الإمبراطورية البيزنطية . وقد صدر بالقاهرة عام ١٩٥٣م .

١- عنه أنظر : محمد مؤنس عوض، عصر الحروب الصليبية ، بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م ، ص٢٥٥-٢٦٥ . حيث تم تخصيص مقال عن المؤرخ الراحل.

ثم من بعده قام أ.د. حسين مؤنس بالإشتراك مع محمود زايد بترجمة كتاب نورمان بينز بعنوان الإمبراطورية البيزنطية وصدر ذلك العمل فى القاهرة عام ١٩٥٧م، كذلك إتجه أ.د. محمد عبد الهادى شعيرة إلى ترجمة جزء من كتاب فازيليف بعنوان العرب والروم وصدر فى القاهرة دون تاريخ للطباعة[١]. كما حدث تطور مبكر مهم عندما ترجم أول كتاب من مؤلفات السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman فى حقل الدراسات البيزنطية فى صورة الحضارة البيزنطية من جانب عبد العزيز توفيق جاويد فى القاهرة عام ١٩٦١م، وهو مترجم كفيف كان مبصراً بنور البصيرة [٢]! ساهم فى ترجمة عدة دراسات فى التاريخ البيزنطى والغرب الأوروبى فى العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر؛ إلى جانب الترجمة هناك مؤرخون مصريون ألفوا مؤلفات رائدة ونذكر فى هذا الصدد : المؤرخ أ.د. محمد عبد الهادى شعيرة الذى ألف دراسة عن الصراع بين العرب والبيزنطيين، فتح وتنظيم الحدود فى القرنين السابع والثامن الميلاديين، وقد صدر ذلك العمل بالفرنسية فى الاسكندرية عام ١٩٤٧م[٣].

Cheira , la Lutte entre Arabes et Byzantins : la Conquête et l'Organization des Frontieres aux VII et VIII Siecle, Alexandria 1947 .

وبالتالى يمكن القول - دونما مبالغة أو إعتساف فى الأحكام - أن ذلك المؤرخ هو الرائد العربى الأول فى التأليف الأكاديمى عن تاريخ بيزنطة وإن كان عمله الأول صدر بالفرنسية وليس بالعربية ، وفى وقت مبكر أى عام ١٩٤٧م، وأصدره فى الاسكندرية دون القاهرة

١- عن المقرر أن الجزء الذى ترجمه محمد عبد الهادى شعيرة هو الجزء الأول، عن ذلك أنظر:

الأمين أبو سعده ، «بيزنطة فى الملاحم العربية قراءة فى سيرة الأميرة ذات الهمة، ص٣٤٣ .

٢- ولد ذلك المترجم البارز الراحل بالقاهرة ، وتدرج فى مراحل التعليم المختلفة إلى أن تخرج فى مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٩م، واشتغل بالتدريس إلى أن وصل إلى منصب وكيل مدرسة مصر الجديدة الثانوية فمديراً للمركز الرئيسى للتدريب بوزارة التربية والتعليم . وقد ترجم عدد آخر من المؤلفات عن الإنجليزية وحصل على جائزة الدولة التشجيعية فى الترجمة عام ١٩٨١م. كما نال وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، عنه أنظر ما كتب عنه ترجمة كتاب رنسيمان ، الحضارة البيزنطية.

٣- عن محمد عبد الهادى شعيرة ، محمد مؤنس عوض. رواد تاريخ العصور الوسطى فى مصر ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م.

وبالتالى تكون عروس البحر المتوسط قد شهدت ميلاد تلك الدراسات. ولانغفل كذلك إبراهيم العدوى؛ وقد ألف مقالاً رائداً بعنوان : «أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى» ونشر فى المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م. وفى العام التالى مباشرة : أى عام ١٩٥١م، أصدر كتابًا عن الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٥١م .

ويلاحظ أن خمسينيات القرن العشرين شهدت أيضًا صدور مؤلفات رائدة بالعربية فى التاريخ البيزنطى ، ونذكر فى هذا الصدد إصدار إبراهيم طرخان كتابه الحركة اللاأيقونية فى الدولة البيزنطية ، وصدر فى القاهرة عام ١٩٥٦م وقيمة الكتاب المذكور أنه تناول موضوعًا جزئيًا ارتبط بالأسرة الأيسورية فى الأصل، وخصص له ذلك الكتاب الرائد.

كذلك أصدر السيد الباز العرينى كتابًا عن أجناد الروم بالقاهرة عام ١٩٥٦م، مما يدل على أن العام المذكور شهد بداية التأليف التاريخى المتخصص فى موضوعات محددة من التاريخ البيزنطى.

وقد واصل ذلك المؤرخ الرائد إصداراته فقام بخطوة مهمة حيث أصدر ترجمة لكتاب والى المدينة ، ونشر عمله فى مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة مجلد (١٩، ج (١) مايو ١٩٥٧م، ويعد ذلك بمثابة أول ترجمة لمصدر بيزنطى إلى العربية خلال ذلك الوقت المبكر.

من جهة أخرى؛ قام المؤرخ اللبنانى أسد رستم باصدار كتابه الرائد الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب فى جزأين ، عامى ١٩٥٥م، ١٩٥٦م وقيمة ذلك الكتاب تتأتى من خلال إدراكنا أن صاحبه طالع المصادر التاريخية البيزنطية خلال تلك المرحلة المبكرة، وقدم لنا كتابًا مفصلاً يتناول التاريخ البيزنطى منذ البداية حتى النهاية من خلال الجانبين السياسى والحضارى، ومن الملفت للانتباه : أن هذا العام (٢٠٠٦م) ، يمر نصف قرن على صدور الجزء الثانى من ذلك الكتاب الرائد الذى أعده مؤرخ لبنانى بارز.

يضاف إلى ذلك : شهدت مرحلة الستينيات صدور مؤلفات مهمة فى مصر ، وكذلك لبنان، وسوريا وبالنسبة للأولى، نذكر ما ألفه عمر كمال توفيق تحت عنوان: مقدمات العدوان الصليبى الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية الذى صدر فى الاسكندرية عام ١٩٦٦م، ثم فى العام التالى مباشرة أصدر كتابه الإمبراطورية البيزنطية فى نفس المدينة ، وقد حدث ذلك بعد أن عاد من بعثته العلمية فى بنسلفانيا Pennsylvania بالولايات المتحدة الامريكية حيث اشتهرت الجامعة المذكورة بدراسات العصور الوسطى.

ثم أصدر فتحى عثمان دراسته الموسوعية الرائدة بعنوان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، وذلك فى ٣ أجزاء وصدر بالقاهرة عام ١٩٦٦م، وتعد دراسة متميزة من خلال اهتمام مؤلفها بالزاويتين الحربية والحضارة وتمتاز بغزارة التفاصيل ويعد كتابه أول عمل أكاديمى عربى يقع فى ٣ أجزاء كاملة، ولم يسمع من قبل عن مؤرخ عربى يؤلف كتابًا فى عدة أجزاء عن التاريخ البيزنطى قبل ذلك المؤرخ الرائد، وإن تكرر فيما بعد فى صورة أ.د. رأفت عبد الحميد وكتابه الدولة والكنيسة .

وفيما بعد؛ وفى مطلع السبعينيات، أصدر المؤرخ الرائد أ.د. إسحق عبيد دراسته بعنوان روما وبيزنطة الصادر فى القاهرة عام ١٩٧٠م وهى فى الأصل أطروحة الدكتوراه التى أعدها من جامعة نوتنجهام بانجلترا باشراف برنارد هاملتون Bernard Hamilton، وتمتاز هذه الدراسة بأنها تقدم لنا عرضًا موثقًا يعتمد على المصادر البيزنطية واللاتينية فى المقام الأول على تطور العلاقات بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى على مدى عدة قرون.

من بعد ذلك ، نجد مؤرخًا بارزاً فى التاريخ الكنسى هو الراحل أ.د. رأفت عبد الحميد وأهم إسهاماته كتابه الدولة والكنيسة فى ٤ أجزاء .

كذلك نشير إلى مؤلفات عدد من المؤرخين[١] كل من العرب البارزين مثل أ.د. عليه الجنزورى ، أ.د. ليلى عبد الجواد، أ.د. عفاف صبره ، أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج [٢]، أ.د. جوزيف نسيم يوسف ، أ.د. محمد مرسى الشيخ ، أ.د. محمود عبد الغنى عبد العاطى ، أ.د. حسنين ربيع ، أ.د. عادل زيتون، أ.د. نعيم فرح ، د. عبد السلام زيدان وغيرهم.

١- عن مؤلفاتهم أنظر قائمة المراجع العربية والمعربة.

٢- من الملاحظ أن ذلك المؤرخ على نحو خاص تتميز مؤلفاته ، وذلك بعد عودته من بعثه إلى مركز الدراسات البيزنطية فى جامعة بترجمتها فى انجلترا، وقد تناول دراسات ذات طابعين سياسى وحضارى ، وذلك بالاعتماد على المصادر التاريخية البيزنطية وكذلك المؤلفات الحديثة خاصة الدوريات ، ويجد القارئ عدداً من مؤلفاته فى قائمة المصادر والمراجع وقد جعل من كلية الآداب- جامعة المنصورة مركزا بحثيًا مهمًا لمجال الدراسات البيزنطية وأشرف على عدة أطروحات علمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه.

تلك ملامح الكتابات العلمية المصدرية أو المرجعية الأجنبية والعربية والمعربة ؛ أما المصادر الأخرى للتاريخ البيزنطى مثل الآثار، والنقوش، والنقود فتقدم عرضًا موجزاً لأهم الدراسات عنها .

وفيما يتصل بالآثار البيزنطية ، يمكن الإشارة إلى أمثلة بعض المؤلفات المهمة وهى كالآتى :

- Ross, Catalogue of the Byzantine and Early Medieval Antiquities in the Dambarton Oaks Collection , vol . 1-2 , Washington 1962-1965 .

vol . 3, by Weitzmaun, 1972 .

- Hamilton , Byzantine architecture and Decoration, London , 1958 .

- Foss (C.) , Winfield (D.) Byzantine Fortificatinus : An Introduction, Pretoria 1986 .

- Grabar (A.), L'Iconoclasme byzantine : le dossier. archaeologique , Paris 1984 .

- The Great Palace of Byzantine Emperors , being a first Report on The exclavations carried out in Istanbul on behalf of the Walker Trust, University of St. Andrews 1935- 1938 , London 1947 .

- Jackson, Byzantine and Romanesque Architectue , Cambridge 1930 .

وفيما يتعلق بالموازيكو البيزنطى أنظر:

Furlan (1) , le Icone byzantine a mosaico , Mylan 1979 .

Demus (O.), The Mosaics of Norman Sicily , London 1949 , Byzantine Mosaic Decoration, London 1976, The Moosaics of San Marco in Venice , 2 vols., Chicago 1984 .

والباحث المذكور متخصص فى أعمال الموزايكو البيزنطى[1].

١- وفى معرض تناولنا لأمر نماذج من المؤلفات الخاصة لأثار البيزنطية أود الإشارة إلى أن هناك مجلة =

أما النقوش البيزنطية ؛ فتشير فى أمرها إلى المؤلفات التالية :

- Corpus Inscriptionum Graearum , 4 vols ., Berlin 1828-1877 .
- Recueil des Inscriptions Grecques Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

(ويلاحظ أنه تم إيرادهما من قبل لدى مجموعات المصادر) .

كما أن هناك دراسات مهمة فى هذا المجال من أمثلتها:

Millet (G.), Inscriptions Chretiennes de L'Athos, Paris 1904 .
- Le Fevre (G.), Inscriptions Chretiennes d'Egypte, le Carie 1907 .
- Gregoire (H.) , Inscriptions Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

أما العملة البيزنطية؛ فهناك دراسات قليلة ومهمة عنها بالفرنسية ، والإنجليزية نذكر من أمثلتها:

- Sabatier (J.), Description Generale des monnies byzantines, 2 vols , Paris 1863 .
- Wroth (W.), Catalogue of Byzantine (Coins in the British Museum, 2 vols ., London 1908 .
- Fagerlie (J.M.), Late Roman and Byzantine Solidi Found in Sweden and Denmark , New York 1967 .
- Witting (P.), Monnaies Byzantine Paris 1975 .

= سنوية تصدر من جانب المعهد البريطانى للآثار فى أنقرة، British Institute of Archaeology at Ankara's Journal .

كذلك هناك مجلة دراسات أناضولية Anatolian Studies ولانغفل التقرير الأثرى :

Archaelogical Report

وهو تقرير سنوى يصدر كملحق لمجلة الدراسات الهللينية: Journal of Hellenic Studies.

عن ذلك انظر: Whittow , The Making of Byzantium 600-1025, p. 426 .

- Grieson (p. Byzantine Coins, London 1982 .

- Hendy (M.F.), Coinage and Money in The Byzantine Empire 1081-1261 , Dumbarton Oaks , Washington 1964 .

- Studies in the Byzantine Monetary Economy 300-1450 , Cambridge 1984 .

- Catalogue of the Byzantine Coins in the Dumbarton Oaks Collection and in The Whistemore Collection , ed. by Alfred R. Bellinger and Philip Grierson: vol . I. : الجزء الأول

من أناستاسيوس إلى موريس ٤٥١-٦٠٢م .

Anastasius I to Maurice, 451-602, 1966 .

الجزء الثانى : vol . II

من فوكاس إلى ثيودسيوس الثالث ٦٠٢-٧١٧م.

Phocas to Theodosius III, 602-717, 1968 .

الجزء الثالث : Vol . III

من ليو الثالث إلى نقفور الثالث ٧١٧-١٠٨١م.

Leo III to Nicephorus III 717-1081, 1973 .

وهكذا ؛ فإن ذلك الكاتالوج يحتوى على نماذج من العملات البيزنطية من منتصف القرن الخامس م حتى أوائل ثمانينيات القرن الحادى عشر م.

وبصفة عامة ؛ يعد هندى أهم من اهتم بدراسة العملة البيزنطية.

- Lopez (R.) , "The Dollar of The Middle Ages", J.E.H., vol . II. 1951 , pp. 209-234 .

ذلك مدخل ببليوغرافى أولى عن التاريخ البيزنطى من خلال النماذج المختارة ، أما الصفحات التالية فيتم تخصيصها لبحث مشكلات دراسة تاريخ الامبراطورية البيزنطية.

أما المشكلات المنهجية التى تواجه الباحث فى دراسة التاريخ البيزنطى فهى تحتل أهمية كبيرة؛ فالباحث الذى لايدركها ؛ يكرر ما قاله المؤرخون الآخرون دون دراية بالقضايا المنهجية

التى هى أساسية فى التعامل مع المصادر التاريخية، وكذلك الدراسات الحديثة ، ويلاحظ هنا؛ أن دراسة وقائع التاريخ من زاوية المشكلات المنهجية من شأنه استنطاق موضوعى للنصوص المصدرية والمرجعية، وفى نفس الحين يعين ذلك على التوصل إلى زوايا متجددة فى تاريخ تلك الإمبراطورية ، وفى تصورى أنه لاجدوى من دراسة ذلك الفرع من الدراسات التاريخية الخاصة بآسيا الصغرى، وشرقى أوربا في القرون الوسطى دون دراسة إشكالياته المنهجية ؛ فهى المدخل الحقيقى والأساس العلمى الذى لايمكن تجنبه .

والواقع أن مشكلات دراسة التاريخ البيزنطى متعددة ويمكن إجمالها فى الآتى:

أولاً: الامتداد الزمنى للتاريخ البيزنطى؛ إذ عَمَّرت الامبراطورية البيزنطية على مدى المرحلة الواقعة من القرن الرابع م إلى القرن الخامس عشر (تحديداً من ٣٣٠ إلى ١٤٥٣ = ١١٢٣عامًا) ؛ وهى بالتالى تعد أطول كيان سياسى «معمر» على مدي العصور الوسطى، وبالتالى فاقت بمراحل من قبل الإمبراطورية الرومانية التى عمرت خمسة قرون إلى أن سقطت على أيدى الجرمان عام ٤٧٦م ، وكذلك الامبراطورية الرومانية المقدسة التي عمرت من القرن العاشر م إلى القرن السادس عشر؛ كما فاقت دولة الإسلام فى الأندلس التى عمرت ثمانية قرون، والدولة العباسية التى امتدت نحو ستة قرون، ومعنى ذلك؛ أن الامبراطورية البيزنطية تعد الكيان المعمر الأول فى عالم العصور الوسطى وقد أدى ذلك الامتداد الزمنى الغير مسبوق إلى تعدد الظواهر التاريخية بها، وتعدد العلاقات الدولية بين تلك الامبراطورية وغيرها من القوى المجاورة مثل القوط والروس والبلغار، والماجيار، والنورمان ، والسلاف ، والمسلمين ، والصليبيين ، وغيرهم، على نحو لانجده لدى أى كيان سياسى آخر فى مرحلة العصور الوسطى، ويلاحظ أن تاريخ بيزنطة لاينفصل عن تاريخ علاقاتها مع جيرانها حربًا أم سلمًا على مدى أحد عشر قرنًا من الزمان، وبالتالى ؛ فإن مؤرخها المحدث عليه معرفة أوضاع تلك القوى المجاورة بالضرورة .

من زاوية أخرى ؛ أدي ذلك الامتداد الزمنى العابر للقرون إلى تصور بعض المؤرخين أن بيزنطة تمثل ظاهر تاريخية فريدة وأنها تعبر عن المقدرة الفائقة على الاستمرار والبقاء فى التاريخ، ومن ثم درس عدد من المؤرخين عوامل استمرارها[1] واعتبروا الأمر«خصوصية

١- من أمثلة تلك الدراسات : عمر كمال توفيق، ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٢٥-٣١ ، جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص٢٧-٣٢ .

تاريخية بيزنطية » ؛ مع ملاحظة ان الاستمرار فى التاريخ ينبغى ألا يقاس بالمقياس الزمنى فقط، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها.

ولانغفل ؛ الإشارة إلى أن ذلك الوضع جعل المؤرخين الذين أرادوا التخصص فى دراسة التاريخ البيزنطى فى مشكلة حقيقية، إذ كيف يمكن الإحاطة بأحداث أكثر من أحد عشر قرنًا من الزمان بصورة علمية ودقيقة ؟ وفى تقديرى؛ أن المتخصص فى ذلك المجال من مجالات الدراسات التاريخية المتصلة بشرقى أوروبا وآسيا الصغرى فى القرون الوسطى يتخصص فى زاوية محددة ثم يحيط - قدر إمكانه - بأهم ملامح التاريخ البيزنطى، وهو وضع أملته طبيعة دراسة تلك الإمبراطورية.

ولانغفل كذلك؛ اتجاه الباحثين إلى تقسيم التاريخ البيزنطى إلى عصور فى صورة العصر المبكر ، والأوسط، والمتأخر، وهو أمر ما كان يحدث فى حالة اقتصاره على عدد محدود من القرون.

ثانيا : النطاق الجغرافى للإمبراطورية البيزنطية وانعكاساته فيلاحظ أن تلك الامبراطورية شملت مناطق واسعة وامتدت فى مرحلة من مراحل تاريخها مثلما حدث خلال مرحلة من القرن السادس الميلادى من نهر الفرات شرقًا إلى المحيط الاطلنطى غربًا، والأمر المؤكد أن ذلك الوضع ألقى على حكام القسطنطينية تبعات متعددة فى إدارة ذلك الامتداد المتسع بما احتواه عن شعوب، وأمم، وأقوام متباينة ذات أبعاد انفصالية عن المركز.

ومع ذلك ؛ فإن النطاق المذكور لم يكن ثابتًا ، بل لحقته تغيرات متعددة على مدى التاريخ البيزنطى المديد، ففى القرن السابع الميلادى وكنتيجة للتوسعات تم إخضاع بلاد الشام ومصر والشمال الافريقى وخرجت بالتالى من نطاق السيادة البيزنطية ، وفيما بعد فى النصف الأول من القرن الخامس عشر م، وفى عهد الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر لم يكن له من نفوذ سوى على القسطنطينية فقط، وذلك قبيل سقوطها فى أيدى الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م.

كذلك لانغفل ؛ أن ذلك النطاق الجغرافى امتاز بتعدد مظاهر السطح فيه بين مناطق جبلية وسهلية وتعددت موارده الاقتصادية ونشاط السكان فيه، وفرض ذلك بالتالى على الباحث فى تاريخه إدراك كافة تلك المظاهر الجغرافية المتباينة من أجل فهم الأحداث التاريخية ذاتها.

وهكذا ؛ يتأكد للمرء أن تلك الامبراطورية مثلت كيانًا سياسيًا معقداً من حيث زاويتى الزمان والمكان، مع عدم إغفال أن « «الزمان» البيزنطى كان أكثر استقراراً من «المكان» بحكم استمرارية الأول وتغير الثانى.

تجدر الإشارة ؛ أن ذلك الإتساع المكانى ، ومن قبل الزمانى- السالفى الذكر- انعكس بالضرورة على حجم التراث التاريخى المصدرى المكتوب عن الامبراطورية البيزنطية وهى التى دخلت فى علاقات سياسية وحضارية متشعبة مع مختلف القوى المجاورة لها، وحتى البعيدة جغرافيًا عنها بحكم رابطة المصالح المتبادلة على كافة الأصعدة والمستويات، وهكذا ؛ وجدنا مصادر تاريخية - إلى جانب البيزنطية بطبيعة الحال- روسية، وألمانية، وفرنسية، وسريانية وأرمينية ، وعربية على نحو يجعل المؤرخ الذى يتصدى بالكتابة عن تلك الامبراطورية يفاجأ بوجود كم مصدرى يصعب إحصاؤه؛ وهو أمر ما كان من الممكن أن يحدث فى حالة محدودية النطاقين الزمانى ، وكذلك المكانى.

من الملاحظ ؛ أن الزاوية المذكورة تتأكد لنا عندما نجد مصادر تاريخية متعددة لحادثة واحدة، ونلاحظ تعدد مشارب المؤرخين وانتماءاتهم الدينية والسياسية على نحو يجعل التوصل إلى الحقيقة التاريخية أو محاولة الاقتراب منها أمراً شاقًا، وهناك من يرى أن ذلك يعد مكسبًا لذلك التاريخ نظراً لكون اختلاف المصادر التاريخية من شأنه إثراء الكتابة التاريخية ذاتها، نجد أن ذلك يمثل جانبًا واحداً من وجهى القضية ، وعلى هذا الاعتبار ؛ نجد أن ذلك التنوع يدعم الإشكالية العامة لدراسة التاريخ البيزنطى، بل من الممكن القول أن من الصعوبة بمكان أن يحاول الباحث المتخصص فى ذلك النوع من الدراسات التاريخية المتصل بآسيا الصغرى وشرقى أوروبا الاحاطة الشاملة بالمصادر التاريخية ، نظراً لتعددها البالغ كما وكيفًا ناهيك عن تعدد اللغات التى كتب بها تلك المصادر .

وهكذا ؛ يتضح لنا بجلاء ؛ أن الاتساع الزمانى وكذلك المكانى كان له أثره الواضح على الكتابة التاريخية المصدرية ذاتها، على نحو دعم إشكالية كتابة التاريخ البيزنطى ذات الأوجه المتعددة.

ومن المهم هنا الاقرار، أن جانبى الزمان والمكان لايمكن دراستهما بصورة منفصلة بعد الأخرى نظراً لتلازمهما معًا.

ثالثًا : الطابع الرسمى للمصادر التاريخية . من المفارقات الحادة فى التاريخ البيزنطى: أن المصادر التاريخية لتلك الامبراطورية مصادر ذات طابع رسمى واضح المعالم فى جانب كبير منها . فلدينا تاريخ الأباطرة، وليس لدينا تاريخ الشعوب التى صنعت تاريخها ؛ ويتأكد للباحث ؛ أن الإشارات التى تتناول عامة الناس تعد ثانوية ومحدودة مقارنة بالحوليات الكاملة التى تناولت إمبراطوراً ما، أو عدة أباطرة .

ومن المقرر ؛ أن التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون الرسميون للحكام، ويصدق ذلك تمامًا على تلك الإمبراطورية، وهى بالتالى مشكلة منهجية أن يقوم المؤرخ المحدث بكتابة تاريخ نخبة سياسية وعسكرية حاكمة ويغفل تاريخ كيانات اجتماعية ضخمة نظراً لصمت المصادر التاريخية فى الغالب الأعم.

حقيقة أن لدينا سير للقديسين Hagiography [1]، وملاحم أدبية، وشواهد القبور Epi-grama ، وغيرها وهى تقدم لنا مادة تاريخية عن عامة سكان الإمبراطورية، ومع ذلك: فإن الأمر فى نطاق محدود .

رابعًا : إستئثار العاصمة القسطنطينية بحجم التأليف التاريخى: من الملاحظ أن تلك العاصمة استأثرت بإهتمام الأباطرة البيزنطيين . وكذلك المؤرخين المعاصرين أنفسهم، ولم يكن ذلك يتناسب مع المناطق الأخرى من تلك الإمبراطورية ، ولذلك يمكن القول- دون اعتساف فى الأحكام: أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا تاريخ القلب البيزنطى فى الأساس؛ أى القسطنطينية بصورة طاغية لافكاك منها .

إن الوضع السابق ؛ يجعل المؤرخ الذى يؤرخ لأية مدينة أو إقليم أخرى فى أرجاء الإمبراطورية الشاسعة يجد صعوبة بالغة فى أن تتوافر لديه مادة تاريخية مصدرية متوازنة، وكأن باقى أجزاء بيزنطة كان مُغيَّبًا مقارنة بالقلب الذى كان بمثابة «البؤرة التاريخية» المكثفة التى استأثرت بنصيب الأسد على حساب الأطراف.

وقد يرد البعض بأن العاصمة دائمًا تكون محور الأحداث وبالتالى الكتابة التاريخية وأن ذلك ينطبق علي عواصم أخرى فى القرون الوسطى مثل دمشق، وبغداد وقرطبة والقاهرة : إلا

١- أنظر المدخل الببليوغرافى .

أن العاصمة البيزنطية نجد فيها ذلك الأمر بصورة غير مسبوقة خاصة أن لدينا مؤلفات تاريخية خاصة بالحواضر الإسلامية خلال تلك القرون نظراً لبروز نمط تأليفى لدى المسلمين فى صورة تواريخ المدن(١).

والواقع ؛ أن نظرة متأنية لمحتويات المؤلفات المصدرية للتاريخ البيزنطى سوف يتضح لنا أن مؤلفيها فى الحقيقة يدرسون العاصمة دون إمكانية الفكاك من سيطرتها السياسية على المعاصرين ، وسطوتها العلمية من حيث المعالجة على الباحثين الأوربيين(٢) .

وإذا اتجهنا إلى مقارنة بين تلك الإمبراطورية ومملكة بيت المقدس الصليبية اللاتينية The Latin Kingdom of Jerusalem فعلى الرغم من أن الأولى حكمت ما زاد على خمسة ما يزيد على أضعاف حكم الثانية (القرنان ١٢، ١٣م) ؛ سنجد أن الأخيرة يمكن كتابة مؤلفات

١- من أمثلتها كتاب ، تاريخ مدينة دمشق الذى ألفه ابن عساكر (ت١١٧٦م) . وقد وقع فى (٨٠٠) جزء جمعوا فى ٨٠ مجلد فهو أكبر تاريخ ألف عن مدينة إسلامية ، عنه أنظر :

مجموعة من الباحثين ، ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة ستة على ولادته ٤٩٩-١٣٩٩هـ ، وزارة التعليم العالى ، ط. دمشق ١٩٧٩م، ص٣٣- ص٧٧٥ .

ويعد الكتاب المذكور من أفضل ما نتج عن المؤتمرات العربية فى حقل الدراسات التاريخية، فى القرن الماضى، وهناك أيضا ما ألفه ابن العديم الحلبى (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) تحت عنوان زبدة الحلب ، وبغية الطلب فى تاريخ حلب، عن ذلك انظر:

فتحية النبراوى ، علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٠٧-١٠٨ .

٢- من أمثلة الدراسات المتخصصة فى القسطنطينية أنظر:

Barth, Constantinople , Paris, 1906 , Hutton, Constantinople: The Story of The Old Capital of the Empire, London 1907 .

Schlumberger, La Pris et le sac le Sac de Constantinople par les Turks, Paris, 1914 .

Janin , Constantinople byzantine development Urbain et repertoire Topographie , Paris, 1950 .

Maclagan, The City of Constantinople. New York 1968 .

Asimov, Constantinople The Forgotten Empire, Boston 1970 .

متخصصة عن كل مدينة من مدنها سواءً الإمارات الصليبية أو المدن الساحلية والداخلية ، وساعد على ذلك؛ أن رقعة مملكة الصليبيين فى بلاد الشام كانت محدودة، وبالتالى فالحدث الحربى امتدت تأثيراته السياسية على المناطق المجاورة فأنعكس ذلك كله على ما ورد فى المصادر المعاصرة، وما أكثرها سواءً اللاتينية ، والسريانية ، والأرمينية والعربية ، وغيرها.

وهكذا ؛ يمكن القول أن الإتساع الزمانى ، والمكانى لم يُمكن المؤرخين المحدثين فى مجال الدراسات البيزنطية من الخروج من مأزق العاصمة المستأثرة والمستأسدة والتى تلغى مناطق شاسعة أخرى من ربوع الإمبراطورية .

وهناك ملاحظة جديرة بالإنتباه ؛ تتمثل فى أن هناك مرحلة استثنائية قصيرة فى التاريخ البيزنطى المديد أمكن فيها الخروج من دائرة العاصمة على مستوى الكتابة التاريخية، وهى الفترة من ١٢٠٤ إلى ١٢٧١م، حيث ظهرت إمارة بيزنطية بديلة فى نيقية ، وكذلك وجدت امارة أخرى فى طرابيزون، وثالثة فى ابيروس وخلال تلك الفترة المحدودة ، والاستثنائية ؛ من الممكن القول أن الكتابة التاريخية البيزنطية خرجت - مرحليًا ومؤقتًا من أسر العاصمة القسطنطينية ، إلا أنها بعد عام ١٢٧١م ؛ عادت إليها مرة أخرى.

نخلص من ذلك كله ؛ أن المشكلة القائمة تتمثل فى أن لدينا مصادر تاريخية بل ودراسات حديثة وفيرة عن بيزنطة العاصمة وليس بيزنطة الإمبراطورية المترامية الأطراف ؛ مما عكس التناقض الحاد بين المعالجة التاريخية للقلب والأطراف .

خامسًا : المركزية الأوربية ، وتأثيراتها على معالجة تاريخ بيزنطة :

واقع الأمر؛ أن دراسة التاريخ البيزنطى بدأت من خلال المدارس التاريخية الفرنسية والروسية والإنجليزية، والألمانية، كما أسلفت الذكر من قبل وهكذا ؛ فإن الريادة فى الكتابة التاريخية الحديثة كانت للباحثين الغربيين دون نزاع فى صورة نشر النصوص المصدرية أو المولفات الحديثة .

ولانغفل زاوية أساسية وهى؛ أن فتح القسطنطينية على أيدى المسلمين بقيادة محمد الفاتح العثمانى عام ١٤٥٣م ؛ جعل المؤرخين الأوربيين يحرصون على الكتابة التاريخية عنها حفظًا لها من الضياع ، وتذكرة للعقل الجمعى الأوروبى بمراحل الصدام بين عالمى المسيحية، والإسلام خلال العصر الوسيط، وتجنبًا لتكرار التجربة مرة أخرى فى غير صالح الأوربيين.

ويلاحظ : أن من أولئك المؤرخين الغربيين من نظر إلى بيزنطة بنوع من الحنين المتدفق والألم الدفين على ضياع درع المسيحية الأرثوذكسية على أيدى المسلمين ، وهو أمر يتشابه إلى حد كبير فى نظرة المؤرخين المسلمين المحدثين عندما يتناولون دولة الإسلام فى الأندلس وسقوطها على أيدى الأسبان الكاثوليك عام ١٤٩٢م بالدراسة، ويعتبرونها بمثابة الفردوس المفقود؛ وتفاؤلاً الفردوس الموعود !

جدير بالإشارة : أن من أولئك المؤرخين الغربيين من أراد خلق نماذج من البطولة الأوروبية فى القرون الوسطى ولذلك أحاطوا كل إمبراطور بيزنطى محارب بجيوش جرارة ؛ بهالة من التقدير والإنبهار ، ومن ثم ظهرت فى عناوين مؤلفاتهم تعبيرات مثل: «قسطنطين الكبير»، و«جستنيان العظيم،» وغيرهما من العبارات التى تعكس المبالغة أكثر من المعالجة الموضوعية ذاتها .

ومن المهم ملاحظة: أن الباحثين العرب المحدثين عندما اتجهوا إلى تأليف مؤلفات عن التاريخ البيزنطى تأثروا بتلك المركزية بحكم أسبقيتها ، وريادتها [١]، ولم يكن فى الإمكان الفكاك منها خاصة خلال تلك المرحلة المبكرة من مراحل التأليف التاريخى العربى الحديث عن بيزنطة وهو لايتجاوز سبعة عقود ، ولامراء فى أن زاوية الترجمة كان لها دورها فى ذلك المجال ، باستثناء مراحل تاريخية معينة كتلك التى حدث خلالها الصراع العربى- البيزنطى كما نجده فى عهود الأسرة الهرقلية ، والأيسورية ، والعمورية، والمقدونية ، وذلك كله يعنى؛

١- من أمثلة مثل ذلك التأثر ما أورده عادل زيتون عن الصراع بين المسلمين والبنادقة فى البحر الأدرياتيكى حيث ذكر ما نصه : «فى عام ١٠٠٤م هزم التجار البنادقة القراصنة المسلمين فى بارى ورفعوا الحصار عنها ، وطردوا المسلمين من أبوليا، وبهذا نجح البنادقة فى تنظيف البحر الآدرياتى من القراصنة وكسبوا بذلك مدخلاً هامًا إلى البحر المتوسط الشرقى»، انظر: عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية، ص١١٥ .

مثل تلك العبارات أبعد ما تكون عن الواقع التاريخى لقد كان دور المسلمين حينذاك جهاداً بحريًا مشروعًا ولم يكونوا البته قراصنه، ومثل ذلك الرأى قد يقبل من مؤرخ أوربى لا من مؤرخ عربى مسلم مع تقريرى الشخصى له ولمؤلفاته .

أن المركزية الأوروبية كان تأثيرها محدوداً نسبيًا فيما اتصل بالعلاقات الحدودية العربية- البيزنطية، أما ما تعلق بالتاريخ السياسي ، والحضارى لتلك الإمبراطورية ؛ فالاعتماد الأوفر تأتى من خلال كتابات المؤرخين الأوربيين المحدثين .

وقد ساعد على تفاقم المشكلة ؛ غياب مركزية عربية مقابلة، فالملاحظ أن جانبًا وافراً من الكتابات العربية الحديثة فى مجال البيزنطيات تقف عند حد الترجمة من المصادر اليونانية ، واللاتينية ، والمراجع الحديثة الإنجليزية والفرنسية دون تصورات نقدية تحليلية منطلقة من مركزية خاصة مع وجود بعض الاستثناءات على أيدى مؤرخين رواد[١] ليس فى الإمكان إغفال دورهم بأي حال من الأحوال.

ومن ناحية أخرى؛ من الملاحظ أن تلك المركزية الأوربية، كان لها تأثيرها فى مجال آخر، من حيث مهاجمة الدولة العثمانية التى كان لها فضل إسقاط العاصمة البيزنطية عام ١٤٥٣م والوصول بالإسلام إلى شرقي أوروبا ، وجعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة وحماية الأماكن الإسلامية المقدسة فى الحجاز من مؤامرات البرتغاليين ، كذلك عمل العثمانيون جاهدين على إنقاذ الأندلس واسترداده فى مطلع العصر الحديث ، وقد حرص المؤرخون الأوربيون على الإساءة إليها بكل وسيلة بل والهجوم على شخص السلطان محمد الفاتح لإسقاطه من مكانته السامية كقائد عسكرى شاب فذ وسياسى قدير حقق - ومعه المسلمون- ما عجز عنه السابقون عبر قرون عديدة واتهموها بأنها السبب الرئيسى فى تخلف المسلمين خاصة مطلع العصر الحديث ، وقد رفع ذلك الأمر، الذى تأثر به قطاع من المؤرخين العرب المحدثين- إلى قيام الراحل أ.د. عبد العزيز الشناوى بتأليف دراسته الشهيرة بعنوان: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها [٢].

١- فى هذا الشأن انظر: محمد مؤنس عوض، رواد العصور الوسطى فى مصر ط. القاهرة ٢٠٠٧م.

٢- لم يكفى للتدليل على أزدواجية المعايير لدى الغربيين أن الدولة العثمانية - كما لاحظ عبد العزيز الشناوى- عمرت أكثر من ٦ قرون. أما إمبراطورية نابليون بونابرت فقد دامت ١١ عامًا فقط ١٨٠٤-١٨١٥م) ثم انهارت عقب هزيمة الفاضحة فى ووترلو Waterloo، أما الامبراطورة الثانية التى أقامها نابليون الثالث فقد إنهارت هى الأخرى بعد ١٨ عامًا . فقط (١٨٥٢-١٨٧٠م) عقب هزيمته فى معركة سيدان Sedan ومن الغريب أن نابليون الأول والثالث لقيا اهتمامًا بالغًا دعائيًا من جانب المؤرخين=

وهكذا : فإن المركزية الأوربية تعد مشكلة حقيقية عند كتابة التاريخ البيزنطى؛ نظراً لكون بيزنطة تمثل جزءاً رئيسيًا من تاريخ شرقى أوروبا فى القرون الوسطى ، ولأسبقية المؤرخين الأوروبيين المحدثين فى التأليف التاريخى عنها، فلم يتركوا شاردة، ولا واردة عنها إلا وكتبوا بشأنها - من وجهة نظرهم بطبيعة الحال.

ولانغفل هنا زاوية على جانب كبير من الأهمية، تتمثل فى أن تلك المركزية تدعمت حاليًا على نحو بارز من خلال شبكة المعلومات الدولية ('الانترنت) التى من خلال التعامل معها يتضح للباحث بجلاء وجود ما يوصف - بطوفان- من المصادر التاريخية ، والمراجع الحديثة خاصة الإنجليزية، والفرنسية والروسية والألمانية فى مجال الدراسات البيزنطية. أما الوجود العربى فيها فلايكاد يُذكر ، ولانزاع فى أنه خلال 'العشر سنوات الأخيرة حدث ما يوصف «بإنفجار معرفى» كان لتلك الدراسات نصيب منه. على نحو جعل التعامل مع نتاج الرؤية التاريخية الأوروبية أمراً لامفر منه ، وبكثافة كمية ونوعية غير مسبوقة ولم تحدث فى عهود رواد الدراسات البيزنطية أنفسهم وبذلك فإن «الثورة المعرفية» تزيد من مأزق ضآلة الإسهام العربى فى كتابة التاريخ البيزنطى وتدعم المركزية الأوربية الطاغية .

سادسًا : مؤسسو الأسرات البيزنطية الحاكمة ودورهم الريادى[١].

يعد مؤسسو الأسرات البيزنطية الحاكمة بمثابة القوة الفعلية، والمحركة للتاريخ البيزنطى مع عدم إغفال أوجه الاختلاف بينهم من حيث الدور التاريخى ذاته، والظروف الداخلية والدولية المصاحبة لحكمهم وكذلك الحصاد الختامى لكل منهم.

= الغربيين خاصة الفرنسيين على حين وصفوا السلطان العثمانى على أنه: «السلطان المسلم الجاهل المتبربر المستغرق فى ملذاته مع جواريه الفاتنات »، وأمام كافة تلك التوجهات المتناقضة لم يكن غريبًا أن يختار المؤلف العنوان السالف الذكر لكتابه. عبد العزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج١، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص٦-٧ .

ولانغفل أن المفكر المصرى، د. حسن حنفى رأى أن الحل يكمن فى الاستغراب لمواجهة الاستشراق وقد فصل ذلك فى كتابه ، انظر:

حسن حنفى، مقدمة فى علم الاستغراب ، ط. بيروت مع ملاحظة أن تنفيذ ذلك على المستوى الواقعى أمر صعب المنال لأمور ليس هنا مجال تفصيل الحديث فيها .

١- تجدر الإشارة إلى أن القسم الثانى من كتابى أتناول فيه الأسرات الحاكمة البيزنطية، ولايدل ذلك =

وهكذا ؛ من اليسير ملاحظة أن الأباطرة : قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧م)، وثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) وهرقل (٦١٠-٦٤١م) وليو الثالث الأيسورى (٧١٧-٧٤١م) وميخائيل الثانى العمورى (٨٢٠-٨٢٩م) والكسيوس كومنين (١٠٨١- ١١١٨م) ، وإسحق الثانى أنجليوس (١١٨٥-١١٩٥م)، وميخائيل باليولوغرس (١٢٦١-١٢٨٢م)، هؤلاء وغيرهم هم التاريخ الفعلى البيزنطى - إلى حد كبير- ومن أتى من بعدهم يعدون فى الغالب مجرد أباطرة ثانويين ، ويعانى ذلك التاريخ مما يوصف «بعقدة الامبراطور المؤسس» ، الذى يقوم بالدور التاريخى البارز ويحقق نجاحًا أو فشلاً ، ويجعل من يأتى من بعده من الأباطرة يجنون حصاد ما زرع إيجابيا أو سلبيًا ، ويلاحظ هنا ؛ أن الإمبراطور المؤسس يحظى بوفرة مصدرية بارزة على عكس الاهتمام المحدود الذى وجهه المؤرخون البيزنطيون المعاصرون لمن أتى من بعده ، وأنعكس ذلك بالتالى على معالجات المؤرخين المحدثين أنفسهم.

بناءً على ذلك ؛ ليس من الغريب ملاحظة أن التاريخ البيزنطى وافر النشاط خلال عهد أولئك الأباطرة المؤسسين ويعانى من الخمول، والنمطية فى عهود الأباطرة التاليين مع وجود استثناءات بالطبع ولايستطيع الباحث فى التاريخى البيزنطى الفكاك من ذلك الوضع الذى يأتى على حساب الدور التاريخى لباقى الأباطرة ، وما أكثرهم، وهكذا يتأكد لنا أن مجريات ذلك التاريخ تم حسمها فى الغالب الأعم من خلال دور أولئك الأباطرة المؤسسين على نحو خاص.

ومع ذلك ؛ قد يرد البعض بأن هناك أباطرة بيزنطيين لعبوا أدواراً بارزة فى التاريخ البيزنطى ولم يكونوا من مؤسس الأسرات، ومن أمثلتهم الإمبراطور جستنيان الأول Justin-ian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، والإمبراطور باسل الثانى قصَّاب البلغار Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦- ١٠٢٥م) ، وقد لعب كل منهما أدواراً محورية فالأول حارب الجرمان، والثانى يعد - فى تقدير البعض- آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار ، وللرد على ذلك ؛ يمكن القول بأن الإمبراطورين المذكورين يعدان من الحالات الاستثنائية النادرة غير أن مؤسسى الأسرات

على الوقوع فى دائرة الاعجاب بمؤسس تلك الأسرات غير أن تاريخ الامبراطورية البيزنطية يمكن أن يدرس من خلال ذلك التوجه مع الحرص على المقارنة بين التطورات التى حدثت فى عهد كل أسرة.

أنظر الملحق الخاص بأباطرة التاريخ البيزنطى والتعليق عليهم خاصة من خلال دور مؤسسى الأسرات البيزنطية الحاكمة.

-بوجه عام- يعدون أصحاب الأدوار الكبرى فى التاريخ البيزنطى ومن أتى من بعدهم مجرد أباطرة تابعين ومدد حكمهم معروفة سلفًا من حيث طبيعتها على اعتبار أنهم صدى للأباطرة السابقين الكبار[١].

سابعًا : مشكلة الطابع الذكورى للتاريخ البيزنطى وتغييب دور المرأة خاصة البعيدة عن السلطة:

من الملاحظ أن المجتمع البيزنطى كان مجتمعًا يسيطر عليه الرجل ولم يكن للمرأة[٢] الدور البارز فيه إذا ما قورنت بالرجل، وهكذا؛ كان المؤرخون من الرجال، ويكتبون تاريخ الإمبراطورية وتجاهلوا المرأة، والإشارة إليها إلا فى القليل النادر، ووجدت كتابات منحازة بحكم التكوين الدينى الكنسى لأغلب أولئك المؤرخين، وهكذا ؛ كان الرجل هو الخصم والحكم فى آن واحدٍ مما انعكس بدوره على نصوص المصادر ذاتها.

وإذا رَدَّ البعض بأن هناك إشارات ثرية عن المرأة البيزنطية خاصة فى عالم السياسة مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) والامبراطورة إيرينى Irene (٧٩٧-٨٠٢م) ، وأنا كومنينا Anna Comnena ابنة الامبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) وغيرهن ، إلا أن الدور النسوى فى الحياة العامة، لانجد عنه إلا النذر اليسير، والتاريخ البيزنطى من خلال المصادر الأصلية غير متوازن والكفة الراجحة - على نحو مؤكد- فى جانب الرجال لا النساء، وانعكست ذات الصفة على المعالجات الحديثة لدى المؤرخين الأوربيين أنفسهم ومن الأمور ذات الدلالة ؛ أنه فى وسط الكم الكبير من المؤرخين الرجال لايظهر لنا سوى مؤرخة واحدة هى أنا كومنينا ابنة الكسيوس كومنين . ولو لم تكن ابنة ذلك الامبراطور لما ظهرت إلى الساحة أصلاً كمؤرخة قديرة ذات تكوين ثقافى، وعلمى

١- سيتم تناول ذلك على نحو مفصل فى ملحق خاص فى القسم المخصص للملاحق.

٢- لاتزال الدراسة الثرية والقيمة التي ألفتها أ.د. عليه الجنزورى ؛ أستاذ العصور الوسطى بكلية البنات - جامعة عين شمس عن المرأة البيزنطية والصادرة بالقاهرة عام ١٩٨٠م على مدى التاريخ البيزنطى بأكمله ، بمثابة الدراسة الرائدة بالعربية فى الموضوع المذكور وأوفته بحثًا ودرسًا على نحو يجهد كل من يحاول دراسته من بعدها ، وعلى الرغم من صدور دراسات متعددة عن المرأة البيزنطية بالإنجليزية فى الأعوام الأخيرة؛ إلا أنه لاتوجد دراسات منشورة بالعربية- حتى الآن- تصل إلى مستوى دراسة تلك المؤرخة الرائدة وتمتاز بأنها مؤرخة ولذلك فى مقدورها إدراك الجوانب النفسية المتصلة بتاريخ المرأة ناهيك عن قدرتها على التحليل والعرض السلس.

خاص ! وبذلك توصف بأنها مؤرخة استثنائية . ولايمكن اتخاذها بالتالى كقاعدة عامة عن المرأة البيزنطية.

وهكذا ؛ فإن المؤرخين المحدثين - دون قصد منهم- يكتبون «تاريخًا ذكوريًا» للإمبراطورية البيزنطية، ودائمًا كانت المرأة فى تلك الامبراطورية بمثابة «الجندى المجهول» الذى لم تسلط عليه الأضواء الكافية خاصة القطاعات البعيدة عن السلطة السياسية وهى القطاعات الأوسع نطاقًا بطبيعة الحال.

ولانغفل كذلك؛ أن المرأة البيزنطية دفعت الثمن غاليًا خاصة خلال مراحل الحروب المتعددة التى خيض غمارها مع الأعداء، وما أكثرهم، وكذلك خلال أحداث الثورات، والصراعات الداخلية وبالتالى ؛ والصراعات الداخلية وبالتالى ؛ فإن ذلك الوضع الذى لايمكن الفكاك منه ؛ يجعلنا ندرك أن تاريخ تلك الامبراطورية يشوبه النقص الدائم من خلال غياب عناصر أساسيه فى تكوينه المصدرى ويمثل تهميش دور المرأة عن عمد مظهراً واضحًا دالاً على ذلك النقص.

ومع ذلك ؛ أود أن ألفت نظر القارئ ؛ إلى خطورة تبنى توجهات بعض المؤرخات حاليًا- فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من أصحاب وجهات نظر الحركات النسوية التى تعصبت لدور المرأة، ورأت أن التاريخ النسوى لم يكتب البته بعد بروح الموضوعية . وهكذا ؛ فعندما قدم ذلك القطاع من المؤرخات إسهاماته وجدنا لديه التعصب للمرأة ودورها التاريخى، وكأنها فى خصومة أبدية تاريخية مع الرجل ! وهو تصور مغلوط يكرر ذات المأزق الذى وقع فيه المؤرخون الرجال الذين تجاهلوا «حواء البيزنطية» إلا ما ندر من إشارات متناثرة هنا وهناك . وأتصور أن كلاً من الطرفين لم يقدم إلا رؤية جزئية مبتسرة لأحداث التاريخ البيزنطى الذى صنعه الرجال والنساء معًا.

ثامنًا : الطابع الدينى لمصادر تاريخ الإمبراطورية البيزنطية:

من الملاحظ أن تاريخ تلك الإمبراطورية تم تغليفه بالدين فى العديد من أحداثه فى عصور عرفت بعصور الإيمان من خلال تعاظم الظاهرة الدينية خلالها، وهكذا ؛ نجد أن المصادر التاريخية التى ألفها مؤرخون تلقوا تعليمًا كنسيًا فى المقام الأول؛ تفيض كتاباتهم بالطابع

الدينى ، وهو أمر يجعل المؤرخ الذى يريد تفسير الأحداث تفسيراً عقليًا من خلال البحث عن الدوافع الحقيقية المحركة للحدث التاريخى، وكذلك النتائج الناتجة عنه- تجعله يواجه مشكلة حقيقية هى هل يأخذ دائمًا بالتفسير الدينى للأحداث ؟ أم أن هناك الجوانب الأخرى التى حرص قطاع من المؤرخين المعاصرين على إخفائها؛ دعمًا للتفسير المذكور؟ ولانغفل أن الامبراطور البيزنطى نفسه ؛ نظر إليه المعاصرون على أنه نائب السيد المسيح ولذلك تم ترك الجانب الأيسر من العرش شاغراً [١]؛ على نحو لم يخل من الدلالة الدينية .

كما أن الامبراطور كان إمبراطوراً وأسقفًا معًا ، ولانغفل أيضًا أن الغرب الأوروبى خلال القرون الوسطى شهد الصراع بين الامبراطورية والبابوية ، أما فى بيزنطة فمثل ذلك الصراع لم يوجد إلا فى حالات نادرة لاتمثل بأى حال من الأحوال ما يوصف بأنه ظاهرة تاريخية .

ولانغفل ؛ أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح مثل جدلاً محتدمًا لايمكن إنكاره ، وفى مرحلة من المراحل ؛ حدث صراع محتدم على عبادة الأيقونات Icons ، وكان لزامًا على كل إمبراطور أن يوضح موقفه من تلك القضية التى أثارت صراعًا واسع النطاق واستهلكت طاقة الإمبراطورية فى مرحلة من مراحل تاريخها .

ويندرج تحت ذات المشكلة ؛ توافر عدد كبير من القديسين[٢] فى تاريخ بيزنطة ، ومن أمثلتهم وأشهرهم القديس يوحنا الذهبى الفم St. John Chrysostom [٣]، والقديس

١- هسى، العالم البيزنطى ، ص٢٣٠ .

٢- عن ذلك انظر المدخل الببليوغرافى الجزء الخاص بالكتابات الهجيوجرافيه .

٣- القديس يوحنا الذهبى الفم؛ ولد فى أنطاكية عام ٣٤٧م، وتعنى كلمة Chrysostom أى ذهبى الفم Golden mouth ، وكان الابن الوحيد لأحد ضباط الجيش الامبراطورى ، وصار مبشراً بالمسيحية لمدة ١٢ عامًا وفى عام ٣٩٨م تم انتخابه رئيس اساقفة للقسطنطينية ، وقد واجد عدداً من جهنيين تحالفنا ضده فى صورة أبودوكسيا Eudoxia زوجة الامبراطور اركاديوس Arcadius ورئيس أساقفة الاسكندرية ثيوفيلوس Theophilus ، ويلاحظ أن عدداً من أعماله قد ترجمت إلى الانجليزية ، ونعرف أنه توفى فى كومانيا Co-mana فى بوتونس Potus فى ١٤ سبتمبر عام ٤٠٧م ، ويوم عيده هو ٢٧ يناير عنه انظر:

Atwater, The Penguin dictionary of Saints , p. 198-199 .

خليل رستم، القديس يوحنا الذهبى الفم، ط. دمشق ١٩٨٣م.

جـريجـورى النزيـانزى Gregory of Nazianzus [1]، والقـديس ديمتـرى St. Demetry ، وغيرهم، وقد فصَّلت المصـادر التـاريخيـة - معجزاتهم- على نحو عكس اعتقـاد معاصريهم الراسخ فيهم وتأثيرهم الكبير على الوجدان الشعبى البيزنطى العام.

وهكذا ؛ فإن تاريخ بيزنطة يرتبط دائمًا (بالتابو) أو الدينى والمقدس الذى تعمق على مدى توالى القرون ، وصار جزءاً من «العقل الجمعى البيزنطى» حتى لحظة السقوط الأخيـرة عام ١٤٥٣م.

ومن زاوية أخرى؛ كثيراً ما إحتوى تاريخ تلك الإمبراطورية على ظاهرة واضحة المعالم فى صورة «تسييس الدين»؛ من أجل إضفاء طابع أخلاقى تبريرى لسلوك رجال السياسة البرجماتيين ولإرضاء الجماهير التى كانت فى أحيان كثيرة تعانى من التدين العاطفى.

ويلاحظ : أن تسـييس الدين لم يقم به الأباطرة فـقط، بل شـارك المؤرخـون الرسـميـون فى أمره، وأيسر دليل وضَّاح دال على ذلك يتمثل فى المؤرخ البيـزنطى الأول يوساب القيسارى أسقف قيسارية فلسطين Eusebius Caesarinsus Eusabius of Caesarea مؤلف كتاب حياة قسطنطين The life of Constantine, Vita Eusebius Caesarinsus Eusabius of Constantini حيث إعتبره الحوارى الثالث عشر للسيد المسيح عليه السلام، على الرغم من أن الدراسة المتأنية تثبت أنه كان رجلاً سياسيًا ماهراً ، ودمويًا عنيفًا حتى مع أقرب الأقربين ، ولم يكن الدين يمثل له أكثر من قنطرة عبور لتحقيق أهدافه السياسية العليا .

تاسعًا : الطبيعة الجدلية للتاريخ البيزنطى ووجود أكثر من رؤية تقويمية له.

واقع الأمر؛ يملك ذلك التاريخ طبيعة خاصة فى صورة الجدل بشأن أباطرته ، ودوافع سياساتهم ، ونتائجها ، ولذلك إختلف مؤرخو الدراسات البيزنطية فى العديد من وقائع ذلك

١- جريجورى النزيانزى Gregory of Nazianuzus عالم لاهوت ، ولد فى اريانزوس Arianzus وكان والده أسقفًا على نزيانزوس Nazianzus فى كبادوكيا Cappadocia، وتم ترسيمه كاهنًا على يد والده عام ٣٦٢م ، وكان ذلك على عكس رغبته حيث أراد أن يكون راهبًا . على أية حال فى عام ٣٧٩م التحق بالارثوذكسية فى القسطنطينية، ويلاحظ أنه توفى بالقرب من اريانزوس Arianzus عام ٣٨٩م. ويوم عيده يوافق ٩ مايو ، عنه أنظر: . Attwater, Dictionary of Saints, p. 160-161

التاريخ منذ بدايته حتى نهايته ، ولانغفل ؛ أن الشعب البيزنطى نفسه اتسمت حياته بالجدل حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام ، وصار «الجدل البيزنطى» مضرب الأمثال .

ولانغفل ؛ أن ذلك الوضع منح التاريخ المذكور نوعًا من الحيوية الخاصة ، على نحو لانجد معه الاتفاق على مختلف قضاياه الكبرى بل الإختلاف الحيوى المستمر ، وهو أمر لانجده على نفس الدرجة فى تاريخ الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى المتزامن معه.

وبمقياس «الثابت» و«المتغير» فى التاريخ البيزنطى ؛ نجد أن عناصر التغير فى رصد أحداثه وتحليلها تعد متفوقة على عناصر «الثبات» [١]، ودَعَّم ذلك كله اختلاف المؤرخين فى تقويمه ، ويكاد لاتوجد أحداث فى ذلك التاريخ دون أن تكون فى دائرة الجدل بين المؤرخين .

واقع الأمر : فقد مر التاريخ البيزنطى بعدة مراحل، فخلال القرن ١٨م ، الذى عرف بعصر الإستنارة نجد أن ڤولتير Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٨م) ندد بما أسماه الامبراطورية الإغريقية ، ولم يجد فى أحداث تاريخها إلا كل ما يبعث على الخزى، والعار كما لاحظ العلامة شفيق غربال [٢].

١- يلاحظ هنا أن تعبير «الثبات» هنا استعارى لأنه لايوجد ثبات حقيقى فى حركة التاريخ فالثابت الوحيد هو التغير.

٢- عن ذلك انظر المقدمة التى كتبها المؤرخ الراحل فى تصديره لترجمة عبد العزيز توفيق جاويد للحضارة البيزنطية الذى ألفه ستيفن رنسيمان .

ڤولتير ؛ لقب أطلق على فرانسو مارى أرويه Francois Marie Arouet de Voltaire وهو مفكر فرنسى عاش فيما بين عامى ١٦٩٤، ١٧٧٨م وقد تناول بالنقد اللاذع أفكار عصره وسخر من أغلب الشخصيات المعاصره، وتعرض من جراء ذلك للسجن فى الباستيل. كذلك تم نفيه إلى إنجلترا، وقد خلد الحرية فى مأساته بروتوس عام ١٧٣٠م. وهاجم النظام السياسى الفرنسى من خلال الرسائل الفلسفية عام ١٧٣٤م، وتعد مؤلفاته أحد الروافد الأساسية التى أدت إلى إندلاع الثورة الفرنسية.

عن ڤولتير انظر:

Hunt, The French Revolution , London 1998, p. 7 .

Doyle , Origins of the French Revolution, Oxford 1999, p. 37, p. 82, p. 84 .

جورج كوسى، تاريخ الثورة الفرنسية، ط. بيروت - باريس ١٩٨٩م، ص٥٥-٥٦ .

محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا، سلسلة عالم المعرفة ط. الكويت نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٩٢م، ص١٤٦، حاشية (٣) .

إسماعيل ياغى، تاريخ أوربا المعاصر، ط. الرياض ٢٠٠٣م، ص١٠ .

وعلى ذات النهج؛ نجد أن المؤرخ البريطانى إدوارد جيبون Edward Gibbon مؤلف الكتاب الشهير . A History of the decline and Fall of the Roman Empire أى تاريخ اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية وقد نظر إلى تاريخ العصور الوسطي بصفة عامة نظرة عقلانية وقد رأى أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا سلسلة متصلة الحلقات من عمليات سفك الدماء. والاغتيالات والمؤامرات للوصول إلى المنصب الامبراطورى. وبوجه عام ؛ لم ينظر نظرة تعاطف تجاهه ، بل نظرة ازدراء[١].

كذلك ؛ لانغفل إسهام فنلاى Finlay الذى ألف كتاباً عن تاريخ الاغريق من سيطرة الرومان حتى عصره أى حتى عام ١٨٦٤م على وجه التحديد ووقع فى (٧) مجلدات .

ويلاحظ أنه- على عكس جيبون- تحمس لتاريخ الاغريق خاصة لثورتهم ضد الحكم التركى، وقد نظر إلى تاريخ الدولة البيزنطية على أنه تاريخ دولة إغريقية قومية [٢]، ويلاحظ هنا؛ أن المؤرخين الإغريق المحدثين نظروا إلى تاريخ تلك الدولة كما لو كانت دولة إغريقية قومية ، ولذلك ؛ أشادوا بها، ولم يعملوا على إبراز ما فيها من سلبيات .

وقد انتقل الأمر إلى الروس؛ نظرا لكون القياصرة الروس قد اعتبروا أنفسهم خلفاء لأباطرة القسطنطينية [٣]، ولانغفل دور بيزنطة السابق فى نشر المسيحية فى صفوف الروس ، ونشر حضارتها بينهم، وهكذا؛ اهتم المؤرخون الروس المحدثون بإبراز التاريخ البيزنطى من خلال اهتمامهم بالتاريخ القومى الروسى.

وهكذا ؛ تتضح لنا أبعاد المشكلة من خلال رصد سريع لتطور الاهتمام بالدراسات البيزنطية ، فكل عصر كان يُشكِّل تصورات مؤرخيه، وبالتالى يظهر لنا تبنى المؤرخين

= عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث أوربا من الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية ، ١٧٨٩-١٨٧١، ط. القاهرة ب-ت ، ص٣٩-٤٣ .

١- ويلاحظ أن أفضل عمل جماعى لدراسة فكر جيبون كمؤرخ من خلال كتابه المذكور هو :

Mckitterick and quinault (eds.) Edward Gibbon and Empire, Cambridge 1997 .

ويحتوى على (١٣) بحثًا لتقييم توجهات جيبون كمؤرخ ووقع الكتاب المذكور فى ٣٥١ صفحة. أما جيبون نفسه فانظر ما أسلفت الإشارة إليه من قبل .

٢- رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص (من مقدمة شفيق غربال) .

اليـونانيين والروس المحدثين للتـاريخ البيـزنطى على إعـتبـار أنه جزء لايتجـزء من تاريخـهم القـومى [١]، ويلاحظ أن كل فريق رأى فى ذلك التاريخ جوانب تدعم وجهة نظره بل ومصالحه القومـية حتى فى العـصر الحديث بتـأصيله تاريخـيًا وامتلك المبررات الكافيـه من أجل دعم تصوراته، ولذلك يحق لنا القـول : أن التـاريخ البيـزنطى؛ نظراً للوضـع السـالف الذكر احـتـوى على تصورات تتسم بالتباين، والاختلاف حتى أن الطبيـعة الخلافية صارت جزءاً لايتجزأ منه ، حقيـقة أن ذلك أوجد نوعًا من الحيـوية فى دراسـته غيـر أنه - من زاوية أخرى- يرهق باحثيه الجادين .

والواقع : أن هناك جوانب بالغة القسـوة ، والعنف، والدموية عبر فصوله المتعددة خاصة عند التـصارع على المنصب الإمبـراطورى مطلق السلطات ، ومع ذلك؛ هناك جوانب حضارية لاتنكر فيـه فى صورة العمـارة الدينيـة ، والمدنيـة والحربيـة وكذلك الأدب البيـزنطى الكنسى ، والملحمى ولانغفل : كتـابات المؤرخين البيزنطيين الذين عبروا عن روح أمه كاملة : على نحو عكس أن «الصورة» لم تكن قـاتمة تمامًا ، بل احتـوت على جوانب أخرى مضيـئة لاتنكر كذلك دور بيزنطة فى التبـادل الحضارى فى العـصور الوسطـى مع العباسيين ، والروس ، وغيـرهم؛ مما دلَّ على دورها الإيجابى حينذاك .

وهكذا : فـالمنطق يدعـو إلى التـصور بأن كلاً من الطرفين يـحوى جانبًا صـائبًـا ، من خلال وقائع التاريـخ البيزنطى ذاتها ، وبصـفة عامة؛ فإن الهـجوم الزائد، والتعاطف الزائد لايفيد فى تقويم ذلك التاريخ الحافل بالتناقضـات التى قد نجدها فى سياسـات أسرة حاكـمة واحدة ، بل ربما سياسة إمبراطور واحد !

١- نفسه ، ص .

٢- ولا أدل على ذلك من إشارة المؤرخ استروجورسكى حيث قال ما نصه بشأن اليـونانيين والتـاريخ البيزنطى:

"Greece had long been concerned with Byzantime history for to Greek Scholars Byzantium was Simply aport of Their own national History ", Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 11 .

عاشراً : مشكلة تأثير القيادات الكارزمية [١]:

احتوى التاريخ البيزنطى على عدد من القيادات السياسية والحربية التى تركت تأثيراً كبيراً على المؤرخين المعاصرين ، وكذلك المحدثين، وكانت شخصياتهم آثرة بحيث صعب التخلص من تأثيرها ، وهكذا ؛ فعندما تناولهم المؤرخون المعاصرون، واللاحقون وجدنا قطاعًا منهم إنبهر بهم ، وكتب تاريخهم من خلال ذلك الطابع ، وبالتالى لم يلتزم بروح الموضوعية العلمية الواجبة .

وينطبق ذلك على عدد من الشخصيات مثل قسطنطين الأول (٣٢٤-٣٣٧) ، وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م) .

لانغفل ؛ أن المؤرخين المعاصرين لذلك التاريخ ومنهم من اقترب بدرجات متفاوتة من عدد من الأباطرة بالغوا - فى أحيان متعددة- فى تقويمهم ، وارتبطت زاوية الكارزما بالدعائية التى تفيض بها المصادر التاريخية البيزنطية عندما يكون المؤرخ المعاصر متأثراً بأحد الأباطرة على نحو خاص ممن شارك فى رفعة شأن الإمبراطورية على الصعيد الحربى والسياسى وزاد الأمر من خلال احاطة مثل تلك الشخصيات بالطابع الدينى كما أسلفت الإشارة من قبل.

ومن المهم الإشارة هنا؛ إلى أن تأثير الكاريزما يجعل المؤرخ لايرى قادة التاريخ البيزنطى بالرؤية الموضوعية ، بل من خلال نظرة الإعجاب الزائد بهم وتعظيم شأن كل عمل قاموا به، - على الرغم من أن المعاصرة حجاب- وهنا يتحول المؤرخ ليصبح جزءاً لايتجزء من مشكلة كتابة

١- الكاريزما Charisma هى إحدى الخواص التى تتصف بها القيادة ، وتعنى القدرة على بث واستلهام الإيمان لدى الآخرين والتأثير فيهم إلى حد كبير، ويرى ماكس فيبر Max Weber أن الكارزمية قوة خلاقة مؤثرة فى التاريخ وأنه من الضرورى دراستها من خلال البيئة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية، والثقافية التى تحيط الزعيمصاحب مثل تلك الشخصية.

عن مصطلح الكاريزما أنظر:

ممدوحة محمد سلامه ، «الكارزمية- القدرة على التأثير على الآخرين» ، مجلة علم النفس، العدد (١٤) ، أبريل - مايو - يونيو ١٩٩٠م، ص١٥٨-١٦٤ ، أحمد الخشاب التفكير الاجتماعى ، ط. بيروت ١٩٨١م، ص٥٦٩ ، عبدالله محمد عبد الرحمن، علم اجتماع التنظيم.. ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص٢٠٧ جاسم يونس الحريرى، دور القيادة الكارزمية ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، =

التاريخ المذكور ؛ خاصة عندما يقوم بدراسة إمبراطور ما من الأباطرة لعدة أعوام من خلال «التوحد» مع المادة التاريخية المصدرية، والمرجعية ، على نحول يجعله «جزءاً» لايتجزء منها ويلاحظ أن التاريخ البيزنطى حينئذ يعانى من تصارع «الذات» و«الموضوع»»، ومثل تلك الحالة من «التشبع» بالبطل التاريخى تجعل المؤرخ الحديث يتحول كأنه مؤرخ رسمى معاصر يكتب دراسته بعيداً عن الموضوعية التاريخية الواجبة دون أن يدرى ، مع ملاحظة ؛ أن «التوحد»، و«المعايشة» مع أحداث التاريخ البيزنطى- وما أكثرها تتعارض مع الانفصال الضرورى من جانب المؤرخ عندما يقوم بالحكم بموضوعية على وقائع الأحداث، لكى ينجو بنفسه ، وبأبطاله، وبقرائه - وهذا هو الأهم- من أسر الكاريزما التى من الصعب الفكاك منها.

حادى عشر : واقع الكتابة التاريخية العربية المدينة عن التاريخ البيزنطى (المشكلة الإقليمية):

تعانى الدراسات التاريخية البيزنطية فى العالم العربى من عدم توافر مراكز بحثية متخصصة على شاكلة المعروف على المستوى العالمى وكذلك المجلات العلمية المتخصصة ، ومن أمثلة تلك المراكز :

- مركز الدراسات البيزنطية واليونانية الحديثة والعثمانية فى برمنجهام بإنجلترا .
- مركز الدراسات البيزنطية فى سالونيك باليونان.
- مركز دامبرتون اوكس بواشنطن بالولايات المتحدة الامريكية.
- مركز الدراسات البيزنطية التابع للأكاديمية الصربية للعلوم فى بلجراد.
- معهد دراسات العصور الوسطى والدراسات البيزنطية بجامعة نوتردام . وذلك على الرغم من توافر الإمكانات المادية ، وأهمية العلاقات العربية البيزنطية وهى جزء لايتجزأ من

= ط. أبوظبى ٢٠٠٣م، ص١٠ ؛ محمد مؤنس عوض «أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين ١٢ ، ١٣ م / ٦، ٧هـ »، ضمن حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣) ، عام ٢٠٠٣م، ص٢٦٧ ، «من مشكلات دراسة تاريخ الحروب الصليبية»، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، السياسة - المياه - العقيدة . ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٩- ص٢٤ ، ميشيل مان ، موسوعة العلوم الاجتماعية، ت. عادل مختار الهوارى، وسعيد عبد العزيز مصلوح ، ط. الكويت ١٩٩٤م، ص١٠٢ .

Jary and Jary, Collins dictionary of Sociology, Glasgow 1995. p. 68 .

تاريخنا القومي؛ ولذلك فإن جهود الباحثين في المجال المذكور تعاني من التشرذم وعدم التنسيق ، ولا أمل في تطويرها دون القيام بتأسيس مركز عربي متخصص في التاريخ البيزنطي؛ كي يعمل عليعقد حتى هذه اللحظة أي مؤتمر دولي واحد عن الدراسات البيزنطية في أي دولة من الدول العربية على الرغم من الإمكانات المادية البارزة التي يشهد عليها الجميع .

ولانزاع؛ في أن أي تطور في حقل الدراسات البيزنطية - على المستوى العربي- لايمكن تحقيقه دون عقد مثل تلك المؤتمرات التي من شأنها تقديم الجديد من البحوث والدراسات وإيجاد الاحتكاك مع المؤرخين الأوروبيين ، لتكوين تصور واقعي عن الفجوة المعرفية التي تتسع بين العالم العربي وبينهم.

على أية حال ؛ فإن كافة تلك المشكلات تعكس لنا أن التاريخ البيزنطي له خصوصيته خلال توافر عدد منها عند التصدي له بالكتابه .

وقد يتصور البعض؛ أن كل كيان سياسي ما في العصور الوسطى سواء في الشرق الإسلامي أو في آسيا الصغرى أو شرقي أوربا أو في الغرب الأوربي ، كانت له مشكلاته الخاصة به في المعالجة التاريخية من خلال طبيعة المصادر ذاتها على نحو إنعكس بدوره في معالجة المؤرخين المحدثين أنفسهم ، ومع ذلك : تبقى هناك «خصوصية مشكلات الكتابة التاريخية» ، وهكذا : فإن الامبراطورية البيزنطية لها طابعها الخاص على نحو ميزها على غيرها من الكيانات السياسية الكبرى خصة لدى عالم العصور الوسطى العامر بالأحداث والصراع، والمواجهات بين مختلف القوى الدولية.

ذلك عرض عن مصادر التاريخ البيزنطي ثم مشكلات دراسته ، أما الصفحات التالية، فيتم تخصيصها لعرض أهم ملامح ذلك التاريخ من خلال تناول الأسر الحاكمة.

القسم الثانى

تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٣٣٠ - ١٤٥٣م

تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة
٣٣٠-١٤٥٣م

يتعرض هذا القسم من الكتاب لملامح التاريخ البيزنطى على مدى القرون المتعددة التى شكلت التطور التاريخى لتلك الإمبراطورية المعمرة.

واقع الأمر؛ افتتحت بيزنطة تاريخها بالجدل بين الباحثين بشأن عام الميلاد [١]، وفيما يلى أقدم عرضًا موجزاً عن أهم الآراء التى قيلت فى هذا الشأن:

أولا: هناك من تصور أن عام ٢٨٤م يصلح لميلاد تاريخ الإمبراطورية البيزنطية على اعتبار أنه يمثل حداً فاصلاً فى تاريخ الدولة الرومانية حيث تولى حكمها الإمبراطور دقلديانوس وهو أول من اتجه إلى تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين شرقى ، وغربى[٢].

١- اعتمدت فى هذا الشأن على ما أورده أ.د. جوزيف نسيم يوسف حيث قدم أفضل عرض بالعربية أنظر:

جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨-١٤٥٣، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م ، ص١٥-ص٢٣ .

كذلك هناك تناول مهم فى المقدمة التى كتبها أ.د. رأفت عبد الحميد فى تقديم الترجمة العربية لكتاب هسى، أنظر هسى، العالم البيزنطى، ترجمة . رأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٣ - ٦٥ .

٢- يتطلب الأمر تسليط الضوء على ما عرف بأزمة القرن الثالث الميلادى؛ حتى يمكن معرفة قيمة الدور الذى قام به دقلديانوس ، فيلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية خلال المرحلة من ٢٣٥م إلى ٢٨٥م اعتلى العرش خلالها أكثر من ٢٦ إمبراطوراً وقد اغتيل أغلبهم وكان من يصل إلى العرش يقوم باغتيال معارضيه ، ولانغفل أن من مظاهر تلك الأزمة عدم الاستقرار السياسى والإضطراب الاقتصادى ، وتأثير غارات القبائل الجرمانية والفرس وعند تولى دقلديانوس الحكم تمتع بموهبة الإدارة ، فعمل على الفصل بين السلطتين العسكرية والمدنية ، وجعل الامبراطورية تنقسم إلى قسمين قسم شرقى وآخر غربى وكل قسم يتولاه امبراطور يتلقب بلقب أغسطس Augustus ، كذلك اتخذا اجراءات أخرى كان من شأنها إنقاذ الامبراطورية فيما هى فيه من اضطراب عن ذلك انظر:

رستو فتزف ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ، ت. زكى على ومحمد سليم سالم، ط. القاهرة ، ١٩٥٧م، ج١ ، ص٦٠٤- ٦١٧ .

سيد الناصرى : تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، ط. القاهرة ١٩٧٥م،ص٢٧٩-٢٨٠ .

حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣-١٨ . =

ثانيًا رأى البعض أن عام ٣٢٣م وهو عام تولية الامبراطور قسطنطين عرش الامبراطورية، هو الأجدر بذلك نظراً للتغيرات الفعَّالة التى حدثت خلال عهده.؛ وهو أمر سيتضح من خلال الصفحات التالية.

ثالثًا : وجد إتجاه آخر يقرر أن عام ٣٣٠م [١]؛ الأجدر بأن يكون تاريخ ميلاد الامبراطورية البيزنطية نظراً لافتتاح القسطنطينية فى ١١ مايو منه، والتى عدت عاصمة تلك الامبراطورية.

رابعًا : فَضَّل البعض عام ٣٩٥م على اعتبار أنه العام الذى قام فيه الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I بتقسيم الامبراطورية إلى قسمين شرقي حكمه ابنه أركاديوس Arcadius ، وغربى، وحكمه ابنه هونوريوس Honorius [٢].

خامسًا : اتخذ فريق آخر من المؤرخين عام ٤٧٦م ، بداية ذلك التاريخ على اعتبار إسقاط روما فيه على أيدى الجرمان بقيادة ادواكر Odoacer وانتهاء حكم الإمبراطور رومولوس أوجستيلوس Romulus Augustilus آخر امبراطور رومانى، وبذلك انتهت الامبراطورية فى الغرب- وعند أصحاب ذلك الرأى - بدأت الإمبراطورية الرومانية الشرقية أى البيزنطية.

سادسًا : هناك من قرر أنه حتى عهد الامبراطور جستنيان الذى امتد عهده بين عامى ٥٢٧ إلى ٥٦٥م ؛ لم يكن هناك دولة بيزنطية بالمعنى الشائع لتلك العبارة ؛ إذ حاول استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية من أيدى الجرمان، ولذلك ؛ اعتبره ذلك الفريق آخر إمبراطور رومانى، كما أوضح جوزيف نسيم يوسف[٣].

= أيضا هذه الدراسة:

محمد السيد محمد عبد الغنى، لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م، ص١٢٧ - ص١٤٠ .

١- وفى هذا المجال يقرر السير ستيفن رنسيمان ما نصه:

"The year 330 is the best date to take as The Starting- point for Byzantine History".
Runciman, Byzantine Civilization, p. 11 .

٢- اعتقد محمد صلاح سالم؛ أن ذلك التقسيم حدث بعد مصرع الامبراطور جوليان وهو أمر بعيد عن الصواب . انظر: محمد صلاح سالم، القدس - الحق - التاريخ والمستقبل، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٥٣ .

٣- تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨ .

سابعًا : رأى فريق آخر ؛ أن بداية ذلك التاريخ عام ٥٦٥م؛ وهو عام وفاة الامبراطور السالف الذكر؛ حيث فشلت جهوده فى استعادة القسم المفقود من الامبراطورية . وكان على القسم الشرقى أن يتجه اتجاهًا هللينيًا خاصًا به .

ثامنًا : وهو اتجاه يقول بعام ٧١٧م ؛ وهو عام تولية الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى Leo III The Isaurian الحكم فى القسطنطينية وتصديه لحصار المسلمين لها حينذاك وكذلك ظهور الخلاف حول عبادة الأيقونات .

تاسعًا : هناك قطاع من المؤرخين قرر أن عام ٨٠٠م، هو العام الذى يبدأ به التاريخ البيزنطى؛ ففى ذلك العام؛ تم تتويج شارلمان إمبراطوراً فى كنيسة القديس بطرس St. Peter فى روما، فمنذ تلك الحادثة- فى تقدير ذلك الفريق - ظهرت إمبراطوريتان واحدة فى الغرب وأخرى فى الشرق فى صورة الإمبراطورية البيزنطية.

ومن وجهة نظرى ؛ أرى أن عام ٣٣٠م ؛ وهو العام الذى شيدت فيه القسطنطينية العاصمة البيزنطية ، هو الأرجح لبداية التاريخ البيزنطى، حيث أن تلك المدينة كانت بمثابة القلب بالنسبة للإمبراطورية واستمرت الأخيرة قائمة طالما استمرت الحياة متدفقة فى ذلك القلب. وبالتالى ، فإن تأسيسها وافتتاحها فى العام المذكور لايمثل حدثًا عاديًا ؛ بل محوريًا فى تاريخ تلك الإمبراطورية على نحو خاص ، وتاريخ العصور الوسطى بصفة عامة.

على أية حال ؛ فإن ذلك الجدل حول الميلاد البيزنطى عَبَّر خير تعبير عن الطبيعة الجدلية العامة لذلك التاريخ منذ خطواته الأولى.

أما الممات البيزنطى فقد اتفق عليه غالبية المؤرخين بأنه ٢٩ مايو ١٤٥٣م عندما فتحت على أيدى الأتراك العثمانيين بقيادة محمد الفاتح وكان حاكمها حينذاك قسطنطين الحادى عشر آخر الأباطرة البيزنطية.

جدير بالتنويه؛ على مدى تاريخ تلك الإمبراطورية كان شبح الموت يتهددها ، وفى مرات متعددة كانت على وشك السقوط إلا أنها قاومت ذلك بكل ما أوتيت من عزيمة وقوة وقدرة على البقاء وقد أفادت من إمكاناتها المتوافرة ؛ الجغرافية والعسكرية والاقتصادية.

وهكذا ؛ ندرك تمامًا أن تاريخ بيزنطة ذاته مما هو إلا تاريخ تصارعها مع فكرة الموت[١] إلى أن حل بها فى العام السالف الذكر كقضاء محتوم لايمكن الفرار منه.

مهما يكن من أمر؛ نبدأ فى تناول عرضنا لمعالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من خلال الأسرات الحاكمة ونبدأ بأسرتى قسطنطين وثيودوسيوس.

١- فكرة الحياة والموت للكيانات الأوربية فى العصور الوسطى سبق أن تناولها كل من بربيه بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية، ونورمان كانتور بالنسبة لتاريخ أوربا العصور الوسطى بصفة عامة ، من ذلك مؤلفاتهما وهى:

Brehier, Vie et mort de Byzance, Paris 1946 .

Cantpor . Medieval History birth and death of civilization, New York 1969 .

وأتصور أن تلك الثنائية جديرة بأن تطرح بصفة مستمرة نظراً لمحوريتها ولتعدد معالجتها بين الحين والآخر.

أولاً : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس (٣٢٤-٥١٨م) :

نتناول فى العرض التالى ؛ أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس ودورهما فى التاريخ المبكر للإمبراطورية البيزنطية ، ويلاحظ أنهما يعدان وحدة تاريخية من خلال تواصل الأحداث التى وقت خلال عهديهما .

أما فيما يتصل بأسرة قسطنطين ؛ فقد حكم فيها عدد من الأباطرة فى صورة قسطنطين Constantine الذى يحلو للبعض تلقيبه بالكبير (٢٢٤-٣٣٧م) وقسطنطين الثانى Constantine II (٣٣٧-٣٤٠م) وقسطانز Constance (٣٣٧-٣٥٠م) وقسطنطيوس Constantius (٣٣٧-٣٦١م)، وجوليان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م) ، وجوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤م) ، وفالنز Valenz (٣٧٤-٣٧٨م) ، ويعد الامبراطور قسطنطين[1] صاحب أكبر تأثير من بين أولئك الأباطرة جميعًا ليس فى تاريخ تلك الأسرة فقط، بل على مدى مراحل التاريخ البيزنطى بصفة عامة.

ومن الممكن إيراد أبرز أعمال ذلك الامبراطور على النحو التالى :

أولاً : الاعتراف بالمسيحية كإحدى الديانات القائمة فى الامبراطورية ، ودوره فى مجمع نيقية عام ٣١٥م.

ثانيا : تشييد مدينة القسطنطينية ، وإفتتاحها عام ٣٣٠م.

وفيما يتصل بالإنجاز التاريخى الأول؛ من الملاحظ أن السيد المسيح عليه السلام ولد أثناء عهد الإمبراطور أغسطس Augustus (ت١٤م) فى بيت لحم واتجه إلى الدعوة للديانة الجديدة

١- قسطنطين الأول؛ هو فلافيوس فاليريوس كونستانتينوس Flavius Valerius Constantinos، ابن كونستانتينوس وهيلينا ، وقد قام الإمبراطور دقلديانوس بالإشراف على تربيته فى نيقية، وعندما تنازل عن العرش عام ٣٠٥م شارك والده فى حكم القسم الغربى، وعندما مات والده عام ٣٠٦م نادى به جنوده إمبراطوراً ، وفيما بعد قام بهزيمة ماكسنتيوس Maxintius فى معركة جسر ميليفيان بالقرب من روما عام ٣١٢م كما قام فى عام ٣٢٤م بهزيمة ليكينيوس Lecinius فى تراقيا ، وقد توفى قريبًا من نيقوميديا فى ٢٢ مايو ٣٣٧م.

عنه أنظر:

Eusebius, Extrats from Eusebius life of Constantine, Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol I , London 1896 . Nicol, A Biographical dictionary , pp. 24-25 .

رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة ، ج٢ قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

ونجد فى العهد الجديد صوراً متعددة لسيرة حياته ودعوته والأفكار التى أتى بها مع ملاحظة أن القديس بولس[1] St.Paul قام بدور بارز فى مجال تنظيم المجتمعات المسيحية المبكرة ، وكذلك وضع أسس اللاهوت المسيحى، ويلاحظ الإنتشار الواسع للمسيحية؛ جنبًا إلى جنب بجوار العقائد الوثنية مثل ديانة سيبل Cybele فى آسيا الصغرى، وديانة إيزيس[2] Isis المصرية ، ومثرا Mithras الفارسى[3] .

جدير بالذكر؛ تمكن المسيحيون من تشكيل جالية فى وقت مبكر خلال القرن الميلادى الأول، ويلاحظ أنها ظلت على مدى ثلاثة قرون؛ غير معترف بها من جانب الرومان .

١- القديس بولس St. Paul ؛ ولد فى طرسوس Tarsus فى كيليكيا Cilicia بآسيا اصغرى Asia Minor وقد عرف باسم سول Saul ، ومن المعروف أنه ورث المواطنة الرومانية من والده اليهودى، وقد توفى فى روما عام ٦٧م؛ ويمن عيده يوافق ٢٩ يونيو ، عنه أنظر:

Attwater, The Penguin dictionary of Saints, pp.266-278 .

أحمد زكى ، إنزعوا قناع بولس عن المسيح ، ط. الرياض ١٩٩٥م، أحمد على عجيبة ، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٥٣-ص٦٠ .

٢- إيزيس Isis؛ معبودة مصرية قديمة لها تاريخ ممتد عبر القرون وأول إشارة إليها نجدها فى نصوص الأهرامات التى ترجع إلى عام ٢٣٥٠ق.م ونجدها هى وأختها نفتيس Nephthys؛ تلعب دوراً بارزاً فى إعادة ميلاد الفرعون، ويلاحظ أنها كانت فى الأصل تجسيداً للعرش واعتبرت الأم الرمزية للفرعون، ويلاحظ أنها ظهرت فى صورة التماثيل البرونزية وهى جالسة تقوم بإرضاع طفلها حيث قامت تبحث عن جسد زوجها أوزوريس الذى قتله ست واعتبر الأول إله الخير والثانى إله الشر، عنها أنظر: مانفرد لوركر ، معجم المعبودات والرموز فى مصر القديمة. ت . صلاح الدين رمضان، مراجعة محمود ماهر، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٧ ، جورج يوزنر ، معجم الحضارة المصرية القديمة، ت أمين سلامة، مراجعة سيد توفيق، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧٦ - ص٧٧ .

E. W.W. R., Isis", ed. by Sernity young vol . I, New York 1999, pp. 487-488 .

٣- ميثراس Mithras؛ إله آرى الأصل عبد فى فارس بوصفه إلها للعقود، والاتفاقيات ، واعتبر حافظاً للحق ، والنظام . وقد دخلت عبادته روما فى القرن الأول للميلاد عنه أنظر :

محمد الصابر سالم . عبادة ميثراس فى روما ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م، ص٦-٩٧ .

كذلك تعرض أتباعها للإضطهاد خاصة فى عهد الإمبراطور نيرون Neron (٥٤-٦٨م)، ووصل الأمر إلى الذروة فى عهد الإمبراطور دقلديانوس Deocletianus [١] (٢٨٤-٣١٣م) حيث نعرف أنه أصدر خلال عامى ٣٠٣، ٣٠٤ م : أربعة مراسيم قضت بهدم الكنائس ، وإيداع رجال الدين المسيحى السجون[٢]، وقد اشترط تقديمهم القرابين للآلهة الوثنية : حتى يتم إطلاق سراحهم ، ويلاحظ أن المسيحيين؛ اعتبروا كافة من قتلوا من جراء الإضطهاد الرومانى خلال تلك المرحلة من الشهداء وهكذا : عرف ذلك العصر بعصر الشهداء ، ولانغفل هنا الإشارة : إلى أن الكنيسة المصرية جعلت عام ٢٨٤م الذى اعتلى فيه الإمبراطور دقلديانوس العرش؛ بداية لتقويمها : مما عكس أهمية ومحورية ذلك العام [٣]. بالنسبة لأقباط مصر .

مهما يكن من أمر؛ استمر الحال على هذا النحو إلى أن قام الامبراطور قسطنطين ، وشريكه فى الحكم حينذاك ليكينيوس بإصدار ما عرف بمرسوم ميلان Melan عام ٣١٣م،[٤] ومن خلال نصوصه يمكن استنتاج الآتى :

١- عن الإمبراطور دقلديانوس انظر ما سبق ذكره عنه وأيضًا:

Diehl, History of the Byzantine Empire, Trans . by George B. Ives, Princeton 1925 , p. 3 .

Grant, The Collapse and Recovery of The Roman Empire, New York 1999, pp. 39-48 .

٢- عن ذلك انظر:

Jones, The Later Roman Empire 284-602 , vol . I, Baltimore 1986, pp. 71-76 .

٣- Kamil, Coptic Egypt ,History and Guide. Cairo, 1990, p. 25 .

٤- تجدر الإشارة إلى أن المؤرخ الألمانى أو. سيك O. Seck خرج بنظرية عام ١٨٩١م ترى أنه لايوجد هناك مرسوم يسمى مرسوم ميلان Edict of Melan؛ إذ أن المرسوم الوحيد هو ذلك الذى عرف بمرسوم التسامح Edict of Tolerance الذى صدر من جانب جاليريوس Galerius عام ٣١١م، ولمدة طويلة فإن أغلب الباحثين لم يتقبلوا ذلك التصور وفى عام ١٩١٣ م وبمناسبة مرور ١٦٠٠ عام على تلك الحادثة ظهرت احتفالات فى العديد من الأقطار المسيحية وظهرت كتابات متعددة حول ذلك الأمر، ويقرر فازيليف أن الوثيقة التى صدرت فى ميلانو فى مارس ٣١٣ م من جانب قسطنطين وليكينيوس لم يكن مرسومًا بل مجرد خطاب إلى حكام مقاطعات آسيا الصغرى والشرق عمومًا شارحًا لهم كيفية التعامل مع المسيحيين وحاليًا أدرك الباحثون ذلك التصور ، عن ذلك أنظر:=

١- إن المسيحية ظلت أشبه شئ بحركة سرية منذ بدايتها حتى إعلان المرسوم المذكور .

٢- لم يكن ما عرف بمرسوم ميلان أول مرسوم من نوعه يعبر عن التسامح تجاه المسيحيين بل سبقه ذلك المرسوم الذى حمل اسم كل من جالريوس وليكينيوس . وهما من القيادات البارزة حينذاك ، مع ملاحظة أنه لم يعمل به[١] .

٣- أقر ما عرف بمرسوم ميلان برد كافة الحقوق الدينية للمسيحيين الذين حرموا منها، كذلك أقر بأن تعاد للكنيسة أماكن العبادة، والأراضى التى صودرت من المسيحيين دون إبطاء، مع الإقرار بدفع تعويض مالى كبير من الخزانة الإمبراطورية لأولئك الذين اشتروا من قبل أملاك الكنيسة[٢].

ولانزاع ؛ فى أن ما عرف بمرسوم ميلان يعد تحولاً نوعيًا له شأنه فى تاريخ تلك الديانة حيث نقلها من مرحلة الاضطهاد إلى مرحلة الاعتراف بها بين الأديان، والعقائد الموجودة فى ربوع الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف.

على أية حال؛ ثار جدل واسع النطاق حول دوافع قسطنطين لإيقاف الإضطهاد بالمسيحية، وكذلك احتمالية إعتناقه شخصيًا تلك الديانة أو إنعدام ذلك [٣]، وبصفة عامة :من الممكن القول بإدراكه مبكراً أن المسيحية حتمًا سيكون لها الشأن الأكبر فى مستقبل الأيام، وأن كافة المجهودات التى بذلتها الإمبراطورية الرومانية فى سبيل اضطهادها ذهبت أدراج الرياح لمنع

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 51-52 .

أنظر أيضًا : ممدوح درويش مصطفى ، التاريخ الرومانى من أقدم العصور حتى بداية العصر الإمبراطورى، ط. الرياض ٢٠٠٤م، ص٣٦٧-٣٦٨ .

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م. ص٣٨ ، معالم تاريخ الإمبراطورية،ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٢٦ .

٢- وسام عبد العزيز فرج. دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص٤٦ .

٣- أفضل عرض باللغة العربية عن مسيحية قسطنطين نجده لدى : المؤرخ الراحل الكبير أ.د. رأفت عبد الحميد ، أنظر: رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج٢، قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٠١-١٤٠ .

وهو أفضل مؤرخ عربى تخصص فى التاريخ الكنسى للإمبراطورية البيزنطية وقدم فى هذا المجال ٤ أجزاء من كتابه الدولة والكنيسة ، انظر : القائمة البيبليوغرافية فى نهاية الكتاب.

إنتشارها، وإجبار المسيحيين على العدول عنها، ورأى الوسيلة الأفضل للاستقرار السياسى، وكذلك دعم النشاط الاقتصادي؛ أن يتم الاعتراف بها ضمن المنظومة الدينية القائمة فى الإمبراطورية الرومانية، ولا نغفل؛ أن ذلك السياسى المحنك؛ أدرك ضرورة مشاركة المسيحيين فى بناء الإمبراطورية، وذلك لن يتأتى إلا من خلال روح التسامح، ونبذ الاضطهاد الذى لم يفد الإمبراطورية بشئ بل شجع المسيحيين على التمسك بديانتهم، وسقط الكثيرون منهم ضحية له واعتبروا شهداء حظوا بأكبر تقدير فى صفوف مقتنعى تلك الديانة.

أما فيما يتصل بمسيحيته؛ فمن المتصور أنه كان رجلاً سياسيًا، ولم يكن الدين يلعب دوراً بارزاً فى تفكيره بل مارس ببراعة لعبة توازن القوى Balance of Powers؛ فكان مسيحيًا مع المسيحيين، ووثنيًا مع الوثنيين، ويقال أنه اعتنق المسيحية، وهو على فراش الموت، وإذا صحت تلك الرواية؛ فإنها تؤكد أنه طوال حياته لم يكن مؤمنًا بها واعتنقها فى اللحظة الأخيرة!

من ناحية أخرى؛ يلاحظ أن ذلك الإمبراطور تدخل فى الخلاف الذى نشأ بين آريوس Arius، وهو أحد رجال الدين المصريين، وبين أثناسيوس Athanasius أسقف الاسكندرية، وقد نادى الأول بوحدانية الله، وعارض فى فكرة مساواة الأقنوم الأول والثانى فى نطاق الثالوث المقدس الذى يعتقد به المسيحيون.

وقد إتجه ذلك الإمبراطور إلي معالجة الموقف من خلال دافع سياسى فى صورة أن يظل السلام قائمًا فى ربوع الإمبراطورية، ولذلك؛ عقد مجمعًا كنسيًا فى مدينة نيقية[1] Nicea عام ٣١٥م شارك فيه (٣١٨) عضواً، وفيه تم تأييد أفكار اثناسيوس، وتكفير آراء آريوس الذى أمر الإمبراطور بنفيه.

١- عن مجمع نيقية أنظر:

Diehl, History of The Byzantine Empire, p. 9.

Jones, The later Roman Empire, p. 47 Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 44.

السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٢٨-٢٩، ميشيل جرجس، الكنيسة المصرية، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص٧٠-٧١. صبرى أبو الخير سليم، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٤٤-٤٥.

ويلاحظ هنا؛ أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح، وتصارع البعض على الجانبين البشرى والإلهى- كما يتصور المسيحيون ذلك- مثل ركنًا ركينًا فى تاريخ الفكر الكنسى، وقد استهلك طاقة الامبراطورية فى جدل واسع النطاق ، ولا أدل على ذلك من أن نفس الامبراطور قام فيما بعد بعقد مجمع آخر فى صور[١] Tyre وذلك فى عام ٣٣٤م؛ أى قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام تم فيه إلغاء قرارات مجمع نيقية السالفة الذكر ، وتم تأييد آراء آريوس Arius ، على نحو عكس أن عصر المؤسس البارز شهد بداية صراعات المجامع الكنسية حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام.

ويلاحظ هنا؛ أن موقف ذلك الإمبراطور، وتدخله فى أمور الكنيسة قد بدأ به ما عرف بالقيصرية البابوية Caesaropapism[٢]؛ أى أنه إمبراطور، وأسقف معًا .

ولتوضيح ذلك ؛ تؤكد على أن الامبراطور قسطنطين ومن أتى بعده من الأباطرة - وعلى نحو خاص جستنيان [٣]، (٥٢٧-٥٦٥م) - اعتقدوا أنهم أصحاب سلطة مزدوجة فباعتبارهم

= ويلاحظ هنا؛ أن ذلك المجمع أدى إلى صدور ما عرف بعقيدة الإيمان النيقى وتنص على أن الابن مساو للأب فى الجوهر Homousius (الهوموسية) وأن الابن مولود غير مخلوق (كما يعتقد قطاع من المسيحيين) وأصبح هذا القانون هو الأساس الإيمانى الأرثوذكسى إلى يومنا هذا على الرغم من التعديلات التى دخلت عليه بصور متعددة ، عن ذلك انظر:

رأفت عبد الحميد ، «سوزومينوس Sozomenus المؤرخ الغزاوى»، ص١٢١، حاشية (٢٦) ، عبد الواحد داود الآشورى، الانجيل والصليب، قدم له وعلق عليه محمد على سلامة، .ط. القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٤ .

١- عنه أنظر: رأفت عبد الحميد ، «السمو البابوى بين النظرية والتطبيق»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م (١٣ ، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص١٦٣ .

٢- عن مصطلح القيصارية البابوية أنظر:

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 148-150. pp. 257-258 .

رأفت عبد الحميد ، السمو البابوى بين النظرية والتطبيق»، ص١٦٣ .

٣- جدير بالإشارة؛ أن جستنيان - الذى سنفصل الحديث عنه فيما بعد- قرر ما نصه : «حيث أن الامبراطورية Imperium، والكهانة Sacerdotium تنبعان من مصدر واحد، فليس هناك ما يهم الامبراطور فى المقام الأول إلا خيرية الكنيسة وسمعتها »، عن ذلك أنظر: رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص١٦٣ . وأيضًا

Vasiliev, Op. cit , p. 148 .

رومان عدوا أنفسهم الورثة التاريخيين والشرعيين للأباطرة الرومان من الناحية السياسية ، ومن الناحية الدينية اعتبروا أنفسهم ورثة الرسل، وقد أطلق المؤرخون على تلك السلطة المزدوجة؛ مصطلح «القيصرية البابوية» السالف الذكر ، للدلالة على أن ما يمثله البابا فى الكنيسة الغربية ؛ يمثله الإمبراطورية فى الكنيسة الشرقية ، وهو ما شكل ظاهرة عرفت بإسم اللاهوت السياسى Political Theology فى تاريخ الديانة المسيحية[١].

بصفة عامة؛ وضع ذلك الإمبراطور قاعدة اتبعها الاباطرة الرومان المسيحيون، أو الأباطرة البيزنطيون وهى رئاسة الامبراطور للمجامع الدينية[٢].

جدير بالإشارة ؛ يعد تأسيس مدينة القسطنطينية بمثابة الإنجاز التاريخى البارز لذلك الإمبراطور وهى التى ستغدو بمثابة القلب البيزنطى. وقد فكر فى بداية الأمر ، فى إتخاذ عاصمة جديدة بدلاً من روما ، وقد راوده تفكيره فى إتخاذ مسقط رأسه نيش Nich الواقعة فى شمالى البلقان، كذلك تصور فى مرحلة أخرى إمكانية اتخاذ مدينة سرديكا Sardica لذلك الغرض؛ وهى المعروفة باسم صوفيا Sophia[٣]، فى نيقوميديا Nicomedia فى الطرف الشرقى من بحر مرمرة كعاصمة له[٤]، غير أن كافة تلك الاختيارات نحاها جانبًا ، ومال تفكيره إلى اتخاذ العاصمة فى جهة الشرق حتى يتمكن من مراقبة تحركات كل من الفرس، والعناصر الجرمانية [٥].

١- عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص٧٥ . دراسة ممتازة لباحث يمتاز بالتحليل والعمق.

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 25 .

٣- شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ت. مصطفى طه بدر. ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص١٦ . محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص٢٨-٢٩ .

٤- شارلز أومان، المرجع السابق، ص١٦ .

٥- محمود سعيد عمران ، المرجع السابق، ص٢٩ ، وعن الجرمان بصفة عامة أنظر:
Tacitus, Tacitus on Britain and Germany, Trans. by H. Muttingly, The Penguin Book , London 1954 , pp. 101-140 , La Monte, The World of the Middle Ages, New York 1949 , pp. 36-50 .

وبالفعل كان ذلك الاختيار الأفضل مقارنة بغيره من الاختيارات السابقة وأكدت وقائع التاريخ صحته .

وأخيراً ؛ توصل إلى موضع جغرافي عبقري في صورة قرية بيزنتيوم Byzantium التي كان قد أسسها قائد يسمى بيزاس Byzace ومعه مجموعة من إغريق مدينة ميجارا Megara عام ٦٥٧ ق.م[١] ضمن حركة الاستعمار الإغريقي الكبرى، وقد اتخذت شكل مثلث تحيط به المياه من ثلاثة جوانب في صورة البسقور Bosphore، وبحر مرمرة Marmara Sea ، والقرن الذهبي Golden Horn.

= Wolfram, History of the Goths. Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkeley 1990, pp. 19-573 .

من أفضل الدراسات في موضوعها أنظر:

Howarth, Attila king of the Huns , The Man and Myth, New York 1994 .

Wells, The Barbarian Speak how The Copnquered Peoples Shaped Roman Europe , Princeton 1999 .

Katz The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York, 1960 , p. 88-89 .

إبراهيم طرخان ، تاكيتوس والشعوب الجرمانية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

على الغمراوى ، ملحمة البطولة الجرمانية، ط . القاهرة ١٩٧٢م، محمد محمد مرسى الشيخ، الممالك الجرمانية في أوربا في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م.

محمد شاكر محمود، الجرمان ، نظمهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٩٣م، ص١-ص١١، ص-١٥ ، ص٢٣٥ .

١- Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 57 .

محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م، ص١٣، حاشية (١٦) .

وميجارا Megara: مدينة وقعت في وسط شبه جزيرة اليونان بالقرب من خليج كورنثا، وفصل ميجارا عن كورنثاجبل جيرانينز Geraniens ، كذلك فصلها عن أتيكا جبل كيراتا Kerata، وقد عرفت ميجارا سكانا منذ الفترة الموكينية، وتعرضت فيما بعد للغزو الدورى، ويبدو أن الدوريين أطلقوا عليها اسم ميجارا نسبة إلى قصور الميجاريون. وهى على نمط معمارى خاص. واشتهر أهل ميجارا بالملاحة، وبالفعل صاروا من أوائل الاغريق الذين اتجهوا إلى إنشاء المستوطنات خلال مركز الاستعمار الاغريقى الكبرى، وقد أقاموا =

جدير بالذكر : أن العاصمة الجديدة وقعت على خط عرض ٤٣ ، وخط طول ٢٩ ، وكان خليج البسفور ، وكذلك خليج الدردنيل بمثابة بوابتين للمدينة[١] التى حملت اسم مؤسسها فصار اسمها القسطنطينية Constantinople وقد أعطى لها ذلك الموقع الفريد إمكانية التحكم فى حركة السفن القادمة من البحر الأسود والمتجهة إلى البحر المتوسط.

والأمر المؤكد : أن القرن الذهبى مثل أهمية خاصة بالنسبة لتلك الامبراطورية الوليدة، فقبل مرور مياه البسفور فى بحر مرمرة وجد هناك من الداخل إلى الشمال الغربى خليج كبير مقوس بلغ طوله سبعة أميال عرف بالقرن الذهبى، وكذلك وجد بين ذلك القرن وبحر مرمرة نتوء جبلى أشبه شئ بمثلث متساوى الساقين له رأس مستويه فى مواجهة قارة آسيا ، وبالتالى: صار البحر يحميها من كافة الجهات باستثناء جهة واحدة[١].

= مستوطنة ميجارا هيبلاليا Megara Hyblalia فى صقلية تقريبًا فى عام ٧٣٨ ق.م ومستعمرة سليمبيا Selymbria على بحر مرمرة عام ٦٦٧ ق.م ، كذلك أقاموا مستعمرة بيزنطة على البسفور، وفيما بعد صار أهل ميجارا يتحكمون فى تجارة البحر الأسود، عن ذلك انظر: عزت زكى حامد قادوس ، العملات اليونانية والهلينستية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص١١٩-١٢٠ ، محمد كامل عباد، تاريخ اليونان، ط. دمشق ١٩٩٣م، ج١؛ ص١٩٩، فوزى مكاوى، تاريخ العالم الاغريقى وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ ق.م ط. القاهرة ، ١٩٩٩م، ص٨١ ، حاشية (١٣)، حسن صبحى بكرى، الاغريق والرومان والشرق الاغريقى الرومانى، ط. الرياض ١٩٨٥م، ص١٨ .

Faoflaub, " The Transformation of Athens in The Fifth century", in Boedeker & Raaflaub (eds.), Democracy , Empire and the Arts in the Fifth Century Athens, Cambridge , 1998 , p. 18 .

وعن حركة الاستعمار الاغريقى أنظر:

حسين عبد الحميد الأشرم، دراسات فى تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربى، ط. بنى غازى ١٩٩٦م، ص٩٩ .

٢- محمد سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٢٩ .

٣- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٤٩ .

وفى هذا الشأن يذكر إسحاق بن الحسين (ق١٠ م / ٤ هـ) عن القسطنطينية ما نصه : «لها ثلاثة أبواب وجوانب ، جانبًا إلى البحر ، وجانب إلى البر مما يلى الروم» عن ذلك أنظر: إسحاق بن الحسين ، آكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان ، إعتناء فهمى سعد، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص١١٦ .=

فـإذا لاحظنا أن ذلك الموقع «العبقرى» قد أعطاها مناعة طبيعية تزايدت من خلال الدفاعات الصناعية التى شيدت بها بالإضافة إلى أهلها الذين دافعوا عنها دفاعًا مستميتًا عندما ادلهمت الأخطار ؛ أدركنا كيف أن تلك المدينة وقفت خاصة فى العصرين المبكر والأوسط كقلعة حصينة تنظر بعين السخرية الساخرة تجاه كل من رام إسقاطها أو نجحت فى ذلك على مدى عدة قرون باستثناء حادثتين تاريختين سوف يتم تفصيلهما فى الصفحات التالية.

من زاوية أخرى؛ أدى ذلك الموقع الجغرافى الفذ إلى أن لعبت بيزنطة دوراً محوريًا فى تجارة عالمى البحر الأسود والمتوسط وتجارة الشرق والغرب وغنمت من وراء ذلك أموالاً طائلة[١] وبالتالى : حققت ثراءً عريضًا اعترفت به المصادر اللاتينية الغربية فيما بعد[٢] ، وصارت موضع حسد جيرانها، ودفعت - فيما بعد- ثمنًا فادحًا لذلك.

على أية حال ؛ لايفهم من القول السابق؛ أن التاريخ البيزنطى أسير الحتمية الجغرافية ؛ إذ أن تلك الأخيرة لاقيمة لها دون الفعل الإنسانى تفاعلاً معها، ومن المؤكد أن شعوب الإمبراطورية التى وصفت بالحيوية والنشاط الاقتصادى الزاخر؛ استثمرت ذلك الموقع الجغرافى لصالحها بوجه عام.

= وينبغى ألا يفهم من المزايا المتعددة لموقع القسطنطينية أنها كانت متكاملة العناصر، إذ أن أحوالها المناخيه اتسمت بالحر الشديد فى الصيف، والرياح الشمالية الباردة فى الشتاء عبر البحر الأسود. عن ذلك أنظر: جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٤٩ .

١- نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ت. حسين مؤنس ومحمود زايد ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص٧-٨ .

وعن التجارة فى الإمبراطورية البيزنطية أنظر:

Runciman, Byzantine Civilization, pp . 130-142 .

وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادى عشر ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧٧-١٣٠ .

٢- عن ثراء القسطنطينية أنظر شهادتين من الغرب الأوربى:

Robert Clari, The Conquest of Constantinople . Trans. by E. it . Mc Neal. New York 1936. p. 81, p. 101 .

ويتجه بعض الباحثين الغربيين إلى تصوير دور قسطنطين فى إختيار موقع العاصمة الجديدة على أنه يعكس «عبقرية» خاصة ، والأمر - فى تقديرى- لايعدو أن يكون إحياءً لموقع جغرافى قديم، وحسن تقدير ، والعبقرية هنا هى فى الأصل عبقرية المكان فى المرتبة الأولى، ومن بعدها الخبرة الإنسانية حتى عصر قسطنطين .

مهما يكن من أمر ؛ تم إفتتاح العاصمة الجديدة فى ١١ مايو عام ٣٣٠م[١]، وذلك بعد أن تم إنفاق الأموال الطائلة على تشييدها كى تتنافس روما التيبر، ونعرف أن تشييدها استغرق المرحلة من عام ٣٢٤ إلى عام ٣٣٠م ؛ أى على مدى سبع سنوات إلى أن افتتحت فى اليوم المذكور فى احتفال امبراطورى مهيب [٢].

على أية حال ؛ احتوت العاصمة على مرافق مدنية ودينية متعددة فى عصر قسطنطين وإمتد عمرانها إلى درجة كبيرة فيما بعد عهده. وبصفة عامة يمكن إيراد أهم معالم القسطنطينية على النحو التالى :

= Villehardouin, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villehard ouin, Chronicles of the Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, 1963 , pp. 58-49 .

ومن المسلمين أنظر: مجهول: حدود العالم من الشرق إلى الغرب، ت. عن الفارسية وتحقيق يوسف الهادى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٨٤ .

١- على الرغم من الاتفاق على أن افتتاح القسطنطينية حدث فى ١١ مايو ٣٣٠م ، إلا أن نوريش اعتقد أن ذلك حدث فى يوم الاثنين ١٢ مايو ٣٣٠م. وهو مالايجد من يزيده ، انظر رأيه :

Norwich, Byzantium , The decline and Fall, New York 2000, p. XXXIII .

أما الرأى الصاحب نجده لدى:

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11 .

٢- عن ذلك هذه المقالة المهمة:

Emereau, " Notes Sur Les Origines et la fondation de Constantinople ", R.A.T., XXI, 1925 . pp. 1-25 .

وأيضًا :

Diehl. Byzantium. Greatnes and Decline. New Jersy 1957, pp. 94-111 .

اشتملت على القصر الإمبراطورى ؛ وهو مركز المدينة ، ووقع فى الجزء الجنوبى الشرقى.

- تم إقامة الهبدروم Hippodrome أو ساحة السباق وطل على مرفأ القصر. واحتوى على مقصورة عرفت باسم الكاسيسما Kathisma ويطل من خلالها الامبراطور على الشعب عند مخاطبته له .

- ابتداءً من مدخل القصر وسحة السباق إلى امتداد ميلين كان هناك الشارع المسمى «الشارع الأوسط» وهو متسع تحف به من جانبيه العقود (البواكى) وكان يمر من خلال سوقين أحدهما سوق قسطنطين الملاصق للقصر ، وفيما بعد ؛ تم إقامة سوق ثيودوسيوس الذى فاقه فى المساحة ، وتفرع فى النهاية إلى شارعين رئيسيين كذلك وجد عدد من الكنائس وبكثافة عددية ومن أشهرها كنيسة القديس سرجيوس ، والقديس باكوس.

- لانغفل اللمسة الجمالية التى وجدت فى القسطنطينية، حيث أقيمت التماثيل ، ومن بينها تمثال لأفروديت . - إلهة الجمال عند الإغريق فى حى زيجما الواقع على القرن الذهبى.

- احتوت المدينة على شوارع متسعة ، وأخرى ضيقة، وفيما بعد اشتملت على القصور الفخمة، والأكواخ الصغيرة، كذلك الحدائق الغنَّاء.

- احيطت بسور قوى كان فى عهد قسطنطين يمتد من القرن الذهبى إلى بحر مرمرة [١]. ومع تعاقب القرون بعد عصر قسطنطين ازداد عمرانها ، واحتوت على مظاهر للفخامة والعظمة حتى أن السائحين والرحالة الذين قدموا إليها اعجبوا بما شاهدوه فيها[٢] .

١- Runciman, The Byzantine Civilization, p.

٢- عن أوصاف الرحالة والجغرافيين المسلمين - على سبيل المثال - للقسطنطينية أنظر ابن الفقيه. كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادى، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص١٨٣ ، ابن خرداذبه. المسالك والممالك. ط. القاهرة ب-ت ، ص١٠٩-١١٠ ، ابن رسته، الأعلاق النفيسة ، ط. ليدن ١٨٩٢م، ص١١٩-١٢٣ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ط. بيروت ١٩٩٢ ، ص١٧٧ ؛ المقدسى ، أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم. ط. بيروت ب-ت ، ص١٤٥ ، القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص٤-٦ ؛ ليلى عبد الجواد ، «القسطنطينية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين»، المؤرخ المصرى، العدد (٣) ، يناير ١٩٨٩م، ص١٥١-ص٢٠٢ ، العدد (٤) ، ص١٠٩-١٤٥ . شمس الدين الكيلانى. صورة أوروبا عند العرب فى العصر الوسيط. ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٣٠٥-٣٠٦ .=

ولانغفل هنا الإشارة ؛ إلى أن قيام الإمبراطور قسطنطين بالإنتقال إلى الشرق وتشييده لتلك العاصمة جعلت بعض المتحمسين للبابوية يعتقدون أنه ابتلى بمرض الجذام ، ولم يشف إلا بصلوات من البابا سلفستر الأول Silvester I[1] (٣١٤-٣٣٥م) ، ورددوا أن ذلك الامبراطور كافأه بإصدار قانون يمنح البابا لبس التاج، واستعمال الصولجان كالأباطرة تمامًا ، وحتى لاتتأثر السلطة البابوية بوجود الإمبراطور فى روما؛ فكر فى تركها للبابوية، وقد اشتهر ذلك بما عرف بهبة قسطنطين Donation of Constantine، وهى هبة مزعومة ظلت ذات تأثير طوال العصور الوسطى إلى أن فندها الباحث الايطالى لورانزو ڤاللا Loranzo Valla عام ١٤٤٠م من خلال بحث تناولها بالدراسة والتحليل ، حيث قرر أن انتقال الإمبراطور قسطنطين إلى الشرق لادخل له البته بتلك الهبة المزيفة[2]، وبالتالى سقطت تلك الهبة

= وعن الرحلة والرحالة الغربيين فى الإمبراطورية البيزنطية أنظر هذه الدراسة الممتازة:

Ciggaar , western Travellers to Constantinople , The West and Byzantium 962-1204 : cultural and Political Relations, Leiden 1996, pp. 1-77 .

وأيضًا :

Majeska (G.), Russian Travelers to Constantinople in The Fourteenth and Fifteenth Cenuries, Washington 1984 .

وعن الوصف الطوبوغرافى للقسطنطينية وعمرانها أنظر:

Janin, Constantionple byzantine : development urbain et repertoire Topographie , Paris, 1950 .

١- سلفستر الأول ؛ بابا وقديس ، تولى المنصب البابوى خلال المرحلة من ٣١ يناير ٣١٤ إلى ٣١ ديسمبر ٣١١م إلى ١٠ يناير ٣١٤م، عن ذلك انظر:

Kelly , Oxford dictionary of Popes , pp. 26-28 .

٢- عن هبة قسطنطين أنظر: هارتمان وباراكلاف ، الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى، ت. جوزيف نسيم يوسف، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص٥٥ .

ميلاد المقرحى، تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م، منشورات جامعة قار يونس، ط. بنغازى ١٩٩٦م، ص٣٥ .

الاكذوبة بعد أن ظلت سيفًا مشرعًا لعدة قرون يسلطه أنصار البابوية ضد أنصار الإمبراطورية.

من ناحية أخرى ؛ نلاحظ عن ذلك الإمبراطور المؤسس روايات تاريخية صاحبها جانب أسطورى، وقام المؤرخ البيزنطى الأول يوساب القيسارى Eusebius Caesarensus – كما وصفه البعض– بدور بارز فى هذا المجال حيث اعتبره الحوارى الثالث عشر للسيد المسيح – كما أسلفت الإشارة من قبل– ومن قبيل تلك التصورات الأسطورية؛ تلك الرواية الشائعة عندما رأى فى ليلة من ليالى خريف عام ٣١٢م صليبًا من النور مكتوب عليه «بهذا سوف تنصر»[(١)]، وردد المؤرخون أن تلك الحادثة كانت سببًا فى إتخاذه للصليب شعاراً ، ومن الجلى البين ؛ أن الوقائع التاريخية لاتفسر بمثل تلك التصورات بل من خلال الدوافع السياسية ونتائجها المتوقعة على المدى القصير والبعيد. خاصة بالنسبة لقيادة بارزة مثل قسطنطين .

١- ترددت تلك الرواية كثيراً ، وتم الأخذ بها على إعتبار أنها صادرة من يوساب القيسارى مؤرخ سيرة حياة قسطنطين، بينما علينا ألا نغفل أن ورودها لديه؛ عكس الطابع الدينى الذى أضفاه على الامبراطور، مع ملاحظة أن ما نسب إليه من قتله لزوجته الثانية، وابنه ينفيان تلك الصبغة الدينية التى أراد إضفاءها ذلك المؤرخ على سيده .

عن ذلك أنظر: هارولد أيدن سمايل، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ت عبد اللطيف أحمد على ومحمد عواد حسين، ط. الاقاهرة ١٩٥٤م، ص١٣ ، عبد القادر اليوسف ، الإمبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص١٣ .

من جهة أخرى؛ وتعميقًا للفكرة السابقة؛ من الملاحظ أن زوجته الثانية فاوستا Faustu؛ قامت بدور بارز فى التآمر على ابنه كرسبوس Crispus من زوجته الأولى منرفينا Minervina وقد اتهمته بأنه هام بها حبًا، ولذا قرر قسطنطين بالفعل إعدام ابنه فى بولا Pola عام ٣١١م فمات إما بالذبح أو بالسم، وفيما بعد عندما اكتشف براءة ابنه من ذلك الاتهام؛ ندم ندمًا شديداً وشيد له تمثالاً ذهبيًا نقش عليه عبارة تقول «إلى ولدى الذى أعدمتهبغير حق »، أما فارستا ، فقد اتهمتها أمه هيلينا انتقامًا من مقتل كرسبوس بوجود علاقة مشينة لها مع أحد العبيد فى الاسطبلات الإمبراطورية، وبالفعل ؛ تم قتلها عن طريق البخار المتصاعد الناتج عن غلى الماء.

عن ذلك انظر: إدوارد جيبون ، إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ت. محمد على أبو درة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ج١ ص٣٨٠ – ص٣٨١ : عليه الجنزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨م، ص١٩٨–٢٠٠ .

لقد تأثر بالرؤية اليوسابية المؤرخون فى العصر الوسطى وامتد الأمر إلى العصر الحديث ودائمًا يورد اسمه على أنه «قسطنطين الكبير»، وانتقل الأمر إلى المؤرخين العرب بالضرورة !؛ والأمر لايخلو من زاوية الدعاية التى تفيض بها مصادر تاريخ العصور الوسطى سواءً فى الشرق البيزنطى أو فى الغرب الأوروبى على حد سواء.

كذلك لانغفل أن المؤرخين الذين وقفوا فى أسر «كاريزما» البطل المؤسس؛ نظروا إليه بإنبهار؛ فبالغوا فى مختلف سياساته ، وأنعكس ذلك بدوره على كتاباتهم التاريخية .

تبقى زاوية محورية عن عهد الامبراطور قسطنطين ، تركت أثراً كبيراً على التراث الروحى خلال العصور الوسطى؛ إذ أن أمه هيلينا Helena [1]، زارت مدينة بيت المقدس، ويقال أنها عثرت هناك على بعض الآثار المسيحية المبكرة ، وقامت بتشييد كنيسة المهد فى بيت لحم ، وكنيسة القيامة فى بيت المقدس[2] اللتان صارتا أهم المزارات المسيحية فى فلسطين طوال العصور الوسطى وحتى عصرنا الحالى.

١- عن دور القديسة هيلانه أنظر:

Eusebius, Extrait From Eusebius life of Constantine , Trans. by John Vernard , P. P. T.S., vol . I , London 1896, p. 11 .

Kuelzer, " Byzantine and Early Post Byzantine Pilgrimage to The Holy Land Travel, in Macrids, (ed.) Travel in Byzantine World Byzantine World , Bullington 2002, . 152-153 .

إسحق عبيد ، قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصلب أسطورة أم حقيقة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، م (١٧) ، عام ١٩٧٠م، ص٥-٢١ . عليه الجنزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية، ص١٢٩-١٣٤ ، هنرى كتن، القدس الشريف، ت. نور الدين كنانه، ط. عمان ١٩٨٩م، ص٥٨ ، حاشية (٢) محمد مؤنس عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٦٢، حاشية (٥٠) .

٢- كنيسة القيامة Church of Resurrection بنتها هيلانه أم قسطنطين عام ٣٢٥م، عند الجلجثة ؛ وهو الموقع الذى يقال أنه عنده تم اكتشاف ما يعتقد أنه خشبة الصليب . ويلاحظ أن الفرس قاموا بإحراقها فى عهد كسرى عام ٦١٤م وتمت إعادة بنائها على يدى الراهب مودستين عام ٦١٧م ، وفيما بعد؛ عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب إليها عام ٦٣٦م، رفض الصلاة فيها حتى لايحولها المسلمون إلى مسجد، وقد قام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى عام ١٠٠٩م بتدميرها وإن عمل ابن الخليفة الظاهر على إعادة بنائها بمعاونة

لقد دعمت هيلانة أمر الحج إلى فلسطين ، ومنذ القرن الرابع الميلادى، تدفقت جموع غفيرة من الحجاج إلى هناك لزيارة تلك المواقع التى شهدت الذكريات المبكرة للمسيحية، وفيما بعد، صارت هيلانه تحمل لقب قديسة، St. Helena.

بصفة عامة ؛ وصلت إلينا كتابات عدد كبير من الحجاج الأوربيين الذين زاروا تلك البقاع، وسجلوا خواطرهم، ومشاعرهم حتى صار أدب[1] الحج المسيحى ركنًا ركينًا من أداب العصور الوسطى ، وصار مصدراً أساسيًا من مصادر دراسة تلك الحقبة التاريخية التى نشطت فيها الظاهرة الدينية .

مهما يكن من أمر ؛ خَلَفَ قسطنطين ، أبناؤه الثلاثة قسطنطين الثانى (٣٣٧-٣٤٠م) وقنسطانز (٣٣٧-٣٥٠م) وقسطانطيوس (٣٣٧-٣٦١م)[2].

= عام ١٨٣٤م، ولم يتم إصلاحها إلا عام ١٨٦٩م باتفاق فرنسا وروسيا وإشراف الدولة العثمانية؛ عن كنيسة القيامة أنظر:

Arculfus, The Pilgrimage of Arculfu in The Holy land , Trans . by Machpherson , P.P.T.S., vol . III, London 1885 , p. 45 .

ناصر خسرو، سفرنامه، ت. يحيى الخشاب، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص٧٤-ص٧٦ ، الإدريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص٣٥٨ ، فاروق عز الدين، القدس تاريخيًا وجغرافيًا ، ط. القاهرة ١٩٨١م ، ص٧٤- ص٧٥ ، عماد الدين خليل، «فلسطين فى الأدب الجغرافى العربى» ضمن كتاب ، دراسات تاريخية ، ط. بيروت ١٩٨٣م، ، ص١٣٩ ، رشدى الأشهب ، المعالم الأثرية فى فلسطين ط. القدس ٢٠٠٢م، ص٣٩ ، محمود سعيد عمران، «أركولف ورحلته إلى الشرق ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص٢٣٢ .

وقد تصور زياد المدنى أنها شيدت فى عهد قسطنطين الرابع . وهو رأى جانبه الصواب ، انظر زياد عبد العزيز المدنى، مدينة القدس، وجوارها خلال الفترة ١٢١٥م / ١٢٢٥هـ / ١٨٠٠-١٨٣٠م ط. عمان ١٩٩٦م، ص٢٩٦ .

٢- محمود سعيد عمران ، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ط. بيروت ٢٠٠٢ م، ص٣١ .
توفى قسطنطيوس وقسطانز، وهكذا ؛ إنفرد قسطنطين الثانى بالسلطة عام ٣٥١م،

ليحكم الإمبراطورية عشر سنوات حتى موته عام ٣٦١م[1]، وخلالها : تنامى الخطران الفارسى والجرمانى من خلال ظهور قبائل الهون، وإن أمكن تحجيم ذلك الخطر مرحليًا من خلال الامبراطور جوليان .

على أية حال ؛ يعد الامبراطور جوليان الملقب - من جانب أعدائه- بالمرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م)[2]، من أهم الأباطرة فى أسرة قسطنطين وخلال مدة حكمه

١- محمود سعيد عمران، الامبراطورية البيزنطية، ص٣١ .

٢- جوليان Julian هو فلافيوس كلاوديوس جوليانوس Flavius Claudius Julianus، وهو ابن أخى قسطنطين الأول، كما أنه ابن عم الإمبراطور قسطنطيوس Constantius وقد أطلقت عليه الكنيسة تعبير المرتد Apostate، وتولى فى شهر يونيو عام ٣٦٣م. عنه أنظر : Julian. Works, Trans. by W.C. wright, 3 vols .. London 1913 .

Gardiner, Julian Emperor and Philosopher and the last Struggle of Paganism againest Christianity, London 1895 .

Ridley ,Julian the Apostate and the Rise of Christianity, London . 1937 .

Browning , The Empeor Julian , London , 1975 .

Bowersock , Julian the Apostate, London 1978 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , California 1997, pp. 59-6 .

Jones, The Later Roman Empir, pp. 119-123 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 68-78 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 46-47 .

Norwich , A short History of Byzantium , Penguin Book, London 1997 , pp. 25-26 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 65 .

رأفت عبد الحميد «مصرع جوليان الفيلسوف الإمبراطور» ، ضمن كتاب قطوف دانية مهداة إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعى، ط . عمان ١٩٩٧م، ج١، ص٤٨١- ص٥٣٣ ، نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية، ص٤١ . هارفى بوتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص٥٥١-٥٥٢ .

القصيرة اتجه إلى إحياء الوثنيـة من جديد، ويلاحظ تأثره بأفكار الفيلسوف ليبانيوس Libanius[١]: الذى نادى بأفضليـة الوثنية مقارنة بالمسيحية [٢]، وقد اتجه إلى إصدار عدة قرارات من أجل إحيائها فأمر بإعادة فتح معابدها ، وتقديم القرابين للآلهة الوثنية وفى بداية الأمر ، وقف موقفًا وسطًا بين الوثنية والمسيحية، غير أنه فيما بعد ؛ إنحاز للأولى ضد الثانية ؛ فعزل المسيحيين من المناصب العسكرية ، وكذلك المدنية لتحجيم نفوذهم وحتى لايمثلوا أية أخطار فى مواجهة الإمبراطور ، كذلك إتجه إلى إبعاد الصلبان ، وصور السيد المسيح، والسيدة مريم العذراء عليهما السلام، وجعل بدلاً منهما الرموز الوثنية[٣].

والواقع أن سياسة جوليان كانت بمثابة الصحوة المؤقتة للوثنية ؛ لأنه عمليًا لم يكن من الممكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ، ولم يكن فى الإمكان أن يتخلى المسيحيون عن المكاسب التى حققوها من خلال عهد الامبراطور قسطنطين ، وانتهت تلك المرحلة المؤقتة التى لم يكتب لها الاستمرار بمقتله عام ٣٦٣م [٤].

جدير بالذكر ؛ لم يجد الإمبراطور جوليان من المؤرخين الكنسيين إلا العداء الشديد، ولم يعملوا على إنصافه ، وكالوا له الإتهامات على نحو ضاعت معه حقيقته .

١- ليبانيوس، ، فيلسوف أنطاكى وثنى رأى أن الآلهة الوثنية هى التى كانت من وراء صنع مجد روما، وقد تأثر به جوليان وقد اتهم المسيحيين صراحة بأنهم كانوا من وراء قتل ذلك الامبراطور ، عنه : رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص٥٢٩ .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٦٥ .

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire , pp. 72-76 .

٤- عن ذلك أنظر:

Baynes, " The death of Julian The Apostate in a Christian Legend", in Byzantine Studies and other Essays, Connecticut 1974 , pp. 271-281 .

يلاحظ أن هناك من قرر أن ذلك الإمبراطور لم يمارس أى نوع من أنواع الإضطهاد التى مارسها من قبل الأباطرة الوثنيون ضد المسيحيين ؛ وإنما إتبع نمطًا فكريًا اتفق مع تكوينه الفلسفى فى مواجهة المسيحيين حتى أن القديس جيروم لقبه «الاضطهاد النبيل» عن ذلك أنظر:

رأفت عبد الحميد، الفكر المصرى فى العصر المسيحى، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٨٨ .

على أية حال ؛ تولى من بعده الإمبراطور جوفيان Jovian ٣٦٣-٣٦٤م [١]، الذى لايذكر له التاريخ سوى عقده هدنة مع الفرس بلغت مدتها ثلاثين عامًا، وكأنه تصور أن الإلتزام بها سيستمر إلى ذلك العدد المبالغ فيه من الأعوام، وقد تنازل لهم عن مناطق فى بلاد ما بين النهرين وكذلك أرمينيا [٢]، ومن ناحية أخرى؛ نجد أنه عاد إلى رعاية المسيحية على حساب الوثنية ، على عكس السياسة التى سار عليها سلفه جوليان من قبل.

يتفق كل من جوليان وجافيان ؛ فى قصر مدة الحكم وإن اختلفا فى السياسة تجاه الفرس؛ حيث حاربهم الأول ، وهادنهم على نحو مذل الثانى، كذلك أيد الأول الوثنية وخالفه خلفه بتأييد المسيحية. بصفة عامة ؛ حكم الإمبراطورية خلال الأعوام الواقعة بين عامى ٣٦٤، ٣٧٨م الإمبراطور فالنز Valens[٣]، وفى عهده تنامى خطر عناصر القوط الشرقيين الذين

١- تولى جوفيان المنصب الامبراطورى فى ٢٧ يونيو ٣٦٣م وتوفى فى ١٧ فبراير ٣٦٤م ، ويلاحظ أنه اختلف عن جوليان فى بعض الجوانب منها اتجاهه نحو الخمر والنساء ، كما أن تعليمه كان محدوداً وبالتالى اختلف عن سابقه ، ويلاحظ أن جافيان على الرغم من كونه مسيحيًا إلا أنه تسامح مع معتقدات الوثنيين عنه أنظر:

O. D.B., vol 2 , pp. 107 , 1077 . Nicol, ABiographical dictionary, p. 65 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 78 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 47 .

Jones, The Later Roman Empire , p. 138 . Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , p. 62 . O.D.B., vol 2, p. 1076-1077 .

محمود سعيد عمران ، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها ، ص٣٢- ص٣٣ ؛ نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٥٨ نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص٤١ .

٢- Ostrogorsky, Op.cit., p. 47 .

٣- الإمبراطور فالنز Valens ؛ ولد فى سيبلاى Cibalae فى بانونيا Pannonia عام ٣٢٨م ، وفيما بعد؛ تولى المنصب الامبراطورى فى ٢٨ مارس ٣٦٤م، وكان ضابطًا فى الجيش فى عهدى جوليان Julian ، وجافيان Javian ، وقد توفى بالقرب من أدريانوبل Adrianople فى ٩ أغسطس ٣٧٨م.

عنه أنظر : O.D.B ., Vol . 3, p. 3149 .

Nicol,Op. cit , p. 134 . Diehl, History of the Byzantine Empire , p. 7 .

تزايد عددهم وكانوا قد اعتنقوا المسيحية على المذهب الأريوسى وبحثوا عن موارد للطعام، وسمح لهم -مضطراً- بعبور نهر الدانوب، وكان ذلك من القرارات التاريخية القاتلة التى اتخذها ودفع الإمبراطور ثمنًا فادحًا فى مقابلها .

وقد أدى ذلك العبور ؛ إلى استقرارهم داخل ربوع الإمبراطورية ، وقد قرر البعض اعدادهم بنحو ٢٠٠,٠٠٠ شخص وذلك دون حساب ذويهم وعبيدهم [١]، دون إمكانية التأكد من مثل تلك الأرقام في عصر لم يشهد إحصاءات دقيقة وعندما اشتد بهم الجوع وقد يكون فى الرقم مبالغة لكنه- على أية حال - لايخلو من دلالة تاريخية ، وفيما بعد ؛ إزداد العداء بين الطرفين؛ على نحو أدى إلى وقوع معركة أدرنه فى ٩ أغسطس من عام ٣٧٨م[٢]، التى أورد وقائعها المؤرخ أميانوس ماركلينوس Ammianus Marcellinus [٣]، وهى - بلاريب - من المعارك الحاسمة فى التاريخ وقد نتج عنها عدة نتائج يمكن إجمالها فى الآتى:

أولاً : تم إلحاق الهزيمة المروعة بقوات الإمبراطور فالنز، بل قُتل خلالها ثلثى جيشه. وكان القتل كذلك من نصيب الإمبراطور شخصيًا .

ثانيًا : من المقرر أن الرومان لم يصيبوا بهزيمة مروعة فى تاريخهم مثل تلك الهزيمة فى أدرنة منذ صراعهم مع القائد القرطاجى هانيبال [٤].

١- إسحق عبيد، من آلارك إلى جستنيان ، دراسة فى حوليات العصور المظلمة ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٦ .

٢- عن معركة أدرنة أنظر:

Oman . A History of the art of war in the Middle Ages vol . I, London 1927, p. 14-15 .
Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 67 .

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٢-٣٣ ، رأفت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية ، العقيدة والسياسة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٢٤ ، الدولة والكنيسة، ج٤ ، ثيودسيوس وأمبروز. ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص٤١-ص٤٢ .

جدير بالذكر؛ أن هناك من المؤرخين من تصور أن تلك المعركة فاصلة وتصلح لتكون بداية للعصور الوسطى الأوربية .

عن ذلك أنظر: جوزيف نسيم يوسف ، دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص٢٠ ، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص٢٧ .

٣- رأفت عبد الحميد ، المرجع السابق، ص١٢٣ .

٤- شارلز أومان ، المرجع السابق، ص٣٣ .

ثالثًا : كانت النتيجة المباشرة لمعركة أدرنة أن إتجه القوط الشرقيون الذين انتشوا بخمر النصر إلى مهاجمة القسطنطينية ذاتها، إلا أن حصانتها، ومناعتها، وقفت حائلاً دون إخضاعهم لها ، وهكذا ؛ يمكن القول ؛ أن أسوار تلك المدينة منعت القوط من استثمار إنتصارهم التاريخى وهو أمر تكرر مرات متعددة لأعداء آخرين على مدى عدة قرون تالية[١].

رابعًا : يقرر البعض أن تلك المعركة كانت بمثابة فاتحة عهد جديد بين الجرمان والإمبراطورية؛ فمن قبل كانوا ينظرون إليها بالتقدير والاحترام خاصة مع وجود الفارق الحضارى الشاسع بينهم وبين الرومان، أما من بعد المعركة؛ زاد طموحهم إلى حد كبير ، ورغبوا فى الإستفادة من حصاد الحضارة الرومانية [٢].

خامسًا : لا نغفل - فى معرض عرضنا لنتائج تلك المعركة- الإشارة إلى أنها جاءت مقدمة لمرحلة محورية فى القرن التالى فبعدها بأقل من مائة عام وبالتحديد عام ٤٧٦م ؛ ستسقط روما القديمة Roma Antiqua حاضرة نهر التيبر على أيديهم ، وستبقى روما الجديد Roma Nova أى القسطنطينية بعيدة عن ذلك المصير، لتقوم بدور العمق الاستراتيجى والعاصمة البديلة عن روما التى صارت خاضعة للسيادة الجرمانية .

على أية حال ؛ من الممكن إدراك عدة أحداث رئيسية وضحت من خلال دراسة أسرة قسطنطين وتتمثل فى تأسيس العاصمة ، والتسامح مع المسيحية ، والارتداد القصير إلى الوثنية ، ثم الهزيمة الفادحة فى أدرنه .

أما أسرة ثيودسيوس وهى مكملة فى أعمالها لأسرة قسطنطين ؛ فقد حكمت خلال الأوام من ٣٧٩ إلى ٥١٨م ، وبالتالى؛ امتد عهدها إلى قرن، وقرابة أربعة عقود من الزمان، وتوالى عهدها من خلال عدد من الأباطرة فى صورة ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩-٣٩٥م) ، وأركاديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨م) وثيودوسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)، ومرقيان Marcian (٤٥٠-٤٥٧م) ، وليو الأول الكبير Leo I (٤٥٧-٤٧٤م) ليو الثانى Leo II (٤٧٤م) وزينون Zenon (٤٧٤-٤٩١م) واناستاسيوس Anastasius (٤٩١-٥١٨م).

١- سيتدعم ذلك خاصة بعد الدور الذى قام به الامبراطور ثيودوسيوس حيث عمل على اقامة أسوار مدعمة للأسوار الموجودة من قبل هو ما سنفصله فى موضع تالٍ.

٢- رأفت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية، العقيدة والسياسة، ج١ ، ص١٣٠ .

والواقع ؛ أن أهم أولئك الأباطرة من حكم خلال المرحلة الممتدة من ٣٧٩ إلى ٣٩٥م وكذلك من ٤٠٨ إلى ٤٥٠م فى صورة ثيودوسيوس الأول ، وتيودوسيوس الثانى ومن ثم سيتم تسليط الضوء عليهما نظراً للإنجازات التاريخية التى حدثت خلال عهديهما .

وفيما يتصل بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول [1]؛ نجد أنه ما قام بمواجهة تزايد خطر العناصر الجرمانية بأن عمل على استيعابهم فى الإمبراطورية ، ولذا عقد معاهدة مع عناصر القوط وعلى أساسها ؛ صاروا معاهدين Foederati للإمبراطورية [2]، كذلك تم إعتبارها قوة احتياطية للجيش الرومانى ، ثم أعطاهم إقليم تراقيا ليتخذوه مسكنًا لهم. ولاريب؛ فى أن كارثة معركة أدرنة كانت ماثلة أمام ناظريه على نحو أكد له تزايد خطر العناصر الجرمانية وضرورة التعايش معها ؛ تجنبًا لمزيد من الأخطار فى المستقبل.

من زاوية أخرى؛ اتجه ذلك الإمبراطور إلى تقسيم الإمبراطور بين ولديه أركاديوس Arcadius الذى حصل على القسم الشرقى، وهونوريوس Honorius الذى نال القسم الغربى[3]، وهكذا؛ فإنه بوفاة ثيودوسيوس الأول عام ٣٩٥م إنفصل الشرق عن الغرب، وصار كل فى مسار تاريخ مختلف عن الآخر.

١- ثيودوسيوس الأول ؛ كان أسبانيًا تفوق فى ساحات الوغى، وقد عينه الإمبراطور جراتيان Gratian عام ٣٧٩م بمثابة إمبراطور مشارك ، وقد حكم خلال المرحلة من العام المذكور حتى عام ٣٩٥م حيث توفى فى ميلان بايطاليا وتم نقل جثته إلى القسطنطينية عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary . pp . 124-125 .

Vasiliev, History of the Byzantine State, pp. 48-50 .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٧١ .

حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٤١ .

داونى، أنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير، ت. البرت بطرس، ط. بيروت ١٩٦٨م.

٢- عن ذلك انظر :

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 48 .

٣- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 88 .

Ostrogorsk , Op. cit., p. 49 .

حسنين ربيع ، المرجع السابق، ص٤٢.

نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى، ص٦٠ .

وفى عهد ثيودوسيوس ؛ حدث تطور حاسم فى تاريخ الديانة المسيحية عندما إتخذها الديانة الرسمية للإمبراطورية ؛ وبذلك تأكد لنا ؛ أن المسيحية مرت بثلاث مراحل على مدى أربعة قرون ؛ الأولى مرحلة الإضطهاد ، ثم مرحلة التسامح والاعتراف بها كديانة من الديانات الموجودة فى الإمبراطورية، ثم التحول إلى أن تكون الديانة الرسمية ، وقد صدر فى عهد ثيودوسيوس مرسوم إمبراطورى يحظر على معتنقى العقائد الوثنية أن يظهروا شعائرهم الدينية ، وفرض عقوبات رادعة من أجل العمل على مقاومة الوثنية ومناصرة المسيحية[١] وبذلك قام بخطوة جديدة لم تكن لدى الإمبراطور قسطنطين من قبل.

من ناحية أخرى؛ إتجه إلى عقد مجمع كنسى عرف بمجمع القسطنطينية عام ٣٨١م[٢]، وأعلن فيه بصورة نهائية عدم مشروعية الآريوسية وبالتالى حاربها فى أنحاء الإمبراطورية ، وهكذا ؛ يتأكد لنا ؛ أن عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول يعد مكملاً ومتشابها مع عهد المؤسس البارز قسطنطين ، وعلى نحو خاص فى الناحية الدينية من خلال دعم المسيحية ، وكذلك عقد المجامع الكنسية لمناقشة الخلافات الدينية بين الفرق المسيحية المتصارعة.

أما عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى[٣] (٤٠٨-٤٥٠م)؛ فإن أهم ما حدث فيه يتمثل

١- عن إتجاه ثيودوسيوس الأول إلى إتخاذ المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية أنظر:

Angold , Byzantium The Bridge From Antiquity to the Middle Ages, London 2001, p.4

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 82 .

بارو ، الرومان، ت. عبد الرازق يسرى، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص١٩٢-١٩٣ .

٢- عنه :

Diehl, History of the Byzantine Empire. p. 9 .

٣- ثيودوسيوس الثانى؛ لم يكن قد تجاوز السابعة من عمره عندما توفى والده أركاديوس فى يناير عام ٤٠٨م فتولى الوصاية عليه انتيموس وزير والده، ومن بعد ذلك أخته بولخيريا ، وقد تزوج فيما بعد من اثيناس يودوكيا عام ٤٥٠م، عنه أنظر:

Diehl , History of The Byzantime Empire , p. 10 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 51, p. 55 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 66, p. 96 .

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 126-126 .

فى الإسهام القانونى البارز ؛ حيث أصدر عام ٤٣٨م، مجموعة قانونية وهى التى عرفت باسم Codex Theodosianus[(١)] التى يراها الباحثون حدثًا مهمًا فى تاريخ التشريع الرومانى فى مرحلة ما قبل جستنيان، قد دلت على ما حققته المسيحية من تأثير فى مجال التشريع ، وكذلك فى الحياة الاجتماعية [(٢)].

جدير بالذكر؛ احتوت تلك المجموعة على التشريعات القانونية التى صدرت منذ عهد الامبراطور قسطنطين حتى تلك التى أصدرها ثيودوسيوس ، ويلاحظ أنها كانت مصدراً مهمًا من المصادر القانونية التى اعتمد عليها الإمبراطور جستنيان[(٣)] فى مرحلة تالية من التاريخ البيزنطى.

ولانغفل هنا ؛ أن تلك التشريعات صدرت خلال مرحلة الغزو الجرمانى لمناطق الغرب الأوربى وبالتالى أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على التشريعات الجرمانية التالية مثل قوانين القوط ويلاحظ أن جميعها كما قرر أحد المؤرخين البارزين إصطبغت بالصبغة المسيحية[(٤)].

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأباطرة البيزنطيين الذين اهتموا بالجانب القانونى، كانوا أكثر بقاءً فى التاريخ على المستوى الحضارى من أولئك الذين اهتموا فقط بعالمى الحرب والسياسة وتلك ملاحظة جديرة بالاهتمام فى دراسة التاريخ البيزنطى، مع عدم إغفال حقيقة محورية وهى أن هناك أباطرة قلائل اهتموا بالجانبين ؛ أى بالقانون والحرب والسياسة ، على نحو ضمن لهم المكانة الأكثر فعالية فى مسار ذلك التاريخ الحافل بالأحداث.

كذلك تم فى عهد ثيودوسيوس الثانى حدث مهم على الصعيد الحربى الاستراتيجى فى صورة إقامة أسوار جديدة للقسطنطينية امتدت من بحر مرمرة حتى القرن الذهبى نحو ميلين غربى السور القديم الذى شيد من قبل وقد حدث ذلك عام ٤١٣م، بعد خمس سنوات فقط من تولى ذلك الإمبراطور العرش ؛ مما عكس إدراكه لأهمية تشييد ذلك السور خلال تلك المرحلة

١- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٥٠، حاشية (٧٠) .

Vasiliev ,p. 101 .

٢- نفسه ، نفس الصفحة والحاشية.

٣- نفسه، نفس الصفحة والحاشية.

٤- نفسه، نفس الصفحة والحاشية (٧) .

المبكرة من عهده ، دَعَّم الأمر من خلال إقامة أسوار بحرية عام ٤٣٩م [١]، اتصلت بالأسوار البرية السالفة الذكر، ولاريب ؛ فى أنها دعمت دفاعات القسطنطينية . وصارت فى مأمن من غزواتها على تعددهم، وقوتهم ، وعلى مدى عدة قرون تالية.

واقع الأمر؛ من الممكن القول أن ثيودوسيوس الثانى بتلك الأعمال العمرانية الحربية الدفاعية ؛ ساهم بصورة كبيرة فى تدعيم القلب البيزنطى فظل ينبض بالحياة قرون تالية دون أن يسقط فى قبضة أعدائه، وذلك دون إغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال، كوجود الأباطرة الأقوياء، واستبسال البيزنطيين فى الدفاع عن عاصمتهم ونحو ذلك.

لانغفل كذلك أنه خلال عهده حدث تطوير مهم فى صورة صدور قرار تنظيم جامعة القسطنطينية عام ٤٢٥م التى كان لها دورها فى الحياة العلمية البيزنطية وهو قرار محورى أثر على تاريخ بيزنطة الحضارى لعدة قرون تالية .

على أية حال ؛ فى عهد الإمبراطور زينون (٤٧٤-٤٩١م) حدث تطور على جانب كبير من الأهمية فى مسار الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى فى العصور الوسطى ، فى صورة سقوط روما على أيدى الجرمان وذلك فى عام ٤٧٦هـ ، وقد تزعم الجرمان القائد ادواكرا Odauacer، الزعيم الجرمانى لقبائل الهرول Heruls، والروجيين Rugians ولم يكن الإمبراطور الرومانى الأخير رومولوس أوجستيلوس Romulus Augustelus[٢]

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٧٢ .

ويلاحظ أن تلك الأسوار لم يكتمل تشييدها إلا حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى، ومنها سور ارتفاعه بلغ ١٢ متراً وتم تزويده بـ ٩٦ برج مراقبة، ومن ورائه وجد سور ثانى إرتفاعه ١٠ أمتار واحتوى هو الآخر على ٩٢ برجًا كما تم حفر خندق عميق تراوح عمقه بين ٥ ، ٧ أمتار. ومن بعد ذلك كان هناك سور ثالث.

عن تفصيل تشييد تلك الأسوار أنظر:

محمود سعيد عمران ، «تحصينات مدينة القسطنطينية فى مواجهة الغزوات الخارجية»، بحث ألقى فى ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار ، وإتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م.

Whitow, The Making of Byzantium 600 . 1025, Los Angelos 1996, p. 426 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 125 .

٢- رومولوس أوجستيلوس : تولى العرش الإمبراطورى خلال المرحلة من ٣١ أكتوبر ٤٧٥م إلى =

(٤٧٥-٤٧٦م) الذى يصلح لمواجهة الأحداث الخطيرة التى واجهت الإمبراطورية حينذاك، ومن المهم هنا الأخذ بذات التصور الذى قال به المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى Arnold Toynbee صاحب نظرية التحدى والاستجابة Challenge and Respons التى أوردها فى كتاب دراسة التاريخ Astudy of History عندما أدرك أن إدواكر ليس له الادعاء بأنه صاحب إسقاط روما ؛ لأنها سقطت من الداخل قبل الخارج بعد أن إنهار نظامها السياسى ومعه البناء الاقتصادى ، والاجتماعى، والإدارى.

جدير بالذكر؛ طلب ذلك القائد الجرمانى من الإمبراطور زينون الموافقة على وضعه السياسى الجديد فى الغرب الأوروبى لكن الإمبراطور البيزنطى لم يكن ليقبل ذلك؛ لإعتقاده بأن النظرية السياسية الرومانية لم تكن لتقبل سوى إمبراطور واحد لإمبراطورية واحدة.

لانغفل أن تلك النظرية؛ ستكلف بيزنطة ثمنًا باهظًا من الرجال، والأموال والوقت والجهد على الرغم من أن أحداث التاريخ كانت تتغير من حولها، وإذا بها تصر على تبنى تلك التصورات !! ولذلك لم تكن لتقبل باستمرار التغير الذى حدث على أرض الغرب الأوروبى، ومن هنا ؛ كان تدخلها فى قلب قضاياه دعمًا لتلك النظرية السالفة الذكر.

مهما يكن من أمر؛ فى عهد آخر إمبراطور من أباطرة أسرة ثيودسيوس ؛ ونعنى به أناستاس (٤٩١-٥١٨م) حدث إنقلاب عسكرى من جانب أحد القادة هو جستين، وتمكن من خلاله من الوصول إلى العرش الإمبراطورى .

وجدير بالإشارة ؛ أن ذلك المشهد تكرر كثيراً فى التاريخ البيزنطى، فكلما ظهر فى الجيش البيزنطى قائد بارع رفعه إنتصاره العسكرى إلى عليين ؛ دفعه ذلك إلى التطلع إلى المنصب الإمبراطورى الرفيع الشأن، وفيما بعد؛ حكم الإمبراطورية قادة عسكريون «ديماجوجيون»

= ٤ سبتمبر ٤٧٦م ، ومن المحتمل أنه توفى بعد عام ٥٠٧ أو ٥١١ م، وكان قد أعلن كأوجستس Augustus من جانب والده أورستس Orestes الذى عمل بمثابة السكرتير السابق لأتيلا Atila.

عنه أنظر :

O.D.B., vol . III, p.1812 . Vasiliev, History of the Byzantime Empire, p. 267 .

وعن سقوط الإمبراطورية الرومانية أنظر هذه الدراسة المتخصصة : محمود الحويرى باللغة العربية، رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.

وهى دراسة قيمة لم تنل اهتمامًا يليق بها من الباحثين .

عملوا على إثارة مشاعر الجماهير من خلال الانتصارات العسكرية ، وهكذا ؛ ندرك أن الجيش البيزنطى كان قادته أحيانًا على استعداد لدخول معترك السياسة ، ولم يكن لهم مؤهل لذلك سوى الحرب والتفوق فيها ودغدغة مشاعر الجماهير الملتهبة بنتائجها المظفرة ومن أمثلة ذلك ما حدث خلال عهد الأسرة المقدونية حيث تولى أمرها بعض القادة العسكريين على نحو كشف عن دور المؤسسة العسكرية البيزنطية فى صنع تاريخ تلك الإمبراطورية وبصورة عكست صعوبة الفصل أحيانًا بين السياسة والحرب فى ذلك التاريخ الحافل بالأحداث.

يبقى أن نذكر عن أسرة ثيودوسيوس أن الإمبراطور أناستاسيوس الأول (٤٩١-٥١٨م) عمل على تجديد أسوار القسطنطينية عام ٤٩٧م من أجل تأمينها فى أعقاب هجوم الجرمان على البلقان عام ٤٩٣م[1] ؛ مما عكس أن أكثر من امبراطور شارك فى ذلك .

وعند المقارنة بين أسرة قسطنطين وثيودوسيوس نجد أنهما تمثلان مرحلة تاريخية واحدة، ومترابطة، ولاريب فى أن أسرة ثيودوسيوس تعد إمتداداً طبيعيًا لأسرة قسطنطين ، فإذا كان الأخير شيد القسطنطينية وأوقف الاضطهاد الذى لحق بالمسيحية ، فإن ثيودوسيوس الأول جعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية ، وقام ثيودوسيوس التالى بتدعيم حصانتها ، على نحو أكد التواصل بين الأسرتين.

كذلك لانغفل اهتمام المؤرخين القدامى ومن بعدهم المؤرخين المحدثين بقسطنطين من خلال أعماله ؛ فاق اهتمامهم بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول على الرغم من أن كلاً منهما من مؤسسى الأسرات البيزنطية الحاكمة، ولانغفل أيضًا؛ أن الأول أحيط بهالة من التقديس أما الثانى فلم يتوافر له ذلك.

من ناحية أخري ؛ من الملاحظ أن أسرة ثيودوسيوس تميزت باهتمام إمبراطورها ثيودوسيوس الثانى بالجانب القانونى، كذلك هناك إصداره قراراً بتنظيم جامعة القسطنطينية؛ مما انعكس بدوره على النظم التعليمية البيزنطية فيما بعد؛ فإذا أضفنا إلى ذلك جميعه دعمه لدفاعات المدينة وهى التى ظلت العامل الأول فى مواجهة أعدائها؛ أدركنا أهمية تلك الأسرة فى التاريخ البيزنطى.

ذلك أمر أسرتى قسطنطين ، وثيودوسيوس ودورهما فى العصر البيزنطى المبكر؛ أما الصفحات التالية، فيتم فيها تناول أسرة جستنيان.

١- وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص٤٣ .

ثانيًا : أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠م)

نتناول فى الصفحات التالية؛ بالعرض أبرز الأحداث التاريخية التى وقعت خلال عهد أسرة جستنيان ؛ لتكوين رؤية موضوعية عن حجم الإنجاز التاريخى الذى تحقق حينذاك ، وتقويمه بين الإيجابيات ، والسلبيات وذلك ضمن المسار العام للتاريخ البيزنطى.

لقد تولى العرش الإمبراطورى من تلك الأسرة ٦ أباطرة هم: جستين الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧م) وجستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م)، وجستين الثانى Justin II (٥٦٥-٥٧٨م) ، وتيبريوس الأول Tiberius I (٥٧٨-٥٨٢م) ، وموريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) ، وفوكاس Phocas (٦٠٢-٦٢٠م)، قد امتد عمر تلك الأسرة (٩٢) عامًا.

على أية حال ؛ تولى جستين حكم الإمبراطورية خلال الأعوام من ٥١٨ إلى ٥٢٧م وعاونه ابن أخته جستنيان الذى كان على مستوى أفضل من التعليم ، وبعد انقضاء حكم جستين تولى الأمر الأخير حتى عام ٥٦٥م[١].

مهما يكن من أمر ؛ هناك عدة مشكلات تواجه الباحث عند التصدى لأعمال جستنيان على نحو خاص يمكن إجمالها فى الآتى :

أولاً : وجود مصادر تاريخية معلنة، وأخرى سرية عن عهده ومن أمثلة الأولى؛ ما ألفه بروكوبيوس Procopius وكذلك يوحنا الليدى John Lydus، ومن أمثلة النوع الثانى من المؤلفات ما ألفه بروكوبيوس نفسه تحت عنوان التاريخ السرى، وهكذا؛ نجد روايات تاريخية متناقضة ومختلفة لمؤرخ واحد عن نفس الإمبراطور !!!.

١- عن عهد الإمبراطر جستنيان بصفة عامة أنظر :

Procopius, Secret History, Trans. by Richard Atwater, Michigan 1961 .

Holmes, The Age of Justinian and Theodora , 2 vols., London 1912 .

Ure. Justinian and his age , London 1951 .

Moorhead . Justinian , London 1994 .

Browning, Justinian and Theodora, London 1987 .

Evans , The Age of Justinian, the circumstances of imperial Power, London 1996 .

اسمت غنيم ، إمبراطورية جستنيان، ط. جدة ١٩٧٧م ، محمد فتحى الشاعر، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى عصر جستنيان. رسالة دكتوراه ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق ١٩٨٥م.

ثانيًا : ظهر فى عهد جستنيان تأثير قوى لحواء البيزنطية فى صورة زوجته الإمبراطورة ثيـــودورا Theodora[١] التى - وفق ما أورده - بروكوبيوس كانت من أصول اجتماعية وضيعة، وعملت كراقصة وانحرفت وتزوجها الإمبراطور ، وتمتعت بإرادة قوية ، وذكاء حاد وبصفة عامة لايمكن الفصل بين الإمبراطور وتأثير زوجته عليه حتى وفاتها عام ٥٤٨م. على امتداد ٢١ عامًا ؛ أى أكثر من نصف مدة حكمه ، ومن بعد ذلك العام المذكور حتى وفاته عام ٥٦٥م من الممكن القول بإطمئنان أن جستنيان حكم منفرداً بعد أن حطمه رحيلها على مدى ١٨ عامًا هى السنوات العجاف على مستواه الشخصى .

بصفة عامة :من الممكن إجمال أهم أحداث عصره على النحو التالى.

أولاً : ثورة النصر Nika عام ٥٣٢م.

ثانيًا : حروبه ضد العناصر الجرمانية .

ثالثًا : النهضة القانونية والعمرانية .

رابعًا : السياسة الدينية.

خامسًا: الكوارث الطبيعية. سادسًا: الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فى عهده.

١- ثيودور : زوجة جستنيان ، كانت فى الأصل ابنة ساق فى إحدى الحانات التى وجدت فى الهيبدروم (ساحة السباق) وعاشت حياة ماجنة خليعة، وسافرت إلى ليبيا ، وكذلك مصر ، وتحديداً الاسكندرية، وقيل أنه كان لها ابن غير شرعى، وعملت على إيواء التائبات من بائعات الهوى البيزنطيات، وقد ماتت بمرض السرطان فى ٢٨ يونيو عام ٥٤٨م، ويقال أن وفاتها أدت إلى أسوأ الأثر على نفسية جستنيان ، وافتقد القدرة على الابتكار كما قرر دونالد نيكول ، عن ثيودورا بالتفصيل أنظر:

Procopius , pp. 20-31 .

Evans , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002. pp. 13-119 .

Nicol, ABiographical dictionary , p. 120 .

Hussey , The Byzantium World , New York 1961 , p. 21 .

Id., Theodora , Empress of Byzantium . Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New York 1972, pp. 45-147 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 20-22 .

Evans, Procopius , New York 1972 , p. 128 .

حبيب جاماتى، ثيودورا الممثلة المتوجة ، ط. القاهرة ب-ت .

أيضًا : بول وليمان، ثيودورا ، جزءان ، ط. بيروت ١٩٦٥م.

وفيما يتصل بالعنصر الأول؛ وجد في العاصمة البيزنطية حزبان سياسيان؛حزب الزرق وحزب الخضر ، وقد تنافسا ، كما أن الإدارة الإمبراطورية اشتدت في فرض الضرائب على المعاصرين . وفيما بعد ؛ اتحد الحزبان المذكوران للثورة ضد جستنيان وقامت أحداث شغب واسعة النطاق في العاصمة البيزنطية وتمكن الثوار الذين قدر عددهم بعشرات الآلاف من هزيمة قوات الإمبراطور .

وعندما اضطربت الأمور خلال أحداث إندلاع الثورة على مدى الأيام من ١١ - ١٩ يناير ٥٣٢م [١]؛ فكر الإمبراطور في أن يلوذ بالفرار ، إلا أن زوجته ثيودورا التي امتلكت إرادة قوية، ورغبة صادقة في قبول التحدي، قالت له عبارات حاسمة حازمة «ما من إنسان يأتي إلى هذه الدنيا إلا ومصيره الموت في النهاية، ومن يمارس السلطة لايطيق الحياة في المنفى، فإذا أردت أن تنجو بنفسك أيها الامبراطور فليس ثمة ما يمنعك من ذلك ، وهاك البحر والسفن والأموال . تريث قليلاً ، وسل نفسك ، ألا تندم على فرارك، ووصولك إلى ملاذ آمن فتود أن لو كنت آثرت الموت على النجاة بالهزيمة ؟ أمّا أنا فباقية هنا والحلة الملكية الأرجوانية هي عندي أجمل الأكفان »[٢].

وقد كانت لتلك الكلمات التأثير البارز على الامبراطور الذي استمد منها طاقة للمقاومة، ومن المفترض أن ثيودورا نظراً لأصولها الاجتماعية الفقيرة كانت أقدر على التعامل مع تلك الثورة التي دامت ثمانية أيام عاصفة تعد من أصعب الأيام في حياة ذلك الامبراطور على مدى سنوات حكمه فيما بين ٥٢٧-٥٦٥م !.

على أية حال ؛ تمكن الإمبراطور من مواجهة تلك الأحداث العاصفة ، وساعده على ذلك؛ حدوث إنشقاق في صفوف الثوار، حيث استطاع رئيس الخصيمان ويدعى نارسيس من إستمالة زعماء حزب الزرق بالأموال ، ولذلك طالبوا أنصارهم بالتوقف عن المشاركة في تلك

١- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي ، ص١٢٧ ، وعن ثورة النصر أنظر:

Barker, Justinian and the Later Roman Empire, Wisconson 1966, pp. 82-91 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 154-157 .

رأفت عبد الحميد ، «الثورة الشعبية في القسطنطينية ٥٣٢م»، ضمن كتابه بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة. ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٩٩-٢٤٩ ، وهي الدراسة العربية المتخصصة عن الموضوع .

٢- عن ذلك النص أنظر: نعيم فرح ، المرجع السابق، ص١٢٧ .

الأحداث[١]، كما لابد من الإشارة ؛ إلى دور بارز للقائد بلزاريوس Belisarius[٢] الذى تمكن ومعه قواته من الفتك بقسوة بآلاف الثوار الذين دفعوا حياتهم ثمنًا للثورة ونظر المؤرخون الرسميون إليهم على أنهم مجرد مثيرى شغب. على اعتبار أن التاريخ دومًا يكتبه المنتصر.

فى نهاية المطاف؛ أصيبت ثورة النصر بالهزيمة؛ ومن بعدها شدد الإمبراطور قبضته على العاصمة من أجل تجنب تكرارها فى المستقبل بعد أن لقنته درسًا قاسيًا .

لاريب فى أن الأيام العصيبة السالفة الذكر كان لها أثرها على الأعوام التالية من حكم جستنيان ، ويرى البعض أن هناك عدة نتائج نجمت عن ثورة النصر.

فقد أدى فشلها إلى انتصار الأوتوقراطية وتدعمت سلطة الإمبراطور بينما- من جهة أخرى- أصيبت الأحزاب السياسية بالشلل[٣]، كما أن المدن البيزنطية قد فقدت الحرية المدنية، والمنظمات البلدية التى كانت موجودة فى مدن الامبراطورية الرومانية القديمة [٤].

كذلك أكدت وقائع تلك الثورة أهمية دور الشعب البيزنطى الذى كان يثور أحيانًا عندما يتعرض لضغط فتصادى زائد خارج عن قدرته على تحمله .

= وعن موقف ثيودورا من تلك الثورة أنظر:

Evans, " The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. vol . LIV , 1984 , pp. 380-387

١- نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى، ص١٣١ .

٢- بليزرايوس ؛ قائد عسكري خبير عمل فى خدمة الإمبراطور جستنين وهناك من يقرر أنه كان المخطط لأغلب المعارك التى مكنت ذلك الإمبراطور من استرداد عدد من الأقاليم من أيدى الجرمان، خلال المرحلة الأولى من حروب الاسترداد ، ويلاحظ مواجهة لعدد من المصاعب ، من ذلك اتهامه بالخيانة، ولم ينقذه من ذلك سوى الإمبراطورة ثيودورا التى كانت صديقة لزوجته، ومن بعد وفاة ثيودورا انقلبت الأمور فى غير صالحه، وتولى نارسيس قيادة الجيش وتقاعد بلزاريوس وإن تم استدعاؤه فيما بعد لقتال الهون عام ٥٥٩م . على أية حال ؛ توفى فى مارس ٥٦٥م، وقد نسجت حوله عدة روايات من جانب البيزنطيين ، عنه أنظر:

Procopius , pp. 5-9 .

Nicol , Biogropical dictionary, p. 19 . Diehl, History of the Byzantine Empire, p.20, p. 22 .

٣- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى، ص١٣٢ .

٤- نفسه، ص١٣٢-١٣٣ .

أما التأثير الأكبر- فى تصورى - الذى أحدثته ثورة النصر عام ٥٣٢م، فقد تمثل فى السياسة الخارجية ، فمن أجل أن يصرف الإمبراطور الشعب البيزنطى عن المشكلات الداخلية وليوحده تحت شعار واحد وحلم جماعى يترسخ فى النفوس جميعها ؛ اتجه إلى إتباع سياسة توسعية على المستوى الخارجى ، مع ملاحظة أن جانبًا من تلك السياسة وقع من قبل أحداث تلك الثورة اتجه إلى نفس الوجهة ، لكن ثورة النصر دعمت ذلك التصور بقوة.

من ناحية أخرى؛ أكدت وقائع الثورة أهمية دور الذى لعبه بلزاريوس فى إخمادها، ولاريب فى محورية دوره بصفة عام خلال عهد الإمبراطور المذكور على الرغم من أن المؤرخين الرسميين ركزوا اهتمامهم على رأس السلطة ولم يعطوه التقدير الجدير به ويشبه دوره دور أسد الدين شيركوه فى عهد نور الدين محمود فى القرن ١٢م[1].

أما حروب جستنيان ضد القبائل الجرمانية[2] ؛ فقد اتسعت حياتها ؛ حيث استقرت عناصرهم فى عدة أقاليم، فالقوط الشرقيون استقروا فى إيطاليا، والقوط الغربيون فى أسبانيا [3]، والفرنجة فى غالة (فرنسا) ، والأنجلو سكسكون فى إنجلترا ، والوندال فى

١- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى ، ص١٣٣ .

٢- عنه أنظر:

ابن الأثير، الكامل، ج١١ ، ص١٢١ .

محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى- الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ١١٤٦ - ١١٧٤ م، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٨٩-٩٩ ، أحمد البيلى ، حياة صلاح الدين الأيوبى، ط. القاهرة، ١٩٤٦ م، ص٨٤ ، حسن ابراهيم. الفاطميون فى مصر ط. القاهرة، ١٩٣٢م، ص٣٠٣ .

٣- أود هنا توجيه نظر القارئ إلى عدم استعمالى كلمة «البرابرة» فى وصف الجرمان ، ويلاحظ أن تلك الكلمة تنطلق من المركزية الأوروبية ، وتحوى نوعًا واضحًا من التحيز . حقيقة أن الجرمان قاموا بمذابح وأعمال تخريب واسعة ؛ لكن ماذا عن الصليبيين الذين اتوا من بعدهم بعد قرون وقاموا بمذابح أشد منهم ولم يوصفوا بالبرابرة ؟! أورد التأكيد على ازدواجية المعايير لدى المؤرخ الغربى المحدث فى نظرته للفريقين الجرمانى والصليبى، وإنحيازه للفريق الآخر ، وعن الوصف الأول انظر الفصل الذى خصصه نورمان كانتور تحت عنوان:
"The age of Barbarian invasions"

نورمان كانتور ، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية ، ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ج١، ص١٤٥-١٨٢ .

شمالى أفريقيا(١)، وكانت مواجهة كافة تلك القوى بالإضافة إلى الفرس؛ يعنى أن تتسع ميادين المعارك التى على بيزنطة أن تخوضها خاصة مع توزعها بين أوروبا، وأفريقيا، وآسيا أى بقاع مختلفة من العالم القديم وهو أمر كان خارج إمكانياتها بطبيعة الحال.

على أية حال ؛ هناك عدة ملاحظات أساسية من الضرورة إيرادها عن صراع بيزنطة مع الجرمان وهى كالآتى :

أولاً : لم يرد جستنيان أن تخلد اسمه القوانين والمنشآت المعمارية فقط، بل إتجه إلى ليكون حاكمًا على روما حاضرة نهر التيبر، وبالتالى تخضع له روما القديمة ، والجديدة معًا والأخيرة هى القسطنطينية على ضفاف البسفور ، وقد دفعه إلى ذلك ثلاثة عناصر فى صورة تقاليد الحكم الأوتوقراطى الإمبراطورى ؛ كذلك لانغفل تقاليد البلاط البيزنطى الذى ساده تقديس الإمبراطور، وجعله نائبًا للسيد المسيح ، ثم هناك الطموح غير المحدود الذى اتصف به(٢).

ثانيًا : كانت حروب جستنيان ضد عناصر القوط الشرقيين فى إيطاليا(٣)؛ وهى التى عرفت بالحروب القوطية مجهدة إلى حد كبير من الناحية العسكرية، وقد استمرت أمداً طويلاً، واحتاجت الإمبراطورية إلى ثلاثين عامًا- أى معظم سنوات حكم جستنيان البالغة ٣٨ عامًا ؛

٥- عن حروب جستنيان ضد القوط الغربيين فى أسبانيا أنظر:

Collins, Visigothic Spain 409-711, in Carr (ed.) Spin, A History , Oxford 2000, p.50 .

١- عن حروبه ضد الوندال أنظر:

Procopius of Caesarea, the Vandal War, in Evans, Procopius, New York 19 . pp.47-51 .

Procopius , The Wandalic War, Trans .by Dewing, Cambridge 1968.

أنظر أيضًا : إسحق عبيد ، من آلارك إلى جستنيان ، ص١٣٦-١٥٦ . ؛ محمود سعيد عمران ، مملكة الوندال فى شمال أفريقيا ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص٥٧-١٦١ . نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى، ص٩٢-٩٩ .

٢- نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ج١، ص١٨٧ .

٣- عن ذلك انظر: Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 24-25 .

وعن حروبه فى ايطاليا انظر: Moorhead, Justinian, pp. 72-88 .

من أجل القضاء عل مقاومتهم[١]، وقد أدت إلى إنهاك الإمبراطورية البيزنطية التى اضطرت إلى إعادة فرض الضرائب التى فرضت من قبل من جانب الإمبراطورية الرومانية، من ناحية أخرى: أثرت الحروب القوطية سلبيًا على إيطاليا حتى القرن العاشر الميلادى، وقد أدت - كما لاحظ نورمان كانتور Norman Cantor- إلى إنخفاض حاد للسكان فى المدن الكبرى هناك مثل روما Rome ، ونابولى Napoli، وميلانو Melano، وتحولت مدن البحر المتوسط الكبرى إلى مدن تتصف بالخمول[٢] بعد أن أنهكتها الحرب وتداعياتها .

ولانزاع ؛ فى أنه كان من الصعب بل من المستحيل؛ احتفاظ الإمبراطورية بإقتصاد حرب لسنوات طويلة يدعم تلك المعارك الطاحنة ضد أعداء متعددين، وعلى دراية واسعة بفنون القتال، دون أن تتأثر سلبيا كافة قطاعاتها ، ولانبالغ إذا ذكرنا أن الفرد البيزنطى العادى هو الذى دفع ثمن الطموح المندفع لذلك الإمبراطور، وهو ما تجاهله عن عمد المؤرخون الرسميون.

ثالثًا: لانغفل ؛ أن حملات جستنيان كلفت الإمبراطورية زهرة شبابها ، وأموالها ووقتها وجهدها مع ملاحظة أنه لم يتمكن من استرجاع عدد من المناطق التى استمرت سيطرة الجرمان عليها مثل غالة ، وإنجلترا .

على أية حال ؛ فى كافة تلك العمليات العسكرية نلاحظ دوراً قياديًا بارزاً لاثنين من القادة فى صورة بليزاريوس ، ونارسيس غير أنه عندما أخفقت مشروعاته الاستردادية ؛ تأكد للمؤرخ الموضوعى أنهما صارا ضحية تصورات ذلك الإمبراطور الواهم!

لانغفل - من ناحية أخرى- أن جستنيان إتجه إلى شراء السلام الشاحب الحذر مع الفرس بالذهب، لتجنب الوقوع بين شقى الرحى، أى بين عدو فارسى فى الشرق وجرمانى فى الغرب ويلاحظ فى هذا الشأن أن معاهدة عام ٥٣٢م التى عقدها مع الفرس أنهت ٣١ عاما من العداء بين الجانبين [٣]، كما يقرر أحد المؤرخين.

١- نورمان كانتور ، التاريخ الوسيط، ص١٩٠ .

٢- نفسه، نفس الصفحة .

ونجد نفس فكرة المؤرخ المذكور لدى ما أورده برونينج أنظر:

Browning, The Byzantine Empire p. 221 .

٣- Scott, " Diplomacy in the Sixth century : The Evidence of John Malalas", =

كى يتفرغ لحرب الأخيرين ، غير أن فترات الهدن بين الجانبين أدت - من حيث لايدرى- إلى تقوية الفرس على نحو سيظهر فيما بعد .

على أية حال ؛ من بعد اللهث وراء وهم استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية من أيدى الجرمان ، شهدت الأعوام الأخيرة من حكمه عودة السيادة الجرمانية إلى سابق عهدها، وهكذا، كان جستنيان أشبه شئ بمن يحاول إعادة عقارب الساعة إلى الوراء أو من يضرب بسيفه طواحين الهواء فى يوم عاصف دون جدوى، وقد أضاع جهود إمبراطوريته جريًا وراء نظرية عتيقة أكدت القبائل الجرمانية عدم جدواها ، وصارت جثة هامدة لاحراك فيها !.

على أية حال ؛ تأكد لنا أن العناصر الجرمانية ستشترك فى تكوين غربى أوربا فى العصور الوسطى بالإضافة إلى عنصرين أساسيين آخرين فى صورة التراث الكلاسيكى اليونانى والرومانى ، والمسيحية.

أما ما اتصل بالناحية القانونية، فقد عمل على جمع القانون الرومانى، وأصدر ثلاثة مؤلفات قانونية فى صورة Codex Justinianus ، Digesta، Novellae Leges، وقد عُدّ ذلك العمل من أكبر الأعمال شأنًا فى ذلك العصر[1]، وقد استغرق ذلك ١٤ عامًا من العمل

in Shepard and Franklin (eds.), Byzantine diplomary, apers From the Twenty- Fourth = Spring Symposium of Byzantine Studies, by Society for The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003, p. 159 .

١- تجمع ذلك فى صورة مجموعة القانون المدنى، عنها أنظر:

Corpus Juris Civilis, ed. T. Mommsen. p. kruger, R. Scholl, W. kroll, 3 vols., Berlin 1945-1963 .

Hussey, The Byzantine World , pp. 22-23 .

Diehl. History of the Byzantine Empire, p. 31 .

وعن جهود جستنيان القانونية أنظر:

Ure, Justinian and his age , pp. 139-167 .

اسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان، ص٧١-٧٧ ، السيد الباز العرينى، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص١٣٩ .

المتواصل من جانب مجموعة من كبار رجال القانون [١]، وقد أثر عمله الرائد على كافة المجهودات القانونية التالية التى تمت فى العصور الوسطى بصفة عامة.

ولامراء ، فى أن إسهامه فى المجال المذكور ضمن له الخلود فى التاريخ البيزنطى، ومن مفارقات القدر؛ أن إنجازاته الحربية ضد الجرمان الباهظة التكاليف ذهبت سدى، وبقيت إسهاماته القانونية قائمة حتى يومنا هذا وهى التى لم تكلفه الأموال الباهظة التى دفع بها لآلة الحرب.

وإذا اتجهنا إلى الناحية العمرانية فى عهده ، نجد أنه عنى بها عناية خاصة، إدراكًا منه أن البشر يمضون وتبقى الآثار التى شيدوها شاهدة عليهم. تنطق بل وتصرخ بالتاريخ .

وقد سعى إلى إصلاح ما هدمته ثورة النصر عام ٥٣٢م والإنجاز المعمارى البارز الذى حقق شهرة واسعة النطاق، تمثل فى كنيسة الحكمة الإلهية Hagia Sophia [٢]، التى عُـدَّت من

١- سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص١١٩ .

٢- كنيسة أيا صوفيا Hagiu Sophia ؛ أقامها جستنيان من أجل تكون مركزاً دينيًا بارزاً، وحتى يتم تخليد اسمه على مر العصور. وقد بدأ فى بنائها عام ٥٣٢م، وافتتحت فى ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م، أى أن تشييدها استغرق نحو ست سنوات وأشرف على ذلك ايزيدور الملطى Isidore of Militus وانثيموس الترلى Anthemius of Tralles ، وتمت الاستعانة فى سبيل تشييدها بأمهر الصناع من كافة أنحاء الامبراطورية ويقال أن عددهم بلغ ألفًا ويلاحظ أن أعجب ما فيها قبتها الضخمة من الأعمدة ، والأرض والأعمدة ، والأقسام السفلى من الجدران تكونت من الرخام أما الجدران والسقف فتكونت من الفسيفساء الذهبية، ويطل النور على المصلين فيها عبر ٤٠ نافذة عند أسفل القبة، وكانت الأشعة تنعكس على الفسيفساء المذهبه ، عنها أنظر:

Procopius, The Buildings, Trans. by H.B. Beaving ant G. Downey , London 1940, pp. 172-174 . Yucel , Hagia Sophia, Istanbul 1986 , pp. 3-44 .

Lethaby and Swainson , The Church of Sancta Sophia Constantinople, Astudy of Byzantine Building, London 1894, p. 21-297 .

Kleinbaues, white and Matthews, Hagia Sophia, Istanbul 2004, pp. 9-77 .

Mainstone , Hagia Sophia Architectue, Structure and liturgy of Justinian's Great church, Hungary 1997 , pp. 175-281 .

Nelson, Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom, Modern Monument, chicago 2004, pp. 1-28 .

روائع المعمار والفن البيزنطي، ويلاحظ أنها شيدت على نمط الطراز المعماري الذي وجد في أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية ؛ وهو طراز البازيليكا Basilica [١] الرومانية وهي تكشف لنا عن المستوى الرفيع الذي وصلت إليه العمارة في عهد جستنيان ، ولانغفل أنها لاتزال قائمة حتى يومنا هذا بعد أن تحولت إلى مسجد فخم على إثر الفتح العثماني للقسطنطينية عام ١٤٥٣م.

كذلك يذكر عن عهد ذلك الإمبراطور؛ تشييد دير سانت كاترين St. Catherine [٢] في جنوبي شبه جزيرة سيناء ، بمصر ويلاحظ هنا؛ أن الموقع الجغرافي الفريد للدير المذكور حماه عبر القرون، وقد إحتوى على مجموعة نادرة من الأيقونات Icons، وفيما بعد ؛ عندما حدثت حركة مضادة لعبادة الأيقونات ، والتي نتج عنها؛ إلحاق الضرر بها في مختلف الكنائس

Asimov, Constantinople The forgotten Empire, Boston 1970, p. 69 .

Grabar, Byzantine Architecture and art, C.M.H., vol V, p.310-317 .

اسمت غيم ، إمبراطورية جستنيان، ص٦٧ ، أسد رستم، الروم، ج١، ص٢١٧ .

١- الطراز البازيليكي Basilica- Shape؛ هو ذلك الطراز المعماري الذي انتشر في بناء الكنائس زمنًا طويلاً، واحتوى على صحن للكنيسة، وأجنحتها وسقفها المقبب مع تطور تشييد القبة وكلمة بازيليكي من الكلمة اليونانية Basilikos ومعناها «ملكي» ، وهي في الأصل أطلقت على قصر الملك ، عن ذلك أنظر: شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية. ص٢٣، حاشية (١) .

٢- القديسة كاترين ؛ هي كاترين السكندرية Catherine of Alexandria، شهيدة مسيحية ، ولانعرف تاريخًا محدداً لإستشهادها، وقد نسجت بشأنها أسطورة شهيرة ووفقًا للأسطورة يقال أن إمبراطوراً هو ماكسنتيوس Maxentius ، أراد الزواج بها نظراً لما عرفت به من جمال أخاذ ، وقد رفضت كاترين التخلي عن ديانتها، ووفقا لتلك الأسطورة ظهر لها السيد المسيح، وأن جسدها حمل عن طريق الملائكة إلى جبل سيناء ، ويلاحظ أن عيدها يوافق يوم ٢٥ نوفمبر. عنها أنظر:

Attwater , The Penguin dictionary of Saints, p. 210 .

حاتم الطحاوي ،« كريستوفر كولمبس يدعو فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية والاستيلاء على القدس ١٥٠١م »، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، مجموعة من الأبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عامًا ، تحرير حاتم الطحاوي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٢٩٠، حاشية (٣٦) .

والأديرة . وجدنا أن المجموعة التى إقتناها ذلك الدير ظلت فى مأمن من التخريب ، وهناك من يقرر أنها لاتقدر بثمن ، كذلك لانغفل اتواء مكتبته على مخطوطات ثمينة[١].

جدير بالإشارة هنا؛ أن رهبان ذلك الدير تمتعوا بحصافة سياسية لاتنكر على نحو جنبهم الاصطدام بالقوى السياسية المتعاقبة التى قدمت إلى مصر وعبرت شبه جزيرة سيناء بوابتها الشرقية على مدى قرون متعددة.

كذلك تم تشييد عدد من الأديرة الكومية الفخمة التى تليق بمكانة الامبراطورية .

أما فيما يتصل بالسياسة الدينية لجستنيان ؛ فمن الملاحظ أن سياسته فى ذلك المجال؛ وصفت بأنها ذات ميول غربية[٢] شأنها فى ذلك شأن سياسته الحربية، وقد أراد إيجاد علاقات قوية مع البابوية فى روما ، وهكذا ؛ وجدناه يؤيد مذهب الطبيعتين ، ولذلك حارب أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة أو المذهب الموتوفيزيتى[٣]، غير أن الأخيرين وجدوا دعماً

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٨٦ وعن دير سانت كاترين أنظر:

جيمس بنتلى، اكتشاف الكتاب المقدس، قيامة المسيح فى سيناء ، ت . آسيا محمد الطريحى، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٥٩-٦٠ .

Weitzmann, The Monastry of Saint Catherine at Mount Sinai, The Icons, vol. I, Princeton 1976 .

وهى أفضل دراسة تناولت أيقونات دير سانت كاترين ، نعوم شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربي وغيرها عن طريق سينا من أول عهد التاريخ إلى اليوم. ط. بيروت ١٩٩١م، ص٤٧٨- ص٥٠٣ .

الكتاب المذكور أول عمل عربى مفصل عن شبه جزيرة سيناء وبوابة مصر الشرقية وهناك دراسة أخرى جديره بالتقدير انظر: أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٧٧م.

أنظر أيضاً عن محتويات مكتبة الدير المذكور: جوزيف نسيم يوسف ، «المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين فى سيناء» مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ / ١٩٦٩م، ص٩٥-١٣٩ .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٨٩ .

٣- اعتقد المونوفيزيتيين أن للسيد المسيح طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية، ويسمى المذهب المونوفيزيتى من Monophysitis وأتباعه هم المتافزة Menophysites، عن ذلك المذهب أنظر: شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص١١، حاشية (١) .

ومساندة من ثيودورا التى اعتنقت مذهبهم وتدريجيًا صار جستنيان نفسه على نفس مذهبها بل وحارب أصحاب الطبيعتين[١].

بصفة عامة؛ أخفق ذلك الامبراطور فى إيجاد توفيق بين أنصار المذهبين، ولانغفل ؛ أنه خلال تلك الأحداث ظهر دور بارز ليعقوب البرادعى الذى أدخل قوة جديدة على قوة المينوفيزيتيين، وصاروا يعرفون باليعاقبة [٢].

وجدير بالإشارة؛ إتجاه ذلك الإمبراطور إلى إغلاق مدرسة أثينا الفلسفية ذات التاريخ المجيد فى خدمة الفكر الفلسفى الإنسانى وذلك عام ٥٢٩م [٣]، وكذلك إتجه إلى إبعاد كل من أثيرت الشكوك حول عقيدته وينبغى التقرير هنا ؛ أن الفكر دومًا يواجه بالفكر، أما أسلوب الإغلاق فلم يكد بمثابة القرار الصائب من جانب ذلك الإمبراطور على الرغم من المبررات الدينية الجاهزة التى يمكن أن يقدمها المؤرخون المدافعون عن سياساته.

أما فيما يتصل بموقفه من اليهود ،؛فالملاحظ أنه اصطدم بهم فى عدة مناطق ، ولا نغفل هنا أنهم حاربوا بجوار عناصر الوندال ، والقوط الشرقيين ضد محاولات البيزنطيين استرداد القسم الغربى من الإمبراطورية ، كذلك هناك من يقرر اشتراكهم فى ثورة النصر Nika عام ٥٣٢م السالفة الذكر[٣] .

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٩٠ .

٢- نفسه، نفس الصفحة. وعن سياسته الدينية انظر أيضًا: جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٧٧ .

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 150 .

Ostrogorky, History of the Byzantine State, p. 77 .

٤- O.D.B., vol . 2, p. 1040 .

وأيضًا Vasiliev, Op. cit, p. 149-150 .

وعن علاقة اليهود بالإمبراطورية البيزنطية بصفة عامة أنظر: أحمد عامر «اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى»، التاريخ والمستقبل، عدد يناير ٢٠٠٣م، ص١-٥٩ .

كذلك لانغفل ؛ أن عناصر السامرة Samarians [١] الذين جعلوا مركزهم فى نابلس ؛ وهم عنصر منشق عن اليهود ، تكررت ؛ أحداث ثوراتهم ضد الإمبراطورية البيزنطية فى عهد جستنيان ، ويذكر التاريخ لهم ثورتين الأولى وقعت عام ٥٢٩م، بعد عامين من توليه العرش عام ٥٢٧م، والثانية عام ٥٥٥م[٢] ، وقد تمكن الإمبراطور من القضاء عليهما .

مهما يكن من أمر؛ وجد المؤرخون اليهود المحدثون فى موقف ذلك الإمبراطور ومن أتى من بعده الأباطرة البيزنطيين[٣] تأصيلاً لما عرف لديهم من معاداة السامية وعقدة الاضطهاد وصوروا الأمر على أنهم دومًا ضحية حكامهم مغفلين أنهم تعاملوا بالربا من خلال الإقراض بفوائد باهظة [٤]، كذلك كان لتوقعهم وانعزالهم فى مناطق خاصة بهم أثره فى إثارة الشكوك

١- السامرة : طائفة يهودية تركزت فى نابلس Neapolis وقد انقسموا إلى قسمين أحدهما أطلق عليه «الكوشان» والثانى «اليوستان» ، ويلاحظ عدم اعترافهم بما جاء من بعد موسى عليه السلام من أنبياء بنى إسرائيل ، وأطلقوا على أنفسهم تسمية المحافظين على أساس محافظتهم على العقائد اليهودية بدون أى تعديل، عن السامرة أنظر: أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام ، ص٦١، كرد على. خطط الشام، ج١ ، ص٢١٦ .

أحمد فؤاد سيد، الحكم الإسلامى لفلسطين فى ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ / ٤٩٢هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢١٠-٢١١ .

حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى، ط. دمشق ب-ت ، ص٢٠٦ .

٢- عن ذلك انظر: John Malalas, The Chronicle , p.294 Sharf, Byzantine Jewry From Justinian to the fourth Crusade, New York 1971, pp.29-30 , pp.44-45 .

وعن علاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية فى عهد جستنيان انظر:

محمد عثمان عبد الجليل ، «السامريون فى فلسطين وعلاقاتهم بالدولة البيزنطية (٣٠٥-٦٣١م)»، المؤرخ المصرى، العدد (٢٥) ، يناير ٢٠٠٥م، ص٨٧-٩٠ .

٣- تجدر الإشارة : إلى تمرد اليهود عام ٥٧٨م بما فيهم عناصر السامرة عام ٥٧٨م، كذلك ساعدوا الفرس عند غزوهم لفلسطين ٦١٤-٦١٧م. وقد اتجه الامبراطور هرقل إلى الفتك بعدد منهم ، عن ذلك :
O.D.B., vol . II , p. 1040 .

٤- عن ذلك انظر:

روبرت لوبيز، ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠ - ١٩٩٧م ، ص٨٤ ، محمود شاكر، موسوعة تاريخ اليهود ، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص٢٣٧ .

حولهم مما ساعد على تنامى العداء ضدهم فى القارة الأوربية عموما فى شرقيها وكذلك غربيها ، ولانغفل أنهم ميزو أنفسهم عن سائر بنى البشر [١].

جدير بالذكر؛ لم يجد اليهود عمومًا فى الإمبراطورية البيزنطية ما وجدوه فى المناطق التى أخضعها المسلمون لسيطرتهم بدءًا من القرن السابع الميلادى حيث نعموا فى ديار الإسلام - بوجه عام- فى العصور الوسطى بالأمن والأمان، ووصلوا إلي مناصب سياسية رفيعة كما فى عهد الدولة الفاطمية فى مصر، كذلك ؛ كان لهم نشاطهم البارز على الصعيد التجارى وأيضًا بالنسبة للناحية الطبية حيث برع منهم عدد من الأطباء ، ولم يواجهوا تطهيراً عرقيًا أو إجباراً على التحول من يهوديتهم إلى الإسلام[٢]. وعلى حين وجدنا حوليات يهودية Jewish Chronicles تفيض بالحديث عن المذابح التى تعرض لها اليهود فى أوربا العصور

١- وقد أطلق اليهود على غيرهم كلمة جوى Joi ولها دلالة عنصرية، عن ذلك انظر:

ديفيد سوفير، جغرافية الأديان ، ت. أحمد غسان سبانو، ط. دمشق ١٩٩٩م، ص١٤-١٥ .

٢- عن تسامح المسلمين بصفة عامة مع اليهود فى العصور الوسطى أنظر: مأمون كيوان ؛ اليهود فى الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ط. عمان ١٩٩٦م، ص٢٠ .

برنار لازار ، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ، ت. مارى شهرستانى، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٦٤ ، محمد بحر عبد المجيد، اليهود فى الأندلس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص١١ - ص١٧٧؛ إسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط. القاهرة ١٩٣٦م.

يحيى أحمد عبد الهادى أهل الذمة فى العراق فى العصر العباسى ، الفترة السلجوقية نموذجًا ٤٤٧-٥٩٠هـ / ١٠٥٥-١١٩٤م ، ط. اربد ٢٠٠٤م ، ص٥٨-٧٠ ، حسن الميمى ، أهل الذمة فى الحضارة الإسلامية، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص١٣٢ ، فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى، ط . القاهرة ٢٠٠٠م ، ج١، ص٣٨٥-٣٨٦ ، عطيه القوصى، اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، ط . القاهرة ٢٠٠١م، ص١١ - ص١٧٥ ، سليم شعشوع ، صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلسى، شفا عمرو- فلسطين، ١٩٩٠م ، وولتر فيشيل ، يهود فى الحياة الاقتصادية والسياسية للدول الإسلامي العباسية - الفاطمية- الإلخانية ، ت . سهيل زكار ، ط . دمشق ٢٠٠٥م، ص١٥ - ص١٥٥ .

Goitein , " Saladin and The Jews":, H.U.C.A., vol. XXVII, 1956, pp. 305-326 .

Awad, " Highlights on the Medical contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A. 525-602 A.H) . during the Ayybid Rule in Egypt, " M. E.R.J., vol . 12 , March 2003, pp. 1-20 .

Lewis, "Maimondes, Lionheart and Saladin", E.I ., vol . VII , Jerusalem 1964 , pp. 70-75 .

الـوسـطـى[١]، لم نجد نظيراً لها عند عناصرهم التى عاشت جنبًا إلى جنب بجوار المسلمين وشاركت فى صنع الحضارة الإسلامية فى تلك الحقبة التاريخية من ناحية أخرى.

وكامتداد لسياسته الدينية ، إتجه جستنيان إلى اتباع سياسة تنصيرية من خلال إدراكه لأهمية توسيع نفوذ كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية [٢]، ولذلك أرسل بالبعثات التبشيرية إلى مناطق مختلفة مثل سواحل البحر الأسود القريبة وكذلك إلى الحبشة البعيدة [٣]، وغيرها

١- عن ذلك انظر: The Chronicle of Salomon bar Simson, in Eidelbery (ed.) The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusdes, Wisconson 1977, 15-72 The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Eidelberg (ed), The Jews and The Crusades, pp. 95-115 .

زينب عبد الجيد عبد القوى، اليهود فى إنجلترا العصور الوسطى ١٠٦٦-١٢٩٠م، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٦٤، حاشية (١) .

اسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودى ت. صالح على سوداح، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص١٠١ .

وهبه الزحيلى ، الاسلام وغير المسلمين ، ط . دمشق ١٩٩٨م، ص١٨٠ ، حيث يعرض لحقوق أهل الذمة فى الاسلام .

٢- كلمة أرثوذكسية Orthodoxy: هى كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظين هما أرثوس ، وتعنى سليم أوقويم ، وزوكسا ، وتعنى عقيدة ، فيكون معناها المعتقد القويم. ويشتمل مصطلح الارثوكسية على الكنائس الشرقية غير الخلقدونية وهى التى رفضت قرارات مجمع خلقدونية عام ٤٥١م ، وتضم الكنيسة الأرمينية والسريانية (كنيسة اليعاقبة) فى سوريا ، والهند، والكنيسة القبطية فى مصر وكذلك فى أثيوبيا ، والكنائس الشرقية الخلقدونية وتضم الكنائس الأربع القديمة فى القسطنطينية، والاسكندرية، وأنطاكية وبيت المقدس. عنها أنظر هذه الدراسة المهمة:

سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٤٧-ص٤٨ ؛ ممدوح الزوبى، الموسوعة العربية الميسرة الأديان، المذاهب المعتقدات المصطلحات الدينية، ط. دمشق، ب-ت ص٣٨٥ ، سعد السعدى، معجم الشرق الأوسط، ط . بيروت ١٩٩٨م، ص٣٤٩-٣٥٠ .

٣- عن ذلك أنظر: موس، ميلاد العصور الوسطى . ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ومراجعة السيد الباز العرينى ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٢٠١ - ص٢٠٢ .=

من المناطق، ويلاحظ هنا؛ أن هناك عدة دوافع دفعته إلى إتباع تلك السياسة؛ فلاريب أنه أراد إعـادة المجد الإمبـراطورى من جديد تحت مظلة المسـيحـيـة الأرثوذكـسـيـة وتحـقـيق مكاسب اقـتـصادية من خلال فتح أسواق تجارية جديدة من خـلال معتنقى تلك الديانـة ، كذلك إيجاد قـوى مـسـيـحـيـة مجاورة يمكن أن تكون بمثابة «حزام أمن» يدعم الإمبـراطورية فـى مواجـهـة أعدائها فى الحاضر، وكذلك المستقبل.

بصفة عامة؛ يعد ذلك الإمبراطور من أوائل الأباطرة البيزنطيين الذين جعلوا التنصير جزءاً من العمل السياسى. وعلى نهجه سار من بعده عدد من الأباطرة البيزنطيين.

وإلى جانب ما سبق من أحداث سياسية ، وإنجازات قانونية وعمرانية، واجهت الإمبراطورية البيزنطية خلال عـهد جستنيان بعض الكوارث الطبـيعية مثل الأمراض الوبائيـة الفتاكة، وكذلك حـدوث هزات زلزاليـة عنيـفـة ولم يكن من اليـسـيـر مـواجـهـة مـثل تـلك الكوارث التـى- من الطبيعى- أن حكومة ذلك الإمبراطور لم تكن لتتـوقعها ، وأضـافت أعباءً ثقيله إلى الأعباء الأصلية التى كانت تعانى منها .

وفيما يتصل بالأمراض الوبائية نلاحظ انتشار الطاعونع Plague فى عصره [١]، وقد هاجم الامبراطورية خلال الأعوام الممتدة بين عامى ٥٤١م. ٥٤٤م ولاريب فى أن ذلك الامتداد على مـدى عـدة أعـوام أكـد أن الأمـر اتسع نطاقـه الزمنى وبالتـالى امـتـد خطره على شـعـوب الامبراطورية ، ونعرف أن الوباء بدأ- كما قرر البعض- من مصر[٢] ثم امتد إلى مقاطعات

= وعن التنصير بصفة عامة أنظر: على بن ابراهيم النملة، التنصير فى المراجع العربية دراسة ورصد وراقى للمطبوع، ط. الرياض، ٢٠٠٣م، ص٩ - ص١٥٣ .

١- Evagrius Scholasticus , The Ecclesiastical History, Trans. by Michael Whitby , Liverpool 2000, pp. 229-232 .

أيضًا هذه المقالة المتخصصة الممتازة :

Allen , " The Justinianic Plague", B., 49 . 1979, pp. 5-20 .

Treadgold, Aconcise History of Byzantium , New York 2001, pp. 62-63 .

٢- Angold, Byzantium, p. 25 .

والطاعون : منه نوعان الطاعون الغددى ، والطاعون الرئوى، والأخير يوصف، بأنه الأشد والأخطر، ويختلف عن الطاعون الغددى فى أن العدوى فى الطاعون الغددى تنتقل عن طريق البراغيث التى تحملها=

أخرى فى أنحاء الامبراطورية وقد وصف بأنه الطاعون الجستنيانى The Justinianic Plague نسبة إلى الإمبراطور المعاصر له ، ويلاحظ ؛ أن عدداً من المؤرخين البيزنطيين أشاروا إليه مثل بروكوبيوس Procopius[(١)]، ويوحنا الإفسوس John of Ephesus، وأفيجاريوس Eph-egarius ومن خلال ما أوردوه أمكن الإطلاع على حجم الكارثة التى أصابت الإمبراطورية حينذاك.

ويلاحظ أن عدد من فتك بهم الطاعون بلغ ٥,٠٠٠ يوميًا وفق ما قرره البعض[(٢)]، وقد عجز الأطباء عن مواجهته أمام استفحال خطره على نحو هدد البنية السكانية، والأنشطة

= الفئران ، والجرذان، أما الرئوى فتنتقل عدواه عن طريق الهواء الفاسد، والأول أعراضه تظهر من خلال ظهور أورام وبثور فى أنحاء مختلفة من الجسم، أما الثانى؛ فأعراضه تتمثل فى أن المريض يبصق دمًا بعد أن يصاب بالغثيان، ويبدأ فى القئ، عن ذلك أنظر:

ابراهيم خميس ، «الأوبئة والأمراض التى تفشت بين الصليبيين فى الشرق الأدنى الإسلامى وأثرها (١٠٩٨-١٢٩١م / ٤٩١ - ٦٩٠هـ)»،ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد، وابراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٧٦-٧٨ .

وانظر هذه الأطروحة العلمية غير المنشورة :

Conrad (L.), The Plagne in Early Medieval Near East, unpublished ph.D. diss, in Near Eastern Studies, Princeton University 1981 .

١- Evans, Procopius, p. 26 .

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٧٩ ، وخلال تلك الأحداث تعطلت جميع الأعمال العادية فى القسطنطينية وصار السوق خاليًا إلا ممن يحملون جثث الموتى، وفى كثير من البيوت لم تبق نفس واحدة على قيد الحياة وقد اضطرت الحكومة البيزنطية إلى اتخاذ إجراءات خاصة بدفن الجثث المجهولة ، عن ذلك انظر:

شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية، ص٧٩ .

أيضا اسد رستم ، الروم ، ج١، ص١٧٣ .

٢- شارلز اومان ، المرجع السابق، ص٧٩ .

الاقتصادية للإمبراطورية، كذلك كان لذلك الأمر أثره النفسى فقد تجمع الناس فى الكنائس على اعتبار تصورهم أنها يمكن أن توفر لهم الحماية نظراً لطابعها الدينى، ولانغفل أن العصور الوسطى بصفة عامة، سواءً فى الشرق البيزنطى أو الغرب الأوروبى اتسمت بتعاظم الظاهرة الدينية التى تكشفت بصورة وضاحة خلال أحداث الكوارث الطبيعية على نحو خاص.

وكما هو متوقع فى مثل تلك الأحداث رأى المعاصرون أن ذلك الطاعون إنما حدث كعقاب إلهى نظراً للآثام التى ارتكبت [١]، وكانت فداحة الخسائر - حيث نعلم أن هناك أسرات بيزنطية فقدت أغلب أفرادها[٢]- كان ذلك أثره فى تعميق الاتجاه إلى الجانب الدينى كملاذ من الكارثة الوبائية الفتاكة.

جدير بالذكر ؛ أن هناك حادثتين بارزتين فى التاريخ البيزنطى بصفة عامة لانتشار الطاعون ؛ الأولى تلك التى حدثت فى عهد جستنيان والثانية فى صورة الفناء الكبير The Black Death الذى وقع فيما بين عامى ١٣٤١، ١٣٤٩م، وهو ما سيتم تناوله فى موضعه من هذه الدراسة.

بصفة عامة: يدل حدوث الطاعون الجستنيانى على تأثير الأمراض الوبائية الفتاكة على التاريخ البيزنطى وهو عنصر خارج عن حدود القدرات البشرية على مواجهته حينذاك ، ومن الممكن القول أن ذلك الطاعون كان أشد تأثيرا من أى عامل آخر فى اضعاف الامبراطورية البيزنطية على النحو الذى يلاحظه الباحثون فى النصف الثانى من القرن السادس م [٣] .

من ناحية أخرى؛ حدثت فى خلال حكم ذلك الامبراطور هزات زلزالية مدمرة [٤]، ويلاحظ وقوعها فيما قبل عصره ؛ إذ شهد عام ٥٢٥م؛ أى قبل عامين فقط من توليه الحكم

١- Angold, Byzantium, p. 26 .

٢- Ibid, p.26 .

٣- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٩، وقد قرر أن ذلك الطاعون لم يحدث من قبل منذ ثلاثمائة عام من خلال حجم تأثيره أنظر، ص٧٩ ، ومنطقى أن ذلك يعكس بشاعة تأثيره وفتكه بالكثيرين.

٤- الزلازل Earthquakes: عبارة عن هذات سريعة متلاحقة وقصيرة المدى تصيب القشرة الأرضية خلال فترات متقطعة نتيجة للاضطرابات الباطنية وتحدث كنتيجة لحركات القشرة الأرضية ، ويعقبها احتكاك=

عام ٥٢٧م بعضها ، كذلك عاودت الزلازل نشاطها ، ويمكن القول أنه خلال المرحلة بين عامي ٥٢٦م، ٥٥٧م[1] وقعت ٩ هزات زلزالية[2] وهي مدة زمنية تقدر بـ ٣١ عامًا من إجمالي مدة حكم جستنيان الواقعة بين عامي ٥٢٧ ، ٥٦٥م، أي ٣٨ عامًا، وكل ذلك يعني أن تلك الظاهرة الطبيعية المدمرة تكرر وقوعها على مدى أعوام حكمه، على نحو لايستطيع المؤرخ تجاهل أحداثها وتأثيراتها على الصعيد الداخلي ، مع ملاحظة أن الوضع الداخلي والخارجي يمثلان وجهي عملة واحدة .

على أية حال ؛ حدثت تلك الزلازل تأثيرها المدمر على الأبنية في العاصمة البيزنطية على نحو استدعى القيام بإعادة بنائها أو ترميمها ، وتعرف أنه في يوم ١٤ ديسمبر ٥٥٧م – على

= الأجسام الصخرية التي يتكون منها الغلاف الخارجي، وتبدأ الموجات الزلزالية في العادة في صورة هزات خفيفة أو أولية تتزايد قوة حتى تصل إلى سطح الأرض الخارجي، ، وهناك عدة أنواع من الزلازل مثل البلوتونية Plutanic Earthquakes، ويكون مركزها في العادة في الأعماق البعيدة من باطن الأرض، ثم الزلازل التيوتونية Teutonic Eathquakes وتحدث فجأة في المناطق التي توجد بها إنكسارات في القشرة الأرضية، أما النوع الثالث؛ فيتمثل في الزلازل البركانية Volcanic Earthquakes ، وتحدث كنتيجة للهزات الناجمة عن النشاط البركاني ، عن الزلازل بصفة عامة أنظر:

Skinner. Physical Geology, New York 1974, p. 329, Stiegeler, Dictionary of earth Sciences, London 1976, p.95 .

محمد علي المغربي ، الهزات الزلزالية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص٩ ، فردريك بو، البراكين والزلازل ، ت. الدمرداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص٩٨ ، علي عبد العظيم تعيلب ، الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص٦ ، حسن أبو العينين، كوكب الأرض ظواهره التضاريسية الكبرى، ط. بيروت ١٩٧٩م، ص٢٣٦ ، محمد صفي الدين، جيمور فولوجية قشرة الأرض، ط. بيروت ١٩٧١م، ص٣٥٠-٣٥١ ، صلاح الدين بحيري، أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٩ م، ص٢٢٠ ، محمد متولي، وجه الأرض ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٦٦ ، محمد مؤنس عوض، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٥٥ – ص٦٢ ، هدى الويسي، الزلازل في بلاد الشام في القرنين ١٢ ، ١٣، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة أسيوط، عام ٢٠٠٧م ، ص١٥-١٦ .

١- Agathias, The Histories, Trans. by O.J.D. Freedo , New York 1975 , p. 128 .

٢- Evans, Procopius, p.26 .

سبيل المثال- ؛ حدثت هزة زلزالية عنيفة تركت آثارها على كنيسة أيا صوفيا [١].

جدير بالذكر؛ تعرضت الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها لعدد من الهزات الزلزالية التى اختلفت قوتها وتزثيراتها، على مدى أعوام ٣٤٢م، ٤٥٤م، ٥٢٦م، ٥٥٧م، ٧٤٠م، ٨٨٦م، ٨٦٩م، ٩٨٩م، ١٠٦٤م، ١٢٩٦م، ١٣٤٦ [٢]؛ أى خلال المرحلة الواقعة ، بين القرنين الرابع، والرابع عشر الميلاديين، ولانغفل هنا آسيا الصغرى كانت مرتعًا لمثل تلك الهزات الزلزالية بالإضافة إلى قربها من منطقة جبال زاجروس التى امتلكت نفس الصفة ولم تكن الزلازل قاصرة على تلك الإمبراطورية فحسب ؛ بل أحدثت تأثيرها على المناطق المجاورة أحيانًا مثل بلاد الشام وما وراءها كمصر ، وبالتالى غدت جزءاً من نطاق جغرافى أكبر.

على أية حال ؛ تركت مثل تلك الزلازل تأثيراتها السلبية على البنية المعمارية والسكانية والنشاط الاقتصادى عمومًا .

أما فيما يتصل بالجانبين الاقتصادى ، والاجتماعى ؛ فقد حدث خلال عهد ذلك الامبراطور حدث اقتصادى محورى؛ إذ توصل البيزنطيون إلى سر الحرير [٣] الطبيعى من خلال دود القز،

١- Evans, Procopius, p.26 .

٢- عن ذلك أنظر:

Downey, " Eanrhqankes, at Constantinople and Vicinity (324-1453) , " , S., vol . XXX, 1955 , pp. 596-600 .

وتعد أفضل ما كتب عن الزلازل فى التاريخ البيزنطى.

أيضا: O.D.B., vol . I , pp. 629-670 .

٣- فيما يتصل بالحرير ؛ من المقرر أن مصدر دودة القز أو دودة الحرير كان فى جبال آسام فى شمالى الهند، وفى بلاد البنغال ، إلا أنه فى شمالى الصين تعلم الإنسان لأول مرة فى تاريخه كيفية القيام بنسج خيوط الحرير من الشرنقه ، وتم ذلك فى حوض نهر تاريم فيما عرف باسم تركستان الصينية، وفيما بعد ظهر إلى الوجود طريق الحرير Silk Rods وقد بدأ من الصين، واخترق ما عرف بمنغوليا وحوض نهر تاريم وممرات أفغانستان وبلاد فارس حتى يصل إلى بلاد الرافدين ثم إلى بلاد الشام ، وهناك تفرع إلى آسيا الصغرى ، ومنها إلى أوربا ، أو من الساحل الشامى إلى أوربا ؛ ويلاحظ أن الجيولوجى والرحالة الألمانى فرديناند ڤون ريشتهوفن Ferdenand von Richthoffen (١٨٣٣-١٩٠٥م) قام عام ١٨٦٠م برحلاته فى الشرق وعاد أدراجه إلى المانيا عام ١٨٧٢م وأطلق على الطريق المذكور تعبير «طريق الحرير» انظر: محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى ص٩٣ .

وقد اختلف فى كيفية حدوث ذلك. إذ رأى البعض: أن عدداً من البيزنطيين ذهبوا إلى الصين، وتمكنوا من جلب دود القز، وأوراق التوت ، أو أن أميرة صينية أحبت شاباً ، وخانت بلادها وأفشت أمر الحرير الذى كان حينذاك سراً صينيًا قوميًا لايعرفه إلا الصينيون وحدهم، وعندما عرفت بيزنطة ذلك الأمر ؛ دخلت فى دائرة استخراج الحرير على نطاق متسع على نحو خاص فى القسطنطينية وبيروت، وصور، وأنطاكية، وبلاد اليونان خاصة طيبة.

ولانغفل ؛ أن بيزنطة جنت من وراء ذلك أرباحًا طائلة مع ملاحظة أن أركان التجارة فى العصور الوسطى - بوجه عام - تمثلت فى الحرير Silk، والذهب Gold، والرقيق Slaves، والتوابل Spices، مع عدم اغفال باقى السلع الأخرى ، ضمن المنظومة التجارية بطبيعة الحال، وساعد الامبراطورية على التفوق التجارى موقعها الفريد بين آسيا وأوربا وفى مواجهة أفريقيا .

أما من الناحية الاجتماعية ؛ فقد شهد عصر جستنيان محاولات للإصلاح الاجتماعى قامت بها زوجته ثيودورا التى عملت على مواجهة ظاهرة الدعارة Prostitution [٢]، التى

= هايد . تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى. ت. أحمد محمد رضا ، ط. القاهرة ١٩٨٥، ج١ ص٨ ، موريس لومبار ، الاسلام فى مجده الأول، ت. إساعيل العربى، ط. الدار البيضاء ، ١٩٩٠م، ص٢٧١- ص٢٧٢ ، مجدى غنيم، الحرير، ط. القاهرة ١٩٩٣م، عبد الرحمن سامى، القول الحق فى بيروت ودمشق ، ط. بيروت ١٩٨١م، ص١٠٣ ، على أبوعساف ، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية ، جمعة دمشق . السنة (١٢)، العددان ٣٩، ٤٠ ، كانون الأول ١٩٩١، ص٧٢-٨٢؛ عبد الرحم حسيدة. بين ابن بطوطه وماركوبولو ، العدد المذكور، ص٨٣-٩٥ ، محمد حرب فرزات ، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام»، العدد المذكور ، ص٩٦- ص١١٨ ، د. نعمان محمود جبران ، «محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج» ، العدد المذكور ص١٣٨- ص١٥٥ .

١- Vasiliev, History of the Byzantine Empire , p. 168 .

وعن الحرير فى بيزنطة بوجه عام انظر: Lopez, " Silk Industry in The Byzantine Empire", S., vol . XX, 1945 , pp. 1-42 .

Maniatis , Organization, Market Structre and Mosus Operandi of The Private Silk industry in 10 Thh century Byzantium ", D.O.P., 53, 1999, pp. 203-334 .

٢- وجدت الدعارة فى أنحاء الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها وغدت على نحو منظم ووجدت مظاهرها فى الحمامات والمسارح وساحات ، والحانات ، ويلاحظ أن القوانين حرّمت استغلال الفتيات=

انتشرت فى أنحاء العاصمة البيزنطية ، ولانغفل أنه وفقًا لما قرره بروكوبيوس فإن ثيودورا : وصفت بممارسة الدعارة ، ولذلك كانت أكثر استعدادًا للتعاطف مع بائعات الهوى، وهكذا؛ اتجهت إلى معاونة التائبات منهن للإبتعاد عن ذلك الطريق الضال، وأقامت مراكز وبيوتًا للإصلاح ، كذلك شيدت دير ميتانويا Metanoia؛ لايواء أولئك التائبات [١]، ووفق ما قرره بروكوبيوس فقد عملت على رعاية ٥٠٠ عاهرة من خلال الايواء فى مثل ذلك الدير[٢].

ولايفهم من العبارات السابقة أن زوجة جستنيان تمكنت نهائيًا من معالجة مشكلة الدعارة ، بل أنها استمرت فيما بعد على مدى التاريخ البيزنطى، وبصفة عامة ؛ فإن ذلك يعكس الدور الاصلاحى الاجتماعى الذى قامت به ثيودورا على نحو ضمن لها مكانة بارزة فى ذلك العصر وأكد أهمية دورها فى الامبراطورية جنبًا إلى جنب مع جستنيان .

على أية حال ؛ توفى أن جستنيان عام ٥٦٥م ؛ عقب حياة حافلة بالأحداث على كافة المستويات ، تاركًا المؤرخين فى جدل واسع بشأن تقويم إنجازات عهده بين مؤيد إلى حد بعيد، ومعارض على نفس الدرجة على نحو لم يتأت لأى إمبراطور بيزنطى آخر خلال العصر

= القاصرات فى أعمال الدعارة ، ونجد أ جستنيان فى المتجددات أقر رفضه ذلك الأمر تمامًا ،كما وقفت نفس الموقف الكنيسة، ومع ذلك عملت الفتيات الفقيرات كمومسات Prostitutes مع ملاحظة أن منهن من تاب واتصف بالقداسة ، وهو أمر نجده فى سيرة بلاچين العاهرة Pelagin The Harlot ، ومريم المصرية Mary of Egypt، وهن فى ذلك سرن على ذات الخطى التى سارت عليها من قبل مريم المجدلية Mary of Magdalene ، وعلى أية حال ؛ وصلت المومسات أحيانًا إلى القصر الإمبراطورى؛ كما حدث فى عهد الإمبراطور أندرونيكوس Andronrus I (١١٨٣-١١٨٥م) الذى اتجه إلى التسريه عن نفسه من خلال المومسات والمحظيات ، عن الدعارة فى الإمبراطورية البيزنطية أنظر:

Procopius , Secret History , p. 84 .

Life of St. Mary of Egypt , Trans. by Maria Kouli , in Talbot (ed.) Holy Women Byzantium Ten esnt'a lives in English Translaton. Washington 1996, pp. 65-93 .

O.D.B., vol . III, p. 1741 .

١- Evans, The Empress Theodora Partner of Justinian, pp. 32-34 .

O.D.B, vol . III, p. 1741 .

٢- Procopius, Op. cit ., p. 84 .

البيزنطى المبكر، والأوسط، والمتأخر، دونما مبالغة أو اعتساف فى الأحكام على نحو يؤكد لنا أن جستنيان عاش فى التاريخ البيزنطى بفضل الجدل الذى أثير بشأن جدوى سياساته وأعماله أكثر مما عاش بفضل أعماله الحربية التى تأكد اخفاقها حتى من قبيل وفاته، وبصفة عامة، وبغض النظر على أجه الاختلاف حول تقييمه فالأمر المؤكد أنه من أبرز الأباطرة البيزنطيين.

ونأتى الآن إلى زاوية محورية ، وهى محاولة تقويم لعهد ذلك الإمبراطور.

والواقع أن هناك من قرر عنه ما نصه : «أن جستنيان أتم كثيراً من الأعمال فجمل العالم. وأمده بأدق مجموعة من القوانين ، وأصيبت فتوحاته الحضارة الرومانية فى الغرب ، كما أنقذت سطوته الدينية، والعلمانية التى قام بتطبيقها خلفاءه الشرقيين من الإذلال فى حادثة كانوسا، ولكن كان من نتيجة ذلك درسان عظيمان ، إذ وضح أنه لايمكن التوفيق بين الشرق والغرب ، وأن المالية السليمة، والمنظمة هى أساس الحكومة الناجحة ، ويتجاهل جستنيان هذه القواعد سبب للإمبراطورية خسارة لاتعوض بدا أثرها واضحًا عقب موته مباشرة»[1].

والواقع أن الرأى المذكور يعكس لنا وجود جوانب إيجابية لاتنكر، وكذلك سلبية كبيرة دفع الشعب البيزنطى ثمنا فادحًا نتيجة لها ، ولانغفل أن «الدرسين» المذكورين كان من الممكن تجنبهما فى حالة الاحتكام إلى العقل وعدم اللهث وراء أفكار وتصورات أكل عليها الدهر وشرب خاص بإعادة مجد روما المنهار، واقعيًا تحت سنابك خيل القبائل الجرمانية الغازية والمستقرة بالفعل.

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٨٨ .

وحادثة كانوسا Canossa التى أشار إليها المؤرخ المذكور عبارة عن ذهاب الامبراطور الألمانى هنرى الرابع Henry IV إلى البابا جريجورى السابع Georgory VII فى كانوسا Canossa فى مقاطعة توسكانيا Tus-cany بايطالية لتقديم الاعتذار له وبالتالى يرفع عنه الحرمان الكنسى Excommunication الذى فرض عليه وقد مكث الإمبراطور ثلاثة أيام أمام أبواب القلعة الموجودة هناك وفى يناير ١٠٧٧م ، ثم فتح البابا أبواب القلعة وخرج لديه، فقبل الامبراطور قدميه واعتذر له وعلى ذلك ؛ قبل البابا اعتذاره وتم رفع الحرمان الكنسى عن ذلك انظر:

Tout, The Empire and the Papacy . 918-1273. London 1914 , pp. 13-132 .

Rand. Founders of the Middle Ages, New York 1975 . p. 77 .

ويقرر مؤرخ آخر ما نصه : «فلعل جستنيان يبدو من أكثر الشخصيات إثارة للحيرة، فبينما الإمبراطورية أشد ما تكون حاجة إلى سياسة حازمة تجنبها شر الفرس، والصقالبة والآفار ، والبلغار ، نجده يولع بمشروعات غريبة ربما لم تكن الدولة فى أى حاجة إلى إتمامها ، بل جلبت عليها الكوارث المروعة واستنزفت كثيراً من طاقاتها، ومواردها ولم تؤد فى النهاية إلا إلى اختطافها [١].

وفى موضع آخر يقرر ذات المؤرخ« توفى جستنيان سنة ٥٦٥م عن ثلاثة وثمانين عامًا وترك الإمبراطورية أفقر مما كانت حين تولاها وأشد ما تكون قربًا من التدهور ، والإنهيار ، وأقل رومانية مما كانت عليه ، بل إن إيطاليا التى أجهد نفسه فى انتزاعها من القوط الشرقيين ما لبث أن وقعت فريسة سهلة فى أيدى اللمبارديين، وقويت فيها شوكة البابوية ، وترنحت فيها دعائم السيطرة البيزنطية لتؤكد الفشل الذريع لسياسة هذا الإمبراطور العسكرية، والدينية فى إيطاليا قلب العالم الرومانى ومركز الثقل فيه »[٢].

وفى تصورى ؛ أن ذلك الرأى يعكس – بواقعية – نتائج سياسة ذلك الامبراطور الذى وصفه البعض بالعظمة دون إبراز دوره بما له وما عليه .

ومن ناحية أخرى؛ ؛ نجد أن المؤرخين الأوربيين الذين وقعوا فى أسر كارزما Charisma جستنيان رأوا فيه إمبراطوراً متفرداً ؛ ولذلك وجدت مؤلفات تتناول عصر «جستنيان » أو «جستيان» العظيم بينما يؤكد الواقع التاريخى أنه لم يكن يمثل ذلك التصور إن تأكد لنا أننا أمام إمبراطور مخفق حاول أن يقاوم قوة غرست جذورها فى التربة الأوروبية على مدى خمسة قرون كاملة خاصة بعد أن نجحت فى إسقاط روما عام ٤٧٦م، وبالتالى فذلك الجانب الدعائى هو نتاج المركزية الأوربية دون أن نجد سنداً من الواقع التاريخى الحربى على الأقل.

لقد أفلس جستنيان خزائن الإمبراطورية ، وترك لخلفائه مشكلات مزمنة ، كما بدد طاقات أبناء الإمبراطورية جريًا وراء سراب لاطائل من ورائه فهل بعد هذا يوصف بأنه إمبراطور عظيم؟ إنها رؤية المؤرخين الأوروبيين الذين حاولوا إيجاد نموذج أوربى قروسطى للبطولة ووقع اختيارهم على ذلك الامبراطور !!

١- محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٦٤ .

٢- نفسه، ص٦٥ .

ومع ذلك ؛ من الإنصاف الرأى بأن إنجازاته القانونية والمعمارية شهدت نجاحًا بارزاً ، ومن الملفت للإنتباه ؛ أن العمليات العسكرية التى أجهدت الإمبراطورية ذهبت هباءً منثوراً . أما الجانب المعمارى؛ فلايزال منه ما بقى على الرغم من تعاقب القرون ، وكنيسة أيا صوفيا تنطق بفصاحة بالتاريخ الذى يرجع إلى عصره .

من الملاحظ أن جستنيان استجاب لرؤية البيزنطيين الذين توهموا أن من الممكن استعادة القسم الغربي من الإمبراطورية، وانبهروا بانتصارات جيوش الامبراطور خاصة في المرحلة المبكرة، دون أن يدرك أنها انتصارات مؤقتة ولن تستمر ، وفي تقديرى ؛ أنه فى حالة قيام جستيان بالإنفاق على الجوانب الاقتصادية ، والعمرانية فى داخل الامبراطورية لحقق نجاحًا أكثر دوامًا بدلا من انفاق الأموال الطائلة على آلة الحرب، وبالتالى، يحق لى وفق سياسته نحو الغرب بعدم الواقعية وقصر النظر .

وهناك من المؤرخين من اعتاد إطلاق اسمه على عصر بأكمله فيسمونه عصر جستنيان [١]، ولايملك الباحث أمام ذلك التصور؛ إلا أن يقرر أن مثل تلك الرؤية تتسم بالإنبهار بشخصية جستنيان [٢]، وإنجازاته ولايوجد مخرج من مثل تلك التصورات إلا من خلال الرؤية

١- أوضح مثال دال على ذلك كتاب إيور :

Ure . Justinian and his age London 1951 .

فهو يطلق اسم جستنيان على عصر بأكمله وكأنه كان إمبراطوراً ناجحًا نجاحًا غير مسبوق .

٢- نجد مثالاً دالاً على ذلك فى صورة ما أوردته المؤرخة أ.د. اسمت غنيم عن جستنيان حيث ذكرت ما نصه : «من أن عهد جستنيان قد بدأ بداية طيبة بشرت بالآمال المزدهرة ، ثم سار وهو مكلل بالأعمال الرائعة والجهود المخلصة من أجل النهوض بالإمبراطورية وتبوئها مكانة رفيعة سامية ، ثم انتهى هذا العهد وهو محاط بجو من اللوم، والسخط الشديدين على إمبراطور هو فى الحقيقةمن عمالقة التاريخ الأوروبى . ويكفى وصف المؤرخ المعاصر أجاثيوس الذى قال عن جستنيان : إنه أول من دل بأقواله وأفعاله دون جميع أباطرة الدولة الرومانية أنه إمبراطور» أنظر:

اسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان ، ص٨٩ ، وفى تصورى أن العبارة المذكورة تعكس انبهار المؤلفة بالامبراطور المكذور، والعملقه المذكورةغير واردة على المستوى السياسي والحربى ، أما قول المؤرخ اجاثيوس نقد تردد على ألسنة مورخين آخرين معاصرين لأباطرة بيزنطيين آخرين وهو لايخرج من دائرة الدعاية=

الموضوعية التى توضح الإيجابيات والسلبيات مهما يكن من أمر؛ على الرغم من رحيله عام ٥٦٥م ، إلا أن المرحلة الواقعة من العام المذكور حتى عام ٦١٠م وحتى من بعد ذلك كانت تعبر خير تعبير عن أخطائه ترك إمبراطورية مجهدة ، ومنهكة ، وخزائنها خاوية وتكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب ، وينطبق ذلك على عهود كل من جستين الثانى (٥٦٥-٥٧٨م) ، وتيبيريوس (٥٧٨-٥٨٢م)، وموريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفوكاس (٦٠٢-٦١٠م) ؛ وهم أوائل ضحايا جستنيان ! وبالتالى يتأكد لنا أن عصره لايفهم دون المرحلة التالية له التى دفعت الثمن فادحًا .

وزاد من إضطراب الأمور فى الإمبراطورية البيزنطية ؛ عودة الصراع بين حزبى الزرق والخضر السالفى الذكر، كما تجدد الصراع البيزنطى- الفارسى، وقد استغل الفرس تلك الأحداث ؛ لتحقيق مكاسب عسكرية ، وسياسية بارزة فى مرحلة ما بعد جستنيان حيث مثّل لهم ذلك الوضع فرصة ذهبية كان عليهم اهتبالها، والأمر المؤكد نجاحهم فى ذلك المجال .

وهكذا ؛ تجددت أحداث الحرب خلال المرحلة من ٥٧٢ إلي ٥٩١م لتشمل قسمًا من عهد الإمبراطور جستنيان الثانى، وكذلك تيبيريوس[1] ثم جانبًا من عهد الإمبراطور موريس ؛ مما عكس أن بيزنطة واجهت عدواً شرسًا مصراً على هدفه ولم يكن من الممكن إلحاق الهزيمة به فى يسر وسهولة.

= السياسية الواضحة، ومن المهم الإشارة إلى أن رأى مؤرخ معاصر واحد لايلزمنا لأننا نجد عكس ما قاله فى لدى بروكوبيوس المؤرخ المعاصر.

١- عن هزين الإمبراطورين أنظر:

Stein, Studien Zur Geschichte der byzantinischen Reiches Vornehmtich Unter den Kaisern Justinus II und Tiberius , Stuttgart 1919 .

وهى أشمل وأفضل دراسة فى موضوعها .

Jones , The Later Roman Empire, p.302-309 .

وأنظر أيضًا هذه الرسالة:

ناصر عبد الحميد زيدان ، الدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطورين جستين الثانى وتيبريوس ٥٦٥-٥٨٣م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م .

على أية حال ؛ من الممكن التنصر بأن خلفاء جستنيان وضعوا فى ظروف اقتصادية وعسكرية وسياسية قاسية أكبر من قدراتهم ، ومن الخطأ البين ؛ تصور أنهم كانوا يملكون قراراتهم فى المجالات المذكورة بحرية ؛ لأنهم كانوا يحكمون إمبراطورية منهكة كان يحكمها واقعيًا جستنيان من قبره بفضل سياساته!!! .

مهما يكن من أمر؛ فى مقدورنا القول بأن الإمبراطور موريس[١] يعد أكثر الأباطرة الذين حكموا من بعد جستنيان كفأة من الناحيتين العسكرية والسياسية ويلاحظ؛ أنه وضع نصب عينيه ضرورة استمرار السيادة البيزنطية على كل من آسيا الصغرى ، وكذلك البلقان. وفى سبيل ذلك ؛ طرق أبواب الدبلوماسية فعقد مع الفرس إتفاقًا عام ٥٩٢م بعد عشر سنوات من توليه السلطة ، وبموجبه تم الاتفاق على أن يتم ضم أرمينيا ، وقسم من شمالى بلاد ما بين النهرين Mesopofamia للإمبراطورية البيزنطية وفى المقابل؛ كان على الأخيرة أن تقدم فدية سنوية للفرس، ومن الملاحظ هنا؛ أن الاتفاق المذكور كان من شأنه سيطرة بيزنطة على مناطق استراتيجية فى مواجهة الفرس، كذلك إلتقاط الأنفاس لمواجهة الظروف الداخلية السيئة التى مثّلت تحديًا حقيقيًا فى وجه ذلك الإمبراطور .

والواقع ؛ أن قبول الإمبراطور موريس للإتفاق المذكور ، وهو الرجل العسكرى لايخلو من دلالة ، وهو رغبته فى تجنب الاستمرار فى الصدام مع الفرس، وإدراكه أن ذلك يعد أفضل الحلول التى يمكن الإقدام عليها وسط الظروف الراهنة التى عايشها.

مهما يكن من أمر؛ هدد خطر آخر الإمبراطورية فى صورة هجمات عناصر السلاف، والآفار الذين تقدموا فى مناطق تراقيا ، ومقدونيا. وبالفعل تقدم الإمبراطور بقواته لصد الخطر القادم عبر نهر الدانوب وتمكن بعد عشر أعوام من الاتفاق السالف الذكر من تحقيق انتصار له من شأنه هناك إلا أن تمرداً حدث فى صفوف جنوده، أدى إلى قتله وظهر فى الساحة قائد آخر هو فوكاس Phocas الذى صار إمبراطوراً، وذلك فى عام ٦٠٢م.

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر:

وفاء محمد، الإمبراطور موريس رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨١م .

Norwich, Ashort History of Byzantium , p. 87 .

Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 37 , p. 38 .

ومن الجلى البين ؛ أن الإمبراطور موريس على الرغم من جهود الحربية والدبلوماسية فى مواجهة القوى المعادية للإمبراطورية فى جبهتين مختلفتين سواء فى الشرق مع الفرس أو عبر نهر الدانوب مع السلاف ، والآفار؛ إلا أنه لم يجد لدى أغلب المؤرخين إلا أقل القليل من الاهتمام ، بل ركزوا الأمر على الإمبراطور جستنيان، وعند مقارنة الإمبراطور موريس بغيره من خلفاء جستنيان يتضح بجلاء أنه أكثرهم نشاطًا ، وواجه ظروفًا قاسية وحاول جاهداً مواجه الأعداء ومن أكثرهم ولم ينل (ما يستحقه من المؤرخين إلا ما ندر على نحو بجعلنا نعتبره من الأباطرة المظلومين فى التاريخ البيزنطى المبكر.

مهما يكن من أمر؛ انتهز الفرس الفرصة السانحة ، وأرادوا تحقيق انتصارات على الإمبراطورية المضطربة الأوضاع واستطاعوا بالفعل التوغل فى مناطق بلاد الشام، ومصر وآسيا الصغرى بل أمكنهم الوصول إلى مدينة خلقدونية ، ولأن خزائن الإمبراطورية كانت من قبل عامرة ، وصارت الآن خاوية؛ لم يكن فى الإمكان شراء السلام الشاحب الحذر معهم هذه المرة!

وهكذا ؛ من الممكن القول- دونما مبالغة - أن تأثير تجربة جستنيان امتد حتى عهد الأسرة التالية وخاصة عهد مؤسسها واعنى به الإمبراطور هرقل إن لم يكن فيما بعد ذلك دون إمكانية تحديد النتائج البعيدة المدى لتلك المرحلة التاريخية على نحو خاص من مراحل التاريخ البيزنطى المديد.

ذلك أمر جستنيان وأحداث عصره الصاخبة وتقديمه بين المؤيدين والمعارضين أما إذا اتجهنا صوب عرض موجز لأهم الأعلام الذين ظهروا خلال القرن السادس الميلادى فنذكر عدد من المؤرخين والجغرافيين فى صورة بروكوبيوس [١]، ويوحنا مالالاس[٢]، ثم هناك قوزما الملاح[٣].

أما فى مجال الأب ؛ نذكر الشاعر رومانوس المرتل، ويعد أفضل الشعراء فى عهد جستنيان وهناك من يقرر اقتصار أعماله على الابتهالات الدينية [٤].

١- عنه أنظر: المدخل البيبليوغرافى.

٢- عنه أنظر: المدخل البيبليوغرافى.

٣- عنه أنظر: المدخل البيبليوغرافى.

٤- أسد رستم، الروم ، ج١ ، ص٢١٦ ، وأنظر أيضًا : المدخل البيبليوغرافى.

كذلك هناك شاعر آخر فى صورة بولس السلتيدى أى الصامت [1]، الذى خص كنيسة الحكمة الإلهية Hagian Sophia بقصيدتين تعد من مصادر تاريخ تلك التحفة المعمارية الباقية.

وعند عقد مقارنة وجيزة بين أسرة جستنيان والأسرتين السابقتين فى صورة قسطنطين وثيودوسيوس ، نلاحظ أن أسرة جستنيان حكمت ٩٢ عامًا ، وبالتالى ؛ فاقت زمنيًا أسرة قسطنطين التى امتد حكمها إلى ٧٢ عامًا وهى فى نفس الحين أقصر عهداً من أسرة ثيودوسيوس التى امتد عصرها إلى ١٣٩ عامًا .

ومع ذلك ؛ من الأهمية بمكان هنا الإقرار، بأن الوجود فى التاريخ ليس وجوداً زمنيًا ، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها ، ومن خلال ذلك ؛ ندرك أن الأسرة الأولى امتازت بوقف الاضطهاد الذى حل بالمسيحية، وتشييد العاصمة البيزنطية والثانية امتازت باتخاذ المسيحية ديانة رسمية والاهتمام بالقانون ، أما الثالثة فقد أنجزت إسهامات قانونية ومعمارية ناجحة وتجربة عسكرية فاشلة !

ولانغفل أن أسرة جستنيان أثارت جدلاً لم تثره الأسرتين السابقتين عليها .

من جهة أخرى؛ تشترك الأسرات الثلاث فى أن هناك دوراً للمرأة بصورة أو بأخرة وتأثيراً على امبراطور بارز من الأباطرة ، مثال ذلك تأثير هيلانه أم قسطنطين على ابنها ، وكذلك تأثير إثيناس يودوكيا زوجة ثيودوسيوس الثانى عليه وكان مطيعًا لها ، ثم أثر ثيودورا على زوجها جستنيان، ومن الجلى البين ؛ أن الأخيرة كانت أكثرهن قدرة على التأثير على مسار الأحداث ، كما تمتعت بصفات أهلتها عن سابقتيها من خلال أن لغطًا أثير حول سلوكياتها من خلال ما أورده بروكوبيوس، كما أن هلينيا تحولت إلى قديسة وهو ما لم يتأت للشخصيتين التاليتين . ولامراء ؛ فى أن ذلك يؤكد دور المرأة فى توجيه السياسة البيزنطية منذ ذلك العهد المبكر. ذلك أمر أسرة جستنيان؛ أما الأسرة الهرقلية وهى التالية لها فتتعرض لمعالم عصرها على مدى الصفحات التالية.

١- أسد رستم ، المرجع السابق، ص٢١٦ ، عندما قمت شخصيًا بزيارة تركيا، وشاهدت تلك الكنيسة التى صارت مسجداً أدركت بالفعل استحقاقها لمثل تلك القصائد ويكفى ارتفاع قمتها بذلك المقدار الشاهق.

ثالثًا : الأسرة الهرقلية (٦١٠- ٧١٧م)

نتعرض فى هذا القسم من الكتاب لعهد الأسرة الهرقلية التى حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٦١٠ إلى ٧١٧ م ؛ أى ما زاد على قرن من الزمان .

تمتاز الأسرة الهرقلية بكثرة عدد أباطرتها الذين تولوا الحكم فيها على نحو فاق الأسرات السابقة عليها فى صورة أسرات قسطنطين ، وثيوديوس ، وأسرة جستنيان وأباطرة الأسرة الهرقلية هم: هرقل Heraclius (٦١٠-٦٤١م) قسطنطين الثالث Constantine III ، (٦٤١-٦٤٢م) وقنسطانز الثانى ConstanceII (٦٤٢-٦٦٨م)، وقسطنطين الرابع Constatine IV (٦٦٨-٦٨٥م) ، وجستنيان الثانى Justinian II (٦٨٥-٦٩٥م) ، وليونتيوس Leontius (٦٩٥-٦٩٨م) ، وتيبيريوس الثانى Tiberius II (٦٩٨-٧٠٥م) ، وجستنيان الثانى Justinian II (٧٠٥-٧١١م) ، وفيليبكوس Philippicus (٧١١-٧١٣م) ، اناسناس الثانى Justinian II (٧١٣-٧١٥م) ، وثيودوسيوس الثالث Theodosius III (٧١٥-٧١٧م) .

ومن الملاحظ ؛ أن تلك الأسرة احتوت أباطرة حكموا مدة طويلة نسبيًا كما فى حالة كل من الإمبراطور هرقل ، وقنسطانز الثانى ، وقسطنطين الرابع، وهناك من لم يتجاوز حكمه عام أو عامين فقط مثل ثيودوسيوس الثالث ؛ مما عكس الضعف السياسى ، وعدم الاستقرار خاصة خلال المرحلة الأخيرة من عهد تلك الأسرة .

على أية حال ؛ الأمر المؤكد أن أهم إمبراطور خلال حكم تلك الأسرة هو الإمبراطور هرقل(١) المؤسس البارز الذى كان إبنًا لحاكم قرطاجة ، وقدم إلى القسطنطينية ، وقام بإنقلاب أوصله إلى سدة الحكم عام ٦١٠م فى ظروف تاريخية معقدة وعصيبة خاصة على جبهة الصراع البيزنطى- الفارسى.

١- عن الإمبراطور هرقل أنظر :

Reinink and Stolte (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and Confrontation, Paris, 2002 .

ويحتوى على (١٣) بحث من الأبحاث التى ألقيت فى ورشة العمل التى عقدت فى جامعة جرونجن خلال المدة من ١٩ إلى ٢١ أبريل ٢٠٠١م.

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, Cambridge 2003 .

ومن الممكن إجمال أهم أعماله على النحو التالى:

أولاً : مواجهة الخطر الفارسى.

ثانيًا : المشكلة الدينية .

ثالثا: الصراع البيزنطى- العربى.

وفيما يتصل بالخطر الفارسى: يلاحظ أن الفرس فى عهد خسرو الثانى Khosroes II (٥٩١-٦٢٨م) تمكنوا من تحقيق نجاحات غير مسبوقة على حساب بيزنطة وقد أسقطوا عددا من مدن بلاد الشام ، بل تمكنوا من دخول بيت المقدس وذلك عام ٦١٥م بعد خمس سنوات فقط من تولية الإمبراطور هرقل أمر الإمبراطورية البيزنطية ، وقد تم الاستيلاء على ما يعتقد المسيحيون أنه صليب الصلبوت ، كذلك تم مهاجمة كنيسة القيامة، واشتعلت النيران فيها، ويعنى ذلك كله: أن الرموز الدينية المسيحية الكبرى صارت نهبًا فى أيدى الفرس، بل وصل الأمر إلى حد أنهم استولوا على مصر عام ٦١٧م كذلك واصلوا توسعاتهم إلى آسيا الصغرى Asia Minor ، وبلغوا خريسوبوليس Chrysopolis وكانت الأخيرة بمثابة آخر منطقة أمكن للفرس أن يتوسعوا فيها على حساب السيادة السياسية البيزنطية حينذاك ، ويلاحظ أن آسيا الصغرى خلال تلك الأحداث العصيبة مثلت درعًا واقيًا قام بحماية القلب البيزنطى واستهلك جزئيا طاقات الفرس.

ونظرا للرابطة الجغرافية والتاريخية الأزلية بين بلاد الشام ومصر (الشامصر) ، اتجه الفرس إلى الأخيرة وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام ٦١٩م، وفى كل مكان حلوا فيه نشروا الدمار والخراب[١].

= وهى أحدث وأفضل دراسة بالإنجليزية وأنظر أيضًا :

Haldon , Byzantium in The Seventh Century , the Transformation of a culture, Cambridge 1997 . pp. 41-53 .

Diehl, History of the Byantine Empire, pp.41-42 .

ليلى عبد الجواد ، الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، ط. القاهرة ١٩٨٥م. وهى أفضل دراسة أكاديمية متخصصة بالعربية فى موضوعها .

١- ثيودريش، وصف الأماكن المقدسة فى فلسطين للرحالة الألمانى ثيودريش القرن الثانى عشر الميلادى=

كان الإمبراطور هرقل بالفعل رجل الساعة للإمبراطورية ؛ وقد اتجه إلى مهادنة الأخطار الجانبيه كما حدث بالنسبة لعناصر السلاف ، والآفار. وتفرغ لمواجهة الخطر الأكبر فى صورة الفرس، وقام بالالتفاف على القوات الفارسية ، وهاجمهم فى داخل بلادهم فى عام ٦٢٧م، وحدث صدام حربى بين الجانبين فى مقابل نينوى بالغرب من الموصل الواقعة فى شمالى العراق، وكان النصر حليفًا له ،[١] وقد أدت نتيجة المعركة إلى عزل كسرى فارس ، وتولى من بعده إبنه الذى وافق على شروط بيزنطة وإنسحب الفرس من المناطق التى استولوا عليها من قبل، ومنها بلاد الشام ، ومصر .

= السادس الهجرى، ت. سعيد عبدالله البيشاوى ورياض شاهين ، ط. عمان ٢٠٠٣م ، ص٢٥ ، حاشية(١).

عن خضوع مصر لسيطرة الفرس أنظر:

Diehl, Histoy of the Byzantine Empire, p.41 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 196 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 86 .

Peters, Europe and the Middle Ages, New Jersy , 1997, . 88 .

محمود الحويرى ، مصر فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٤٧ ، ص٤٨ .

١- عن حروب هرقل ضد الفرس أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Trans. of anni undi 6095 . 6305 (A.b.602-813) , by Harry turtledove, Philadelphia 1982 , p. 29 .

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, pp. 156-191 .

Regan, First Crusader Byzantium's Holy Wars, New York 2003, pp. 75-80 .

Hussey , The Byzantine World , p. 25 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 92-93.

Treadgold, A History of the Byzantine State, and Society, pp. 293-301 .

عفاف صبرة ، «الجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسى البيزنطى من القرن الرابع الميلادى إلى الفتح الإسلامى ما قبل ٨ -٦١هـ / ٦٢٩-٦٨٢م»، المجلة التاريخية المصرية، م(٤٣) ، عام ٢٠٠٥م، ص١١٤ .

ويلاحظ أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك فى سورة مريم ١-٤ فى قوله تعالى: «الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ » .

جدير بالذكر ؛ صاحب حروب هرقل ضد الفرس استخدام اشارات دينية مثل الصلبان ، وصور السيدة مريم العذراء عليها السلام وهى تحمل المسيح عليه السلام طفلاً ؛ من أجل إثارة حماس الجنود ، ومع ذلك ؛ لايمكن إعتبار ما قام به نوعا من الحروب الصليبية Crusades, Crorsades [١]، كما تصور المؤرخ الصليبي البارز وليم الصورى William of Tyre إذ أنها قامت من الغرب الأوربي ، ولم تندلع من الإمبراطورية البيزنطية كما أنها نتاج أخريات القرن الحادى عشر الميلادى وليس القرن السابع الميلادى ، وفيما بعد ؛ حاول بعض المؤرخين تكرار نفس التصور بالنسبة لحروب شارلمان Carolus Magnus ضد المسلمين في الأندلس، عندما اتجه إلى حصار سرقسطة[٢] عام ٧٧٨م، غير أن ذلك يعد تحميلاً للأمور أكثر مما

١- عن فكرة الحرب المقدسة لدى العالمين المسيحى والإسلامى أنظر:

Canard, " la guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien" R. AF. T. LXXIX, 1956 , pp. 605-623 .

Brundage, " Holy war and The Medieval Lawyers ", in, Brundage (ed.), the Holy war, Ohio State 1977, pp. 99-139 .

Saunders, " The Gusades as a holy war ", in Brundage (ed.) The Crusades, Motives and achievements, Boston 1964 .

قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص١٤-٢٠ ، جان فلورى، الحرب المقدسة، الجهاد والحرب الصليبية، ت. غسان مايسو ومراجعة جلال شحاته، ط. دمشق ١٩٩٤م، ص١٧٣ ، ويلاحظ أن المؤلف متعصب ضد الاسلام، بوجه عام .

٢- سرقسطة ؛ Zaragoza، مدينة كبيرة وقعت فى شمال شرقى الأندلس ، وامتازت بوجود خمسة أنهار بها فى صورة أنهار إبرو، وجلق، شلومه، ورويه، وقنتشن، ويلاحظ ؛ أن اسمها القديم هو Sulduba ، وعندما قام الرومان بإحتلال أسبانيا ؛ أسس الامبراطور أغسطس Augustus مستعمرة بها أسمها Caesarea Auguste ثم تم تحوير الاسم خلال عهد القوط إلى Caesaragusta وصار خلال الحكم العربى سرقسطة، وقد قام طارق بن زياد بفتحها عام ٧١٢م، واستمر الحكم العربى بها إلى أن تمكن الأسبان من إعادة السيطرة عليها فى عام ١١١٨م من خلال ما أطلقوا عليه «حرب الاسترداد» Reconquesta عن سرقسطة أنظر:

ياقوت ، معجم البلدان، ط. بيروت ب-ت ، ج٣ ، ص٢١٢-٢١٤ ، يوسف أحمد ياسين، بلدان الأندلس فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافية (٥٧٤-٦٢٦هـ / ١١٧٨-١٢٢٦م) ، ط. أبوظبى ، مركز زايد للتراث ٢٠٠١م، ص٣٣٤، حاشية (١) ، عبد السلام الترمانينى ،، أزمنة التاريخ الاسلامى، ج/١ م٢ ، ط. الكويت ١٩٨٢م، ص١٥٣ .=

تحتمل ؛ فلا صليبيات قبل عام ١٠٩٥ م عندما قام البابا أوربان الثانى Urban II (١٠٨٩-١٠٩٩م) بالدعوة إليها تحديداً فى ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م فى مجمع كليرمونت -Cler mont فرنسا كما سنفصله فيما بعد .

والأمر المؤكد ؛ أن هرقل يعد بالفعل الإمبراطور المنقذ للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة التى مرت بها ويعد دوره فى هذا المجال، أكثر أهمية من دور الامبراطور جستنيان خاصة أن الأخير فى عهده لم تكن الامبراطورية مهددة بمثل تلك الدرجة التى كانت عليها فى عهد الامبراطور هرقل.

من المؤكد أن المؤرخين الذين درسوا عهد ذلك الامبراطور ؛ لم يعطوه حقه الجدير به نظراً لهزيمته فيما بعد على أيدى المسلمين غير أن الإنصاف التاريخى يجعلنا تقرر أنه من وجهة نظر بيزنطية كان من أكفأ الأباطرة البيزنطيين ونجاحه فى مواجهة الفرس خير دليل على ذلك.

على أية حال ؛ يوصف هرقل «بالامبراطور التعيس» ؛ إذ لم يهنأ بانتصاره على الفرس، فقد ظهر أمامه خطر داهم فى صورة العرب الذين اعتنقوا الإسلام ، وصاروا قوة لايستهان بها ، وقد أثبت قدرتها الفذة على تغيير التاريخ فى العصور الوسطى بصورة غير مسبوقة وخلال عقود قليلة !!!.

ومن الممكن أن نلقى نظرة عابرة على بدايات نمو تلك القوة التى لم يحسب لها البيزنطيون حسابًا ! فقد ولد النبي محمد بن عبد الله عليه أشرف الصلاة وأزكى السلام فى مكة المكرمة ٣٠ أغسطس عام ٥٧٠م من أسرة من أشرافها وفيما بعد عمل بالرعى، والتجارة ووصف بالصادق الأمين ، وعند بلوغه الأربعين عامًا جاءه الوحى من الله تبارك وتعالى وهو يتعبد فى

= وعن حملة شارلمان عليها عام ٧٧٨م انظر:

مجهول، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الابيارى، ط . بيروت ١٩٨٩م، ص١٠٣ حيث يقول: «طمع قارله فى مدينة سرقسطة من أجل ذلك، فخرج حتى حل بها ، فقاتله أهلها ، ودفعوه أشد الدفع فرجع إلى بلده»، إسماعيل نورى ربيعى، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ص٦٣ ، صالح السعدون، العلاقات الخارجية للأندلس فى عهد الامارة، ط. الرياض ب-ت ، ص٩٨-٩٩ ، منى حسن محمود، المسلمون فى الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ٩٢-٢٠٦هـ / ٧١٤-٨١٥ م. ط . القاهرة ١٩٨٦م، ص١٨٠- ص١٨١ .

غار حراء وكان نزول القرآن الكريم الذى يعد معجزة إلهية حية منذ ذلك الحين، وإلى قيام الساعة . وفى يوم حدده بعض المؤرخين بأنه ١٨ يوليه ٦٢٢م قام النبى عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة المكرمة إلى يثرب التى غدت تحمل اسم المدينة المنورة ، وقد واصل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وتمكن من فتح مكة .

يلاحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم قام بإرسال سفراء إلى حكام الدول المجاورة[1] ومنهم الدولة البيزنطية من أجل إبلاغهم برسالة الإسلام الذى هو فى الحقيقة دين عالمى لكافة البشر صالح لكل زمان ومكان ، فأحسن البعض استقبال سفراءه وأساء البعض الآخر إليهم ، وكان الامبراطور هرقل من أولئك الذين أرسل لهم نبى الاسلام رسالة للإبلاغ بالدين الجديد .

جدير بالذكر ؛ حدثت معركة مؤته بين المسلمين والبيزنطيين[2] عام (٦٢٩م) انتصر فيها الأخيرون ، واستشهد فيها ثلاثة من قادة المسلمين فى صورة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة، وتمكن خالد بن الوليد من الإنسحاب بباقى القوات الإسلامية.

١- عن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل أنظر: أحمد فؤاد سيد، الدعوة الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين- بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٥٢٧-٥٧٨، وأود الإشادة بالجهد العلمى البارز فى أطروحة الدكتوراه التى أعدها المؤرخ البارز الراحل د. أحمد فؤاد سيد أنظر أيضًا : ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية فى عصر الإمبراطور هرقل، ص٣٣٨ - ص٣٤٠ ، محمد لقمان الأعظمى، السيرة النبوية، ط. جدة ب-ت ، ص٢٣٨-٢٥٨ .

وعن الرسائل التى أرسلها النبى (ص) بصفة عامة إلى الأباطرة والملوك أنظر:

محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص١٠٥-١٠٨ ، عبد الجبار السامرائى ، «الرسائل التى بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة . الفيصل ، العدد (٥٥) ، (٢) عن معركة مؤته انظر:

٢- عن معركة مؤتة أنظر:

ابن سعد ، الطبقات الكبرى: ، ط. بيروت ١٩٥٨م، ج٢، ص١٢٨ ، ابراهيم بيضون ، «حملة مؤته مقاربة للمشروع السياسى الأول للدولة الإسلامية فى بلاد الشام»، ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام، إشكالية الموقع والدور فى العصور الاسلامي، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٩٩-١٢٥ ، عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم فى عصر النبوة دراسة فى جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٨٧-١٢١ ، شكرى فيصل، حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول، ط. بيروت ١٩٧٤م، ص٢٦-٢٧، ابراهيم العدوى، الإمبراطورية البيزنطية، والدولة الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٥١م ، ص٣٦-٣٧ .

ومن الجلى البين ؛ أن الامبراطورية البيزنطية التى كانت قد خرجت من صراعها مع الفرس بانتصار بإذن ، استخفت بقوة المسلمين وتصورت أنهم يقومون بمجرد مناوشات حدودية محدودة الشأن ولم يتصور البيزنطيون البته أن يصل بهم الأمر إلى حد إلحاق هزائم مروعة بأباطرة القسطنطينية الكبار الذين انتشوا بخمر الانتصار على الفرس منذ قليل.

ومن المهم هنا الإقرار ؛ بأن حركة الفتوحات العربية الكبرى لم يكن دافعها الناحية الاقتصادية كما توهم قطاع من المؤرخين الماركسيين وكذلك المستشرقين ، بل إبلاغ رسالة الإسلام؛ وهى رسالة عالمية ، وتخيير الشعوب بين أن تعتنقه أم لا دون أى إكراه فى سبيل اعتناق الدين الجديد، حيث قال تعالى فى كتابه العزيز «لا إكراه فى الدين»[١]. ولاريب ؛ أن الإسلام إمتاز بوضوح الرؤية الدينية ولم يكن فيه ذلك الجدل الدينى الذى لاينتهى بشأن طبيعة السيد المسيح عليه السلام، على نحو سيؤدى إلى إقبال الكثيرين نحو اعتناقه باعتراف المنصفين من المستشرقين [٢]، لانغفل هنا الإشارة إلى أن الإمبراطور هرقل إتجه إلى محاولة تسوية الصراع الدائر بين أصحاب الطبيعة الواحدة والطبعيتين بأن أوجد مذهبًا توفيقيًا جديداً عبارة عن مذهب المشيئة الواحدة أو المونوثولينى Monothelitism [٣]. من خلال مرسوم صدر عام ٦٣٨م، غير أنه أخفق فى إقناع الطرفين به، وقد حاولت بيزنطة فرضه على رعاياها كما

١- أحمد الشريف ، دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص١٦٧-١٨٠ حيث يتناول دوافع تلك الحركة وأفضل دراسة بالعربية تفند أكذوبة انتشار الإسلام بحد السيف التى كثيراً ما رددها قطاع من الباحثين الغربيين أنظر: نبيل لوقا بباوى، انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٢٤-١٨٤ .

والمؤلف القبطى منصف للإسلام وحاصل على عدة درجات للدكتوراه .

٢- عن ذلك أنظر: Arnold, The Spreed of Islam in the World , A History of Peaceful Preaching, India 2001 .

ويلاحظ أن الكتاب المذكور له ترجمة عربية أنظر:

توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ت. حسن ابراهيم وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى ، ط. القاهرة ١٩٤٧م.

٣- عن ذلك المذهب أنظر:

شارلز أومان، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م،ص١٣٥=

حدث في بلاد الشام ومصر، دون جدوى ، وفي الأخيرة - على سبيل المثال - عارض الأقباط بشدة سياسة هرقل الدينية في بيئة عرفت بتدينها الفطرى منذ أقدم الأزمان، وقد فر رأس الكنيسة القبطية بنيامين Benjamin إلى الصحراء بعقيدته هربًا من جراء الجور البيزنطى(١) الذى لاحق كل من لايعتنق المذهب الرسمى للامبراطورية .

يضاف إلى ذلك؛ كانت السياسة البيزنطية الجائرة على المستوى الاقتصادى القائمة على فرض الضرائب واستنزاف ثروات الولايات الشرقية خاصة القمح كما فى حالة مصر (٢)؛ كان ذلك أثره فى اشتعال نيران السخط، والتمرد فى نفوس سكان تلك الولايات وهكذا ؛ قدم البيزنطيون بأخطائهم الفادحة فرصة ذهبية للفاتحين العرب ليتفوقوا عليهم، ويحققوا انتصاراتهم فى وقت قياسى غير مسبوق ومن قبل ذلك كله الجوانب الايجابية المتعددة التى احتواها الإسلام نفسه كدين سماوى خاتم.

= حاشية (١) ، السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص١١٧ ، عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص٩٧-٩٨ ، أسد رستم ، الروم، ط. بيروت ١٩٥٥م، ج١ ، ص٢٣٠ ، زاكية رشدى ، «تاريخ الأدب السريانى»، مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس م (١٧) ، عام ١٩٧٣م، ص٣٦٤ ، محمد مؤنس عوض ، «أضواء على تاريخ موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، مجموعة أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم، بمناسبة بلوغه الستين، تحرير حاتم الطحاوى> ط . القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٨٩ . حسين العودات، العرب النصارى، عرض تاريخى، ط. دمشق ، ١٩٩٢م، ص٥٤ .

Angold . Byzantium the Bridge from Antiquity to the Middle , Ags, p. 166 .

١- عنه أنظر : فايز نجيب اسكندر ، «بنيامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطى وبداية الفتح الإسلامى لمصر ٦٢٣-٦٦٢م ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٣-٣٦ . عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ت. اسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص٩٨ .

٢- يلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية من قبل كانت ترى أن القمح المصرى على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لها ، وهناك من يقرر أنه فى حالة سؤال أى امبراطور رومانى عن العلاقة الوثيقة التى ربطت مصر بالإمبراطورية الرومانية لأجاب من فوره : القمح والنقود، وفيما بعد : كان على مصر تقديم ما تراوح بين ٨ ، ٩ مليون أردب من القمح ؛ مما عكس أهمية الدور الاقتصادى الذى لعبته بالنسبة لتلك الامبراطورية ومن بعدها البيزنطية ، أنظر:

ومن الأهمية بمكان هنا الإشادة بمقال «تاريخى» خطه أ.د. اسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة عين شمس بعنوان «شمس العرب تسطع على أرض النيل»،[١] أقر فيه بأن ذلك الفتح جاء بمثابة إنقاذ لمصر، وأهلها الأقباط حينذاك من الإضطهاد البيزنطى، فكانت شهادة حق من مؤرخ بارز رداً على إدعاءات وافتراءات لاتقف على قدميها.

على أية حال؛ تمكن المسلمون بقيادة عبقرى الحرب خالد بن الوليد- الذى لم يهزم طوال حياته فى أية معركة حربية على نحو فريد لانجد له نظير على الأقل فى حقبة العصور الوسطى والذى لقبه نبى الاسلام مبكراً بسيف الله المسلول، وأكدت وقائع التاريخ صدق ذلك الوصف - تمكن من قيادة المسلمين فى انتصار تاريخى فذ فى صورة معركة اليرموك فى ٢٢ أغسطس من عام ٦٣٦م[٢] وتفوق الفرسان المسلمون خفيفى الحركة الذين برعوا فى حرب الصحراء على القوات البيزنطية الثقيلة البطيئة الحركة ، وكان الانتصار الإسلامى فيها حاسمًا ، وتعد أول

= رأفت عبد الحميد وطارق منصور ، مصر فى العصر البيزنطى ٢٨٤-٦٤١م، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣- ص٥ ، رأفت عبد الحميد، «مصر والعرش البيزنطى»، ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم رؤوف عباس، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٧٧- ص٧٩ .

١- عن ذلك انظر: اسحق عبيد ، «شمس العرب تسطع على أرض النيل» ، ضمن كتاب أثر الاسلام فى مصر وأثر مصر فى الحياة العربية الاسلامية، اشراف أ.د. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٩٩م .

Theophanse, p. 38.

٢- عن معركة اليرموك أنظر: البلاذرى ، فتوح البلدان ، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص١٣٦ .

ابن الأثير، الكامل، ط. بيروت 1994م، ج٢، ص٦٩-٧٢ .

Nicol, Yarmuk ad 636 The Muslim conquest of Syria , Oxford 1994, pp. 46-86 .

Kaegi, Byzantium and the Early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 112-146 .

Whittow , The Making of Byzantium 600-1025 , los Angelos 1996, p. 86, p. 89 .

ويلاحظ أن المؤرخ شارل ديل وصفها بأنها كارثة «اليرموك» "The disaster of Yermuk" أنظر:

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 43 .

علاء الدين حسين مكى، فن الحرب عند العرب دراسة فى الفتوحات الكبرى فى العصر الراشدى، ط. بغداد ، ١٩٩٩م، ص٢٤٨-ص٣١٨ . وهى دراسة تحليلية ذات طابع عسكرى أعدها خبير عسكرى عراقى ؛ حازم عبد القادر الراوى، الروح المعنوية للجيش العربى الإسلامى فى صدر الاسلام ، ط. بغداد ١٩٩٨م، ص١٥٣ .

مواجهة حربية كبيرة بين المسلمين ، والبيزنطيين ، وفيها تأكدت مقولة المفكر التونسى الكبير ابن خلدون أن البدو «أقدر على التغلب وانتزاع ما فى أيدى سواهم من الأمم» (١). وجدير بالذكر أن الفيلد مارشال مونتجومرى القائد البريطانى الذى انتصر فى معركة العلمين على قوات المحور خلال الحرب العالمية الثانية ألف كتابا بعنوان : A History of Warefare ، أى الحرب عبر التاريخ وفيه أشاد بإنجاز الجيش المسلم بقيادة خالد بن الوليد القائد الفذ(٢).

بصفة عامة : حسمت تلك المعركة أمر السيادة السياسية على بلاد الشام لصالح المسلمين، ولاريب : فى أنها بالإضافة إلى معركة القادسية ضد الفرس قد أحدثت واقعًا جيوبولوتيكيًا جديداً أثر بدوره فى تغيير النظام العالمى حينذاك : إذ انحسرت الدولة البيزنطية غربًا، وجاء ذلك إيذانًا لها فيما بعد فى حركة تاريخية بطيئة بين القرنين ٧ ، ١٥م، كذلك جعلت تلك المعركة المسلمين يقتربون من الساحل الشرقى للبحر المتوسط ملتقى الحضارات ، والسياسات فى العصور الوسطى.

على أية حال : نسب المؤرخون المسلمون وغيرهم وداعًا رمزيًا للامبراطور البيزنطى هرقل لبلاد الشام إذ قال : Vale Syria et Ultimatum ؛ أى : «الوداع يا سورية وداعًا ؛

= ويلاحظ أن من عوامل الانتصار فى تلك المعركة براعة المسلمين من خلال خفة الحركة وخبرتهم فى التحرك حركات تقدم وانسحاب واستداره وكذلك قطع خطوط المواصلات والتموين للبيزنطيين ولم يكن من الممكن لجيوش البيزنطيين الثقيلة التفوق عليهم انظر: جلوب، الفتوحات العربية الكبرى ، ت. خيرى حماد . ط. بيروت ب-ت ، ص١٤٢ .

١- المقدمة تصحيح وفهرسة أبو عبدالله السعيد المندوه، ط. بيروت ٢٠٠٥م، ص١٣٣ .

الأمر المؤكد : أن ابن خلدون من عباقرة الإسلام فى العصور الوسطى، ويمتاز بالأصالة الفكرية. وقد تأثر ڤيكو به فى نظرية الدورات ، كما أشاد به المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى مبدع التحدى والاستجابة.

٢- الفيلد مارشال مونتجومرى، الحرب عبر التاريخ، ت. عبدالله النمر، ط. القاهرة ١٩٧٣، ج١. يقول ذلك القائد البريطانى المحنك : «فى عام ٦٣٦ حشد الامبراطور البيزنطى هرقل جيشًا جيشًا مكونًا من خمسين ألفًا ليقاتل به العرب ، وكان جيشهم نصف عدد الجيش البيزنطى وبقيادة خالد بن الوليد والتقى الجيشان عند اليرموك، وأسفرت المعركة على هزيمة الجيش البيزنطى وتشتت صفوفه ولاقوا حتفهم على أيدى أهل الصحراء».

نهـائيًـا »[1] على نحو عكس مدى إحساسه بالكارثة التى حلت بالدولة البيزنطية من جراء التوسعات العربية الخاطفة ، والناجحة .

وفيما بعد؛ تمكن المسلمون من إخضاع مدن بلاد الشام الكبرى بما فيها بيت المقدس التى دخلها الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧م [2]، دخولاً سلميًا متحضراً وأعطى أهلها الأمان على عقائدهم ، وأرواحهم ، وممتلكاتهم . ورفض الصلاة فى كنيسة القيامة حتى لايحولها المسلمون إلى مسجد فقدم درسًا تاريخيًا فى التسامح والسلام منذ القرن السابع الميلادى، وسيتكرر من بعد ذلك بعدة قرون عندما دخلها السلطان صلاح الدين الأيوبى محرراً فى عام ١١٨٧م، وما ذلك إلا التعبير الحى الصادق عن أخلاق الإسلام النبيلة دونما شبهة تعصب.

جدير بالذكر؛ إتجه المسلمون بقيادة عمرو بن العاص إلى فتح مصر، وكانت مهيأة لاستقبال الفاتحين الجدد، ويحدثنا مؤرخ قبطى معاصر للفتح العربى وهو يوحنا النقيوسى أن العرب وجدوا المساعدة من أقباط مصر[3] الذين رحبوا بهم وقدموا لهم المؤن والامدادات والأهم سلاح

١- الأزدى : فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عامر، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٢٣٦ .

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل . ط. القاهرة ١٩٦٧م، ج٣ ، ص٣، ٦ .

ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية ، ص٣٨٠ ، عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٢ .

وعن الصراع البيزنطى- العربى حينذاك أنظر: Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. -99

٢- عن دخول عمر بن الخطاب بيت المقدس أنظر: ابراهيم جابر ، قضية القدس ومستقبلها فى القرن الحادى والعشرين دراسات (٢١) مركز دراسات الشرق الأوسط عمان ٢٠٠٢م، ص٢٢ ، الأزدى ، المصدر السابق، ص٢٥٩ ، عبد الباسط التكرورى، موسوعة الخلفاء الراشدين ، ط. عمان ٢٠٠٣م، ص١٢٧ ؛ محمود السيد، ، الفتوحات الإسلامية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٤٢- ص٤٥ ، حمدى شاهين ، الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٠٤ - ص٢٠٨ ، فاروق عمر فوزى، محسن محمد حسن ، الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الإسلامى الوسيط، ط. رام الله، ١٩٩٨م، ص٤٧ .

٣- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر، المغرب ، ج١ ، تحقيق عبد المنعم عامر، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٨٦ . يقول ما نصه : «فيقال أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانًا ».=

المعلومات للتخلص من الإضطهاد البيزنطى، وبالفعل ؛ تم للمسلمين فتح مصر عام ٦٤٢م فى عهد قسطنطين الثالث ، وكان ذلك كله دليلاً وضّاحًا على أن المقاطعتين المهتمين بلاد الشام ، ومصر صارتا خارج نطاق السيادة البيزنطية ، ولاشك أن ذلك حرم بيزنطه من القمح الذى كانت تقدمه مصر لها كإمتداد لعلاقاتها السابقة بالإمبراطورية الرومانية، ولكن من ناحية أخرى؛ أدي ذلك إلى إيقاف المشكلات الدينية من خلال معارضة بلاد الشام ، ومصر لمذهب المشيئة الواحدة الذى حاول الامبراطور هرقل فرضه هناك دون جدوى، وبصفة عامة ؛ فإن الأمر المؤكد فداحة خسائر بيزنطة مقارنة بتلك الزاوية الإيجابية المحدودة .

= وعن تلك الأحداث أنظر:

John Bishop of Nikou , Trans . From Ethiopean by Zotenberg, Paris 1883, English Trans. by R.M Charles 1916 .

وهناك ترجمة عربية قام بها عمر صابر عبد الجليل، انظر : يوحنا النقيوسى ، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى، ت. عمر صابر ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٩٢ وما بعدها أيضا:

Amelinean, “La conquete de L'Egypte par les Arbes,” R.H., T. CXIX , 1915 , pp. 273-310 .

١- يقول مفكر قبطى قدير ما نصه : «على مدى ستة قرون كاملة تعرض المصريون للاضطهاد الشرس»، ويقصد بذلك اضطهاد البيزنطيين لهم انظر:

وليم سليمان قلاده، «العلاقات الاسلامية - المسيحية فى الواقع المصرى». ضمن كتاب العلاقات الاسلامية المسيحية قراءات التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط . بيروت ١٩٩٤م، ص٥٦ ؛ أحمد عبد الرازق ، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية من الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، ط . القاهرة ١٩٩٣م، ص١٤ -٩ ص١٥ .

٢- Arnold, The Spreed of Islam in The World p. 102 .

ويقرر ذلك المؤرخ البريطانى عن تسامح الفاتحين العرب، ما نصه :

“ Muhammadan Conquest brought a freedom of religious life such as They had not enjoyed for acentury”.

Arnold Ibid p. 102 .

والاعتراض على عبارته فى كلمة «محمدى» والمفروض أن تكون «الإسلامى» بدلا منها ، فالإسلام ليس دين محمد بل دين الله جل سبحانه وتعالى ومحمد عليه الصلاة والسلام رسول الله جل شأنه المصطفى والمختار من جانبه لإبلاغ رسالة الاسلام العالمية.

لانغفل هنا زاوية لها أهميتها ضمن الحديث عن الفتح العربى لمصر، إذ أتهم فريق من الباحثين الغربيين العرب بأنهم قاموا بإحراق مكتبة الاسكندرية التى كانت تحوى تراثًا انسانيًا ضخمًا ومن الممكن الرد على تلك الفكرة من خلال النقاط المحددة التالية :

أولاً : إن مكتبة الاسكندرية قد أصابها الحريق مرتين الأولى عام ٤٨ ق.م إثر حريق أسطول يوليوس قيصر Julius Cacser، والثانية خلال عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧١-٣٩٥م) وذلك فى عام ٣٩١م : أى من قبل مقدم الفاتحين العرب بعدة قرون.

ثانيًا : من الملاحظ أن رواية إحراق المكتبة المذكورة لايؤيدها أحد من المؤرخين المعاصرين مثل أوتيخا ، الذى قدم تفصيلات مسهبة عن الفتح العربى لمصر، كذلك لم نجد أثراً للحديث عنها لدى المؤرخين الآخرين مثل اليعقوبى ، والبلاذرى ، وابن عبد الحكم، والطبرى، والكندى، وكذلك لدى المؤرخين المتأخرين مثل المقريزى (ت ١٤٤١م) شيخ مؤرخى مصر الإسلامية ، وأبى المحاسن (ت ١٤٦٩م) والسيوطى (ت ١٥٠٥م) .

ثالثًا : هناك من يقرر أن المؤرخ أوراسيوس Orasius قرر أنه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب وذلك عندما قام بزيارة مدينة الاسكندرية فى أوائل القرن الخامس الميلادى، مما عكس عدم وجود تلك المكتبة من قبل مقدم الفاتحين العرب، واستيلائهم على الاسكندرية .

خامسًا : من المفترض فى حالة بقاء تلك المكتبة إلى الفتح العربى: لم يكن هناك ما يمنع من نقلها إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية على أيدى البيزنطيين خاصة أن عمرو بن العاص قرر فى الصلح الذى عقده معهم ؛ أن من حقهم أن ينقلوا ما يستطيعون حمله، وهناك من أوضح أنه كان بإمكانهم حينذاك نقل عدة مكتبات لا مكتبة واحدة [1].

١- عن الرد على افتراءات إحراق مكتبة الاسكندرية أنظر:

ألفريد بتلر ، فتح العرب لمصر ص٣٤٨- ص٣٧٠، حيث يقدم أفضل عرض عن الموضوع بصورة مفصلة ، حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ط. بيروت ٢٠٠١م، ص١٩٧ - ص٢٠١ .

محمد عبد المنعم، الاسكندرية ، المكتبة الاكاديمية فى العالم القديم، ط ، القاهرة ٢٠٠٠م، ص١١٨ - ص١١٩ .

ابراهيم عبد الفتاح المتناوى. فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية. ط. طنطا ٢٠٠٢م، ص١٣١- ص١٣٦ .

سادسًا : لانغفل ؛ أن قطاعًا من الباحثين الغربيين، حرصوا الحرص أجمعه على أن يضعوا الإسلام، والمسلمين دومًا فى قفص الاتهام حتى ينفقوا وقتهم وجهدهم فى الرد على الافتراءات وتفنيدها، ويكفى أن نرد عليهم بأن المسلمين فى العصور الوسطى كانوا من أكبر الأمم اهتمامًا بالكتب تأليفًا ، وترجمة ، ونسخًا على نحو لم نجده لدى أية أمة أخرى بإعتراف المنصفين من المستشرقين الذين اعترفوا بتلك الحقيقة الراسخة القدم، ونجد ذلك واضحًا فى مؤلفاتهم ذاتها .

سابعًا : يقرر البعض نشوء تلك التهمة التى تم إلصاقها بالعرب الفاتحين فى الأصل فى بلاد الشام فى أعقاب فترة حاسمة من تاريخ الحروب الصليبية، ومن المرجح أن السبب المباشر لإثارتها : التغطية على ما ارتكبه الصليبيون فى طرابلس الشام عندما اقتحموها عام ١١٠٩م ، وأرتكبوا بها مذبحة ودمروا دار العلم هناك وهى التى احتوت على كنوز المعرفة[١]، ناهيك عن الاستيلاء على تلك المكتبة التى قام بجمعها الفارس والشاعر أسامه بن منقذ والتى تركت حادثة فقدانها أثرًا نفسيًا سيئًا لديه وضمت أربعة آلاف من الكتب النادرة.

ويقرر العلامة الراحل أ.د. السيد عبد العزيز سالم، أن الصليبيين قاموا بإختلاق القصة المزعومة السابقة التى أوردها ابن القفطى؛ كى تكون سابقة على ما حدث فى طرابلس الشام. وقد شاعت تلك القصة، ومن المفترض أن والد ابن القفطى عمل فى حياته فى خدمة صلاح الدين الأيوبى فى بلاد الشام حينما انتشرت روايتها فتناقلها والده ، وقام بترويجها: نظرًا لارتباطه بالسلطان الأيوبى الذى كان له دور بارز فى «تفريق وبيع بقايا المكتبة الفاطمية ، وكأنما أراد بترويجه لهذه القصة أن يزيل ما تعرض له صلاح الدين من انتقادات »[٢] بسبب ذلك الموقف .

١- السيد عبد العزيز سالم، محاضرات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ط . الاسكندرية ١٩٩٧م، ص١٩٤، حاشية (٢) .

وقد اعتمد عرضه على: مصطفى العبادى، مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، ص١٤٣ .

وعن تلك الدار أنظر: عمر عبد السلام تدمرى، «دار العلم فى طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجرى»، مجلة عالم الفكر، م (١٢) ج (٣) الكويت ١٩٨١م، ص٨٧-٩١٨ .

٢- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص١٩٤- حاشية (٢) .=

وفى تقديرى : أن الرأى المذكور على جانب من الأهمية والقيمة، ومع ذلك يظل يمثل احتمالاً من الاحتمالات، دون أن يقلل ذلك من معارضتنا للرواية المذكورة.

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن رواية إحراق مكتبة الاسكندرية؛ فرية لاتقف على قدميها أمام النقد التاريخى الموضوعى.

على أية حال ؛ كانت طموحات المسلمين قوية؛ لإبلاغ الدعوة الإسلامية فى كافة البقاع ، وقد انطلقوا من مصر غربًا لإخضاع الشمال الأفريقى، ولاريب؛ فى أنهم مثلوا عدواً لم تألفه بيزنطه على مدى تاريخها المديد؛ حيث واجهوها براً ، وبحراً من خلال الصراع على الأطراف، وكذلك القلب من بعد ذلك، وقدر لهم إسقاطها فى نهاية المطاف عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أهمية دورهم فى صنع تاريخ تلك الإمبراطورية على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السابع والخامس عشر الميلاديين.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أن الأسرة الهرقلية حدث خلال حكمها حدثان محوريان يمكن إجمالهما على النحو التالى :

أولاً : إتجاه الإمبراطورية إلى إقامة نظام دفاعى عرف بنظام الثيمات Themes[1] أو الألوية ، وقد قدمت الإدارة الإمبراطورية قطعًا من الأرض الزراعية للجنود فى صورة منح يمنع التصرف فيها شريطة أن يقوم الجندى بتقديم الخدمة الحربية فى جند هذه المنطقة أو الثيم وتقرر أن يتم توريث تلك الخدمة الحربية، كذلك توريث الأرض.

= بصفة عامة يعد ذلك الموقف بالفعل خطأ تاريخيًا وقع فيه ذلك السلطان الأيوبى البارز ، ومع ذلك ندرك أن مبرره يرجع إلى معاداته للفكر الشيعى الإسماعيلى غير أن ذلك المبرر لاينفى عنه مسئولية تبديد تلك الثروة العلمية الكبرى.

١- عن نظام الثيمات البيزنطى انظر:

Brooks, "Arabic Lists of the Byzantine Themes", J.H.S., vol . XXI, 1901, pp. 67-77 .

Cheira, la lutte entre Arabes et Byzantines: la Conquete et l'Organisation des Frontieres au VII et VIII siecles, Alexandrie 1947 .

Kaegi, Byzantium and The early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 279-28 .

Hussey , The Byzantime World , p. 2 .

Bridge , " The History ", in Daniel (ed.). The Byzantines. London 1962 , pp. 47-50 .

على أي حال ؛ كان هناك قائد على رأس كل ثيم سمى الاستراتيجوس strategos[١]. ويقرر البعض؛ أنه فى أخريات عهد الامبراطور هرقل ظهرت ملامح أربع ثيمات يمكن إجمالها كالآتي:

١- ثيم الأناضول Anatolikoi ، من الكلمة اليونانية Anatoli؛ وتعنى الشرق، وقد تكون - كما قرر البعض- من الفرق الحربية البيزنطية التى كانت موجودة من قبل فى بلاد الشام ، وأنسحبت من هناك عقب التوسع العربى[٢].

٢- الثيم الأرمينى Armeniakoi؛ ويلاحظ أنه ارتبط بمنطقة شمال شرقى آسيا الصغرى على الحدود الأرمينية وقد تألف من الفرق الحربية التى كانت متمركزة فى منطقة أرمينية البيزنطية، ثم إنسحبت بعد فتح العرب للشام ثم مهاجمتهم لأرمينيا [٣].

= السيد الباز العرينى، أجناد الروم، ط. القاهرة ١٩٥٦م، فتحى عثمان، الحدود الإسلامي البيزنطية، ج١، ص١٠٤ ص١١٣ ، وسام عبد العزيز فرج ، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٩-٢٠٢ .

١- الاستراتيجوس: هو قائد الإقليم الإدارى والعسكرى وله جند خاص به يمثلون الحرس الشخصى ، ويعد نائبًا للإمبراطور فى إقليمه ويتحمل مسئولي الأمن والإدارة ، وفى حال كون الثيم على جانب كبير من الأهمية يتم وصف حاكمه عندئذ بالدوق بدلاً من الاستراتيجوس، عن ذلك انظر:

فايز نجيب اسكندر، أسرة برينيوس ودورها فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ط. القاهر ١٩٨٧م، ص١٧ ، حاشية (١٦) .

Haldon, Byzantium in the Seventh Century, p. 62 , p. 72 , p. 82 .

Browinge, The Byzantine Empire, p. 48 , p. 50 .

٢- Bosworth , " The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab incursions", Proceedings of the Second Sysmposium on the History of Bilad al . Sham during the early Islamic Period up to 40 A.H / A D. 640, the fourth international conference . ed . by N. A. Bakhit vol. I . Amman 1987 , p. 122 .

ابراهيم العدوى ، «قوانين الاصلاح الزراعى فى الامبراطورية البيزنطية»، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العددان (٤،٣) يونيو ١٩٧٣م، ص١٥٦ .

وسام عبد العزيز فرج ، المرجع السابق ، ص٢٠٠ ، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٧٥ .

٣- Theophanes, p. 151 .

وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص٢٠٠-٢٠١ ، حسنين ربيع، المرجع السابق، ص٧٥ .

٣- الثيم البحرى ؛ الذى سمى فيما بعد فى القرن الثامن الميلادى كيبيروت Cibyraiot فى الشاطئ الجنوبى لمنطقة آسيا الصغرى، وكذلك الجزر المجاورة لها [١].

٤- ثيم الأوبسيق Opsikion فى آسيا الصغرى فى اقليم بثينيا بالقرب من العاصمة البيزنطية وقام بالدفاع عنها من جهة الشرق[٢].

وبصفة عامة؛ إقتصر نظام الثيمات خلال النصف الثانى من القرن السابع الميلادى على منطقة آسيا الصغرى ، ومن المرجح؛ أنه لم يمتد إلى شبه جزيرة البلقان حينذاك ، بل تم ذلك فى مرحلة تالية يرى البعض أنها تحدد بالنصف الثانى من القرن التاسع الميلادى[٣]؛ مما عكس نموه وتطوره كنظام دفاعى بيزنطى فعّال .

ثانيًا : اتخذت بيزنطة خلال عهد تلك الأسرة إجراءات دلت على الوجهة الشرقية لها ، فصارت اللغة اليونانية بمثابة اللغة الرسمية للدولة ، بل إن الإمبراطورى البيزنطى نفسه

١- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٧٦ .

Bosworth, The Byzantine defence,, p. 122 .

٢- نفسه، ص٢٠١ .

Ibid, p. 122, O.D.B., vol . III, p. 1528-1529 .

جدير بالإشارة ؛ تطورت الثيمات فيما بعد وتزايد عددها من ذلك مثلاً أنه خلال عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣-٩٥٩م) من الأسرة المقدونية وجدنا فى شرقى أوربا ، عدة ثيمات فى صورة :

١- ثيم كفالونيا ٢- ثيم نيقوبوليس

٣- ثيم البلبيونيز ٤- ثيم دراكيوم

٥- ثيم ميلادس ٦- ثيم سالونيك

٧- ثيم ستريمون ٨- ثيم مقدونيا

٩- ثيم تراقية.

عن ذلك أنظر : الخريطة الخاصة بالثيمات حينذاك فى القسم الخاص بالخرائط.

٣- وسام عبد العزيز فرج . دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٠١ .

صار اسمه بازيليوس Basileus [1]؛ الذى يعنى «ملك » باليونانية وذلك بدلاص من ألقاب رومانية سابقة مثل إمبراطور Imperator ، وقيصر Caesar ، ولذا ؛ وجد من المؤرخين من اعتبر تلك المرحلة بمثابة نهاية الفترة الرومانية ، وبداية البيزنطية نظراً للتغيرات العسكرية والحضارية التى حدثت حينذاك .

هكذا؛ كان تاريخ الأسرة الهرقلية إنتصاراً ضد الفرس، وهزيمة فادحة أمام العرب، وبالتالى نرى التناقض فى داخل الأسرة الواحدة، بل فى عهد الإمبراطور الواحد كما فى حالة الامبراطور هرقل.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن عهد ذلك الامبراطور يعد بمثابة مرحلة فاصلة فى التاريخ البيزنطى؛ إذ نتيجة للفتوحات الإسلامية ، اتخذت الإمبراطورية البيزنطية بصفة نهائية شكلها الذى عرفت به فى العصور الوسطى، وفيما عدا آسيا الصغرى وضواحى العاصمة: فقد تقلصت رقعة الأراضى البيزنطية بالإضافة إلى تلك النتوءات المتبقية على الساحل الشمالى لحوض البحر المتوسط، وتتضح الصورة أكثر عندما تشير إلى أنه خلال القرن السابع استسلمت مراكزها الاسبانية لعناصر القوط الغربيين بينما وقع الجزء الشمالى الغربى من أفريقيا تحت السيادة الإسلامية[2]، وبذلك يحق لنا القول أن القرن السابع الميلادى- خاصة عهد هرقل- شهد تقديم «التنازلات الجغرافية الكبرى فى التاريخ البيزنطى ، ووفق ما قرره مؤرخ بارز ذكر ما نصه : «لقد ولت الآن أيام روما الجديدة - باعتبارها قوة برية عظمى»[3]، ويلاحظ أن المساحات التى تنازلت عنها الامبراطورية مرغمة تعد من أكبر ما تنازلت عنه على مدى تاريخها من القرن السابع حتى القرن الخامس عشر م مما عكس أهمية محورية تلك الأحداث الحاسمة فى ذلك القرن.

١- من الملاحظ أنه فى عهد تلك الأسرة؛ ظهر للمرة الأولى «تعبير الباسيليوس المؤمن بالله» وهى بالإنجليزية "Basileus faithful in God" وهى تعبير استعمل من جانب كافة الأباطرة البيزنطيين . وصارت اليونانية هى الرسمية كما ذكرت ، وقد جعل ذلك المؤرخ شارل ديل يقرر ما نصه " In the Seventh Century the Empire became Hellenizes".

أنظر : Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 48 .

٢- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ص١١٥ .

٣- نفسه ، نفس الصفحة.

من الملاحظ عند تقييم للأسرة الهرقلية، وإنجازاتها؛ نجد أنها أنهكت بالصراع مع الفرس، ومن بعد ذلك ؛ وحتى بعد انتصارها عليهم لم يحسن البيزنطيون تقدير حجم قوة المسلمين وعندما التقى الطرفان فى ساحات المعارك ؛ كان الانتصار حليف أصحاب الدين الجديد على الرغم من التفوق العددى والتسليحى البيزنطى ، ولامراء البيزنطى فى أن القوة الروحية التى أعطاها الدين الختامى للعرب الفاتحين كانت من وراء إنتصارهم على البيزنطيين بالإضافة إلى إنهاك دولتهم بعد صراعها مع الفرس، ثم كانت المشكلة الدينية والصراع اللاهوتى من عوامل إخفاق بيزنطة وهكذا؛ جاء الفاتحون العرب إلى مناطق تفتح ذراعيها لهم مرحبة بهم !!

ويثار هنا تساؤل ؛ هل كان الإمبراطور هرقل إمبراطوراً ناجحًا أم فاشلاً ؟ والواقع أن الصفتين معًا تتوافران فيه ؛ فقد نجح مع الفرس واخفق مع المسلمين ومع ذلك ؛من الملاحظ أنه ورث تركة مثقلة، وواجه عدواً لم يكن من الممكن هزيمته فى صورة المسلمين الذين تشيعوا بروح الجهاد والخلاقة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية ، وفى تقديرى أن أى حاكم آخر لبيزنطة لم يكن من الممكن أن يحقق انتصاراً عليهم من خلال فهم حقيقى لطبيعة المرحلة وليس من خلال دعائية ممجوجة للمسلمين .

يبقى أن نذكر ؛ أن المؤرخ البلجيكى هنرى بيرين فى كتابه محمد وشارلمان ، اعتقد أن الفاتحين العرب يتحملون مسئولية إنهيار وحدة البحر المتوسط القديمة The ancient Unity of the Mediterranean وأنهم فرضوا احتكارا على بعض السلع التجارية [١] على نحو أدى إلى عدم وصولها إلى الغرب الأوروبى، وظلت تلك النظرية تجد من يؤيدها إلى أن ظهر من عارضها من الباحثين الأوروبيين أنفسهم، وقد أكدوا أن الوحدة المزعومة لعالم البحر المتوسط

١- عن تصورات ذلك المؤرخ انظر:

Pirenne , Mohammed and Charlemage . London 2001, pp. 147-185 .

Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972 . p. 2, Medieval Cities, Their igins and The revival of Trade. Princeton 1929. p. 23-31 .

أيضًا هذه الدراسة :

Hodges and whitehouse . Mohammed . Charlemagne and the Origins of Europe. Archaeology and the Pirenne thesis. New York 1983 .

إنهارت من قبل الفتح العربى بعدة قرون[١] ، وأن ذلك الفتح لم يؤد إلى إنهيارها كذلك فإن العرب لم يمارسوا سياسة الاحتكار التجارى بل مارستها بيزنطه ذاتها التى رأت أن ذلك خير وسيلة لمواجهة الغرب الأوربى، وبصفة عامة، فالأمر المؤكد أن البحر المتوسط بعد أن كان يطلق عليه الرومان من قبل بحرنا Mare Nostrum صار بالتدريج بحيرة عربية[٢].

ولانغفل هنا ؛ الإشارة إلى أن من الباحثين الأوروبيين من سار وراء أية فكرة جديدة تهاجم المسلمين وتشيع فى نفوسهم عداءات تاريخية ضد الإسلام وأهله دون أدنى قدر من الموضوعية، وبالتالى مارسوا «الحروب الصليبية» على صفحات مؤلفاتهم .

من ناحية أخرى ؛ من غير المنطقى أن يتحول المسلمون دومًا إلى أن يكونوا فى قفص الاتهام الغربى لهم على نحو مستمر إذ أن ذلك أبعد ما يكون من الكتابة التاريخية الواعية، ويلاحظ أن ذلك صار نوعًا من «ثوابت» الكتابة التاريخية الغربية عنهم إلا فى القليل النادر.

مهما يكن من أمر ؛ توالى على حكم الإمبراطورية البيزنطية من بعد وفاة الإمبراطور المؤسس البارز هرقل[٢] عدد من الأباطرة وقد حكموا خلال المرحلة الممتدة بين عامى ٦٤١م،

١- من أهم الآراء المعارضة له انظر : على الغمراوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٢٨٧-٣٠٥ ، حيث يقدم المؤرخ المذكور أفضل عرض باللغة العربية عن النظرية ومعارضتها بالاعتماد على المراجع، الانجليزية والفرنسية والألمانية المتخصصة.

عادل زيتون ، «ملاحظات على أطروحة هنرى بيرين من خلال كتاب محمد وشارلمان» ، ضمن الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السمنار) قسم التاريخ ، كلية الآداب- جامعة الكويت عام ١٩٩٣- ١٢٩٤م ، ص٦٥- ص٨٩ .

حسين مؤنس، تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص١١٨-١٣٥ .

وأفضل دراسة احتوت على الردود على قضية برين تجدها لدى:

Havighurst , The Pirenne Thesis : analysis Criticism and Revision , Boston 1958 .

٢- توفى الإمبراطور هرقل فى ١١ فبراير ٦٤١م ، وفى تصورى - كنوع من الاقتراب من نفسية قادة التاريخ البيزنطى- أن أصعب أعوام عمره تمثلت خلال المرحلة من ٢٢ أغسطس ٦٣٦م وهو يوم معركة =

٧١٧م ، لكنهم لم يصلوا إلى حجم التأثير الذى حدث خلال عهد هرقل المنتصر ثم المهزوم ! ومن الملفت للانتباه ؛ أن أعوام حكمه التى لم تتجاوز (٣١) عامًا ، فاقت فى أهميتها مدة حكمهم مجتمعين وهى التى بلغت (٧٦) عامًا ، ولاريب فى أن تاريخ الأسرة الهرقلية يكشف بجلاء عن استحواذ تأثير الإمبراطور المؤسس على غيره من الأباطرة إيجابًا وسلبًا .

بصفة عامة ؛ من الملاحظ أن أهم أحداث مرحلة ما بعد هرقل تتمثل فى نجاح المسلمين فى السيطرة على مصر، ثم إحتلالهم لجزيرة قبرص Cyprus ذات الموقع الاستراتيجى فى مواجهة الساحل الشامى وذلك عام ٦٤٩م. وفى العام التالى ٦٥٠م إحتلوا جزيرة أرواد [٢].

وفى عام ٦٥٤م؛ أخضعوا جزيرة رودس Rhodes ومن بعد ذلك ، وفى العام التالى مباشرة أى عام ٦٥٥م؛ حققوا انتصاراً بحريًا مبكراً، وملفتًا للإنتباه فى صورة معركة ذات الصوارى[٣]، التى سميت بذلك ؛ نظراً لكثرة عدد السفن المشاركة فيها؛ وهو أمر يثير

= اليرموك حتى وفاته فى اليوم المذكور حيث إفترسه على الأرجح الشعور بالهزيمة بعد الانتصار الساحق الذى حققه المسلمون فيها، أنظر تحديد يوم وفاته لدى: نعيم فرح، تاريخ بيزنطه السياسى، ص١٥٤ .

ويقرر دونالد نيكول أنه مات مريضًا ويائسًا : Nicol , ABiographical dictionary , p. 49

١- عن المرحلة التالية لعهد الامبراطور هرقل ثم نهاية الأسرة الهرقلية أنظر:

Theophanes, pp. 40-83 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 51 .

٢- قرر هارى توردليدوف فى تعليقه على نص ثيوفانيس أن أرواد هى مدينة ساحلية فى فينيفيا أى لبنان. وهو قول جانبه الصواب لأن ارواد جزيرة فى مقابل الساحل السورى . وليست مدينة ساحلية ، كما أن ياقوت الحموى أخطأ عندما تصور أنها بالقرب من القسطنطينية ، من ذلك انظر:

Theophanes, p. 43, note (101) .

ياقوت ، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٧م، م١، ص١٣٤ وعن استيلاء المسلمين عليها انظر:

شحاده على الناطور، تاريخ صدر الاسلام وفجره، ط. عمان ٢٠٠١م ، ص٢٦٩ .

وعن سيطرتهم على جزر البحر المتوسط بصفة عامة مثل قبرص وارواد وغيرها انظر بالتفصيل: ابراهيم طرخان ، المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٦م ، ص٧٩-٨٧ .

٣- عن معركة ذات الصوارى أنظر :=

الإعجاب أيضًا من جراء هزيمة الإمبراطورية البيزنطية ذات الصيت الواسع النطاق فى المجال البحرى على الرغم من أن المسلمين كانوا حديثى عهد بذلك المجال الحربى ومن قبل كانت معاركهم مع تلك الامبراطورية تتخذ الشكل البرى، ومع ذلك يلاحظ أن تلك المعركة لم يتمكن المسلمون من استثمارها عسكريًا وسياسيًا ؛ نظرًا لحدوث ما عرف بالفتنة الكبرى فى أعقاب مصرع الخليفة عثمان بن عفان عام ٦٥٦م[١].

على أية حال من الملاحظ أن طموحات المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام كانت واسعة ؛ إذ أننا نجدهم من بعد ذلك يتطلعون إلى إسقاط العاصمة البيزنطية، وهكذا؛ حاصروها عام ٦٦٩م ، وذلك خلال عهد الامبراطور قسطنطين الرابع، وأثناء خلافة الخليفة معاوية بن أبى سفيان مرتين [٢] ويلاحظ؛ أن تلك العملية العسكرية شارك فيها أحد الصحابة

= الكندى، ولاة مصر، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص٣٦- ص٣٧ ، المسعودى، التنبيه والاشراف ، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص١٣٥ ، الذهبى، العبر فى خبر من غبر، تحقيق أبوهاجر محمد العيد، ط . بيروت ١٩٨٥م، ج١، ص٢٥، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٤٢٠، أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارة فى البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠، ت. أحمد عيسى، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٩١- ص٩٢ ، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٧٩م، ص٩٢-٩٣، السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص١٢٦، محمد ثابت توفيق، ذات الصوارى، ط. الرياض ٢٠٠١م، ص٥- ص٤٣ ، زينب بيرجكلى ، ذات السوارى، ط . الشارقة ٢٠٠٦م، ابراهيم العدوى، الدولة الأموية والبيزنطيون، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص٩٨ ، عليه الجنزورى ، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص٥١-٦٠ ، سعد زغلول عبد الحميد، «الاسكندرية قاعدة عسكرية فى القرن الأول من تاريخها العربى وموقعة الصوارى» ، ندوة سواحل مصر عبر العصور سلسلة تاريخ المصريين، ط . القاهرة ٢٠٠١م، ص١٣٤- ص١٣٥ ، على محمد الصلابى ، الشرف والتسامى بحركة الفتح الإسلامى، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص١٩٩ – ص٢٠٠ .

Fahmy, Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A.D., Cairo 1966 , pp. 85-89 .

Bosworth , " Byzantium and the Arabs: War and Peace between Two Civilizations", J.O.A.S. 3-4 , AThens 1991 - 1992 , p .2.

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٩٦ .

٢- عن حصار القسطنطينية فى عهد معاوية بن أبى سفيان أنظر :=

وهو أبو أيوب الأنصاري الذى كان طاعنًا فى السن فى صحبة قائد الحملة يزيد بن معاوية كنوع من التبرك ولكن أدركته المنية، ودفن هناك[١].

على أية حال ؛ فشلت تلك الحملة نظراً لحصانة القسطنطينية[٢] وعدم امتلاك المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم القوة اللازمة لتحقيق مثل ذلك الهدف الاستراتيجى

Theophanes, The Chronicle of Theophanes, An English Translation of anni mundi = 60-95- 6305 (A.D. 602-813), with introduction and notes by harry Turtledove, Pennsylvania 1982, p. 45 .

Michael le Syrien, Chroniuque , T. p. 455 .

الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ، ص٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل، ج٣ ، ص٤٥٩ ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٦٠٦، ضيف الله بطاينة، دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٧م، ص٢٥٢- ص٢٥٤ ، على محمد الصلابى، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ط. الشارقة ٢٠٠٦م، ج١ ص٣٨٠-٣٩٢ ، نبيه عاقل، تاريخ خلافة بنى أمية ، ج١، دمشق ١٩٧٥ م، ص٨٦-٨٧ ، عبد الشافى محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠م)، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص٢٤٩-٢٥٣ .

Bosworth , Byzantium and the Arabs, p. 2.

١- تجدر الإشارة ؛ تم اكتشاف قبر ذلك الصحابى- كما يقال- عام ١٤٥٨م أى بعد خمس سنوات فقط من الفتح العثمانى للقسطنطينية عام ١٤٥٣م عن ذلك انظر:

ألفونس ماريا شنيدر، «قبور الصحابة فى القسطنطينية»، «ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين ت. صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ج١ ، ص١٥٣-١٥٩ .

وقد امتدحه الشاعر التركى أسعد أفندى بأبيات رائعة قال فيها :

شهد المشاهد جاهداً ومجاهداً ومكابداً بحروبه ما كابــدا
حتى أتى بصلابة ومهابــــة فى آخر الغزوات هذا المشهدا
قد مات مبطونًا غريبًا غازيًا فغدا شهيداً قبل أن يستشهدا

أنظر: على محمد الصلابى. الشرف والتسامى بحركة الفتح الإسلامى ، ص٣٨٨ .

٢- Lewis , Naval Power and Trade in the Mediterranean A.D. 5000- 1100, Princeton 1951 , p. 61 .

العسير المنال حينذاك ، ومع ذلك ، فإن تلك المحاولة على الرغم من عدم توفيقها ، فإنها تثبت لنا إتساع دائرة الطموحات الإسلامية خلال تلك المرحلة ، وإن استمرت محاولاتهم كما حدث عام ٧١٧م، ١٤٥٣م . إلى أن قدر لهم فى نهاية المطاف فتحها فى العام الأخير.

أما بالنسبة لأبرز الأعلام فى عهد الأسرة الهرقلية فنذكر منهم؛ المؤرخ يوحنا الأنطاكى الذى ألف كتابًا تناول فيه الأحداث منذ آدم حتى آخر أيام فوكاس عام ٦١٠م[١].

وهناك أيضًا المؤرخ المجهول لحولية الفصح المعروفة باسم Chronicon Paschale [٢].

أما فى مجال اللاهوت نذكر يوحنا الدمشقى[٣] (٦٧٦-٧٦٠م) وهناك من يقرر أن أفضل أعماله كتابه «ينبوع المعرفة» الذى عرض فيه للعقيدة المسيحية متأثراً بالمنطق الأرسطى.

كذلك لانغفل الراهب موسخوس Meschos[٤] (يوكراتاس) (ت ٦١٩م) والذى أقام فى دير القديس ثيودوسيوس St. Theodosius بالقرب من بيت المقدس ، وقد تصادق مع

١- عنه أنظر: أسد رستم ، الروم ، ج١ ، ص٢٨٤ .

٢- عنه أنظر: المدخل البيليوغرافى .

٣- عنه أنظر : أسد رستم، المرجع السابق ، ص٣٤١-٣٤٢ . اليكسى جورافسكى ، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم : ط . دمشق سنة ٢٠٠٠م ، ص٦٨ ، حاشية (١) .تجدر الإشارة إلى أن يوحنا الدمشقى شارك فى المناظرات التى كانت تعقد للمقارنة بين المسيحية والاسلام وكل طرف كانت له وجهات نظر المدافعة عن ديانته بطبيعة الحال، وامتدت رحلة السجال الدينى من القرن السابع الميلادى فصاعداً وشارك فيها المسلمون بمؤلفات من أمثلتها :

الجاحظ (ق-٩م) الرد على النصارى ، الغزالى (ت ١١١١م) الرد الجميل فى بيان الهية المسيح بصريح الانجيل تحقيق ، محمد عبد القادر الشرقاوى، ط. القاهرة ١٩٨٦م ط. القاهرة ب-ت ، الخزرجى القرطبى (ت ١١٨٦م) بين الاسلام والمسيحية ، تحقيق محمد شامه، ط. القاهرة ١٩٧٣م، الامام القرطبى (ت ١٢٧٢م) الإعلام ، تحقيق حجازى السقا ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، القرافى (ت ١٢٨٥م) الأجوبة الفاخرة ، القاهرة، د.ت ، الخطيب السكندرى (ت ق١٣م) ، دولة الوحدانية فى الرد على الحملة النصرانية، تحقيق خليل الحاج، ط. القاهرة ١٩٨١م، البوصيرى ، منظومة الامام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود ، ط . القاهرة (ت ١٣٤٩م) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، ط. القاهرة ب-ت .

٤- عنه أنظر : Nicol, A Biographical Dictionary, p.93 .

John Moschos , The Spiritual Meadow (Pratum Spirituale), trans. by John Wortley . Kalamazoo . Michigan 1992 , pp. XVI - XVII.

سفرونيوس بطريرك المدينة المقدسة وتنقل بين مصر وقبرص وروما ، واشتهر بكتابه المرج الروحى Pratum Spirituale, The Spiritnal Meadow .

مهما يكن من أمر؛ ذلك عرض عن الأسرة الهرقلية ، وقد ظهر بجلاء من خلاله كيف أن الإمبراطورية البيزنطية شهدت تغيرات جذرية فى مختلف المجالات السياسية ، والحربية، والثقافية [١]؛ على نحو كشف عن أن عصر تلك الأسرة شكل مرحلة فارقة فى التاريخ البيزنطى .

أما إذا قارنا بين تلك الأسرة والأسرات السابقة عليها ، من الممكن أن نجد تشابهًا بينها وبين أسرة جستنيان ؛ إذ أن القرن السادس شهد انفصال المقاطعات الغربية من خلال تنامى القوة الجرمانية ، أما القرن التالى وهو القرن السابع فقد شهد اقتطاعًا لعديد من المقاطعات من خلال الضغط العسكرى العربى والقياس مع الفارق بطبيعة الحال. وبوجه عام يتأكد لنا من خلال دراسة الأسرة الهرقلية أن الخطر قدم من الشرق فى صورة الفرس والعرب مع ملاحظة أن جهة الشرق ستظل تمثل الخطر الأكبر المستمر لبيزنطية حتى اللحظة الأخيرة من تاريخها دون أن تتمكن من إيجاد حل لها .

ولانغفل كذلك؛ أن كلاً من الإمبراطورين، جستنيان وهرقل قاما بحركة استرداد ضد الجرمان والفرس، غير أن جهدهما فى ذلك المجال ذهب أدراج الرياح، وأن اختلف كلاً منها فى جهد الصراع كما أوضحت.

ومع ذلك ، فالأمر المؤكد أن سياسة جستنيان من خلال شراء السلامة مع الفرس بالذهب ليتفرغ للصراع مع الجرمان جعلت قوتهم تتنامى على نحو جعل الأمر شاقًا أمام هرقل فيما بعد عندما اتجه إلى محاربتهم، واسترداد ما أخضعوه من مقاطعات الإمبراطورية . ذلك أمر الأسرة الهرقلية ؛ أما الأسرة الآيسورية؛ فنتناولها فى الصفحات التالية.

---

١ - عن تلك التغيرات بصفة عامة ؛ أنظر:

Haldon, Byzatiun in the Seventh Century , The Transformation of a culture, Cambridge 1997 .

من أفضل الدراسات فى مجالها.

عائشة سعيد أبو الجدايل، الامبراطورية البيزنطية فى القرن السابع الميلادى / الأول الهجرى ، دراسة فى التغيرات والتطورات، الرياض ١٤١٥هـ ، ص١٦٩-٤٤٣ وهى دراسة علمية مفيدة أعدتها باحثة سعودية وتخصصت فى قرن واحد من قرون التاريخ البيزنطى الممتد؛ ووقفت فى دراسته بحكم اقتصارها على مدة تعد بمثابة ١ / ١١ من التاريخ البيزنطى ومن هنا تكون الإضافة العلمية الحقيقية.

رابعًا : الأسرة الأيسورية (٧١٧- ٨٢٠م) :

نتناول فى الصفحات التالية : عهد الأسرة الأيسورية التى حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٨٢٠م؛ أى ما زاد على قرن من الزمان .

تولى الحكم فى تلك الأسرة تسعة أباطرة ، فى صورة ليو الثالث الأيسورى Leo III The Isaurian (٧١٧- ٧٤١م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١-٧٧٥م) ، وليو الرابع Leo IV (٧٧٥- ٧٨٠م) ، وقسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠-٧٩٧م)، والإمبراطورة إيرينى Irene (٧٩٧- ٨٠٢م) ثم هناك خلفاء الأيسوريين وهم : نقفور الأول Nicephorus I (٨٠٢-٨١١م) وستوراكيوس Stauracius (٨١١م) ، وميخائيل الأول رانجاب Michael I Rangab (٨١١-٨١٣م) ، وليو الخامس Leo V (٨١٣-٨٢٠م) ؛ وبصفة عامة سنركز الحديث على أبرز الأباطرة.

على أية حال؛ فإن الامبراطور المؤسس ليو الثالث، قدم من منطقة ايسوريا Isauria فى جنوب شرقى آسيا الصغرى ، ووصل إلى المنصب الإمبراطورى من خلال مؤامرة ، على نحو يؤكد لنا مقولة المؤرخ البريطانى إدوارد جيبون Edward Gibbon السالفة الذكر من قبل ؛ وهكذا ؛ يندر أن نجد أسرة بيزنطية حاكمة دون مؤامرات هنا أو هناك خاصة فى نهاية عهد كل أسرة تقريبًا على نحو صار معه الأمر كطابع تقليدى مميز للتاريخ البيزنطى، وبصورة لانجدها بنفس الدرجة فى تاريخ الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى.

بصفة عامة؛ من الممكن القول؛ بأن أهم أعمال الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً : مواجهة الحصار الإسلامى للعاصمة البيزنطية ٧١٧-٧١٨م .

ثانيا : التشريعات القانونية .

ثالثا : الحركة اللاأيقونية [1].

١- ليو الثالث الأيسورى؛ مؤسس الأسرة الأيسورية وقد حكم خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٧٤١م ؛ ومن المحتمل أنه قدم من شمالى بلاد الشام، وقد وصف بأنه عمل قائداً أو استراتيجوس لثيم الأناضول Ann-tolikon، وقد أعلنه جنوده كامبراطور بدلاً من ثيودوسيوس الثالث ، وفى ٢٥ مارس عام ٧١٧م تم تتويجه كامبراطور فى القسطنطينية ، وبعد ذلك بستة أشهر ، واجه أمر الحصار الذى فرضه المسلمين على العاصمة البيزنطية، وقد توفى فى يونيو ٧٤١م، عنه أنظر: =

ولاريب ، فى أن تلك الأعمال ضمنت لمؤسس الأسرة الأيسورية مكانة بارزة فى التاريخ البيزنطى.

وفيما يتصل بالأمر الأول ؛ من الملاحظ أن المسلمين فى عهد الدولة الأموية اتجهوا إلى حصار القسطنطينية وذلك في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك وبالتحديد فى المرحلة بين عامى ٧١٧-٧١٨م[1]، وقد بذلوا في تحقيق هدفهم مجهودات مضنية ؛ إلا أنهم عجزوا عن فتحها ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل يمكن إيجازها كالآتى:

= Browning, The Byzantine Empire, pp. 53-56 .

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 72-73 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , pp. 138-147 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 194 , p.230 , pp. 252-253 .

Hussey, The Byzantine World , p. 28-31 .

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 110-113 .

وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى، ط . الاسكندرية ١٩٨١م.

والدراسة الأخيرة أفضل دراسة عربية فى موضوعها .

١- عن تفاصيل حملة المسلمين ضد القسطنطينين عام ٧١٧- ٧١٨م أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes . p. 88 ,

ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، تحقيق مصطفى نجيب نوار وحكمت نوار ، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص٢٠١- ص٢٠٢ ، الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ج٦، ص٥٣٠- ص٥٣١ ، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص١١٤ ، وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى ، ص١٢١- ص١٧٥ ، إيناس أحمد السيد عباس، صراع القوى فى البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب فى الفترة من ٢٥- ٢٣٢هـ/ ٦٤٥- ٨٤٦م. رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد دراسات البحر المتوسط . جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م، ص١٢٠- ص١٢٩ ، عمر عبد السلام تدمرى ، لبنان من الفتح الاسلامى حتى سقوط الدولة الأموية ١٣- ١٣٢هـ/ ٦٣٤- ٧٥٠ ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ج١ ، ص٢٤٤- ص٢٤٩ ، فتحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢ ، ص٨٦- ص٩٥ .

Broaks. "The Campaigne of 716- 718 from Arabic sources", J. H. S., T. XIX , 1899, pp. 19-31 . Lewis , Naval Powers and Trade . pp. 66-67 .

Hussey . The Byzantime World , p. 28 .

أولا: المناعة الطبيعية والصناعية للقسطنطينية بحيث لم يكن من الممكن للأسطول الإسلامى تحقيق نجاحات فعلية فى مواجهتها ، كذلك لانغفل أمر دفاع البيزنطيين عن عاصمتهم.

ثانيًا: نجاح البيزنطيين من خلال عمليات التجسس المختلفة فى معرفة استعدادات الأمويين نحو حصار مدينتهم ، ولذلك تجهزوا من أجل حصار أموي طويل ، وعملوا على تخزين السلع التموينية؛ مما عكس أهمية «سلاح المعلومات » فى ذلك العصر وفى كل عصر فى واقع الأمر.

ثالثًا : استخدام البيزنطيين لسلاح فتّاك فى صورة النار الاغريقية Greek Fire[1] التى اخترعها مهندس يدعى كالينكوس Kallinikos ، وقد فتكت بعدد كبير من قطع الأسطول الأموى وكانت من العوامل الفعالة والمؤثرة فى حسم الصراع لصالح البيزنطيين .

رابعًا : كان شتاء ٧١٧- ٧١٨م قاسيًا لم يألفه المسلمون، وخلاله نزلت من السماء كرات الثلج [٢]، وهكذا ؛ فإن البيئة الجغرافية الأوربية لم تكن ملائمة لهم، ولانغفل أنه فى العصور القديمة ، والوسطى بصفة عامة ؛ كانت الجغرافيا توجه التاريخ، ثم أن التاريخ ذات ما هو إلا صراعًا على الجغرافيا بأبعادها المختلفة مع عدم إغفال دور الإنسان نفسه كفاعل تاريخى بطبيعة الحال.

١- عن النار الاغريقية أنظر:

Theophanes, p. 52 , note (114) .

Enan . Decisive moments in the History of Islam , New Delhi 2001, pp. 109-126 .

سعاد ماهر، البحرية فى مصر الاسلامية ، ص٢٣٣- ص٢٣٤ ، وسام عبد العزيز فرج، «النار الاغريقية طبيعة تركيبها وأثرها فى نشاط المسلمين البحرى، ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والإدارى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٤٣ ، ص١٥٦ . طارق منصور ، «النار الاغريقية - قراءة جديدة فى ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية »، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٤) ، عام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥م ، ص١١٥- ص١٥٩ . طارق منصور ومحاسن الوقاد، النفط : استخدامه وتطوره عند المسلمين ٦٤- ٩٢٣هـ / ٦٨٤- ١٥١٧م ، ط . القاهرة ٢٠٠٦م، ص١٢- ص١٧ .

٢- عن الظروف المناخية القاسية فى شتاء ذلك العام أنظر: =

خامسًا : الأمر المؤكد ؛ أن وصول ليو الثالث الأيسورى للمنصب الإمبراطورى مثّل نقطة تحول مهمة من خلال قيادته للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة، وقد اتجه إلى التحالف مع عناصر الخزر[1]، والبلغار كى يدعم قوته فى مواجهة المسلمين ، وهو أسلوب بيزنطى معتاد، وتكرر مرات مختلفة على مدى التاريخ .

على أية حال ؛ هناك من المؤرخين الأوروبيين من أصابتهم عقدة «الإسلاموفوبيا» دون أى مبرر ، وقد نظروا للإمبراطور المذكور على أنه المخلص لشرقى أوروبا مما وصفوه بأنه الخطر الإسلامى واهتموا بإبراز دوره فى التصدى للأسطول الإسلامى أكثر من إبرازهم لأية أدوار

= شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٤٦ .

وأود أن أورد ما ذكره ذلك المؤرخ حيث قال : «كان نزول الجليد لاينقطع أبداً مدة إثنى عشر أسبوعًا واستطاع ليو أن يفخر مثل القيصر نقولا بأن ديسمبر ، ويناير وفبراير كانوا أعظم قواده لأن تلك الشهور أهلكت الجند المسلمين بشكل مخيف، ولم يستطع المسلمون الذين يرتدون الملابس الخفيفة أن يقاوموا الجو وماتوا كالذباب من الدسنطاريا ، والبرد».

ولا أحتاج -فى الواقع- إلى التعليق على ذلك المؤرخ المتعصب الذى ألف كتابه وقت أن كانت بريطانيا تلقب نفسها بالعظمى فانعكس ذلك على استعلائية كتابته التاريخية .

١- عن العلاقات البيزنطية مع الخزر بصفة عامة أنظر:

Noonan, “ Byzantium and The Khazars aspecial relationship ? “ in Shepard (J.) and Franklin (S.) , eds . Byzantine Diplomary , Papers from the twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies Cambridge 1990, Hampshire 2003, pp. 109-132 .

محمد محمد مرسى الشيخ، «الخزر وعلاقاتهم بالإمبراطورية البيزنطية» ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، العدد (٤) عام ١٩٨٠م، ص٣٤٨- ص٣٧٧ .

وعن العلاقات بين تلك الامبراطورية فى عهد ليو الثالث الأيسورى، والخزر أنظر: محمد عبد الشافى المغربى، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين . ص١٠٦- ص١١١ .

وعن الخزر بصفة عامة انظر الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر تحقيق مهرن ، ط. لبزج ١٩٢٣م، ص٢٦٣ . ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامى الدهان، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص١٦٩- ص١٧٢ .

دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٩٠م وأيضا : بارتولد الترك، فى آسيا الوسطى، ت . أحمد السعيد سليمان، ط. القاهرة، ١٩٥٨م، ص٦٣- ص٦٤ .

تاريخية أخرى له وقد تشابه موقفهم ذلك مع موقف أولئك المؤرخين الذين هللوا لهزيمة المسلمين فى معركة بلاط الشهداء أوتور Tours أو بواتييه Poitiers التى جرت وقائعها - بعد ذلك بأعوام قليلة بفرنسا- بين والى الأندلس عبد الرحمن الغافقى، وقواته، وبين ملك الفرنجة شارل مارتل عام ٧٣٢م[١]، وحاولوا الربط بين إنكسار المسلمين أمام القلب البيزنطى المنيع عام ٧١٧م، والهزيمة من جانب الفرنجة فى فرنسا ويمكن الرد على ذلك من خلال ما قاله المؤرخ الفرنسى المنصف جوستاف لوبون عندما قرر أن أسوأ يوم فى تاريخ أوربا عندما هزم المسلمون فى تلك المعركة ؛ لأنه كان على أوروبا الإنتظار عدة قرون، من أجل أن تلتقى بالمسلمين وتتأثر بحضارتهم[٢] من خلال الحروب الصليبية ، فكانت شهادته المنصفة كلمة حق كالنور وسط دياجير الظلام.

١- عن معركة بلاط الشهداء أنظر: ابن الأثير ، الكامل، ج٥، ص٦٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٤ ، ص١١٤ .

أيضًا : مونتجومرى وات، فى تاريخ اسبانيا الإسلامية (مع فصل فى الأدب بقلم بيير كاكيه، ت محمد رضا المصرى، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص٣١- ص٣٩ ، على حسين الشطشاط ، تاريخ الإسلام فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٧١- ص٧٥ .

Fouracre, The Age of Charles Martel, Essex 2000, p. 148-149 .

صبحى عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص١٧٣- ص١٨٤ ، عبد الفتاح الغنيمى، معركة بلاط الشهداء فى التاريخ الاسلامى والأوربى، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٥١- ص١٠٩ .

وفاء عبدالله المزروع، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجرى ، ط . القاهرة ، ب-ت. ص١٠٨- ص١٣٩ حيث تقدم تناولاً مفصلاً للمعركة المذكورة ، خليل السامرائى ، وعبد الواحد ذنون طه، وناطق صالح، تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص٥٨- ص٦٠ ، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط. بيروت٢٠٠٢م، ص٣٢٧- ص٣٣٠ ، منى حسن محمود ، المسلمون فى الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ٩٢- ٢٠٦هـ / ٧١٤- ٨١٥م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص١٤٩- ص١٥٠ ، نور الدين خاطوم، تاريخ العصر الوسيط فى أوربا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص٨٨ .

ومن المهم هنا الإشارة أن المسلمين فى أعقاب تلك المعركة، عملوا على استرداد مراكزهم السابقة، وقد استقروا بفرنسا قرنين من الزمان ، ومن المعروف أن حاكم مرسليه سلم لهم مقاطعة بروفانس فى عام ٧٣٧م ، واستولوا على الآرل، ودخلوا مقاطعة سان نرويز عام ٨٨٩م، واستمر وجودهم فى بروفانس حتى ختام القرن ١٠م. عن ذلك انظر: جوستاف لوبون، حضارة العرب، ت. عادل زعيتر، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٣١٦ .

٢- المرجع السابق ، ص٣١٧ . =

وهكذا ؛ يتضح لنا أن مثل تلك الأحداث تكشف لنا عن الجوانب النفسية العدوانية لدى الغرب الأوروبى أكثر من أى شئ آخر، وقد ردد أحد كبار المؤرخين العرب فى مجال الدراسات البيزنطية عبارة هذا نصها «مع فشل هذه الحملة تبدأ عظمة ليو كرجل وقف ضد الزحف الإسلامى إلى أوربا، حتى أنه يقال ، أنه لولا ليو الأيسورى لأنتشر الإسلام فى أوربا كما تنتشر النار فى البرارى[1]؛ وهى عبارة من الممكن قبولها - فقط- فى حالة ايراد عبارة » من وجهة نظر بيزنطية ، ويلاحظ أنه الآن، ينتشر الإسلام فى أوربا من خلال قدراته الذاتية كدين يملك القدرة على الحوار مع الأديان الأخرى، والأمر المؤكد أن الإسلام فوبيا[2] أو الرعب من الإسلام ، وهم غربى إنعكس على معالجات قطاع من المؤرخين الأوروبيين للعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى دون مبرر منطقى، وما زال يترعرع حاليًا فى ظل الوضع الدولى المتأزم الراهن !

= يقول جوستاف لوبون : «ولكن لنفرض جدلاً أن النصارى عجزوا عن دحر العرب ، وأن العرب وجدوا جو شمالى فرنسا غير بارد، ولا ماطر كجو أسبانيا فطابت لهم الإقامة الدائمة به، فماذا كان يصيب أوربا؟ اكان نصيب أوربا النصرانية المتبربرة مثل ما أصاب اسبانيا من الحضارة الزاهرة تحت راية النبى العربى ، وكان لايحدث فى أوربا التى تكون قد هذبت ما حدث فيها من الكبائر كالحروب الدينية ، وملحمة سان بارثلمى، ومظالم محاكم التفتيش وكل ما يعرفه المسلمون من الوقائع التى ضرجت أوربا بالدماء عدة قرون»،ص٣١٧ .

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٨ .

٢- عن ذلك أحيل القارئ إلى هذه الدراسة المتازة التى أعدها باحث أمريكى معاصر:

جون ل. اسبوزيتو، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

وتعد أفضل دراسة كتبها باحث غربى عن ظاهرة الاسلاموفوبيا أو الرعب من الإسلام ، ونجد لها عرضًا مفيداً لدى:

حاتم الطحاوى ، «جون ل. اسبوزيتو، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟ ترجمة / قاسم عبده قاسم ، ٢٠٠١، ٤٢١ .

J. Esposito, The Islamic Threat Myth or Reality, Oxford 1999 .

حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣)، عام ٢٠٠٣م، ص٢٩٧- ص٣٠١ ، أيضًا:

ابراهيم نافع ، جنون «الخطر الأخضر» وحملة تشويه الإسلام ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٦٧- ص١٨٣ .

مهما يكن من أمر؛ فالملاحظ أن هناك مواجهة أخرى حدثت بين قوات ذلك الامبراطور والمسلمين في معركة اكرونيون Acronion عام ٧٤٠م وهي التي هزم فيها الاخرون واستشهد فيها عبدالله البطال [١].

أما الزاوية الثانية الخاصة بالجانب القانوني ؛ فيلاحظ اتجاه ليو الثالث الأيسوري إلى الاهتمام بالناحية التشريعية وقد ارتبط إسمه بمجموعة قانونية عرفت باسم الاكلوجا Ecloga[٢] أو المختارات القانونية التي صدرت عام ٧٢٦م ، وقد دفعته عدة دوافع نحو اصدارها؛ إذ أن قوانين الإمبراطور جستنيان (٥٢٧- ٥٦٥م) وضعت باللاتينية ، وأراد ليو الثالث أن يضع قوانينه باليونانية ، بعد أن تقلصت مساحة الإمبراطورية نتيجة لتوسعات المسلمين، والسلاف ، وفقدت أغلب المقاطعات الشرقية كذلك فإن احتياطات الإمبراطورية البيزنطية الاقتصادية، والاجتماعية تطورت على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السادس ، والثامن الميلاديين، ولذلك احتاجت إلى قوانين تتفق مع ذلك التطور[٣].

وقد وقعت الاكلوجا في (١٨) فصلاً احتوت علي جوانب متعددة في القانون المدني[٤]، منها ما اتصل بالزواج، والميراث ، والودائع والامانات ، وتوزيع المغانم ، وغيرها.

١- عن ذلك انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧ ، ص١٩١، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ج٩ ، ص٣٨٤- ص٣٨٧ .

وعن عبدالله البطال انظر:

رشاد محمد خميس ، سيرة سيد بطال غازي في القصص الشعبي التركي وأثر الصراع الإسلامي البيزنطي فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م. السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، ص١٦٧ ، محمد فتحي عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٣، ص٢٨٣- ص٢٨٤ .

٢- عن الاكلوجا أنظر:

Spulber , L' Eclogue des Isauriens, Texte, Traduction, et Histoire. Ceruantzi 1929 .

Hussey , The Byzantine World, p. 30, p. 43, p.132 .

Browning The Byzantine Empire, p. 53 .

Vasiliev, Histoy of the Byzantine Empire, pp.242-244 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 134, p. 141 .

Nicol, A Biographical dictionary, p.73 .

والمدخل الببليوغرافي .

٣- نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية، ص١٣٥ .

٤- تكونت الاكلوجا من ١٨ فصلاً موزعة كالآتي : =

جدير بالذكر ؛ على الرغم من استفادة الاكلوجا من قوانين جستنيان ، إلا أنها اختلفت عنها في بعض الجوانب، بل كانت متقدمة عنها- وهو أمر متوقع- وقد فرضت عقوبات موحدة على الجرائم التي تتشابه ويرتكبها الأمراء أو العامة ، بينما كانت العقوبات في قوانين جستنيان تفرض وفق الوضع والمكانة الاجتماعية للشخص الذي قام بارتكاب الجريمة[1].

وقد تأثرت الاكلوجا بالأعراف والعادات الشرقية أكثر من قوانين القرن السادس م، ونجد فيها احترامًا أكبر لعقد الزواج، وكذلك حقوق الزوجه، والأبناء ، وقد ظهر فيها التأثير المسيحي أكثر من ذي قبل [2].

كما أن هناك القانون الزراعي Leges rusticae ويتكون من ٨٥ مادة قانونية .

ولانغفل كذلك ؛ صدور القانون البحري Lege navales ، والهدف منه تنظيم التجارة البحرية، وقد احتوى على سجل للعادات ، وكذلك التقاليد التي تم مراعاتها في أمور الملاحة البيزنطية .

أما القانون العسكري Leges Militares [3]؛ فيلاحظ أنه تناول على نحو أساسي العقوبات التي كانت تفرض على الجنود عندما أقدموا على ارتكاب الجرائم مثل التمرد ، أو الفرار، ونحوها ، ومنطقي تصور أن مثل ذلك القانون هدف إلى فرض الإنضباط في الجيش البيزنطي ليتمكن من تحقيق الأهداف المناطة به .

= الخطوبة ٢- عقد الزواج بين المسيحيين ٣- جهاز العروس وصداقها ٤- هدايا العروس ٥- الوصية والأشخاص الذين يحق لهم الوصية ٦- الإرث والورثة ٧- اليتامى والوصاية عليهم. ٨- تحرير العبيد والاستعباد ٩- البيع والشراء بموجب عقد مكتوب أو التعهد الشفهي والعرابين التي تم دفعها . ١٠- الديون والقروض ١- الودائع والأمانات ١٢- الضمان والتأمين ١٣- الايجار والاستئجار ١٤- الشهود المقبولة شهادتهم وغير المقبولين ١٥- اتفاقيات الصلح ١٦- أملاك الجند، ١٧- العقوبات على إرتكاب الجرائم، ١٨- توزيع غنائم الحرب.

عن ذلك انظر : نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية، ص١٣٦- ص١٣٧ .

١- نفسه ، ص١٣٧ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة ,عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١١٩ .

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص١٤١- ص١٤٢ ,عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص١١٨- ص١١٩ .

وهكذا ؛ صارت القوانين التى صدرت فى عهد الامبراطور ليو الثالث الأيسورى وسيلة من أجل تدعيم السلطة الامبراطورية من ناحية ، وكذلك إخضاع شعوب الامبراطورية لسلطة قانونية واحدة تتفق مع الاحتياجات المتطورة لشعوبها ولاشك فى أن القانون كان عنصراً فاعلاً من وراء استمرارية تلك الامبراطور أحد عشر قرنًا من الزمان مع عدم اغفال أهمية العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

أما فيما يتصل بالحركة اللاأيقونية؛ فمن الملاحظ أن التدين العاطفى للشعب البيزنطى دفعه إلى التعلق الزائد بصور القديسين أو الأيقونات Icons (١) فتم تقديسها ، وهناك من يقرر أنه منذ القرن الثامن الميلادى؛ حدثت مبالغة فى التعلق بالأيقونات وتقديسها وصارت تلك الصور فى الكنائس ، والأديرة وكذلك فى كافة المنشآت المدنية الخاصة ، العامة ، وصار الناس يسجدون أمامها تقديسًا لها (٢)!

على أية حال؛ كان ليو الثالث الأيسورى من أيسوريا Isauia بآسيا الصغرى Asia Minor من منطقة لم تكن تمارس فيها عبادة الأيقونات وبالتالى ؛ أراد تخليص الإمبراطورية مما اعتقد أنه «البدعة» التى عارضها عدد من كبار آباء الكنيسة من قبل .

كذلك ؛ لانغفل التأثير الإسلامى، فالمسلمون كانوا ينظرون باستهجان لقيام البيزنطيين بالسجود أمام صور القديسين كما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (٧٢٠-٧٢٤) أزال الأيقونات الموجوده ، وقيل إن ذلك كان يدافع من تأثير أحد اليهود (٣). وهكذا ؛ فإن العلاقات بين

١- كلمة أيقونة Icon مشتقة من الفعل Eiko فى اليونانية ومعناه يشبه أو يماثل ، والاسم Eikon يعنى صورة أو صورة مقدسة، ويسمى محطم الصور ايكونوكلاست Iconoclast ، ومعارضة عبادة الأيقونات تسمى ايكونوكلاسم Iconoclasm ، عن ذلك أنظر: إبراهيم طرخان ، الحركة اللا أيقونية فى الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٦م، ص٦ .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢١ .

٣- عن ذلك أنظر : Vasiliev; " The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721" D.O.P., Nos . 9-10 , Massachastes 1956, pp. 24-47 .

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص١٢٩ ، سيده كاشف ، مصر فى عصر الولاة ، ط. القاهرة ب-ت ، ص١٢١ ، قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص٣٤ ، حسان حلاق، تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى الحياة المالية والاقتصادية والادارية ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٥٨ وبصفة عامة؛ أفضل دراسة بالعربية عن التأثيرات المتبادلة بين الجانبين العربى والبيزنطى هى: فتحى عثمان، الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحرى والاتصال الحضارى، ٣ أجزا. ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.=

الطرفين لم تكن كلها ذات طابع حربى عدائى ، بل امتد الأمر للجوانب الدينية، ومن المفترض حدوث حوار أو جدال دينى بين الجانبين .

من جهة أخرى؛ أراد ذلك الامبراطور الحد من نفوذ رجال الكنيسة ، وكذلك الحصول على دعم النساطرة، واليعاقبة، وبالتالى ؛ يمكن القول أن هناك عدة دوافع وراء تلك التغيرات على المستوى الدينى فى عهد ليو الثالث الأيسورى كما أن هناك عدة نتائج على الصعيد الدولى نجمت عن تلك السياسة كما سيتضح لنا.

مهما يكن من أمر؛ تم عقد مجلس شارك فيه عدد من الأساقفة عام ٧٢٦ م[١] بعد تسع سنوات من توليه الحكم- وتم فيه الإقرار بازالة كافة الصور والتماثيل ذات الطابع الدينى من

= وهى فى الأصل أطروحة دكتوراه من كلية الآداب- جامعة القاهرة إشراف الراحل أ.د. حسين مؤنس بعنوان الثغور الشامية والجزرية إلى عهد المتوكل العباس .

ومن المهم هنا الاقرار أنه بعد اربعين عامًا على صدورها يصعب وجود دراسة مماثلة لها باللغة العربية، دون اغفال أنها ألفت - بطبيعة الحال- بإمكانات الستينيات ، ولايعد ذلك نقداً لها .

١- عن الحركة اللاأيقونية بصفة عامة أنظر:

Theophanes, pp. 93-94 .

Brubaker and Haldon , Byzantium in the Iconoclast Era (ca 680-850) : The Sources, Am annotated Survey, B.B.O.M., Birmingham 2001 .

Bryer and Herrin, Iconoclasm, Birmingham 1977 .

Martin, AHistory of the Iconoclastic Conterversy, London 1978 .

Hussey, The Byzantine World , pp. 30-32 .

Angold, Byzantium , pp. 70-95 .

ابراهيم طرخان ، الحركة اللاأيقونية فى الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٦م.

وعن الحركة اللاأيقونية فى عهد ليو الثالث الأيسورى انظر:

Gero, Byzantine Iconoclasm during the Reign of Leo III , with Particular attentiom to the Oriental Sourres, Louvain 1999 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 57-61 .

حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٠٨- ص١١٥، شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٩- ص١٥٣ ، جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٣- ص١٣٣ ، =

الكنائس ، كما تم تحريم تصوير السيد المسيح والسيدة مريم العذراء عليهما السلام وأدى ذلك؛ إلى اندلاع معارضة شديدة من جانب الرهبان وصغار رجال الدين ، إلا أن الامبراطور تمكن من إخضاعهم ، وتطور الأمر عندما وقف البطريرك البيزنطى حينذاك ضد الإمبراطور فقام الأخير بعزله عام ٧٣٠م، ولاريب فى أنه أدرك أن مثل تلك الحركة التى رآها ضرورية من وجهة نظره لإصلاح المعتقد الدينى فى الامبراطورية ، تحتاج إلى قبضة حديدية من أجل تنفيذها ومتبعتها .

ويلاحظ أن معارضة البطريق للامبراطور مثلت حالة من الحالات النادرة فى التاريخ البيزنطى .

جدير بالإشارة؛ أن الأحداث التى وقعت فى بيزنطة لم تكن ذات بعد محلى محدود ، بل امتد تأثيرها خارج حدود الإمبراطورية وهنا مكمن خطورتها ، فلم يكن فى الإمكان أن تقف البابوية فى روما مكتوفة اليدين حيال ما يحدث فى القسطنطينية ، وهكذا ؛ قام البابا جريجورى الثانى Gregory II (٧١٥- ٧٣١م) بعقد مجلس دينى من أساقفة الغرب الأوروبى، وأصدر قراراً يعتبر ما قام به ، أولئك الذين يحاربون الأيقونات هرطقة[١] ، وامتد الأمر فى عهد البابا التالى؛ وهو جريجورى الثالث Gregory III [٢](٧٣١- ٧٤١م) الذى عمل على إنزال اللعنة على كل من يؤيد محطمى الأيقونات[٣]؛ مما عكس إتخاذه خطوة أقوى أبعد من السابقة التى اتخذها سلفه .

= محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٠١- ص١٠٢ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١١٨- ص١٢٧ ، وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، ص١٧١- ص١٧٩ .

١- عمر كمال توفيق. تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٥ .

وجريجورى الثانى؛ بابا وقديس ، ولد فى روما عام ٦٦٩م من أسرة ثرية، وقد تولى المنصب البابوى من ١٩ مايو ٧١٥ إلى ١١ فبراير ٧٣١م، ويلاحظ أن يوم عيده يوافق ١١ فبراير، عنه أنظر :
Kelly . Oxford Dictionary of Popes, Oxford 1996 , p. 86-87 .

٢- جريجورى الثالث، بابا وقديس تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ مارس ٧٣١م إلى ٢٨ نوفمبر ٧٤١م ، ووصف بأنه كان راهبًا فصيحًا ، وتتمثل أهمية دوره فى معاصرته لمرحلة الصراع على الأيقونات . عنه أنظر: Ibid. p. 88-89 .

٣- Diehl. History of The Byzantine Empire. p. 59 .

لانغفل هنا ؛ أن أحداث التاريخ كانت تتلاحق خلال القرن الثامن الميلادى وفيما بعد على نحو زاد من التباعد بين كنيستى القسطنطينية وروما من خلال قطيعة فوشيوس فى القرن التاسع الميلادى ومن بعدها القرن الحادى عشر الميلادى عندما حدث الانشقاق الأعظم بينهما خاصة عام ١٠٥٤م فكانت نهاية رحلة طويلة وشاقة من الشكوك، والتنافس، والعداء المتبادل المتراكم والمتوالى عبر القرون ، الأمر الذى ستوضحه الصفحات التالية.

مهما يكن من أمر؛ توفى ليو الثالث الأيسورى عام ٧٤١م ، وذلك بعد أن أحدث تأثيراً مهمًا فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية سياسيًا ، وعقائديًا على الصعيد الداخلى والخارجى.

ومن بعده ؛ تولى العرض البيزنطى ابنه قسطنطين الخامس[١] الذى حكم خلال المرحلة من ٧٤١ إلى ٧٧٥م ويعد عهده مكملاً ، ومتممًا لعهد والده من قبل، ويمكن إبراز أهم معالم التاريخ البيزنطى فى عهده على النحو التالى:

أولاً : سياسة تجاه عبادة الأيقونات .

ثانيًا : الصراع مع المسلمين .

ثالثًا : مواجهة اللمبارديين والبلغار .

جدير بالذكر ، أن قسطنطين الخامس حكم مدة زمنية أكثر إمتداداً من تلك التى حكمها والده ، إذ امتدت ٣٤ عامًا ، على حين حكم ليو الثالث ٢٤ عامًا فقط، وقد أعانه ذلك على مواصلة سياسته على نطاق زمنى أكبر وإن كانت فى معالمها العامة مكملة للعهد السابق .

١- عن الإمبراطور قسطنطين الخامس أنظر:

Theophanes, p. 125 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 234 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 147-155 .

Norwich , A Short History of Byzantium, pp. 113-115 .

Angold, Byzantium, p. 77-78 , pp. 78-84 .

Hussey, The Byzantine World, p. 28, p. 29, p. 31 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 53-55 .

وفيما يتصل بمواجهة عبادة الأيقونات ، أثبت الإمبراطور أنه أكثر تشدداً من والده، ولذلك خطى خطوات أبعد فى عدائها ، وقد قام بعقد مجمع دينى عام ٧٥٤م حضره (٢٣٨) من الأساقفه فى مدينة هيريا Hieria بالقرب من القسطنطينية[١] ، وقد أيدوا العقيدة اللاأيقونية، وتقرر أن من يعارض السياسة العامة للإمبراطورية تجاه تلك القضية سوف يتعرض للعقاب وفق القانون ، وبذلك يتضح لنا حرص ذلك الامبراطور على الحصول على الشرعية الدينية قبل تنفيذ سياسته ويقدم ذلك نموذجًا على أن الدين كان فى خدمة السياسة حينذاك .

هكذا ؛ تمكن قسطنطين الخامس من الحصول على دعم ذلك المجمع الدينى لسياسته العدائية تجاه عبادة الأيقونات ، ومن الممكن القول أن عهده ظهر فيه الإرتباط الوثيق بين السياستين الداخلية ، والخارجية فطالما أن الإمبراطورية كان يهددها الخطر الخارجى - كالبلغار على سبيل المثال- لم يكن الإمبراطور فى مقدوره التوسع فى سياسته اللاأيقونية، ولذلك ؛ فإنه عندما تمكن من توقيع إتفاق للصلح مع عناصر البلغار عام ٧٦٥ م؛ إتجه من بعد ذلك لفرض سياسته بقسوة، وعنف وتمثل عدوه الرئيسى فى صورة عناصر الرهبان الذين تمسكوا بعبادتها وقد اتخذ ضدهم عدة إجراءات ، إذ أنه إتجه إلى تسميل عيون الرهبان المعارضين[٢]، ويلاحظ أن ذلك الأسلوب العقابى البشع يعد نمطًا تقليديًا فى التاريخ البيزنطى على نحو يجعل المؤرخ المنصف يشعر بمدى الوحشية ، والرغبة الغير سوية فى الإنتقام ، وقد وصل ذلك الأسلوب إلى أبشع مراحله على يدى الامبراطور باسل الثانى فى عهد الأسرة المقدونية كما سيتضح لنا فيما بعد مما دل على تواصله تاريخيًا من بعد ذلك، كما أمر الإمبراطور بقطع

١- عن ذلك أنظر :

Angold , Byzantum p. 79-80 .

Norwich, A Short History of Byzantium , p. 113 .

Talbot (ed.,) Byzantine defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation Dambarton Oaks , Washington 1998, p. X .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٨ .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 60 .

Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images , p. X .

ألسنة وأنوف معارضيه ، كذلك إتجه إلى إيداعهم فى السجون أو إبعادهم من خلال النفى، والتشريد [(١)].

وهكذا؛ كشفت لنا سياسة ذلك الإمبراطور تجاه الرهبان الذين اعتقدوا فى عبادة الأيقونات ؛ عن رغبته فى عقاب معارضيه كأنهم أعداء حقيقيين للإمبراطورية البيزنطية وليسوا من أبنائها المخالفين فى معتقداتهم اتجاه الامبراطور ويمكن وصف السنوات العشر الواقعة بين عامى ٧٦٥م، ٧٧٥م بأنها سنوات الحرب الأهلية الدينية العنيفة بين السلطة الحاكمة ، والرهبان مما عكس طول مدة الصراع ، والأمر المؤكد ؛ أن ليو الثالث الأيسورى كان أقل عنفًا تجاه معارضيه إذا ما قورن بالقسوة البالغة التى اتبعها ابنه من بعده ومن المفترض أنه فى حالة استمرار حربه ضد ما اتبع تلك السياسة ضد أولئك الرهبان.

من الملفت للإنتباه أن من المؤرخين الأوروبيين المحدثين من إنبهر بالأباطرة اللاأيقونيين، وصورهم على أنهم دعاة إصلاحيين، وتم التغاضى على وسائل التنكيل، والاضطهاد ، والتعذيب البشعة التى أثبتت أن الإمبراطورية عاشت وحينذاك مرحلة بالغة العنف من تاريخها ، وسوف تدفع الامبراطورية الثمن فادحًا فى صورة اتساع الهوة بينها وبين الغرب الأوربى.

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٢٨ .

ولانغفل أنه خلال تلك الأحداث ؛ قتل بعض الرهبان مثل القديس ستيفن الصغير St. Stephen The Younger، وكان قد ولد فى العاصمة البيزنطية فى عام ٧١٥م، وعندما حدثت الصراعات حول الأيقونات خلال عهد قسطنطين الخامس، دافع عن عبادتها ، وقد تم قتله عام ٧٦٥م . ويقال أن الإمبراطور المذكور لم يشأ قتله وبذلك تتشابه تلك الحادثة مع حادثة تالية وقعت فى عهد الملك الإنجليزى هنرى الثانى Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) عندما قتل أتباعه توماس بكت St. Thomas Beket رئيس أساقفة كنتربرى Canter-bury ويلاحظ أن عيد القديس ستيفن الصغير يقابل يوم ٢٨ نوفمبر ، عنه أنظر:

سفر أعمال الرسل، الإصحاحين (٧، ٨) .

Life of St. Stephen The Younger, Trans. by Alice - Mary Talbot, in Talbet (ed.), Byzantine defenders of Images, pp. 9-12 .

John of Wurzburg, Decription of The Holy Land , Trans . by A. Stewart , P.P.T.S., vol . XII,London 1892, p. 40.

Attwater,The Penguin dictionary of Saints , pp. 313-34 .

Diehl , History of The Byzantine Empire, p. 60 .

تجدر الإشارة؛ وجدت عبادة الأيقونات أنصاراً لها ودافعوا عنها أحيانًا حتى الموت، وقد حفظ التاريخ لنا ضمن المصادر الهجيوجرافية سير عدد منهم فى صورة القديس ثيودوسيا القسطنطينية Theodosia of Constantinople، والقديس ستيفن الصغير St. Stephen The Younger ، والقديسة أنتوسا المتينونية St. Annthousa of antineon ، والقديسة انتوسا إبنة الامبراطور قسطنطين الخامس St. Anthousa daughter of Constantiune V وهى تعكس حركات المعارضة ضد سياسة الأباطرة اللاأيقونيين خلال المرحلة ٧٢٦ إلى ٧٨٧م[١]. أما المرحلة التالية هى المتدة من ٨١٥ إلى ٨٤٣ م، فلدينا سير حياة عدد من المعارضين فى صورة البطريرك نقفور الأول بطريرك القسطنطينية Patriarch Nicephoros I، وحياة القديسين ديفيد وسيمون وجورج لسبوس St. S. David , Symeon and George of Lesbos والقديس ايونيكوس St. Ieaunnikos ، والقديسة الامبراطورة ثيودورا St. Theo- dora The Empress[٢].

جدير بالإشارة ؛ أن البابوية فى روما فى عهد قسطنطين الخامس بحثت عن حليف فى الغرب الأوربى من خلاله تتمكن من تحقيق أهدافها وتوجه من خلاله ضرباتها المتلاحقة تجاه الأباطرة اللاأيقونيين، إذ أن هجمات اللومبارديين فى إقليم رافنا بإيطاليا؛ جعلت البابوية تتجه صوب دولة الفرنجة ، وتترك الإمبراطور البيزنطى، وظهر خلال تلك الأحداث ما عرف بهبة بين[٣] Donation of Pepin والتى بمقتضاها تردد أن الملك الفرنجى بين القصير Pepin The

---

١- عن تلك السير التى تعد مصدراً أساسيًا عن تلك المرحلة أنظر:

Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images pp.1 -21 .

وكذلك المدخل الببلوغرافى .

٢- Ibid, pp. 25- 382 .

٣- هبة بين Pepin's Donation تنسب إلى بين القصير الذى عد آخر وزراء الميروفنجيين ، وأول ملوك الأسرة الكارولنجية ، وقد قرر فى أواسط القرن ٨ الميلادى الاستيلاء على التاج الميروفنجى سياسيًا ودبلوماسيًا وليس عن طريق القوة. وقد أرسل إلى البابوية فى روما بعثة يعرض عليها تساؤل عما إذا كان التاج الفرنجى يظل على رأس من هو بلا قوة ، وأن يكون على رأس من بيده القوة الفعلية حتى لو لم يكن يحمل لقب الملك، ويقرر جوزيف نسيم يوسف أن البابا زكريا (٧٤١-٧٥٢م) وصف بالحكمة وأدرك أن من =

Short (٧٥١-٧٦٨م) منح البابا هبة بمقتضاها أعطاه الحق فى حكم روما، ورافنا، وكان البابا حتى ذلك الحين يمارس سلطاته فى روما من خلال النفوذ البيزنطى، وهكذا؛ دفع الأباطرة اللاأيقونيون ثمن سياستهم على حساب النفوذ البيزنطى فى إيطاليا .

أما السياسة البيزنطية تجاه المسلمين ؛ فقد حرص قسطنطين الخامس على تحقيق عدد من الانتصارات فى مناطق الحدود البيزنطية - العربية حتى يطور الجهد الحربى الدفاعى الذى حققه والده ليو الثالث ، ويحقق وقوف الشعب البيزنطى وراء امبراطورهم المنتصر ضد أعداء الامبراطورية منذ عهد الإمبراطور هرقل، .

على أية حال؛ حدثت تطورات تاريخية حاسمة إذ سقطت الخلافة الأموية عام ٧٥٠م وقامت فى أعقابها الخلافة العباسية ، واستغل الإمبراطور توقف العباسيين عن محاربة بيزنطة لتحقيق بعض الانتصارات ، يلاحظ استغلاله لإضطراب أوضاع الأمويين قبل سقوطهم حيث استولى على مرعش عام ٧٤٦م وقام بترحيل سكانها ، ومن بعد ذلك بعد سقوط دولتهم تقدم فى صراعه معهم وفى عام ٧٥٢- ٧٥٣م اتجه إلى إخضاع ملطيه ، وبصفة عامة؛ نلاحظ تبدل الأدوار، فقد تحول المسلمون حينذاك من الهجوم فى عهد الدولة الأموية حتى صاروا فى موقف الدفاع، أما الدولة البيزنطية ؛ فقد تحولت من الدفاع فى عهد ليو الثالث إلى الهجوم فى عهد ابنه قسطنطين الخامس(١)، ويعكس ذلك الارتباط الوثيق بين الأوضاع الداخلية فى الدولة الإسلامية ونجاح البيزنطيين فى تحقيق مكاسب استراتيجية .

= الأفضل ممالأته واكتسابه إلى جانبه وأجابه إلى صفه، وهكذا : قام بن بنقل التاج من آخر الملوك الميروفنجيين؛ وهو شيلد ريك الثالث عام ٧٥١م، وهو العام الذى يعده المؤرخون بداية عهد الأسرة الكارلونجية ويلاحظ أنه فى عام ٧٥٤م، قدم البابا ستيفن الذى توفى من بعد البابا المذكور - قدم إلى غاله حيث توج بن ملكًا على الفرنجة ولانغفل أنه فى عام ٧٥٤م أنزل ذلك الملك الهزيمة باللمبارديين ، ووهب بن البابوية إلى جانب كيانها الروحى كافة إيطاليا كى تصبح ملكًا لها، عن هبة بن أنظر :

Angold , Byzantium , p. 102 .

هارتمان وباراكلاف، الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى، ص١٤١ ، حاشية (٢) .

١- من المهم هنا الإشادة بهذه المقالة:

Brooks, " Byzantium and Arabs in The Time of The Early Abbasids". E.H.R., vol XV , 1900, pp. 728-747 .

أما فيما يتصل بمواجهة اللمبارديين ؛ من الملاحظ أنهم عملوا على توجيه هجماتهم ضد النفوذ البيزنطى فى إيطاليا، وفى عام ٧٥١م حققوا إنجازاً كبيراً على حساب بيزنطة من خلال السيطرة على رافنا [١] Ravenna، وفيما بعد ؛ حدث صدام بين الملك بن القصير السالف الذكر ، واللمبارديين ، وتمكن من هزيمتهم، ولم يكن يفعل ذلك للصالح البيزنطى، بل من أجل مصلحته العليا بطبيعة الحال . وحاول الإمبراطور قسطنطين الخامس جاهداً مقاومة النفوذ البابوى، وكذلك نفوذ ملك الفرنجة بين دون جدوى ، وتأكد بالفعل أن النفوذ البيزنطى ينحصر عن إيطاليا وذلك مع ملاحظة استمراره فى كل من القسم الشمالى الشرقى فى البندقية Venice ، وكذلك فى القسم الجنوبى .

وهكذا ، تأكد إخفاق ذلك الإمبراطور فى التعامل مع اللمبارديين ، ومن المؤكد أن سياسته تجاه أنصار عبادة الأيقونات عجلت بارتماء البابوية فى أحضان بن القصير ، وبالتالى دفعت بيزنطة الثمن فى ضياع قسم من أملاكها فى إيطاليا .

أما فيما يتصل بسياسته تجاه البلغار[٢] الذين شكلوا خطراً داهمًا على الإمبراطورية ؛ نجد أنه إصطدم معهم فى عدة حملات خلال الأعوام من ٧٥٩ إلى ٧٧٥م ، ويلاحظ أنه تمكن

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٢٩ .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 174-176 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 151 .

٢- رجع البلغار إلى أصل تركى ، وقد استقروا فى بداية الأمر فى المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين ، وهناك خضعوا لسيطرة عناصر الآفار ، وقد ضعفت تلك العناصر بعد فشل حصارها للقسطنطينية عام ٦٢٦م ، وهنا ثار البلغار عليهم ،وأيدت الإدارة البيزنطية موقفهم ضد الآفار ، وفيما بعد نتيجة لضغط عناصر الخزر اضطر البلغار إلى الاتجاه غربًا حتى وصلوا عا ٦٧٠م إلى دلتا نهر الدانوب، عن ذلك أنظر:

وسام عبد العزيز فرج، السلاف (الصقالبة) فى شبه جزيرة البلقان، ص١٨٨- ص١٨٩ .

وعن البلغار وعلاقة بيزنطة بهم أنظر:

Thephanes, p. 12 .

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier, A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 . Cambridge 2000 .

من الإنتصار عليهم عام ٧٦٣م[١]، وتجددت إنتصاراته عندما تمكن من هزيمتهم فى عام ٧٧٣م،أى بعد عشرة أعوام من الانتصار السابق.

هكذا ؛ كانت جبهة البلغار موفقة النتائج بالنسبة لبيزنطة وإن مات الإمبراطور خلال إحدى المعارك معهم عام ٧٧٥م. وبذلك اتضح لنا أنه أخفق مع اللمباردين ، ونجح مع البلغار مع عدم إغفال أن الصراع البيزنطى - البلغارى؛ لم ينته عند ذلك الحد ؛ بل استمر فى عهد أباطرة بيزنطة فيما بعد خاصة فى عهد الإمبراطور باسل الثانى ٩٧٦- ١٠٢٥م.

من بعد عهد قسطنطين الخامس؛ تولى الحكم عدد من الأباطرة مثل ليو الرابع . وقسطنطين السادس ، وإيرينى ، ونقفور الأول، وستوراكيوس . وميخائيل الأول، وليو الخامس الأرمينى؛ ومع ذلك ؛ فمن المهم تسليط الضوء على عدد منهم ليس لكفاءتهم ، بل لوجود أحداث مميزة كشف فيها التاريخ البيزنطى عن بعض خصائصه التى قد لاتتضح فى يسر، وسهولة لدى عهود أباطرة بيزنطيين سابقين آخرين .

وبالنسبة لليو الرابع؛ الذى حكم خمس سنوات من ٧٧٥ إلى ٧٨٠م، نلاحظ أنه لم يكن له شأن بارز فى التاريخ البيزنطى، ومن بعده حكمت الإمبراطورة إيرينى[٢] باعتبارها وصية على

= هى أفضل دراسة فى الموضوع المذكور من خلال المعالجة العلمية وكذلك المصادر والمراجع المتعددة ، وهى أحدث ما كتب عن العلاقات بين الجانبين بالإنجليزية.

هانى عبد الهادى البشير، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١-١٠٨١م . رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة طنطا عام ١٩٩٩م، وهى أطروحة ممتازة لباحث متمكن .

١- عن صراع قسطنطين الخامس مع البلغار أنظر:

Theophans, p. 13 .

Norwich, Short History of Bytantium , p. 11 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 10-11 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 55-56 .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٠٦- ص١٠٨ .

٢- عن الإمبراطورة إيرين ومعنى اسمها «السلام» أنظر:

Theophanes , pp. 155-157 .

ابنها قسطنطين السادس، وإمتد حكمها من ٧٨٠- ٨٠٢م ومن أهم ملامح عهدها إتجاهها إلى إعادة عبادةالأيقونات [1]، وبالتالى عارضت تمامًا سياسة ليو الثالث، وقسطنطين الخامس، كذلك اتجهت إلى عقد صلح مهين مع الخلافة العباسية عام ٧٨٣م [2]، حيث عاصرها الخليفة الذائع الصيت هارون الرشيد؛ وذلك كى تتفرغ لقضايا الداخل البيزنطى خاصة أنه لم يكن لها قبل بمواجهة ذلك الخليفة الذى بلغت الدولة العباسية فى عهده مرحلة من أقوى مراحل تاريخها.

= عليه الجنزورى، الإمبراطورة إيرين، ط. القاهرة ١٩٨١م.

Angold, Byzantium , p.84 , p. 86 .

Herrin, Women in purple Rulers of Medieval Byzantium, Princeton 2001, p. 51-129 .

حيث خصصت المؤرخة الأمريكية جوديت هيرن الفصل الثانى من كتابها للحديث المنفصل عن الإمبراطورة إيرينى، وقد دافعت عنها دفاعًا مجيداً خاصة من خلال الخمس سنوات الأخيرة فى حكمها.

من ناحية أخرى؛ لايمكن دراسة عهد إيرينى دون إدراك دور مهم لأحد الخصيان، وهو ستوراكيوس Straurakios الذى وصف بأنه مستشار الإمبراطورة واحتل مكانة بارزة «وتولى مهمة كل شئ» كما وصفه ثيوفانيس، ويلاحظ أنه شارك فى الصراع مع العرب، كذلك حارب ضد السلاف فى بلاد اليونان حتى البلبيونيز عام ٧٨٣م، وإحتفل بانتصاره فى القسطنطينية فى يناير ٧٨٤م، وفى عام ٧٨٦، عاون الإمبراطرة المذكورة فى مواجهة أعداء عبادة الأيقونات، وقد توفى فى ٣ يونيو ٨٠٠م، عنه أنظر:

O.D.B., vol . 3, p. 1945 .

ولانغفل أن الخصيان لعبوا دوراً بارزاً فى العصر البيزنطى الأوسط عن ذلك أنظر:

Ringrose "Eunuchs as Cultural Mediators", in Walter E. Kaegi (ed.) B.F., vol XXIIIAmsterdam 1996, pp. 75-93, vol . XXIII.

١- نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ط. دمشق ١٩٦٩م، ص١٦٤.

٢- عن علاقات الإمبراطورة إيرين بالخليفة هارون الرشيد ودور الأخير فى مواجهة بيزنطة أنظر: ابراهيم أيوب، التاريخ العباسى السياسى والحضارى، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص٥٤.

وديع فتحى، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى، ص٣٢٦، حيث يقدم عرضًا ممتازاً، أيضا: محمود الحويرى، اللومبارديين فى التاريخ والحضارة، ٥٦٨- ٧٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص١٦١.

Bosworth . Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Period , Bilad al- Sham

جدير بالذكر ؛ أرادت إيرين الإستحواذ على السلطة على حساب ابنها ، وكثيراً ما تآمرت عليه، بعد أن تجردت من مشاعر الأمومة، ووصل بها الأمر إلى حد قيامها بعد تنازلها عن العرش له عام ٧٩٠ بمواصلة مؤامراتها ، وقام أنصارها بالقبض عليه، ومن خلال أوامرها قاموا بتسميل عينيه[١] يوم ١٥ أغسطس ٧٩٧م، في واقعة فريدة في التاريخ البيزنطى.

إن المؤرخين الأوروبيين الذين انبهوا بأباطرة بيزنطة لم يقفوا طويلاً أمام ذلك المشهد الأسود الفريد في مأساويته حيث تجردت إيريني من كافة المشاعر الإنسانية وافترض عدم استوائها نفسيًا دون إمكانية دعم ذلك من نصوص مصدرية أو مرجعية ، إلا أن الواقعة التاريخية يصنعه المؤكدة تدل بجلاء على ترجيح ذلك الاحتمال ، ولانغفل هنا القول بأن التاريخ أحيانًا الغير أسوياء من الناحية النفسية [٢].

على أية حال؛ فتلك المرأة المتسلطة حصلت على لقب إمبراطور وظلت في السلطة بعد أن جعلت مكانة بيزنطة الأدبية في الحضيض ولذا؛ لم يكن غريبًا أن أقدم البابا ليو الثالث [٣] Leo III (٧٩٥-٨١٦م) على تتويج شارلمان Carlus Magnus في ليلة عيد الميلاد من

= during the Abbasid Period (132- SA.H/ SA.P .750 - 491 A.H. (A.p. 1059) Proceedings of the Fifth international confrence on the History of Bilad Al- Sham ed. by M. Albakhit , Amman 1991) , p. 59-60.

١- عن صراع الإمبراطورة إيرين مع ابنها وتسميل عينيه أنظر:

Norwich , A Short History of Byzantium , p. 117-118 .

Bosworth , Byzantium and the Syrian Frontier, p. 59 .

وديع فتحي، العلاقات السياسية بين بيزنط والشرق الأدنى الإسلامى ٧٤١- ٨٢٠م. ط الاسكندرية ١٩٩٠م، ص٢٦٩ .

٢- عن ذلك أنظر:

زهيرة البيلي، التاريخ يصنعه المرضى، ط. القاهرة ١٩٨٥م، وتقصد المؤلفة في المقام الأول المرض النفسي.

٣- ليو الثالث : بابا وقديس ، تولى المنصب البابوى في ٢٦ ديسمبر ٧٩٥م حتى ١٢ يونيو ٨١٦م ، وهو من أصل رومانى من جنوبي إيطاليا ، وقد عمل راهبًا ، وفيما بعد كردينالاً وينسب إليه أمر تتويج شارلمان في ليلة عيد الميلاد من عام ٨٠٠م ، وعرفت عنه كفاءته الإدارية ، ويلاحظ أن عيده يوافق يوم ١٢ يونيو ، عنه أنظر :=

عـام ٨٠٠م [1]، وذلك بعد أن أثبت براعتـه فى محاربة اللومبارديين ، ووفر الحماية للبابوية ، وقد أرادت الأخيرة خلق قوة سياسيـة كبيرة فى الغرب الأوروبى تواجه بيزنطة ، وبالتالى؛ صارت هناك قوتان سياسيتان كبيرتان متنافستان تحاولان مخاطبة ود البابوية ؛ فى القسطنطينية وآخن Aachen (اكس لاشابيل Aix La Chapelle عاصمة شارلمان .

لانغفل أن تلك الحادثة ، عدت حادثة محورية فى تاريخ العصور الوسطى الأوربية على نحو جعل بعض المؤرخين يتصورون أن ميلاد تلك العصور يمكن أن يبدأ منذ عام ٨٠٠م، وإن كان ذلك رأى مستبعد على أية حال؛ لعدم منطقيته نظراً لتأخره الزمنى مع عدم إغفال مركزية الحادثة ذاتها كحادثة تاريخية لها شأنها فى تاريخ الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى، وكذلك فى علاقاته مع الشرق البيزنطى.

لقد ساعدت الإمبراطورة إيرينى- دون أن تدري- ساعدت البابوية فى توجيه صدمة قوية لبيزنطة ، لقد كان هناك الضعف السياسى، ثم السقوط الأدبى، ومن قبل كانت هناك سياسة الأباطرة اللاأيقونيين . وأدى ذلك كله ؛ إلى أن توافرت الظروف التاريخية الملائمة لتتويج شارلمان خاصة أن الأخير أثبت كفاءته الحربية. ومهارته السياسية ، بالإضافة إلى زاوية التنصير التى سار عليها مثلما حدث من خلال تنصيره لعناصر السكسون، واستخدامه القسوة البالغة فى سبيل تحقيق ذلك إلى حد قيامه بمذبحة مروعة فى ڤردان Verden [2] عام ٧٨٢م،

= Kelly , Oxford dictionary of Poper pp. 97-99 .

١- عن تتويج شارلمان أنظر:

Einhard, Vita Caroli Magni, Trans . by Lewis Thorpe in Two Lives of Charlemagne by Einhard and Notker the Stramnerer, Penguin Book London 1969, pp. 80-81 .

Theophanes, p. 157 .

Becher, Charlemage, Trans. by David S. Balchrach , London 2003, pp. 7-17 .

ديفز، شارلمان ، ت. السيد الباز العرينى، ط . القاهرة ١٩٥٩م، ص١٧٢-١٨٧ .

٢- عن موقف شارلمان من السكسون؛ أنظر:

Notker the Stammerer, in Two Lives of Vharlemagne , Trans.

By Lewis Thorpe, Penguin Book, London 1969, p. 136-137 .

وهى التى قتل فيها ٤٥٠٠ شخص منهم، وهكذا ؛ توافرت لديه كافة الشروط اللازمة ؛ من أجل تحالف البابوية معه ، مع إدراك أن البابوية دائمًا ما تحالفت مع الأقوى على مدى تاريخها خلال حقبة العصور الوسطى.

على أية حال؛ كان تتويج شارلمان بمثابة صدمة كبيرة للأباطرة البيزنطيين كما قرر البعض، وقد رفضت بيزنطة فى أول الأمر ؛ الاعتراف بذلك التطور السياسى المحورى الذى حدث فى روما، وظلت ترفض الأمر طوال نحو ١٢ عامًا ، إلى أن اضطرت للاعتراف ؛ بالأمر الواقع Ipso Facto، ويلاحظ ؛ أن شارلمان - وهو أول امبراطور مسيحى لاتجرى فى عروقه الدم الرومانى، أو اليونانى إذ أنه بربرى الأصل فرنجى المنبت[١] نفسه كان حريصًا الحرص أجمعه على أن تعترف الإمبراطورية البيزنطية به.

على أية حال ؛ إتجه شارلمان عام ٨١٠ م ، أى بعد عشر سنوات على تتويجه إلى أن يطلب من ابنه بين Pepin احتلال ڤينيسيا Venice[٢] (البندقية) فى شمال شرقى، إيطاليا، وكانت خاضعة لسيطرة بيزنطة والهدف من ذلك كان جليًا؛ إذ أراد الضغط عليها من خلال دور تلك المدينة ذات الأهمية الاقتصادية التجارية فى العلاقات بين الشرق البيزنطى والغرب الأوربى حينذاك وقد حدث إسقاطها فى عهد الإمبراطور نقفور فى وقت واجه فيه البلغار فى البلقان والمسلمين فى آسيا الصغرى وقد دخل نقفور فى مفاوضات مع شارلمان ؛ من أجل الإنسحاب

= وعن مذبحة ڤردان أنظر:

Becher, Charlemagne, p. 67 .

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ج١، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص٢٠٣ ، محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ط . الاسكندرية ١٩٩٤م، ص٢٥٦ .

وهناك من يقرر ما نصه : «كان من نتيجة حروب شارلمان التى استمرت من ٧٧٢ حتى ٨٠٤ فناء جيل بأكمله، ولم ينته إلا بعد أن أكره عدداً كبيراً من السكسون مع أسرهم على ترك سكسونيا والإستقرار فى الأقاليم الفرنجية» عن ذلك أنظر:

رأفت عبد الحميد، «الملكية الألماني بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، عام ٩٨٣م، ص٩٨ ، حاشية (٢٧) .

١- نعيم فرح ، تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى ، ط. دمشق ١٩٩٥م.

٢- نفسه، ص٦٣ .

من تلك المدينة الحيوية، وتم إرسال وفد إلى آخن Achen من أجل عقد صلح مع الإمبراطور الجديد وتم التوصل إلى إتفاق يقر بأن يتم الإنسحاب من تلك المدينة الإيطالية ، وأن تعترف بيزنطة بإمبراطورية شارلمان ، ولانغفل ، أن نقفور قتل عام ٨١١م، وفي العام التالى ٨١٢م؛ وافق الإبراطور ميخائيل الأول على الإتفاق السابق(١).

على أية حال؛ تأكد لنا أن شارلمان تمكن من إدارة التنافس بين القسطنطينية، وآخن بدهاء، واستطاع أن يفرض على الإمبراطورية البيزنطية القبول بالأمر الواقع الجديد فى الغرب الأوروبى من خلال الضغط العسكرى.

على أية حال ؛ كانت بيزنطة الخاسرة الأولى من وراء أحداث عام ٨٠٠م ، حيث تغيرت خريطة القوى السياسية فى الغرب الأوربى؛ الأمر الذى إنعكس تأثيره بالضرورة على شرقى القارة .

هكذا ؛ يمكن القول أن الإمبراطورة إيرين بسلوكياتها أدت إلى خلق الأجواء المساعدة على ماحدث فى العام المذكور دون إغفال عوامل أخرى خاصة بتوازنات القوى فى السياسة الدولية حينذاك، من خلال التنافس التقليدى بين الغرب الأوربى والشرق البيزنطى على الصدارة.

مهما يكن من أمر ؛ بالنسبة لتلك الإمبراطورة ؛ كان للقدر كلمته، فمثلما غدرت بابنها غدر بها أحد كبار رجال دولتها وهو نقفور الذى عمل وزيراً للمالية !!

وقد تمكن من تدبير إنقلاب ضدها عام ٨٠٢م (٢)، وتم نفيها من بعد ذلك، وماتت فى العام التالى تاركة وراءها ذكرى إمرأة قاسية فتنت بالمنصب الإمبراطورى البراق المطلق السلطات.

مهما يكن من أمر ؛ تولى أمر الإمبراطورية خلال المرحلة الممتدة بين عامى ٨٠٢ ، ٨٢٠م عدد من الأباطرة الثانويين- وما أكثرهم فى التاريخ البيزنطى المديد - وقد أطلق عليهم المؤرخون تعبير «خلفاء الأيسوريين»، ولعل أهم ما يذكر عنهم الإمبراطور نقفور الذى امتد حكمه من ٨٠٢ إلى ٨١١م(٣)، وأهم ما حدث فى عهده صراعه مع هارون الرشيد

١- نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسى، ص٦٤ .

٢- عن ذلك أنظر: Theophanes, p. 158 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 67 .

٣- عن الامبراطور نقفور أنظر: Theophanes, pp. 158-163 .

(٧٨٦-٨٠٩م) الذى رفض أن يدفع له الفدية التى دفعتها له صاغرة من قبل إيرين؛ فأرسل له ذلك الخليفة رسالة طبقت شهرتها الآفاق وحرصت المصادر التاريخية العربية على إيرادها ؛ تعبيراً عن قوة العباسيين فى عصرهم الذهبى، وإذلالهم للبيزنطيين ، وكنوع من الدعاية السياسية القوية [١]، وأرسل إليه جيشًا كبيراً يحمل الثقل السياسى للخلافة العباسية حينذاك، حيث تمكن من اختراق الدفاعات البيزنطية فى آسيا الصغرى عام ٨٠٣ ، ٨٠٤م وتم إجبار ذلك الإمبراطور الواهم على دفع تلك الفدية التى لم يكن هارون الرشيد يحتاجها فى

Niavis, The Reign of the Byzantine Emperor Nicephorus I (802-811) , AThens 1987 .

وتأتى أهميتها من خلال تخصصها فى أعوام قليلة من التاريخ البيزنطى المديد.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 166-177 .

Norwich, Ashort History of Byzantium, p. 123 .

وديع فتحى عبدالله ، «العلاقة بين الدولة والكنيسة فى عصر نقفور الأول ٨٠٢-٨١١م» المؤرخ المصرى، العدد (٢٨) ، يناير ٢٠٠٥م، ص١٠٧ - ص١٦٠ ، عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٩ ، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٢- ص١٣٣ .

١- نص الرسالة : «من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام».

عنها أنظر : الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبوالفضل ، ط. القاهرة ، ج٨ ص٣٠٧- ص٣٠٨ ، القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ط. القاهرة، ج٦ ، ص٤٥٧ ، يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط . دمشق ١٩٩٨م، ص٨١ ، إبراهيم العدوى ، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، ط . القاهرة ١٩٥١م، ص٩٧ ، حسنين ربيع، المرجع السابق. ص١٣٩ .

وعن علاقات نقفور الأول مع هارون الرشيد أنظر: Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 425 .

محمد عبد الحفيظ المناصير ، الجيش فى العصر العباسى الأول، ١٣٢-٢٣٢ هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص٤٠٥- ص٤١٦ .

حيث يقدم عرضًا مهمًا لموقف هارون الرشيد من نقفور وكذلك، إيرين ودور الجيش العباسى فى فرض الارادة السياسية للعباسيين.

أيضًا: فاروق عمر فوزى، العباسيون الأوائل ، ١٣٢- ٣٤٧ هـ / ٧٤٩- ٨٦١ م. الدولة - المعارضة، ط. عمان، ٢٠٠٣م ، ج٢ ، ص٦٠٩- ص٦١٢ .

الأصل نظراً للثراء العريض لدولته ، بل أنه إتخذها أداة ضغط ، وإذلال لبيزنطة لا أكثر، كما تم تبادل الأسرى بين الجانبين عام ٨٠٥ م ؛ مما عكس أهمية الدبلوماسية فى العلاقات بين الطرفين .

وهناك قضية على جانب كبير من الأهمية ، فقد زعم أحد الباحثين الغربيين أن هناك حلفًا حدث بين هارون الرشيد فى بغداد وشارلمان فى آخن[١] على أساس أن يحارب الأول البيزنطيين أعداء شارلمان وفى المقابل يقوم الأخير مهاجمة الأمويين فى الأندلس وهم أعداء العباسيين ، ويستدل على ذلك بالسفارات المتبادلة بين الجانبين ومهاجمة هارون الرشيد لبيزنطة وحملة شارلمان على سرقسطة عام ٧٧٨م.

إلا أن ذلك التصور لايمكن قبوله لعدة اعتبارات [٢]:

أولاً : لم يرد فى أى مصدر تاريخى عربى ذكر لذلك التحالف المزعوم ، وبالنسبة لمصادر تاريخ دولة الفرنجة ؛ لانجد فى ما ألفه إينهارد Einhard تحت عنوان Vita Caroli Magni ، وكذلك الحوليات الملكية Royal Chronicles ما يدل على ذلك صراحة ، ومعنى ذلك؛ أن التصور المذكور لايستند إلى أساس مصدري صريح لدى أحد الطرفين ، والتاريخ بصفة عامة لايكتب إلا اعتماداً على النصوص الصريحة الواضحة التى لاتحتمل تأويلات يلعب الخيال فيها دوراً أساسيًا كما فى حالة تلك الواقعة .

١- Buckler , Haruml Rashid and Charles The Great, Massachusetts 1931 .

٢- من أهم الدراسات بالعربية عن الموضوع المذكور أنظر:

مجيد خدورى، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان، ط. بغداد ١٩٣٩م.

سليمان الرحيلى، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة فى عهدى الخليفة هارون الرشيد والامبراطور شارلمان ، ط. الرياض ب-ت ص٢٥- ص٦٤ .

وهى دراسة مهمة على الرغم من طابع الاختصار الذى يغلب عليها .

عبد الجبار الجومرد ، هارون الرشيد ، حقائق عن عهده وخلافته، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص٣١٢-ص٣١٦ .

عبد العزيز الدورى، العصر العباسى الأول، دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص١١٨-١١٩ .

عبد المنعم ماجد، العصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين التاريخ السياسى، ط. القاهرة ١٩٧٣م، ص٢٦٩ .

ثانيًا : السفارات التى تم تبادلها بين الجانبين كان هدفها دبلوماسيًا فى المقام الأول ، والمرجح أن الخليفة العباسى السالف الذكر ؛ أراد فتح أسواق جديدة للمنتجات العباسية الراقية فى قلب أوربا ، وكان المدخل الطبيعى لذلك يتمثل فى الدولة الكارولنجية .

ثالثًا : إن الهدف من وراء فكرة التحالف الموهوم أن يتم إظهار هارون الرشيد بمظهر الخليفة الذى يحركه إمبراطور أوروبى ، وهو أمر مغلوط لأن من أساسيات عمل الخليفة المسلم مجاهدة الكفار، وهو ما قام به ذلك الخليفة فعلاً تجاه بيزنطة .

رابعًا : لانغفل أن كلاً من شارلمان وهارون الرشيد أحيطا بروايات مغلوطة وهو أمر نجده لدى الأول من خلال أسطورة حج شارلمان ، والثانى ما نجده فى «ألف ليلة وليلة» التى عملت على تشويه سيرته وإظهاره بمظهر اللاهى العابث على الرغم من أنه كان مجاهداً ، وأول من حج من الخلفاء ماشيًا ، ويلاحظ أن نكبته للبرامكه جعلت الفرس يسيئون إليه على نحو اتضح فى ذلك العمل الأدبى السالف الذكر، وهكذا ؛ فإن المغالطة فى تاريخ هارون الرشيد أمر قديم حديث.

خلاصة القول؛ حارب هارون الرشيد بيزنطة كامتداد لسياسة الخلفاء الراشدين والأمويين من قبل فى مواجهة تلك الإمبراطورية.

على أية حال ؛ يبقى أن نذكر عن الإمبراطور نقفور أنه حارب البلغار غير أنهم تمكنوا من هزيمته، بل قتلوه عام ٨١١م، وعملت جمجمته كوعاء لاحتساء الخمر من جانب خان البلغار[١] الذى احتفل بانتصاره على البيزنطيين بتلك الصورة الشديدة القسوة ، مع ملاحظة ؛ أنه انتقام فردى لاجماعى، وهو يخالف ما ستقوم به بيزنطة فيما بعد ضد البلغار على نحو خاص فى عهد الأسرة المقدونية وهو ما سوف يتم التعرض له فى الصفحات التالية .

مهما يكن من أمر؛ كان الإمبراطور ليو الخامس الذى حكم من ٨١٣ إلى ٨٢٠م، آخر خلفاء الأيسوريين ، وفى العام الأخير؛ تكرر المشهد الرئيسى فى التاريخ البيزنطى؛ ونعنى به مؤامرة يقودها أحد كبار القادة العسكريين، أو ممن كانوا موضع ثقة الإمبراطور، وهكذا ؛ قام ميخائيل العمورى ، وهو من أولئك القادة - بمؤامرة أدت إلى القضاء على ليو الخامس [٢]؛

١- نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسى، ص٦٤ .

٢- عن تلك المؤامرة أنظر: Dieh History of the Byzantine Empire, p. 67 .

Leo V ؛ وبالتـالى الأسـرة الأيسـورية، وكـان نجاحـه فى ذلك له أثره فى إعـلان مـيلاد أسـرة حاكمة جديدة لتلك الإمبراطورية.

والواقع ؛ أن نظرة متـأنيـة لأباطرة الأسرة الأيسورية تكشف لنا عن أهمية دور الامبـراطور المؤسس ليـو الثـالث ومن بعده ابنه قـسطنطين الخامس ، أما الأبـاطرة الآخرين، فغـالبًا ما كان دورهم مـحدوداً وليس مـن اليـسيـر إعتـبارهم من أصحاب الإنجازات البـارزة فى مسـار تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

وعند مقـارنـة الأسرة الأيـسـورية بأسرة جـستنيـان ؛ نجـد بعض أوجـه للتـشـابه ، وأخرى للاختلاف؛ ويكفى أن نذكر الجانب القانونى لدى الأسرتين خاصة جستنيـان كما أن كلا منهما أثار جدلاً الأول بحـرب الاسترداد والثـانى بمقاومتـه لعبـادة الأيقونات ، ومع ذلك ؛ فـإن ليـو الثالث كان أكثر نجاحًا من الناحيـة العـسكرية - ذات الطابع الدفـاعى فى المقام الأول خاصة تجاه المسلمين فى حالة مقارنته بالأول .

من ناحيـة أخرى؛ من الصعب أن يكتب تاريخ الإمبـراطورية البـيزنطيـة فى عـهد كل من الأسرتين المذكورتين دون العلاقة المتـصارعـة مع الغرب الأوروبى وإن كان الاختـلاف الجوهرى بينهـما أن أسرة جـستنيـان قامت بحـرب استـرداد طويلة ومجـهدة حيال الغـرب ؛ لاستعـادته من أيدى الجرمان، أما الأسرة الأيسـورية فيلاحظ أن سياسـتهـا تجاه الغرب لم تكن ذات بعد حربى واضح المعالم ، بل تم تنحية ذلك التـوجه خاصة مع ظهور قـوة عسكرية ، وسياسية لهـا شـأنها فى صورة الدولة الكارولنجيـة خاصـة بعد عام ٨٠٠م ولاريب ؛ فى أن شارلمان وصف بالحنكة السياسية مقارنة بالأباطرة الأيسوريين حينذاك.

ذلك عرض عن الأسرة الأيسورية؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة العمورية.

= حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٥ ، نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى ، ص٢٠٣- ص٢٠٤ .

خامسًا : الأسرة العمورية (٨٢٠- ٨٦٧م) :

نتعرض فى الصفحات التالية لدور الأسرة العمورية فى التاريخ البيزنطى، كذلك يتم المقارنة بينها وبين الأسرات البيزنطية السابقة عليها .

جدير بالإشارة ؛ تولى حكم الأسرة العمورية ثلاثة من الأباطرة فى صورة ميخائيل الثانى Michael II (٨٢٠-٨٢٩م) وثيوفيلوس Theophilus (٨٢٩-٨٤٢م) وميخائيل الثالث السكير Michael III The Drunkard (٨٤٢-٨٦٧م) ويلاحظ عن تلك الأسرة على نحو خاص ؛ أن المؤسس حكم عشر سنوات فقط، ونعنى به ميخائيل الثانى، أما ميخائيل الثالث؛ فقد استمر حكمه ربع قرن من الزمان ؛ أى أكثر من نصف مدة حكم الأسرة المذكورة التى امتد حكمها على مدى ٤٧ عامًا وتعد من أقصر الأسرات البيزنطية الحاكمة وإن وجدت أسرة أخرى تالية حكمت مدة زمنية أقصر فى القرن ١٢م، وأوائل القرن ١٣م فى صورة أسرة أنجيلوس التى حكمت (١٩ عامًا) وهى التى سيتم تناولها فيما بعد .

أما فيما يتصل بالإمبراطور المؤسس ميخائيل الثانى[1] ٨٢٠- ٨٢٩م؛ فيمكن إبراز أهم أحداث عصره على النحو التالى:

١- ميخائيل الثانى العمورى : إمبراطور بيزنطى حكم خلال المرحلة بين عامى ٨٢٠- ٨٢٩م وقد ولد من أبوين من أسرة متواضعة فى فريجيا Phrugia ، وفيما بعد التحق بالجيش البيزنطى ورافق الإمبراطور ليو الخامس ، وقد ألقى القبض عليه بتهمة الخيانة وفيما بعد دبر مؤامرة للتخلص من ذلك الإمبراطور وبالفعل تم تتويجه بدلاً منه ، وقد مات ميخائيل الثانى العمورى فى أكتوبر عام ٨٢٩م وحكم من بعده ثيوفيلوس وهو ابنه من زوجته تيلا Thecla ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 87.

O.D.B., vol . 2, p. 1363 .

Browning, The Byzantine Empire , p. 64 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, op. 433-436 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 285-286 .

Ostrogrsky , History of the Byzantine State, p. 180-183 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 65, p. 67 .

أولاً : قمع حركات المعارضة الداخلية خاصة ثورة توماس الصقلبى.

ثانيًا : الصراع مع المسلمين بشأن جزيرتى كريت Crete ، وصقلية Sicily .

وفيما يتصل بالعنصر الأول؛ تعرضت الإمبراطورية البيزنطية فى عهده لثورة عارمة من جانب توماس الصقلبى ، وهو ثائر على الإمبراطور كان مؤيداً لعبادة الأيقونات ، وقد عارض سياسة الإمبراطورية فى مجال الضرائب التى أثقلت كاهل السكان فى آسيا الصغرى، ولانغفل؛ أن الإمبراطورية قامت بنقل أعداد كبيرة من الصقالبة إلى آسيا كنوع من التحريك الديموغرافى خدمة لمصالحها الأمنية العليا حتى يسهل عليها إخضاعهم فيما بعد وهو أمر اتبعته بيزنطة لاسيما خلال الثورات العنيفة من جانب أمم وأعراق مختلفة.

تمثلت أهمية تلك الثورة من خلال كثرة المؤيدين لها. وكذلك من خلال أن الخليفة العباسى المأمون (٨١٣-٨٣٣م) ؛ قام بتقديم المساعدات العسكرية لتوماس الصقلبى ليدعمه ضد الإمبراطور البيزنطى [١]، كنوع من الضغط العسكرى والسياسى على الأخير، بل إن قسمًا من الأسطول البيزنطى ذاته إنضم إلى جانبه ؛ مما عكس اتساع حركته وقدرتها على اكتساب مؤيدين تقليديين ضد الجالس على العرش البيزنطى سواء فى داخل بيزنطة أو فى خارجها، بل وصل الأمر به أن تم تتويج توماس الصقلى إمبراطوراً من جانب بطريق أنطاكية وتمكن من محاصرة القسطنطينية براً، وبحراً فى عام ٨٢١م، ولكن مجهوداته فى ذلك المجال لم تكلل بالنجاح ، وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها فى الآتى :

١- عن حركة توماس الصقلبى أنظر:

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 274-275 .

Ostrogrsky , History of the Byzantine State, p. 181-182 .

Nicol, A Biogtpaphical dictionary , p. 87 .

محمد عثمان عبد الجليل ، ثورة توماس الصقلبى فى الإمبراطورية البيزنطية (٨٢١- ٨٢٣م / ٢٠٥-٢٠٧هـ) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٢م .

فازيليف ، العرب والروم، ص٢٨- ص٥١ ، حيث يقدم عرضًا ممتازاً . نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى، ص٢٣١- ص٢٣٤ ، حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٤٠- ص١٤٢ ؛ نادية حسنى صقر ، السلم فى العلاقات العباسية البيزنطية فى العصر العباسى الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله. ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م، ص٨٣- ص٨٤ ، الدراسة المذكورة لم أجد فيها تحليلاً بالمعن الأكاديمى للكلمة ! ويغلب عليها المنهج السردى الوصفى .

أولاً : إستماتة الإمبراطور ميخائيل الثانى العمورى؛ فى الدفاع عن العاصمة البيزنطية ضد تلك الثورة العنيفة ، وأيده فى ذلك ابنه ثيوفيلوس، ولاريب ؛ فى أن قطاعات واسعة من الشعب البيزنطى وقفت مؤيدة لها ضد ذلك الثائر ، وقد استمر الحصار عدة شهور دون جدوى لعبت فيه - مرة أخرى- حصانة العاصمة الدور الفعال .

ثانيًا : جلب تحالف توماس الصقلبى مع المأمون العباسى تأثيراً سلبيًا عليه ؛ إذ انصرف عنه الكثيرون نظراً لتعاونه مع المسلمين الذين مثلوا العدو التقليدى لبيزنطه .

تجدر الإشارة ؛ تمكن الامبراطور ميخائيل الثانى العمورى من القضاء على حركة توماس الصقلبى عام ٨٢٣م وذلك بعد أن أجهدت الإمبراطورية البيزنطية، وبالتالى تمكن من توطيد أركان حكمه بعد أن أفشل التحالف العباسى مع ذلك المتمرد .

أما فيما يتصل بالمواجهة مع المسلمين فى شأن جزيرتى كريت وصقلية ؛ نلاحظ أن الصراع بين الجانبين انتقل من جبهة الحدود البرية بينهما فى آسيا الصغرى ليشمل جزر البحر المتوسط، ويلاحظ أن المسلمين أرادوا إلى جانب زاوية الجهاد وضع أيديهم على مثل تلك الجزر التى تمر بها خطوط التجارة العالمية بين الشرق والغرب عبر البحر المتوسط كذلك أرادوا جعلها نقطة إنطلاق إلى مناطق أبعد من أملاك الدولة البيزنطية فى الأدرياتيك والبلقان .

وفيما يتصل بجزيرة كريت؛ يلاحظ أن ثورة نشبت فى قرطبه بالأندلس ضد الأمير الأموى الحكم الأول الذى عرف فيما بعد بالحكم الربضى[1](٧٩٦- ٨٣٢م) وعندما أخفقت؛ عاقب الثوار بأن أمر بطردهم من الأندلس ، فاتجهوا صوب مصر وتحديداً الاسكندرية، واستولوا عليها، واستغلوا فى ذلك الحرب الأهلية التى جرت بين الأمين والمأمون ابنى هارون الرشيد فى بغداد وعندما توطدت الأمور للمأمون؛ عمل على التخلص منهم بأن طلب منهم مغادرة المدينة

١- عن ذلك أنظر:

مجهول ، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، ص١١٨- ص١١٩ ، محمد أبو الفضل ، «قضاة ثوار فى الأندلس» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٣) . عام ١٩٨٥م، ص٢٦٧- ص٢٦٨ .

محمد خالد المومنى ، الفقهاء وثورة أهل الربض فى الأندلس (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦- ٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٥م.

وبالفعل اتجهوا صوب جزيرة كريت وتمكنوا من إخضاعها عام ٨٢٧م بقيادة أبى حفص عمر بن عيسى البلوطى [١]، وبذلك أمكن إخضاع جزيرة أخرى من جزر البحر المتوسط للسيادة الإسلامية وحرمت بيزنطة من نقطة ارتكاز عسكرى دفاعية وهجومية بالإضافة إلى أهميتها فى طرق التجارة كما أسلفت القول، واستمر الوجود الإسلامى فيها إلى أن تمكنت بيزنطة من استردادها خلال القرن العاشر الميلادى خلال عهد الأسرة المقدونية أما صقلية Sicily؛ ذات الموقع الاستراتيجى المتميز فى جنوبى شبه الجزيرة الإيطالية وفى مقابل تونس، فقد حدث فيها صراع بين اثنين من القادة البيزنطيين فى صورة قائد الأسطول البيزنطى ، ويدعى يوفيميوس Euphemius ، وقسطنطين Constantine[٢] الذى كان واليا من جانب الامبراطور على صقلية . وعلى إثر ذلك ؛ طلب الأول مساعدة المسلمين فى صورة دولة الأغالبة[٣] التى

١- عن ذلك انظر :

أسمت غنيم ، الدولة البيزنطية وكريت الإسلامية، ص٣١-٩٢ ، ابراهيم العدوى، «اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى» المجلة التاريخية المصرية ، م (٣) العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م، ص٥٣- ص٦٨ . فازيليف ، العرب والروم، ص٥٨- ص٦١ .

Brooks, " The Arab occupation of Crete ", A.H.R., vol . XXVIII, 1913, pp. 431-443 .

محمد الهمشرى والسيد أبو الفتوح وعلى اسماعيل موسى، انتشار الإسلام فى أوربا ، ط. الرياض ١٩٩٧م، ص١٨٨ .

٢- ولى الإمبراطور ميخائيل الثانى على صقلية رجلاً يدعى قسطنطين وقد دب نزاع بينه وبين قائد الأسطول البيزنطى أيوفيميوس Euphemius وكان قد سبق له الإغارة على شمالى أفريقيا عدة مرات ، وذكر البعض أن أيوفيميوس أحب راهبة اسمها هومونيزا Homoniza وتزوجها كرهًا عنها فعاقبه الامبراطور عن ذلك بأن طلب من واليه جدع أنفه ؛ فتمرد عليه وقام باحتلال سرقسطة ، وتمكن من هزيمة قسطنطين وأسره ثم أعدمه عن ذلك أنظر: محمود اسماعيل ، الأغالبة ١٨٤- ٢٩٦هـ سياستهم الخارجية ، ط . القاهرة ٢٠٠٠م، عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ت أمين توفيق الطيبى ، ص١٤٨- ص١٤٩ ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص١٣ ، تركى مسيمير العتيبى، الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى صقلية الإسلامية، ط. الرياض ١٩٨٧م، ص١٢ ، ميكيلى أمارى ، تاريخ مسلمى صقلية ت. محب سعد ابراهيم، م ١ ، ط. فلورنسا ٢٠٠٣م، ص٣٠٩ ، وأورد الإشادة بالجهد البارز الذى بذله المترجم المصرى البارز فى مجال اللغة الإيطالية أ.د. محب سعد ابراهيم بكلية الألسن جامعة عين شمس .

٣- عن دولة الأغالبة أنظر:=

أقامها الخليفة هارون الرشيد كى تكون بمثابة دولة حاجزة Buffer State بين الأملاك العباسية فى بلاد المغرب ودول الخوارج الصفرية والإباضية هناك.

الأمر المؤكد أن هناك عدة دوافع دفعت بالمسلمين للتدخل فى ذلك الصراع البيزنطى، إذ أن الموقع السالف الذكر لتلك الجزيرة من شأنه تدعيم أقدامهم فى القارة الأوربية من طرفها الجنوبى، بعد أن تمكنوا من دخولها من غربيها فى صورة شبه الجزيرة الأيبيرية من قبل وعجزوا عن دخولها من بوابتها الشرقية فى صورة القسطنطينية كذلك لانغفل رغبة المسلمين الصادقة فى الجهاد وإبلاغ رسالة الإسلام إلي تلك المنطقة ، ولانغفل أنهم أدركوا كذلك أن إخضاع صقلية من شأنه تأمين وجودهم فى المغرب الأدنى على الأقل، وكذلك اتخاذها قاعدة إنطلاق لما هو أبعد من مناطق السيادة البيزنطية وفرض سيطرة المسلمين عليها خاصة فى مجال الأدرياتيكى.

مهما يكن من أمر؛ قامت حملة بقيادة أسد بن الفرات واستطاع المسلمون فى نهاية المطاف إخضاع صقلية عام ٨٣١م [١] محققين بذلك إنتصاراً بارزاً علي الدولة البيزنطية ، ومن المهم هنا إدراك، أن الصراع بينهم وبين تلك الأخيرة على جزر البحر المتوسط مثل قبرص ورودس وكريت ومالطة وصقلية لاينفصل البته عن الصراع فى بلاد الشام ومصر من قبل فى عهد الأسرة الهرقلية لأن تلك الجزر بدون إخضاعها لسيادتهم لظلت مراكز هجوم بيزنطى ضد المناطق التى سيطروا عليها فى السواحل الشرقية والجنوبية من البحر المتوسط .

= ابن وردان، تاريخ الأغالبة ، تحقيق محمد زينهم ، ط . القاهرة ١٩٨٨م. محمد الطالبى، الدولة الأغلبية ٢٩٦- ١٨٤ / ٩٥٩- ٨٠٠ التاريخ السياسى ، ت. المنجى الصيادى، ط. بيروت ١٩٨٥م.

وتعد الدراسة المذكورة أوفى وأشمل دراسة بالعربية عن الدولة الأغلبية اعتمدت على المصادر والمراجع المتعددة ووقعت فى (٨٥٥) صفحة من القطع المتوسط، وجدير بالذكر أن قائمة المصادر والمراجع امتدت لتشمل الصفحات من ص٧٦٥- إلى ص٧٨٧ وامتازت بالتحليل والنقاش، ناهيك عن سلاسة العرض، واعتمد فى تأليفها المؤرخ التونسى البارز على مؤلفات بالعربية والانجليزية والفرنسية؛ والألمانية ، وفى النهاية فإن الكتاب المذكور ، بلا أدنى شك . يعد مفخرة لجهود المؤرخين التونسيين المحدثين .

١- عن ذلك انظر: ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب تحقيق كولان وليڤى بروڤنسال، ط . بيروت ١٩٤٨م ، ص١٠٢- ص١٠٦ إحسان عباس، العرب فى صقلية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٣٢- ص٣٩ ، فازيليف ، العرب والروم، ص٦٢- ص٨٤ .

تجدر الإشارة ؛ أن المسلمين ظلوا فى جزيرة صقلية إلى أن قدم إليهم النورمان وتمكنوا من إخضاعها عام ١٠٩١م وقد تمكنوا بالفعل من هزيمة المسلمين عسكريًا وسياسيًا إلا أن التأثير الذى تركه المسلمون فى تلك الجزيرة يكشف على نحو وضاح أنهم تفوقوا عليهم حضاريًا ، وهو أمر اعترف به المنصفون من المستشرقين الإيطاليين[1] مثل أمارى Amari ، وجابريللى Gabrieli، وغيرهما .

ومن الأهمية هنا الاقرار بحقيقة أولية ، وهى أن صقلية وجنوبى إيطاليا، ومن قبل الأندلس، ومن بعد بلاد الشام عصر الحروب الصليبية غدت بمثابة المعابر الثلاثة للحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى إلى أوربا، وهى حضارة توصف بأنها عالمية المنبع عالمية المصب تتلمذت على أيدى أعلامها أوروبا .

وهكذا شهد عصر ميخائيل الثانى العمورى تمكنه من القضاء على حركة توماس الصقلبى، وكذلك افتقاد الامبراطورية لكل من جزيرتى كريت وصقلية؛ وبالتالى صارت هناك عدة جزر تحت سيادتهم السياسية وهى قبرص، وأرواد ، ورودس ، وكريت ، وصقلية ، مع ملاحظة أن الجزيرة الأخيرة احتلت أهمية استراتيجية خاصة نظراً لموقعها الجغرافى المتميز مقارنة بالجزر الأربعة الأولى، مع ملاحظة أن القضية ليس موقع جغرافى متميز بل استغلاله من جانب المسلمين لتحقيق مكاسب عسكرية وسياسية. من بعد ذلك ؛ تولى العرش البيزنطى الإمبراطور ثيوفيلوس Theophilos (٨٢٩- ٨٤٢م) وخلال عهده ثار ضده ثائر يدعى بابك الخرمى، ووجدت الامبراطورية البيزنطية ممثلة فى ثيوفيلوس الفرصة سانحة للتدخل لدعمه رداً على سياسة الخليفة المأمون عندما وقف إلى جانب توماس الصقلبى ، كما ذكرت من

١- عن الاستشراق الإيطالى بصفة عامة أنظر:

نجيب العقيقى، المستشرقون ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ج١، ص٤٠٥- ص٤٦٧ . كارولين جولر . مستشرقو المدرسة الإيطالية . ت رانيا قرداحى ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص٢٥- ص١٧١ .

يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاستشراق فى أوربا حتى بداية القرن العشرين ت- عمر لطفى العالم. ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص٤٥- ص٨٩ .

ميشيل جحا، الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص٨٣- ص١٠٧ أنور الزناتى. زيارة جديدة للاستشراق. ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢٦٤- ص٢٦٥ .

قبل ، وقد سمح ذلك الامبراطور بإيواء نحو ١٥,٠٠٠ من اتباع بابك في داخل مناطق الامبراطورية واسنكهم في مناطق الحدود مع المسلمين ، مما عكس أن تغيرات ديموغرافية حدثت حينذاك من جراء الصراع العباسي - البيزنطي.

من ناحية أخرى؛ عمل ثيوفيلوس على استغلال الموقف لصالحه فبادر بمهاجمة بعض المدن الحدودية مثل زبطرة Zapetra التي استولى عليها عام ٨٣٧م، ومن المتصور أنه كان يريد اختبار قوة المعتصم ورد فعله خاصة أن دخول البيزنطيين لزبطرة صاحبته عمليات وحشية مثل تسميل العيون، وجدع الأنوف والسبي وغيرها .

لم يكن من الممكن للمعتصم أن يقف مكتوف اليدين أمام ما حدث . وقد بادر بإرسال قائده البارع الأفشين إلى البيزنطيين وبالفعل تمكن من إلحاق الهزيمة بهم في معركة دازيمون Dazimon في ٢٢ يوليو ٨٣٨م وتمكن على أثره من دخول أنقره Ankara ، ومن بعد ذلك بادر بالهجوم على عمورية Amorium التي منها قدمت الأسرة البيزنطية الحاكمة ، وتمكن من الاستيلاء عليها، وبالتالي وجه لطمة قوية لهيبة الامبراطورية ، ومع ذلك ؛ فالأمر المؤكد أن

١- ثيوفيلوس العموري، هو الامبراطور الثاني من أفراد الأسرة العمورية ، وقد أظهر ميلاً نحو العلم وقد تلقى تعليمه على يدى العالم يوحنا السابع الجراماتيكي، وبصفة عامة ؛ يوصف بأنه من أولئك الذين عملوا على إحداث نهضة علمية في الإمبراطورية البيزنطية، وقد توفى عام ٨٤٢م، عنه أنظر:

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 128-129 .

محمد محمد مرسي الشيخ ، سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس تجاه الخلافة العباسية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض ، العدد (١٣) ، عام ١٩٧٩م.

٢- عن حركة بابك الخرمي أنظر:

مغلطاي، مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق آسيا كليبان على البارح ، ط . القاهرة ٢٠٠١م، ص١١٩، عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الأول، ص٣٩٩-٤٠٦ ، محمد السيد الوكيل، العصر الذهبي للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة، ط. دمشق ١٩٩٨م، ص٤٢٩- ص٤٣٢ .

٣- محمد محمد مرسي الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٦٦ .

٤- نفسه، ص١٧٧ .

٥- عن فتح عمورية أنظر: =

ذلك الخليفة العباسى لم يكن يضع القلب البيزنطى فى تصوراته الحربية ؛ إذ أراد فقط القيام بعمل عسكرى ضد بيزنطة لإشعار إمبراطورها بأن العباسيين ما وهنوا وأن فى مقدورهم الضغط الحربى والسياسى على أباطرة القسطنطينية ، والمنطق التاريخى يدعونا إلى التصور أن محنة الأمويين السابقة عام ٧١٧-٧١٨م كانت لاتزال ماثلة لدى العباسيين ، ولم يكن فى الإمكان تكرار الأمر جريًا وراء شعارات جوفاء لاطائل من ورائها ؛ مما يجعلنا نصف ذلك الخليفة بالحكمة فى مواجهاته لبيزنطة .

أما آخر أباطرة الأسرة العمورية فهو ميخائيل الثالث الملقب بالسكير[1] الذى حكم من عام ٨٤ إلى ٨٦٧م ، وقد تولت الوصاية عليه أمه ثيودورا وأهم أحداث عصره حدوث تبادل

محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٥٩- ص١٦٧ ، أبوتمام، ديوان أبوتمام ، ط. بيروت ب-ت ، ص١٥ ، فازيليف ، العرب والروم، ص١٣٠- ص١٥٣ .

ومما يذكر فى هذا الصدد ؛ أن الشاعر البارز أبوتمام نظم قصيدة من عيون الشعر العربى مجد فيها ذلك الفتح وقال فيها :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى ... متونهن جلاء الشك والريب

والعلم فى شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا فى السبعة الشهب

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنى حفلاً معسولة الحلب

أبوتمام ، ديوان أبو تمام ، ط. بيروت ب-ت ، ص١٥ .

١- ميخائيل الثالث السكير ؛ مات والده فى يناير عام ٨٤٢م ، وكان فى الثانية من عمره فقامت أمه ثيودورا بأمر الوصاية عليه وعاونها مجلس على رأسه عشيقها الوزير ثيوكتيستوس Theoktistos ولم يستطع ميخائيل حتى عام ٨٨٦م تأكيد سلطته الإمبراطورية ويزاولها حتى تمكن من التخلص من ثيوكيستوس وجعل بدلاً منه برداس ، ويعد العام المذكور بمثابة البداية الفعلية لعهد ميخائيل الثالث. ويقرر دونالد نيكول أن وصفه بالسكير ليس موضوعيًا ، وربما مارس سلوك الشباب العابث اللاهى غير أنه فى عهده بدأت طلائع النهضة التى شهدتها الأسرة المقدونية ، وقد توفى فى سبتمبر عام ٨٦٧م ، عنه أنظر :

Nicol, A Biographical dictionary , p. 87-88 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society . pp. 450-455 .

O.D.B., vol . II , p. 1364 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 272 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 187 , pp. 197-206 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 70 - 71 .

للأسرى مع المسلمين عام ٨٤٥م[١] ؛ مما عكس إدراك الطرفين لأهمية الدبلوماسية من أجل تقليل حدة الصراع الحربى والسياسى بين القسطنطينية وسامراء مؤقتًا .

يبقى أن نشير إلى حادثة محورية فى تاريخ الأسرة العمورية ، وفى تاريخ العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى صورة- النزاع بين أسقف القسطنطينية فوشيوس[٢] Photius (٨٥٨- ٩٦٧م) أسقف وكنيسة روما على بعض الجوانب العقائدية ، وكذلك التنافس التقليدى بين الكنيستين، وقد عقد فوشيوس ، مجلسًا كنسيًا عام ٨٦٧م ، أعلن فيه اختلافه عن كنيسة روما[٣] ولذلك لم يجد إلا اللعنات من المصادر التاريخية اللاتينية المعاصرة.

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٣١ .

٢- انتمى فوشيوس إلى إحدى الأسرات البيزنطية الأرستقراطية، وقد نال نصيبًا وافرًا من مختلف العلوم والمعارف إلى حد أن وصف بأنه كان أشبه بدائرة معارف، وقد عين عام ٨٥٨م بطريركًا خلفًا لأغناطيوس وفيما بعد ترتب على تغير الأباطرة عام ٨٦٧م؛ أن تم خلع فوشيوس . ولكن أعاده باسل الأول إلى منصبه ، ثم عقد مجمعًا فى العاصمة البيزنطية، عام ٨٧٦م وصدر قرار بنفيه عام ٨٩٣م ، ومن المعروف أن فوشيوس كتب مقالاً بعنوان De Spiritu Mystagogia ، هاجم فيه ما أسماه بانحراف قانون الإيمان عند اللاتين بسبب إضافة كلمته Filioque «الروح القدس المنبثق من الابن أيضًا » كما يعتقد فريق من المسيحيين وقد اعتقد أن تلك الإضافة تعد إنحرافًا عما اتفق عليه آباء الكنيسة الأوائل ، ويلاحظ أن الكنيسة الأرثوذكسية تعده قديسًا. عنه وعن مؤلفاته أنظر:

Photius , The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople , Trans. by Cyril Mango , D.O.S., 3 Cambridge 1958 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 106-107 .

وعنه أنظر دراسة هرجنروتر الموسعة:

Hergenrother, Photius Patriarch von Konstantinopel , Seine Leben , Seine Schriften und das griechische Schisma , 3 vols , Regensburg 1867 - 1869 .

وإسحق عبيد ، روما وبيزنطة ، ص١١ .

أسد رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكيا العظمى ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ج٢، ص١٢٨- ص١٦٠ .

٣- وعن قطيعة فوشيوس بصفة عامة أنظر:

Dvornik , The Photian Schism, History and Legend Cambridge 1948 .

عبد الرحمن عبد الغنى، «فوشيوس والقطيعة بين كنيستى روما والقسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى»، عالم الفكر، العدد (٣) أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٦م، ص٢٠٥- ص٢٣٤ .

لانغفل هنا؛ الإشارة إلى أن العلاقات بين كنيستى القسطنطينية وروما مرت بقطيعتين الأولى قطيعة فوشيوس السالفة الذكر، ثم الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م ، وعلى أرضية القطيعتين المذكورتين؛ حدثت كارثة عام ١٢٠٤م ويلاحظ أن كافة محاولات التوفيق بين الكنيستين ذهبت أدراج الرياح وتحمل الطرفان المسئولية فى ذلك المجال، مع عدم إغفال سطوة وسيطرة كنيسة روما التى لم تكن لتقبل إلا خضوع الكنيسة الأرثوذكسية لهيمنتها على اعتبار أن القديس بطرس St. Peter[١] رأس الحواريين هو الذى أسسها.

وهناك حدث مهم كان له أثره على مسار التاريخ البيزنطى فيما بعد فى صورة مهاجمة الروس للقسطنطينية وسلبها ، ونهبها ، وذلك فى عام ٨٦٠م ، وقد اغتنموا فرصة وجود الإمبراطور ميخائيل الثالث خارج العاصمة وقاموا بمهاجمتها ، وأدى ذلك إلى الفتك بالكثيرين من البيزنطيين[٢].

١- القديس بطرس St. Peter ؛ رأس الحواريين، كان فى الأصل صياداً للسمك فى بحيرة طبرية التى عرفت ببحر الجليل ، ويعد أخا للقديس أندرو St. Antrew ، وفى الأصل دعى سمعان بن يونه، غير أن السيد المسيح عليه السلام أطلق عليه اللقب الأرامى Kapha الذى يعنى Petrus أو الصخرة Rock وهو ما عرف به. ويعطى العهد الجديد للقديس بطرس مكانة بارزة من بين الحواريين ، ويتضح ذلك بجلاء، من خلال مطالعة نصوص إنجيل متى، إذ أن السيد المسيح عليه السلام يقول مخاطبًا بطرس : «أنا أقول لك أيضًا أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا فى السموات »، وقد تمت الاستفادة من تلك العبارات إلى حد كبير من أجل دعم مكانة كنيسة روما، وتفوقها على غيرها من الكنائس ، عن ذلك انظر:

متى ، الإصحاح (١٦) ، من ١٨-٢٠ .

إسحق عبيد، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص١٧٢- ص١٧٣ ، شارل جنبيير، المسيحية نشأتها وتطورها، ت. عبد الحليم محمود، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص١٦٧ ، بول بوبار، الفاتيكان عاصمته الكثلكة فى العالم، ت. انطوان الهاشم، ج١ . بيروت ١٩٩٦م، ص١٤ .

Attwater . The Penguin dictionary of Saints, p. 273-274 .

٢- عن ذلك أنظر: Photius . The Homilis,Trans . by Cyril Mango, Harvard 1958 , pp. 82-95 .

Jenkins, The Supposed Russian attack on Constantinople in 907 ", S., 1949 , pp. 403-409 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p . 202-203 .

Vasiliev . History of the Byzantine Empire, p. 277- 278 .

جدير بالإشارة ؛ أن الإمبراطورية البيزنطية بصفة عام عندما كانت لاتتمكن من مواجهة عدو أوربى قريب من حدودها الجغرافية على الصعيد العسكرى؛ عندئذ كان عليها التفكير فى وسيلة أكثر نجاحًا واستمرارية وتتأكد على مدى القرون فى صورة التنصير ، وبالتالى يتم تحويل الأعداء المجاورين إلى حلفاء يربطهم معًا رباط الدين وبالتالى المصالح المشتركة على كافة المستويات مع عدم إغفال أهمية الجانب الدينى فى عالم العصور الوسطى؛ حيث تعاظم شأن الظاهرة الدينية .

وهكذا ؛ اتجهت بيزنطة إلى السعى إلى تنصير العناصر السلافية فى مورافيا ، ويتطلب الأمر تسليط الأضواء على دولتهم لإدراك حجم الإنجاز البيزنطى هناك .

جدير بالإشارة ؛ شهد القرن التاسع الميلادى نشوء دولة للسلاف الغربيين التى اشتملت على تشيكيا ، وسلوفاكيا ، ومورافيا[١]، وكذلك بعض المناطق السلافية المجاورة ، وأطلق على تلك الدولة اسم «الدولة الموارفية العظمى» ، وقد شهدت ازدهاراً خلال عهد أميرها روستيسلاف Rastislav (٨٤٦-٨٧٠م) ومما يذكر عنه تصارعه مع الألمان؛ من أجل الحفاظ على استقلالية دولته[٢]، ويلاحظ أن السلاف الغربيين اتصفوا بالوثنية ووجد الملوك الألمان الفرصة سانحة من أجل تنصيرهم ويصبحوا بالتالى تابعين للكنيسة الألمانية الكاثوليكية التابعة بدورها لكنيسة روما [٣].

= طارق منصور، الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥- ١٠٥٤ م ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣ ، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٣٢ .

١- مورافيا Moravia، وتسمى أيضًا Great Megale ، وهى دولة ظهرت فى بانونيا فى وقت مبكر من القرن التاسع م. ووصلت إلى ذروة توسعها ونفوذها فى عهد الأمير راستيسلاف Rastislav وسجاتوبلوك Svjatopluk ، وقد اكتشفت علماء الآثار بقايا كنائس تعود إلى القرن التاسع الميلادى وبعضها ذات طراز معمارى بيزنطى، وقد كان الموارفيون وثنيين إلى أن اعتنقوا المسيحية فيما بعد فى القرن التاسع م.

عنها أنظر: Constantine Porphyrogenitus, De Administando Imperio, p. 181 .

O.D.B., vol II, p. 1409 .

٢- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى، ص٢٢٥ .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 203 .

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص٢٢٥ .

مهما يكن من أمر ؛ هناك من يقرر ؛ أن روستيسلاف سعى إلى مواجهة المخططات الألمانية بالاتجاه إلى تأسيس كنيسة سلافيه مورافية تتمتع بالاستقلال عن الكنيسة الألمانية الكاثوليكية[١]، واتجه بصره صوب الإمبراطورية البيزنطية ، وطالبها بأن ترسل إلى بلاده منصرين يعرفون اللغة السلافية ، وقد هدف من وراء ذلك أن يجد فى المستقبل الدعم البيزنطى فى مواجهة الألمان وكذلك البلغار الذين ناصبوه العداء بالإضافة إلى دعم العلاقات التجارية بين حكام مورافيا، والقسطنطينية. ولذلك بادر بإرسال سفارة دبلوماسية إلى العاصمة البيزنطية عام ٨٦٣م [٢]، ومن بعدها؛ بادرت الامبراطورية بإرسال بعثة تنصيرية يرأسها قسطنطين الحكيم Constantine The Philosopher الذى لقب فيما بعد كيريلوس وكذلك ميثوذيوس[٣]، وتم ترجمة الانجيل من اليونانية إلى السلافية فى خطوة كشفت عن حرص بيزنطة على توسيع نطاق الارثوذكسية وأن الأمر لم يكن يتم بصورة عشوائية ، بل من خلال تخطيط علمى دقيق ، كما تمت ترجمة بعض الكتب والصلوات الدينية إلى السلافية [٥].

وفى تقديرى؛ أن إتجاه السلاف الغربيين صوب بيزنطة قد لقى قبولاً من الامبراطورية البيزنطية التى احتاجت إلى حليف قوى جدير يرتبط بها برباط وثيق ، ويمكنها من أن تجد دعمًا فى المستقبل عندما تتعرض لخطر من جانب الروس وغيرهم من القوى المناوئة لها سياسيًا ، ومن الممكن القول ؛ أن عهد الأسرة العمورية شهد تنصير السلاف الغربيين، ومن بعد ذلك ؛ فى عهد الأسرة المقدونية سيتم تنصير الروس على نحو مثل نجاحات متعددة للإمبراطورية

١- نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى، ص٢٢٥ .

٢- نفسه ، ص٢٢٦ .

أنظر أيضًا: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٣٢ .

٣- عن ذلك أنظر:

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 202-203 .

Diehl, History of Byzantine Empire, p. 69 .

وسام عبد العزيز فرج ، السلاف Slavs فى شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها ، ص١٧٦ .

٤- نعيم فرح، المرجع السابق، ص٢٢٦ .

٥- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص١٧٧ .

البيزنطية ، ومثّل الأمر؛ ضربات متلاحقة فى مواجهة كنيسة روما الكاثوليكية التى كانت تنظر نظرة عداء لأية توسعات أرثوذكسية على حساب سيادتها الكاثوليكية .

مهما يكن من أمر؛ إذ نحينا جانبًا كافة الأحداث السالف الذكر؛ نجد أن الخيانة كانت لها القدح المعلى فى تحديد مصير الأسرة العمورية ؛ إذ قام قائد عسكرى يدعى بازل بقتل الامبراطور ميخائيل الثالث عام ٨٦٧م ليؤسس أسرة جديدة هى التى عرفت فى التاريخ باسم الأسرة المقدونية ، وذلك يدل على أن تاريخ تلك الأسرة بدأ بالخيانة وانتهى بها «وتلك مفارقة تحتاج إلى التأمل .

ذلك أمر الأسرة العمورية ، تاريخ قصير شهد الصراع العنيف مع توماس الصقلبى ، وافتقاد الامبراطورية جزيرتى كريت ، وصقلية، والهجوم الروسى الدموى على القسطنطينية التى لم يتمكن المسلمون من اقتحامها من قبل عام ٧١٧م ، ولكن تم اختراقه بعد ذلك من جانب الروس بقرن ونصف ، كما حدث عام ٨٦٧ والسياسة التنصيرية تجاه السلاف الغربيين ، ثم النهاية التقليدية الغالبة لعدد وافر من الأسرات البيزنطية من خلال الخيانة أو الغدر دون تحامل على التاريخ البيزنطى الذى يعد متحفًا حيًا لكافة الطبائع والغرائز البشرية بإيجابياتها وسلبياتها مثل أية حقبة تاريخية أخرى.

والواقع ؛ أن الأسرة العمورية تقع فى موقع متوسط فيما بين أسرتين حاكمتين كبيرتين فى صورة الأسرة الأيسورية من ناحية والأسرة المقدونية الأيسورية من ناحية أخرى .

وإذا حاولنا المقارنة بين الأسرة العمورية والهرقلية يتضح لنا من خلالها ؛ أن الامبراطورية فى عهد الأسرة الأولى فقدت أقاليم مهمة كانت تابعة لها فى صورة بلاد الشام ومصر مع ملاحظة أن الإقليم الأول كان يعنى لها- إلى جانب أهمية الاقتصادية- أهمية خاصة دينية من خلال وجود الأماكن المقدسة المسيحية فيه وارتباط الحج بها، أما فى عهد الأسرة العمورية؛ فالملاحظ أن الإمبراطورية فقدت مناطق ليست لها الصفة الدينية فى صورة جزيرتى كريت، وصقلية، وإن امتلكت أهمية استراتيجية عسكرية ووقعت على خطوط التجارة فى عالم البحر المتوسط.

ولانغفل أنها ستتمكن فيما بعد من إستعادة الجزيرتين المذكورتين خلال حكم الأسرة المقدونية أما الاقليمية المذكورتين فقد ظلا تحت السيادة الاسلامية ولم تتمكن الإمبراطورية البته من إعادة عقارب الساعة إلى الوراء باستعادتهما.

أما إذا ما قارنا بين الأسرتين العمورية والأيسورية ؛ نجد أن الأولى تولى الحكم فيها ثلاثة أباطرة، أما الثانية فقد احتوت على خمسة أباطرة وإذا أضفنا خلفاءهم صاروا تسعة ومع ذلك؛ لانجد من بين الأباطرة العموريين من يصل إلى دور الامبراطور ليو الثالث الأيسورى عسكريًا وقانونيًا وذلك من وجهة النظر البيزنطية بطبيعة الحال، كذلك نلاحظ أن قوة المسلمين فى بداية عهد الأيسوريين جعلتهم يتهددون القلب البيزنطى، أما فى عهد العموريين فقد صاروا يتهددون الأطراف الجزرية فقط نظراً لتغير الظروف السياسية والاستراتيجية لدى كل من الخلافتين الأموية والعباسية .

من جهة أخرى ؛ لم يحدث فى عهد الأسرة الأيسورية حركة مضادة ومعارضة فى حجم حركة توماس الصقلبى خاصة أنها دعمت من جانب الخلافة الاسلامية ، مع ملاحظة أن المعارضة تمثلت فى عناصر مؤيدى عبادة الأيقونات أى فى صورة غير عسكرية كما فى حالة المتمرد المذكور.

ولانغفل كذلك؛ أن الأسرة العمورية لم تجد فيها اهتمامًا بالجانب القانونى؛ وهو أمر لاحظناه بجلاء فى عهد ليو الثالث الأيسورى .

من زاوية أخرى؛ هناك عناصر إتفاق بين الأسرتين المذكورتين، إذ إن كلاً منها واجه عدواً بارزاً فى صورة المسلمين مع اختلاف درجة فعالياته ، كذلك نلاحظ أن العداء مع الغرب الأوروبى سار خطوات واسعة فى عهديهما من خلال النزاع على عبادة الأيقونات ، ثم قطيعة فوشيوس ، ويلاحظ أن الهوة أخذت فى الاتساع التدريجى بين الجانبين منذ ذلك الحين.

بصفة عامة؛ تعد الأسرة العمورية بمثابة الجسر بين أسرتين بارزتين فى العصر البيزنطى الأوسط فى صورة الأسرة الأيسورية ومن بعدها المقدونية .

ذلك عرض عن الأسرة العمورية ؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة المقدونية .

سادسًا : الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)

تتناول الصفحات التاليه بالعرض ؛ عهد الأسرة المقدونية التى حكمت الإمبراطورية البيزنطية على مدى مرحلة زمنية طويلة امتدت من النصف الثانى من القرن التاسع إلى ما زاد على منتصف القرن الحادى عشر الميلاديين؛ أى ما فاق قرنين من الزمان .

لقد حكم فى تلك الأسرة عدد كبير من الأباطرة فى صورة : باسل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليو السادس (الحكيم) Leo VI the philosopher (٨٨٦- ٩١٢م) الكسندر Alexander (٩١٢-٩١٣م) ، قسطنطين السابع بورفيروجينتس Constantine VII Porpherogenitus (٩١٣-٩٥٩م) ورومانوس الثانى Romanus II (٩٥٩-٩١٢م)، ونقفور فوقاس Nicephor Phocas (٩٦٣-٩٦٩م) ، يوحنا الأول تزيمسكس John I Izimiskes (٩٦٩-٩٧٦م) ، باسل الثانى (قصاب البلغار) Basil II Bulgaroctonos (٩٧٦-١٠٢٥م) ، قسطنطين الثامن Constantine VIII ، (١٠٢٥-١٠٢٨م) ، زوى Zoe، (١٠٢٨-١٠٥٠م) وقد شاركها فى الحكم أزواجها رومانوس الثالث Romanus III (أرجيوس ١٠٢٨-١٠٣٤م) ، ميخائيل الرابع Michael IV البافلاجونى (١٠٣٤-١٠٤١م)، ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م) ، قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) ، ثم ثيودورا Theodora، (١٠٥٤-١٠٥٦م) ، ميخائيل السادس Micael VI، (١٠٥٦-١٠٥٧م) .

وهكذا يتضح لنا بجلاء ؛ أن تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة إتسمت بالإتساع الزمانى، وكذلك تعدد الأباطرة فيها، وإن أمكننا القول- دونما مبالغة- أن أبرز أباطرتها هم باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) ، ومرحلة القادة العسكرية (٩٦٣-٩٧٦م) وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م) ، وسوف أتعرض لأهم أحداث عصرهم نظراً لدورهم المحورى فى تاريخ الدولة البيزنطية حينذاك.

وفيما يتصل بالإمبراطور باسل الأول[1] ؛ من الممكن القول بأن من أهم أعماله الآتى:

١- باسل الأول ؛ ولد عام ٨٢٦م إنحدر من أسرة أرمينية غير أنها استقرت فى مقدونيا ولذا عرفت بالأسرة المقدونية ، ولم يحقق قدراً من التعليم، وتمكن بفضل ذكائه من الوصول إلى بلاط اللإمبراطور ميخائيل الثالث آخر أباطرة الأسرة العمورية ، وقد توفى خلال حادث للصيد فى أغسطس عام ٨٨٦م. =

أولاً : مواجهة حركة التوسع الإسلامى فى الأدرياتيك .

ثانيًا : مواجهة حركة البولسيين.

ثالثًا : الإسهام القانونى .

وفيما يتصل بالعنصر الأول ؛ من الملاحظ أن منطقة الأدرياتيك شهدت نشاطًا واضحًا للبحرية الإسلامية إنطلاقًا من جنوبى إيطاليا، وهكذا ؛ نجد أن المسلمين تمكنوا من مهاجمة بودوا Budua، كذلك حاصروا راجوزة Ragusa - فى الضفة الشرقية من الأدرياتيكى ؛ وذلك عام ٨٦٧م ، واستنجدت الأخيرة بالقسطنطينية التى قدمت إليها العون البحرى الذي تمكن من رفع الحصار عنها من جانب المسلمين بعد أن استمر شهوراً طويلة.

ويلاحظ أن المسلمين ، على الرغم من اضطرارهم إلى رفع الحصار عن راجوزة إلا أنهم بعد ذلك بثلاث سنوات وتحديداً عام ٨٧٠م، حققوا إنتصاراً جديداً فى البحر المتوسط هذه المرة بإخضاعهم جزيرة مالطة Malta وتأكد لنا أن مرحلة الصراع على جزر البحر المتوسط لم تتوقف بعد، وبذلك أثبتوا قدرتهم على تجاوز الهزيمة إلى الانتصار (٢).

= عن الإمبراطور باسل الأول أنظر:

Pesellus. Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia of Michael psellus, Trans. by Sewter. penguin Book, London 1966, p. 63.

Vogot , Basile ler empereur de Byzance (867-886) et la Civilisation Byzantine á la fin du IXe Siecle, Paris 1908 .

وأيضًا :

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 207-214 .

Nicol. A Brographical dictionary. p. 16-17 .

Angold. Byzantium , p. 135 , 136 .

Norwich. Ashort History of Byzantium , p. 148-149 , p. 156 .

أسد رستم، الروم، ج٢ ، ص٣-١٣ .

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٣٩ .

٢- عن الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين حينذاك أنظر:

وديع فتحى عبدالله، بيزنطة ومسلمو إيطاليا وصقلية فى عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧-٨٨٦م / ٢٥٣-٢٧٣هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م ، ص٧- ص٨٢ . =

جدير بالإشارة ؛ اتجه الباحثون الأوربيون إلى تصوير نشاط المسلمين البحرى فى البحر المتوسط على أنه من قبيل القرصنة التى هدفت إلى السلب والنهب وبعث الاضطراب والفوضى فى الأملاك البيزنطية على حين كان الأمر جهاداً بحريًا مشروعًا طالما أن حالة الحرب بين المسلمين والبيزنطيين لم تنته، ولاينكر المؤرخ المنصف أن المسلمين كانوا رسل حضارة ولم يكونوا رسل تدمير وتخريب كما توهم ذلك القطاع المتعصب من الباحثين الأوروبيين، الذين ترصدوا للمسلمين ، وصوروا فى المقابل البيزنطيين على أنهم رسل الاخاء والمحبة وغضوا الطرف عن جوانب الصراع الدموى الداخلى وكذلك فى علاقات بيزنطة مع العالم الخارجى.

على أية حال ؛ من الممكن القول أن الدولة البيزنطية فى عهد باسل الأول حاولت إيقاف المد البحرى الإسلامى قدر استطاعتها ، ولكن ذلك لم يغير شيئًا فى الموقف ، حيث تحول البحر المتوسط[١] الذى كان بحيرة رومانية من قبل عندما أطلق عليه الرومان تعبير «بحرنا» Mare Nostrum [٢]؛ تحول إلى أن يكون بحيرة عربية ، وهكذا صارت المواجهة بين الطرفين مواجهة

= منى البرى، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية ، وجنوب إيطاليا زمن الأسرة المقدونية ٢٧٣-٤٣٢ هـ / ٨٨٦-١٠٤٠م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م، ص٥٣-٦٢ .

١- تجدر الإشارة ؛ إلى أن البحر المتوسط تبلغ مساحته ٢,٥ مليون ك.م ، ومتوسط عمق مياهه ١,٥ ك.م ، ويبلغ طول شواطئه ٤٦,٠٠٠ ك.م منها ١٩,٠٠٠ ك.م تحتل شواطئ الجزر المنتشرة به مثل غيرهما، وكريت ، وردوس ، ومالطه، وغيرها ، وقد أسماه المصريون القدماء «الأخضر العظيم» أما الفينيقيين فقد اسموه «الأزرق الواسع» ، ومن المقرر أن الكاتب الرومانى كايوس يوليوس سولينوس Caius Julius Sol-inus هو أول من أطلق عليه تعبير البحر المتوسط على اعتبار أنه يتوسط قارات العالم القديم، أفريقيا وآسيا وأوربا ، ونظرا لأهميته سعت كافة قوى العصور القديمة والوسطى لاخضاعه لسيطرتها، عن البحر المتوسط بصفة عامة أنظر:

يسرى الجوهرى ، جغرافية البحر المتوسط، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، فرنان بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، ط. حمص ٢٠٠١م، (دراسة مركزة وممتازة) .

Siegfried , The Mediterranean, Trans. by Doris Hemming London 1948, pp. 49-65 .

Horden and Purcell, The Corrupting Sea , Astudy of Mediterranean History, Oxford 2001 .

يعد دراسة موسعة عن البحر المتوسط عن مختلف جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية .

٢- أطلق الرومان عليه لكبير بحرنا Mare Nostrum أو البحر الأعظم Mare Magnum أو البحر=

شهدتها أمواج ذلك البحر، انحسرت المواجهات البرية على أرض آسيا الصغرى ؛ مما عكس كفاءة المسلمين وقدرتهم على أن يكونوا نداً حربيًا للقوة العسكرية البيزنطية فى صور متعددة على مدى المرحلة الواقعة بين القرنين السابع والتاسع الميلاديين .

أما فيما يتصل بحركة البولسيين Paulicians [1]، فهى حركة دينية من أصل أرمينى عارضت الكنيسة البيزنطية ونظرت إليها الأخيرة على أنها حركة مهرطقة.

= الداخلى Mare interium .

عن ذلك انظر :

جوفرى ريكان، بحرنا ... البحر المتوسط ، ضمن كتاب البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير أ. رايس، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت أبريل ٢٠٠٥م، ص٢١ .

١- عن الحركة البولسية أنظر:

Gibbon , The decline and Fall of the Roman Empire, vol . III, New York 1995, p. 1925 .

Dagron, Emperor and Priest, The Imperial offire in Byzantium, trans . by J.Birell, Cambridge 2003 , p. 194 , p. 224 , p. 232 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 303 .

Browning , The Byzantine Empire, p. 66, p. 76-77, p. 96 .

Treodgold, History, p. 450-451 .

O.D.B., vol. 3, p. 1606 .

هانى عبد الهادى البشير، «البيالصة فى آسيا الصغرى فى ضوء مصنف بطرس الصقلى». المؤرخ المصرى، العدد (٢٤) ، يناير ٢٠٠١م، ص٤٥-٨٨ .

فتحى عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢ ، ص٢٢١-٢٢٢ ، نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص٢١٤-٢١٧ ويكاد يكون المؤرخ العربى الوحيد الذى فَصَّل الحديث عنهم فى كتاب يتناول ملامح الحضارة البيزنطية بصفة عامة.

وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، ص٢٥٩ .

شارلز أومان، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٦٧، حاشية (١) ، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٤١ .

وهناك من يقرر أن مبتكرها هو بولس السميساطى Paul of Samosata الذى عمل أسقفًا لأنطاكية خلال المرحلة من ٢٦٠ إلى ٢٦٨م ، وقد أنكر ألوهية السيد المسيح عليه السلام، ونظر إليه على أنه مجرد مخلوق صالح ورفض تمامًا فكرة تأليهه[١].

ويلاحظ أن بطرس الصقلى Peter of Sicily يقرر إعتماد البولسيين فى تعاليمهم على رسائل بولس الرسول تلميذ السيد المسيح.

من ناحية أخرى؛ من المقرر أن البولسية التفت مع أفكار الفرس الدينية خاصة الحركة المانوية[٢] نسبة إلى مانى، والتى آمنت بدورها بالصراع بين النور والظلام، أو الخير، والشر، وأطلقت على إله النور أهورامزدا ، وإله الشر أهرمن .

ويلاحظ أن البولسيين رفضوا تقديس الصليب، والأيقونات، ولم يعترفوا بأسرار الكنيسة[٣]

١- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص٢١٤ ، سعد رستم، التوحيد فى الأناجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص٢٥ .

٢- المانوية ، تنسب إلى مانى ابن فاتك الحكيم الذى ظهر فى عهد شابور بن أردشير الذى تولى الحكم فى فارس عام ٢٤٢م، وقد ولد فى عام ٢١٥م أو ٢١٦م ، وهناك من يذكر أن تعاليمه مزجت بين المسيحية والزرادشتية ، واعتقد بفكرة الحلول التى آمن بها الهنود. عنه أنظر: عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة الأديان والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ج١، ص٤٤، ص٤٧ ، آرثر كريستنسن ، إيران فى عهد الساسانيين، ت. يحيى الخشاب ، مراجعة عبد الوهاب عزام ط١ . القاهرة ١٩٩٨م، ص١٦٩-١٩٥ ، مفيد رائف محمود العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦-٦٥١ م. ط. دمشق ١٩٩٩م ديمترى غوتاس ، الفكر اليونانى والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية فى بغداد والمجتمع العباسى المبكر القرن الثانى - الرابع القرن الثامن - القرن العاشر ، ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة العربية للتجمة ، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص١٢٤-١٢٥ .

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص٢١٤ .

ومن المقرر أن أسرار الكنيسة السبعة هى: العماد، الميرون، القربان المقدس، الكهانة ، التكفير، مسحة المرض، الزواج. ويلاحظ أنه تم إيرادها فى الاعترافات الأرثوذكسية التى صدرت فى القرن ١٧م رداً على حركة الإصلاح الدينى ، عن ذلك أنظر:

سعد رستم ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٥١ .

حسن الباش ، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م، ص١٩٣-١٩٧ .

وكان لهم أدبهم الخاص بهم وتصوراتهم حيال الكتاب المقدس (١).

وبصفة عامة ؛ يلاحظ أن التاريخ المبكر للبولسيين يكتنفه الغموض وموضع خلاف وجدل بين الباحثين، وعلى العكس من ذلك، نجد أن تاريخهم المتأخر منذ تأسيس دولتهم حتى القضاء عليهم من جانب الإمبراطور باسل الأول فى القرن التاسع الميلادى ، وهجرة الكثير منهم إلى بلاد الشام، وجنوبى إيطاليا، والبلقان، حيث كانوا لايزالون هناك حتى عهد الامبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨م) ؛ كل ذلك يعد معروفًا بصورة واضحة (٢)، إذا ما قورن بنشأتهم .

مهما يكن من أمر ؛ تزايد نشاط البولسيين وحصلوا على دعم كبير من جانب الولايات البيزنطية الشرقية، ونجد أنهم حملوا السلاح(٣) ومثلوا خطراً يهدد الإمبراطورية ، وقد أدت مقاومة الأخيرة لهم منذ وفاة الإمبراطور نقفور الأول عام ٨١١م ؛ إلى اتجاه الكثيرين منهم إلى الاتصال بالمسلمين بل وهاجروا إلى بلاد الشام، وهناك من يقرر أنهم تعاونوا معهم ضد حكام القسطنطينية (٤).

وبصفة عامة؛ من المقرر أن خطر البولسيين هدد المقاطعات الشرقية للإمبراطورية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ٨٤٣ ، ٨٧٩م (٥)، وقد كانت لهم ، دولتهم المستقلة فى تفريك Tephrike (حاليًا Divrigi) غربى أرمينيا وقد جعلوها بمثابة عاصمة لهم (٦).

١- عن ذلك انظر: Hamilton , "Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualis Texts ", in Billar (ed.) Heresy and literacy , 1000-1530 , Cambridge 1994, p. 38 .

٢- O.D.B., vol 3, p. 1606 .

٣- Browning , The Byzantine Empire , p. 66 .

٤- Ibid, p. 66 .

٥- O.D.B., vol . 3, p. 1606 .

٦- Browning, op. cit.,p. 96 .

وقد تزايد شأنهم تحت قيادة رجل يدعى كاربياس Karbeas [١]، ومن بعد ذلك ؛ تولى قيادة البولسيين قائد آخر هو كريسوخيروس Chrysocheirus [٢]، وقد تعاونوا عسكريًا مع المسلمين الذين التقت مصالحهم السياسية معهم من أجل إضعاف الامبراطورية البيزنطية ووصلت إغاراتهم إلى نيقية Nicea بل إنهم نهبوا إفسوس Ephesus فى ٨٦٩- ٨٧٠م[٣].

على أية حال ؛ إشتد خطر البولسيين فى عهد الإمبراطور باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد أرسل إليهم سفارة على رأسها بطرس الصقلى خلال المرحلة بين عامى ٨٦٩- ٨٧٠م، وقد قدم لنا وصفًا مسهبًا لتلك السفارة التى وصل بها إلى مدينة تفريك [٤]، وبصفة عامة ، بعد عامين من تلك السفارة وتحديداً فى عام ٨٧٢م تمكن الإمبراطور من خلال دور عسكرى بارز لشقيق زوجته كريستوفر Christophe وقائد قوائد الشرق من تحقيق الانتصار الحاسم عليهم ، وخرب عاصمتهم وكذلك عدة قلاع أخرى وقتل زعيمهم كريسوخيروس [٥].

بصفة عامة ؛ يمكن للباحث الخروج بعدة دلالات من خلال صراع باسل الأول مع حركة البولسيين.

فيلاحظ أن تلك الحركة لها جانبها الاقتصادى إذ عبرت عن حركات المعارضة ضد العلاقات الإقطاعية ، وكذلك الفوارق بين الطبقات فى آسيا الصغرى[٦] وكـــذلك سلطة الكنيسة البيزنطية وعقائدها وهي تعد جزءاً لايتجزأ من حركات المعارضة الدينية سواءً فى الشرق البيزنطى أو فى الغرب الأوربى مثل ما قام به الكتاريين[٧] فى جنوبى فرنسا فى

١- O.D.B., vol 3, p. 1606 .

٢- O.D.B ., vol . 3 , p. 1606 .

٣- Ibid, p. 1606 .

٤- أورد تفاصيل ذلك فى كتابه تاريخ البلوسيين؛ نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص٢١٤ .

٥- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٤١ .

٦- نعيم فرح، المرجع السابق ، ص٢١٥ .

٧- عن الكتاريين أنظر:

Pierre des Vaux de Cernay , The Historia Albigensis, in Peters (ed.), Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980 , pp. 123-125 .

أخريات القرن ١٢م ، وهناك من يقرر أنه خلال عصر الحروب الصليبية انتشرت أفكار البولسيين من خلال التجارة إلى ايطاليا[١] وفرنسا ؛ مما عكس قوة تأثيرها فيما بعد عصر باسل الأول.

من زاوية أخرى ، ندرك أن القضاء على نشاطهم دعم الوضعية السياسية لذلك الامبراطور الذى تمكن بعد جهد جهيد من فرض السيادة الإمبراطورية على مناطقهم، كذلك تمكنت بيزنطة من خلال تلك الأحداث من إيقاف تحالف المسلمين مع البولسيين بإعتبارهم قوة معارضة ، ولذلك لاتتعجب من إدراكنا أنه خلال العام التالى مباشرة للقضاء عليهم عام ٨٧٣م، أمكن لبيزنطة إخضاع سميساط Samosta ، Samsat مما دعم وضع الامبراطورية العسكرية فى مواجهة عدوها التقليدى فى صورة المسلمين .

أما بالنسبة للإسهام القانونى ؛ فيلاحظ أن عهد باسل الأول شهد ظهور القانون الميسر وهو Procheiron [١] الذى كان الهدف منه أن تكون مواده القانونية ميسرة لعامة المعاصرين وهو عبارة عن مختارات مأخوذة من القوانين السائدة حينذاك ، وكذلك مجموعة قانونية شاملة هى

Rainier Sacconi , in Peters (ed.), Heresy and Authority, pp. 125-132 .

Colish, Medieval Foundations of the Western intellectual Tradition 400-1400, London 1998 , p. 250-251 .

Sumption The Albigensian Crusade, London 1988, pp. 43-60 .

Cowdrey , " The Carthusians and Their Contemporay World : The Evidence of the Twelfth - cintury Brishops , Vitae", in The Crusades and latin Monasticism , 11 th centuries, Great yarmouth 1999, , pp. 26-43 .

والمؤرخ المذكور من أفضل من كتب عن الكتاريين.

Hamilton. The Cathares and the Seven Churches of Asia , in Howard and Johastone (eds.) Byzantium and The West (850-1200), Amsterdam 1988 , p. 295-296 .

la Due . The Chair of Saint Peter , A History of the Papacy , New York 1999, p. 114, p. 127 , p. 146 .

اسحق عبيد ، محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها ، ط. القاهرة ١٩٧٨م ، شارلز أومان ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٦٧ ، حاشية (٧) .

١- شارلز أومان ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ ، حاشية (١) .

١- عنه أنظر : محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٤٣ .

التى عرفت باسم الاباناجوج Epanagoge[٢] وتعنى المقدمة Introduction ، ووفقًا لما ورد فى افتتاحيتها نعرف أنها كانت بمثابة مقدمة للأجزاء الأربعين لمجموعة قانونية قديمة عرفت بعنوان:

Collectio Librorum Jurris Graeco Romani Ineditorum.[٢]

جدير بالذكر ؛ احتوت الإباناجوج فى القسم الأول منها على فصول على جانب كبير من الأهمية عن السلطة الإمبراطورية، وكذلك سلطة البطريرك وغيرها من الوظائف المدنية والكنسية الأخرى على نحو يعين فى تقديم صورة واضحة للغاية عن مؤسسات الدولة والمجتمع فى الامبراطورية البيزنطية، وكذلك العلاقات بين الكنيسة والدولة [٣].

ولانغفل فى معرض الحديث عن جهود الامبراطور باسل القانونية الاشارة إلى أن الاباناجوج كانت تمثل نوعًا من إعادة القانون الميسر ولكن مع التعديلات المهمة وكذلك اعادة التنظيم[٤]، نجد الاستفادة من الجهد القانونى الذى بذل فى عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى من قبل، مما عكس التواصل والاستمرارية بين أدوار الأباطرة البيزنطيين فى ذلك المجال.

وهكذا ؛ يتضح لنا على نحو جلى أن من الأباطرة البيزنطيين المقدونيين من أدرك – عن حق– أهمية القانون فى توحيد شعوب الامبراطورية البيزنطية ، وفى تدعيم السلطة الإمبراطورية .

مهما يكن من أمر، نختتم الحديث عن مؤسس الأسرة المقدونية بمحنته الشخصية ، إذ أن باسل تعرض لوفاة ابنه فى أخريات سنوات حكمه، على نحو أحدث أثراً نفسيًا سيئًا[٥] عليه فافترسه الحزن الشديد، وقد وضع الموت حداً لذلك عام ٨٨٦م.

١– عن الاباناجوج أنظر:

Vasiliev , History of The Byzantine Empire , pp. 341-342 .

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p. 192, p. 213 .

٢– Vasiliev, Op. cit., p. 341 , note (110) .

٣– Vasiliev , Op. cit., p. 341 .

٤– محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٤٤ .

٥– نفسه ، ص١٤٥ .

وجدير بالإشارة ؛ أن الباحث فى التاريخ البيزنطى فى حاجة ماسة إلى معرفة أثر الزوايا النفسية لدى كبار الأباطرة على صنع القرار السياسى وبالتالى على تاريخ الشعب البيزنطى ذاته، غير أنه أمام صمت المصادر ليس فى الإمكان تجلية تلك الناحية التى لاتزال غامضة على الرغم من أهميتها الخاصة .

أما الامبراطور ليو السادس Leo II (الملقب بالحكيم)(١) الذى حكم فيما بين عامى ٨٨٦م، ٩١٢م، فيمكن إجمال أهم أعماله من خلال الآتى:

أولاً : الإسهام القانونى.

ثانيًا : سياسته تجاه البلغار.

ثالثًا : المواجهة مع المسلمين .

رابعًا : زيجاته المتعددة بحثًا عن وريث للعرش.

وفيما يتصل بالعنصر الأول؛ من الملاحظ إصدار الأوامر الامبراطورية Basilica فى عصر ذلك الإمبراطور، وقد تكونت من ٦٠ فصلاً ويلاحظ أنها اعتمدت على قوانين جستنيان ، ومن المهم هنا الإقرار بدور بارز لأحد رجال القانون فى بيزنطة فى صورة سيمباتيوس Symbatius(٢) الذى كثيرا مالا يذكر اسمه وجهده وينسب الأمر برمته للامبراطور ليو السادس، وهى زاوية تعددت فى مواقف مختلفة من التاريخ البيزنطى.

على أية حال ؛ فإن تلك المجموعة القانونية كان لها أثرها الوضّاح من حيث أن فاق استعمالها استعمال المجموعة القانونية التى تنسب للإمبراطور جستنيان ، ومع ذلك ؛ فمن المهم هنا الإقرار بأن النشاط القانونى البيزنطى فى عهد ليو السادس شمل ما يعرف بالمتجددات التى اعتمدت اعتماداً كبيراً على متجددات جستنيان السالفة الذكر.

١- ليو السادس Leo VI ؛ إمبراطور بالاشتراك من ٦ يناير ٨٧٠م وإمبراطور من ٣٠ يوليو ٨٨٦ إلى ٩١٢م، ولد فى القسطنطينية فى ١٩ سبتمبر عام ٨٦٦م ، وهو الابن الثانى للإمبراطور باسل الأول ، وقد لقب بالحكيم . وكان مستشارهو الكبار هم زاوتزيس Zuoutzes، والخصى ساموناس Samonas، والخصى قسطنطين Constantine، وقد توفى ليو السادس فى ١١ مايو عام ٩١٢م عنه أنظر بالتفصيل :

Tougher, The Reign of Leo VI (886-912) , Politics, and People, Leiden 1997 .

وهى دراسة مفصلة وموسعة عنه من خلال أوثق المصادر والمراجع.

O.D.B., vol .2, pp. 1210-1211 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 74 .

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٤٦ .

أما ما اتصل بالموقف البيزنطى من البلغار [١]؛ نجد توتر العلاقات البيزنطية- البلغارية ؛ وذلك بسبب إتجاه بيزنطة إلى إتباع أسلوب الاحتكار فى تجارة بلغاريا على نحو أضر بمصالح الأخيرة ، وحدث صدام عسكرى من خلاله هاجم البلغار أراضى بيزنطة عام ٨٩٤م، فلجأت إلى التحالف مع الماجيار الذين قاموا بمهاجمة المناطق الشمالية من بلغاريا ، وتمكنوا من تحقيق إنتصارات هناك، وبالتالى ؛ أكدت بيزنطة قدرتها على إيجاد حلفاء أقوياء يقدمون لها المساعدة العسكرية عندما تضيق بها السبل ، وفى الوقت المناسب ، ويلاحظ أن البلغار تحالفوا فى مواجهة ذلك الأمر، مع البجناق الذين تمكنوا بالتعاون معهم من هزيمة الماجيار عام ٨٩٦م، واضطرت بيزنطة لمواجهة البلغار بعد أن قوى شأنهم بالتحالف المذكور، وهزمت على أيديهم واضطرت إلى مصالحتهم وبالفعل دفعت لهم فدية سنوية ؛ مما عكس أن الصراع مع البلغار لم يكن فى صالح الامبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة.

أما بالنسبة للصراع مع المسلمين ؛ فيلاحظ أنهم واصلوا بحماس هجماتهم ضد أملاك الإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور ليو السادس ، ويقرر أحد المؤرخين العرب البارزين فى حقل الدراسات البيزنطية «... على فترات متقطعة نهب العرب وخربوا أرخبيل ، وساحل شبه جزيرة المورة Morea، وتساليا Thessaly ، وفى عام ٩٠٢م، دمرت مدينة ديمترياس Demetriass الغنية على ساحل تساليا »[٢].

ولست فى حاجة إلى معارضة ذلك الرأى الذى يعكس بجلاء المركزية الأوربية ، ومرة أخرى. فإن ما قام به المسلمون ضد بيزنطة حينذاك جهاد مشروع طالما أن حالة الحرب كانت قائمة بين الطرفين ، ولانغفل أن البيزنطيين اتبعوا نفس الأسلوب فى صراعهم مع المسلمين وليس من الموضوعية بمكان تبنى وجهة نظر غريبة على هذه الصورة.

١- عن صراع ليو السادس مع البلغار أنظر:

Constantine Porphyrogenitus , De Administrando Imperio, p. 253 .

Runciman, A History of The First Bulgrian Empire, London 1930, pp. 145-146 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , pp. 231-239 .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٦٢-١٦٤ .

حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٥٨ .

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطور البيزنطية ، ص١٥٢ . =

وينبغى أن نتذكر جيداً إنه فى عالم الحرب حينذاك ؛ كافة أشكالها متوقفة والهدف منها أصلاً كسر إرادة الخصم وإجباره على تقديم تنازلات سياسية.

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ دور بارز لقيادتين ممن اعتنقوا الإسلام من البيزنطيين وعملوا على جهاد الإمبراطورية البزنطية ، ومن أمثلتهم ليو الطرابلس Leo of Tripolis [1]، ودميان الصورى Damian of Tyre [2]، ولذلك تطلب الأمر؛ تسليط الضوء عليهما لما لهما من أهمية خاصة خلال تلك المرحلة المؤثرة من مراحل العلاقات الإسلامية- البيزنطية.

على أية حال ؛ هناك من يقرر أن ليو الطرابلسى ؛ قد ولد من أبوين مسيحيين فى مدينة اتاليا Atalia الواقعة على الساحل الجنوبى من آسيا الصغرى وفيما بعد؛ تم أسره من جانب المسلمين ، ويعتقد أنه جئ به إلى طرابلس حاضرة شمالى لبنان بين عامى ٨٦٣ ، ٨٦٦م، ثم تلقى فنون القتال البحرى وصار خبيراً بها حتى أنه لقب «بأبى الحرب» ؛ على نحو عكس أهمية دوره ، وبالتالى إنطباق ذلك الوصف عليه .

بصفة عامة؛ نعرف أن ليو الطرابلسى قام بمهاجمة مناطق تابعة للدولة البيزنطية ، وذلك بعد أن اعتنق الإسلام وهو لايزال صغيراً كما قرر البعض، ومن المناطق التى عمل على مهاجمتها أتاليا.

١- عن ليو الطرابلسى انظر:

Gregoire, " Le Communique arabe sur la prise de thessalonique 904" B.Z., 82 , 1989 . pp. 373-378 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 305-306 .

نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى ، ص٢٤٨ .

عمر عبد السلام تدمرى، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية ١٣٢-٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م. ط. طرابلس ١٩٩٢م، ص٨١-٨٦ .

وأتوجه بالشكر العميق للمؤرخ اللبنانى الكبير أ.د. عمر عبد السلام تدمرى الذى أفادنى بمناقشاته العلمية الثرية معه فى يناير ٢٠٠٦م بإمارة الشارقة خلال زيارته لها .

٢- عن دميان الصورى أنظر :

عمر عبد السلام تدمرى، المرجع السابق، ص٢٨-٩٤ ، مدينة صور فى كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامى حتى التحرير من الصليبيين»، ضمن كتاب : صور من العهد الفينيقى إلى القرن العشرين، منتدى صور الثقافى ١٥-١٦ . حريزان ١٩٩٧م. ط. صور ١٩٩٧م، ص١٣٥ ، والمؤرخ المذكور يعد أول من سلط الضوء على دميان الصورى.

جدير بالذكر ؛ يعد الدور البارز الذى قام به ليو الطرابلسي ؛ المشاركة فى الاستيلاء على مدينة سالونيك Thessalonica التى تمكن المسلمون من إخضاعها فى أوائل القرن العاشر الميلادى، وتحديداً عام ٩٠٤م ، ويعد ذلك مكسبًا بارزاً للمسلمين على حساب البيزنطيين ؛ إذ أن سالونيك عدت حينذاك إحدى الحواضر البيزنطية البارزة [١]، ولاريب فى أنها عدت فى الدرجة الثانية بعد القسطنطينية من المراكز الصناعية والتجارية بل والفكرية كما يقرر البعض[٢].

أما القائد الثانى فهو دميان الصورى ؛ وقد ولد هو الآخر من أبوين مسيحيين ، وتم أسره خلال إحدى المعارك مع المسلمين، وقد تم نقله إلى مدينة صور؛ ولذلك عرف بد ميان الصورى[٣]، وفيما بعد قام بدور بارز فى جهاد البيزنطيين، وهناك من يقرر أن عام ٨٩٥م؛ عد بداية ظهور ذلك القائد على مسرح الأحداث حينذاك.

ويلاحظ أن دميان الصورى اكتسب خبرة عريضة بأساليب البيزنطيين الحربية، ونعرف أنه تولى أمر ثغر طرسوس ؛ مما عكس أهميـة ذلك المنصب الذى تولاه على الأرجح من خلال كفاءته الحربية التى برزت فى ميادين القتال .

١- عن سقوط سالونيك فى يدى ليو الطرابلس أنظر:

Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 228 .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٨٢ .

٢- نعيم فرح ، الحضارة البيزنطية ، ص٢٣٧ .

ولانغفل هنا الإشارة إلى أن سالونيك ، إزداد عدد سكانها زيادة كبيرة مع بداية القرن العاشر م حيث عدت ملجأ لسكان الجزر والسواحل التى تعرضت لهجمات المسلمين خاصة أنها تمتعت بأسوار منيعة فصار من الصعب الاستيلاء عليها ، ويلاحظ أنها تمتعت بمكانة تجارية من خلال وقوعها على الطريق التجارى الرومانى القديم المعروف باسم Via Egnatia الذى أوصلها بشواطئ الادرياتيكى فى الغرب والقسطنطينية فى جهة الشرق كذلك نعرف اشتهارها بمعادن الحديد ، والنحاس ، والقصدير ، وصناعات الزجاج ، والصوف ، والكتان، والسفن والأسلحة وكل ذلك يوضح لنا أهمية انجاز المسلمين عام ٩٠٤م.

عن ذلك أنظر: O.D.B., vol . 3, p. 2071 - 2072 .

نعيم فرح، المرجع السابق، ص٢٣٧ .

٣- عمر عبد السلام تدمرى، مدينة صور ، ص١٣٥ .

جدير بالإشارة : عمل المؤرخون الغربيون على مهاجمة ليو الطرابلسي، ودميان الصوري، وتم تصويرهما على أنهما مرتدين [١]، ولم يبرزا حقيقة الدور الجهادي الفعال الذي قاما به ، إلى أن قام المؤرخ اللبناني البارز عمر عبد السلام تدمري بتسليط الضوء على ذلك الدور لكل منهما بصورة غير مسبوقة .

بصفة عامة: يدل أمر هذين القائدين على قدرة الإسلام على الانتشار في قلوب البيزنطيين بل وتحولهم إلى الجهاد ضد تلك الإمبراطورية التي ناصبت المسلمين العداء.

نترك الآن الصراع بين بيزنطة والمسلمين، ونتجه إلى ناحية أخرى مغايرة في صورة زواج الامبراطور البيزنطي ليو السادس وجدير بالإشارة ؛ أن ذلك الامبراطور تزوج أربع زيجات - سعيًا إلى وريث للحكم- ويمكن إجمالها على النحو التالي :

أولاً : تزوج من إحدى قريباته تدعى ثيوفانو Theophano [٢] عام ٨٨٥م، وأنجبت له طفلة ؛ وقد ماتت الأخيرة، ومن بعدها أمها [٣].

١- Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 78 .
Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 228 .

٢- عن قضية زواج الإمبراطور ليو السادس أنظر :
Tougher, The Reign of Leo VI , pp. 133-163 .
Garland , Byzantine Empresses Woman and Power in Byzantium, A. D. 527-1204 , London 1999, pp. 109-124 .

حيث خصص المؤلف في دراسته الممتازة فصلاً مستقلاً عن ذلك الموضوع .

أما أفضل دراسة بالعربية فهي تلك التي قام بها وسام عبد العزيز فرج ، أنظر: وسام عبد العزيز فرج ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢)، ط. الاسكندرية ١٩٩١م، وقد عاد ونشرها في كتابه الحديث : بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٦٥-١٤٢ .

وعن ذلك الأمر أنظر :

عليه الجنزوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية ، ص١٩٣-١٩٤ .

محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٥٧-١٥٨ .

٣- عليه الجنزوري ، المرجع السابق، ص١٩٣ .

ثانيًا : دخل فى علاقة مع زوى Zoe إبنة الوزير ستليانوس(١) زوتزس Stylianus Zautzes وعندما أراد إضفاء صفة الشرعية عليه عام ٨٩٨م؛ اعترض بطريق القسطنطينية حينذاك ، إلا أن كاهن البلاط الإمبراطورى؛ وافق على الأمر، وتوفيت زوى فى العام التالى؛ أى عام ٨٩٩م، بعد إنجابها لطفلة .

ثالثًا : كرر الامبراطور مرة ثالثة فى صورة يودوكيا بابانا Eudocia Baiana، عام ٩٠٠م وأنجبت له طفلاً هو باسل Basil إلا أنها ماتت ومن بعدها توفى الابن عام ٩٠١م .

رابعا : أقام الامبراطور علاقة مع محظية هى زوى كاربونسينا Zoe Carbonsina التى حققت له حلمه الذى تحرق شوقًا إليه حيث إنجبت له عام ٩٠٥م إبنًا سيتولى العرش الإمبراطورى تحت إسم قسطنطين السابع بورفيروجنتيس(٢) Constantine VII Porphyrogenitus، وعندما أراد أن يجعل ذلك الزواج رسميًا اعترض عليه البطريرك نيقولا مستيكوس Nicolas Mysticus (٣)، وحدثت أزمة عنيفة بين الإمبراطور ، والبطريرك – وهى من

١- عليه الجنزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية، ص١٩٣ ..

٢- قسطنطين السابع بورفيروجنيتس Constantine VII Porphyrogenitus ، هو الابن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VI من زوجته زوى كاربوسينا Zoe Carbonsino ، ويلاحظ أن كلمة بورفيروجنيتس تعنى المولود فى العباءة الأرجوانية أو المذهبة واشتق من الكلمة Porphyro؛ وتعنى ذهب أو أرجوانى، أما كلمة genetus فتعنى مولود والمقصود بها التعبير أن ذلك الإمبراطور وصل إلى العرش بشرعية كاملة، ولم يكن من مغتصبيه ، ومن المقرر أنه – كما قرر دونالد نيكول- على مدى ٢٤ عامًا حكم فى ظل حميه رومانوس ، ولكن عندما مات الأخير عام ٩١٤م تولى الحكم منفرداً ، عنه أنظر:

Constantine Porpherogenitus , De Administrando Imperio, Trans . by P.S.H. Jenkins, Dumbarton Oaks Center, Washington 1967 , pp. 7- 79 , Toynbee, Constantine Poophyrogenitus and his World, London 1973 .

Nicol, A Biographical Dictionary , p. 27 . Little and Coulson, The Shorter Oxford English Dictionary on historiul Principles, vol II, Oxford 1950, p. 1546 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 75-76 .Vasiliev, History of the Byzantine State, p. 246 - 251 .

عبد القادر اليوسف، الامبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص١٣٨ .

محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص٢٣١، حاشية (٣٩) .

٣- نيقولا مستيكوس، هو بطريرك القسطنطينية خلال المرحلة من ٩٠١-٩٠٧م، ٩١٢-٩٢٥ ، وقد وصف بأنه كان من أصل إيطالي، وتأثر بأفكار فوشيوس، عنه أنظر: محمود سعيد عمران، نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية من خلال مراسلاته، ط. بيروت ب-ت. أحمد عبد الكريم =

الأحداث النادرة فى التاريخ البيزنطى إنتهت بأن وافق البطريق على تعميد الطفل وتعهد الإمبراطور ليو السادس بأن يطرد زوى كاربونسينا من القصر.

على أية حال ؛ تم تعميد الطفل فى كنيسة أيا صوفيا الشهيرة وتم طرد أمه، إلا أن ليو السادس سرعان ما أعادها بعد أن تزوجها على يدى الأسقف توماس ، بل وتوجها كامبراطورة، ومنحها لقب أوغسطس Agusta مما أدى إلى تجدد الصراع بين الامبراطور ونيقولا مستيكوس الذى اتجه الامبراطور إلى عزله .

بصفة عامة؛ اتجه ليو السادس إلى تتويج ابنه امبراطوراً عام ٩١١م وقد صار للإمبراطورية ثلاثة اباطرة هم ليو السادس ، وأخوه الكسندر، ثم قسطنطين السابع، وعلى إثر وفاة ليو عام ٩١٢م؛ تولى الكسندر الوصاية على قسطنطين السابع ؛ نظراً لصغر سنه .

والواقع أن نظرة متأنية إلى ليو السادس على المستوى الشخصى نجد أنه تصارع مع الزمن والموت معًا فى ثنائية تثير التأمل. فقد كان فى سباق محموم مع الزمن ؛ ليتحقق أمله فى وجود وريث للعرش؛ إلا أن الموت كان يلاحقه من خلال رحيل من تزوج ، ومع ذلك واصل السعى دون هوادة - فى سبيل تحقيق هدفه ، ويمكن القول أن حياته تصلح لتكون صورة مصغرة من تاريخ الامبراطورية البيزنطية ذاتها التى تصارعت مع الموت مرات عديدة إلى أن نال منها فى نهاية المطاف .

ويلاحظ أنه حقق طموحاته فى تلك الزاوية قبل وفاته بأعوام قليلة أى بسبع سنوات فقط. وبذلك أمكن أن يطمئن لوجود وريث يرث العرش الامبراطورى بعد أن تراوحت نفسية أبيه بين الأمل واليأس وتملكه ألم الانتظار لأعوام عديدة.

على أية حال ؛ تولى العرش البيزنطى الكسندر Alexander مدة قصيرة ٩١٢-٩١٣م، وفى العام الأخير ؛ توفى ، ومن بعد ذلك ، تمكن القائد البحرى رومانوس الأول ليكابينوس Romanus I Lecapenus [1]، من الوصول إلى العرش عام ٩١٩م ، وذلك بعد أن تولى

= سليمان ، رسالة البطريرك نيقولا مستيكوس إلى العباسى ، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٨)، (٢٩) ، ١٩٨١- ١٩٨٢م.

١- رومانوس الأول ليكابينوس ؛ هو الابن الوحيد لأحد الفلاحين الأرمن من لاكابيه فى شرقى الأناضول Anatolia، وقد شغل منصب قائد الأسطول البيزنطى، أو ما أطلق عليه درونجاريوس Drongarios، ومن المعروف أن ذلك الإمبراطور عرف عنه الدهاء ، والصبر فى التعامل مع خصومه السياسيين ويوصف بأنه الامبراطور الذى هاجم عناصر ملاك الأراضى الذين تزايدت قوتهم فى الامبراطورية البيزنطية بعد قيامهم بشراء أراضى صغار المزارعين .

مجلس وصاية الوصاية على قسطنطين السابع خلال المرحلة الواقعة بين عامى ٩١٣ إلى ٩١٩م.

يلاحظ ؛ أن رومانوس ليكابينوس يعد إمتداداً طبيعيًا لظاهرة القادة العسكريين الذين أنحيهم الجيش أو الأسطول البيزنطيين ، وتمكنوا من خلال كفاءتهم الحربية وكذلك طموحهم الطاغى من الوصول إلى المنصب الإمبراطورى الذى صار هدفًا لكل من رأى فى نفسه قدرة على التآمر للوصول إليه .

على أية حال ؛ عمل رومانوس ليكابينوس جاهداً على إضفاء طابع الشرعية على حكمه، فزوج قسطنطين السابع من ابنته عام ٩١٩م، كذلك تزوج من الإمبراطورة زوى وذلك بعد وفاة زوجته ، ويلاحظ أن ابنيه ستيفن ، وقسطنطين، تآمرا عليه للاستحواذ على المنصب الإمبراطورى، ومن بعد تلك المأساة الشخصية إنقطع إلى سلك الرهبنة كحل هروبى، ومات عام ٩٤٨م، بعد معاناة نفسية لاتنكر.

مهما يكن من أمر؛ ألقى قسطنطين السابع القبض على الابنين العاقين، وتولى العرش خلال المرحلة من ٩٤٥ إلى ٩٥٩م وقد دخل فى صراع مرير مع البلغار خاصة مع وجود زعيم قوى قادهم ضد الامبراطورية هو سيمون Simeon [١] وبعد وفاته عام ٩٢٧م؛ قاد الأمر بدلاً من ابنه بطرس خلال المرحلة الطويلة الممتدة من ٩٢٧م إلى ٩٦٩م، قد اتجه إلى مهادنة الإمبراطورية البيزنطية[٢]، وقد أفاد ذلك الإمبراطورية فى التقاط الأنفاس بعد صراع مرير مع البلغار أجهد جيشها وميزانيتها على نحو كبير.

عن رومانوس ليكابينوس انظر:

= Runciman , The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign, Cambridge 1963 .

O.D.B., vol . 3 , p. 1806 .

Nicol, A Biogrophical dictionary , pp. 72-73 , Head, Imperial Byzantiune Portraits , Aver-bal and graphic Gallery , New York 1982, pp. 81-82 .

Vasiliev, History of the byzantine Empire, p. 187 .

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, pp. 476-486 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 234-247 .

١- عنه أنظر: حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٥٨ .

٢- Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 318-319 .

أما فيما يتصل بالصراع البيزنطى مع المسلمين ؛ فيلاحظ بروز قيادة فعَّالة لدى الأخيرين فى صورة سيف الدولة الحمدانى[١] (٩٤٤-٩٦٧م) ، وهو الذى قام بدور بارز فى جهاد البيزنطيين ؛ بعد أن ضعفت الخلافة العباسية ، ولم تعد تستطيع القيام بدورها فى التصدى لهم على خلاف ما قامت به من قبل فى العصر العباسى الأول ٧٥٠-٨٥٠م ، بل إن البيزنطيين حسنوا علاقاتهم معها ومع الاخشيديين فى مصر [٢]، لقد تمكن سيف الدولة الحمدانى من تحقيق عدد من الإنتصارات ضد البيزنطيين عام ٩٣٨م حيث تمكن من هزيمة القوات البيزنطية أمام حصن زياد فى منطقة أعالى الفرات . وكانت بقيادة حنا كوركواس John Kourkouas [٣]، كذلك تمكن من التوسع فى عدد من المناطق الأرمينية ، وتم إجبار عدد كبير من الأمراء هناك على الخضوع له . كما أنه فى عام ٩٤٠م هاجم منطقة

١- يلاحظ أن سيف الدولة الحمدانى ، جعل من حلب مركزاً ثقافيًا وحضاريًا إلى جانب كونها مركزاً للجهاد ضد البيزنطيين ويكفى للتدليل على ذلك أن بلاطه قصده المتنبى وأبو الفرج الاصفهانى والفارابى ، وعن جهاده للروم أنظر:

مسكويه ، تجارب الأمم، ط. القاهرة ب-ت . ، ج٢، ص١٨٠ .

المتنبى، ديوان المتنبى ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقى، ط. بيروت ١٩٨٠م، ج٤، ص٩٤- ص١٠٨ .

Canard , Sayf Aldaula, Alger 1934 .

Id, Histoire de la dynastie de Hamadanides, de Jazira et de Syrie , T.I, Paris 1953 .

وتعد دراستا كنار رائدة فى مجال تاريخ الحمدانيين على الرغم من صدورها فى النصف الأول من القرن الماضى، مع عدم إغفال أن صاحبها مستشرق فرنسى.

أيضًا : مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى مملكة السيف ودولة الأقلام، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١١٧-١٣٢ . وهى دراسة مهمة على الرغم من أن مؤلفها إهتمامه الأصلى بتاريخ الأدب، أيضًا : أحمد اسماعيل على، تاريخ بلاد الشام فى العصر العباسى ١٣٢-٤٦٣هـ / ٧٤٩-١٠٧٠م ودراسة سياسية واجتماعية ، ط. دمشق ١٩٨٣م، ص١٠٤-١١٠ .

٢- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٨٦ .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, op. cit, p. 245 .

٣- حنا كوركواس ؛ يعد من رجال القرن العاشر الميلادى، وقد تدرج من مجرد جندى أرمينى حتى وصل إلى درجة رفيعة فى صورة رئيس الحرس الامبراطورى، ثم صار دومستيك Domestic أو قائد الجيوش=

كـولونـيـا Colonea (١)، وبعد عـامين فقط من تلك الأحداث وقعت معركة بغراس ، ومرعش عام ٩٤٢م، وتمكن فيها من هزيمة البيزنطيين.

على أية حال ؛ لم تقف الإمبراطورية البيزنطية مكتوفة الأيدى أمام هجمات ذلك القائد المسلم، وهكذا ؛ قامت بتوجيه قواتها عام ٩٤٣م فى منطقة الجزيرة الفراتية وتمكنت من الاستيلاء على مارتيروبوليس ، وآن، ودارا، ونصيبين(٢) وذلك تحت قيادة القائد السالف الذكر (٣)، وقد أطمعته إنتصاراته فى أن يتوجها بالتوجه إلى الرها Edessa عام ٩٤٤م على نحو جعلها بمثابة قمة انتصاراته فى تلك المرحلة ، وكانت فى قبضة المسلمين عام ٦٤١م. ويلاحظ أنها مثلت مكانة دينية خاصة مع وجود المنديل المقدس The Sacred Mandilon الخاص بالسيد المسيح (٤) كما يعتقد المسيحيون فى كنيستها .

= الشرقية ضد المسلمين فى عهد الامبراطور رومانوس الأول ليكابينوس Romanus I Lakapenos، ويقرر دونالدنيكول عنه أنه تولى أمر الدفاع عن العاصمة البيزنطية في مواجهة الروس عام ٩٤١م، وقد وصفه رنسيمان بأنه أعظم جندى أنجبته بيزنطة لعدة أجيال . كذلك حارب المسلمين فى الجبهة الشرقية ، وعندما أسقط الامبراطور المذكور عن عرشه عام ٩٤٤م تبدلت الأمور بالنسبة لحناكوركواس فصار فى ظلال النسيان بعد أن جرد من مناصبه . عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , pp. 70-71 . Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 245.

Norwich, Short History of Byzantium, p. 177 .

Runciman, Romanus Lecapenus, p. 146-150 .

حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٥٧ . محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٨٧ .

١- Ostrogorsky, Op. cit., p. 245 .

٢- Ostrogorsky, Op. cit., p. 245 .

أيضًا : محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص١٨٧ .

٣- Ostrogorsky, Op. cit., p. 245 .

Norwich, Op. cit., p. 177 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 306 .

٤- Nicol, Op. cit., p. 71 .

ولايعنى ذلك بالطبع ؛ تصور أن سيف الدولة الحمدانى لم يرد على تلك التوسعات البيزنطية ؛ إذ دارت الحرب بينه وبين البيزنطيين سجالاً وتراوحت بين الانتصار والهزيمة. حدثت معركة حصن برزويه عام ٩٤٧م ، وفى عام ٩٥٠م ، توغل فى مناطق البيزنطيين وصعب عليه أمر العودة ومنى بالهزيمة ولاريب فى أن الطبيعة الجبلية، والظروف المناخية القاسية حالت دون تحقيق الإنتصار مع عدم اغفال فعاليات الجيش اليزنطى بطبيعة الحال .

تجدر الإشارة إلى أن ذلك القائد لم توقفه الهزيمة المذكورة عن مواصلة الجهاد، بل استمر يواجه البيزنطيين روح وثَّابه فقام بغزوتين عام ٩٥٣م وفى العامين التاليين واصل تقدمه بل تمكن من الانتصار فى معركة الحدث وامتدحه أبو الطيب بقصيدة رائعة قال فى مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم

وتأتى على قدر الكــرام المكـارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها

وتصغر فى عين العظيم العظائم[1]

جدير بالذكر ؛ حرص المؤرخون الأوربيون الذين تحمسوا للتاريخ البيزنطى على تصور سيف الدولة الحمدانى على أنه أحد اللصوص الذين هاجموا بيزنطة، وتصوروا أن كافة عملياته العسكرية لم يكن لها من هدف سوى السلب والنهب[2] والعودة بالغنائم ، والأسلاب ، وفى المقابل ؛ أظهروا الحملات العسكرية البيزنطية حينذاك على أنها بمثابة محاولة لإعادة الأمن لمناطق الجزيرة الفراتية ، وبالتالى نسوا أو تناسوا أن ذلك القائد كان من كبار قادة الجهاد الإسلامى فى ذلك العصر، وقد أبلى بلاءً حسنًا فى مواجهة العدوان البيزنطى على أملاك المسلمين حينذاك .

بوجه عام؛ لم يجد ذلك القائد المسلم من ينصفه إلا بعض أبيات رائعة لعبقرى الشعر العربى أبو الطيب المتنبى هى- بلاريب- درة ديوانه ، وكذلك القليل من الباحثين من لم يتأثر بالرؤية المركزية الأوربية .

١- عن جهاد سيف الدولة ضد البيزنطيين أنظر:

مسكويه ، تجارب الأمم، ج٢، ص١٨٠، مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى، ص١١٧-١٣٢ .

٢- على سبيل المثال أنظر:

Schlumberger, Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle, Nicephor Phocas phocas, Paris 1890 . p. 227 .

من بعد ذلك ؛ تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطور رومانوس الثانى[١] ٩٥٩-٩٦٣م، الذى حقق لإمبراطوريته إنجازاً فى صورة استرداد كريت Crete من السيادة الإسلامية ، وذلك عام ٩٦١م[٢]؛ بعد أن ضعفت أحوال المسلمين السياسية بصفة عامة، وهكذا؛ فإن نجاح البيزنطيين فى إسترداد تلك الجزيرة لم يكن ليتم دون ضعفهم ، ويقرر أحد كبار المؤرخين العرب ما نصه : «ترتب على سقوط الجزيرة ؛ عودة الأمن إلى بحر أيجه بعد أن تعرض لفترة طويلة لحملات المسلمين ، وعادت كريت مركزاً تجاريًا بيزنطيًا هامًا فى حوض البحر المتوسط»[٣]، الواقع ؛ أن ذلك الرأى يمكن توقعه مؤرخ غربى؛ أما أن يصدر من مؤرخ عربى فهو أمر يدعو للدهشة ولايمكن الموافقة عليه وقد تقبل العبارة فى حالة الإشارة إلى أن ذلك من وجه النظر البيزنطية ومرة أخرى ؛ ما قام به المسلمون فى بحر إيجه جهاد بحرى مشروع ، من خلال استمرار حالة الحرب بينهم وبين بيزنطة.

على أية حال ؛ من الملاحظ أن عهد الأسرة المقدونية احتوى على ما يعرف بمرحلة القادة العسكريين وتعنى عهد الامبراطورين؛ نقفور فوكاس[٤] (٩٦٣-٩٦٩م)، ويوحنا تزيمسكس

١- رومانوس الثانى بن قسطنطين السابع ؛ من المقرر أنه عندما توفى أبوه كان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره فى نوفمبر عام ٩٥٩م . ويقرر دونالد نيكول إتصافه بالعربدة ، والعبث، ومع ذلك وجد حوله عدد من كبار رجال السياسة والحرب على نحو أفاد الإمبراطورية البيزنطية، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 112 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. vol . I, p. 302 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 251-252 .

٢- أفضل دراسة بالعربية عن كريت والصراع الإسلامى- البيزنطى عليها ، أعدتها أ.د. اسمت غنيم أنظر: أسمت غنيم، الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، وعن استرداد بيزنطة لها أنظر: ص٢٣٧-٢٧٦ وهى فى الأصل أطروحة علمية من كلية الآداب- جامعة الاسكندرية.

٣- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٨ .

٤- نقفور فوكاس ولد من أسرة من الأسر العسكرية العريقة فى آسيا الصغرى ويلاحظ أنه عمل فى خدمة الامبراطورين بازل الأول وليو السادس وأبوه برداس فوكاس عمل كقائد عام فى عهد قسطنطين السادس، عنه أنظر :

ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان، ط.دمشق ١٩٥١م، ج١،ص٢٩ . وما بعدها. =

(٩٦٩-٩٧٦م)، وقد حققت الامبراطورية البيزنطية خلال حكمهما عدداً من الانتصارات على المسلمين ؛ نظراً لضعفهم ، وكذلك كفاءة القوة العسكرية البيزنطية التى توافرت لها خبرة عريضة فى مواجهة المسلمين فى ساحات المعارك ، ولانغفل إنتهاز بيزنطة لوضع المسلمين السياسى المتدهور من أجل خلق واقع جيوبوليتكى على الأرض لصالحها.

ومن الممكن ملاحظة أن صراع نقفور فوكاس ضد المسلمين مر بثلاث مراحل أساسية هى كالآتى:

المرحلة الأولى: وتقع بين عامى ٩٦٣، ٩٦٥م، وقد تركزت حروبه خلالها فى إقليم كيليكيا Cilicia فى آسيا الصغرى Asia Minor؛ من أجل التمهيد للقوات البيزنطية للتوغل فى بلاد الشام، وقد انتهت تلك المرحلة باخضاعه أدنه Adana ، والمصيصة ، وطرسوس ، وقد اعتبرت من أهم المراكز الحربية .

المرحلة الثانية : وهى فيما بين عامى ٩٦٦م، ٩٦٧م وفيها دخل مناطق دارا، ونصيبين فى أعالى الفرات، ويقال أنه خلال ذلك إضطر سيف الدولة الحمدانى إلى التراجع إلى شيزر، ولم يواصل نقفور فوكاس حملاته ، وعاد أدراجه إلى مناطقه الأصلية عام ٩٦٧م ؛ للحصول على الإمدادات اللازمة بالإضافة إلى أن أوضاع الإمبراطورية الداخلية استدعت عودته[1].

Schlumberger , Un Empereur Byzantin au Dixieme Siecle Nicephor Phocas Paris = 1890 .

دراسة مهمة مع عدم إغفال أن مؤلفها كتبها بإمكانات أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، ومع ذلك ؛ فإلى الآن لابد من الإفادة منها بعد مرور (١١٦) عامًا على صدورها .

عمر كمال توفيق، الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضى المقدسة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

Nicol, A Biographical dictionary , p. 96-97 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 252-260 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 302 , p. 403 .

Norwich, A short History of Byzantium , p. 181 , p. 184 - 185 .

نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى ، ص٢٥٨-٢٦١ ؛حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٥٧ .

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٦ . =

ويلاحظ أنه خلال تلك المرحلة تم طرق بوابة الدبلوماسية ، ولذلك اتجهت بيزنطة إلى أن تتناول الأسرى مع المسلمين ومنهم الشاعر أبوفراس الحمدانى بعد أن مكث أربعة أعوام فى أسر البيزنطيين مرت عليه كالدهر [١]، عام ٩٦٦م، ومن المتصور أن الاتجاه إلى الدبلوماسية يعكس عدم قدرتها على الحسم العسكرى فى صراعها مع المسلمين .

أما المرحلة الثالثة : فقد تمثلت فى وقائع عام ٩٦٨م، وفيها تمكنت من دخول معرة النعمان، وشيزر وحماه، وحمص وأظهرت بيزنطة تعصبها الأعمى ضد الاسلام بإحراق المساجد.

والأمر المؤكد ؛ أن أهم نجاح تحقق من جانب بيزنطة ضد المسلمين خلال تلك المرحلة تمثل فى نجاح إثنين من القادة البيزنطيين فى دخول أنطاكية[٢] Antioch درة شمالى بلاد الشام عام ٩٦٩م، ومن بعد ذلك ؛ ظلت فى قبضة البيزنطيين لما زاد على قرن من الزمان وبالتحديد ١١٥ عامًا إلى أن قام المسلمون بإستردادها عام ١٠٨٤ على أيدى الأتراك السلاجقة إلى أن استولى عليها الصليبيون خلال أحداث الحملة الأولى عام ١٠٩٨م.

من جهة أخرى؛ تمكن ذلك الإمبراطور البيزنطى من دخول مدينة حلب [٣]، وفرض على أهلها شروطًا قاسية، كذلك بلغ به الأمر حداً جعله يرسل رسالة تهديد فى صورة قصيدة شعرية[٤]، للخليفة العباسى المطيع لله (٩٤٦-٩٧٤م) نظمها له أحد كتابه على نحو دلَّ على أن الشعر- ديوان العرب- دخل فى معترك الصراع البيزنطى - العربى حينذاك وهو أمر

= ونجد عرضًا مهمًا لصراع البيزنطيين وسيف الدولة الحمدانى لدى: ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج١، ص١١١ - ص١٥٢ وأهمية ابن العديم تكمن فى أنه خصص كتابه لتناول شمالى بلاد الشام خاصة حلب من ابكر الأزمنة حتى القرن الثالث عشر الميلادى.

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٠١ .

٢- عن استيلاء نقفور فوكاس على أنطاكية أنظر:

ابن العديم ، زبدة الحلب، ج١ ، ص١٦٢-١٦٣ .

ويسميه «نقفور بن الفقّاس» ، أيضًا أحمد مختار العبادى فى التاريخ العباسى والفاطمى، ط. بيروت ب-ت ص٣٢٩ .

٣- Canard, Histoire de la dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie , Paris 1953, p. 814-815 .

٤- عنها أنظر : ابن كثير، البداية والنهاية ، ط. القاهرة، ب-ت ، ج١١، ص٢٤٤-٢٤٧ . =

ما كان يفعله ذلك الإمبراطور إلا من خلال مرحلة الضعف الشديد التى مرت بها الخلافة العباسية حينذاك .

ومن الأهمية بمكان الإقرار بدوافع التوسع البيزنطى خلال القرن العاشر الميلادى، إذ يقرر أحد كبار مؤرخى الدراسات البيزنطية ، أن قيام الإمبراطورية بالتوسع فى الأقاليم الشرقية على حساب المسلمين مَثَّل عملاً قامت به طبقة الأقوياء «Dynatoi» [١]؛ وهو تعبير أطلقه البيزنطيون على الطبقة العسكرية الأرستقراطية ، والتى خرج منها كل من نقفور فوكاس ، ويوحنا تزيمسكس ، وقد إتجه أبناء تلك الطبقة إلى الشرق للحصول على الأرض[٢]، خاصة أن ذلك الاتجاه صار مأمونًا من أجل الاستثمار ، ولانغفل أن السبب فى الاستثمار فى الاقطاعات الزراعية، رجع إلى أنها مثلت المجال الوحيد المتاح نظراً لكون مجالات الصناعة والتجارة عدت من المجالات المقيدة[٣].

وهناك عدة ملاحظات تعليقًا على حملات نقفور فوكاس يمكن إيرادها على النحو الآتى:

أولا : حاول بعض الباحثين الأوروبيين [٤]، وأيدهم فى ذلك بعض الباحثين العرب[٥] القول

= وقد أوردت عدداً من أبياتها فى الملاحق .

١- وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٩٢ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، نفس الصفحة.

ويعد أ.د. وسام عبد العزيز فرج أول باحث عربى حرص على إيراد الدوافع الاقتصادية التى كانت من وراء توسع الإمبراطوريةالبيزنطية خلال تلك المرحلة.

٤- أنظر على سبيل المثال :

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 403 .

٥- من أمثلتهم : عمر كمال توفيق، الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضى المقدسة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

أيضًا : محمد صالح منصور، أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قاريونس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م، ص١٤٦ .

بأن حملات ذلك الإمبراطور البيزنطى تمثل نوعًا من الحروب الصليبية ، والواقع التاريخى عكس ذلك تمامًا ؛ إذ لا صليبيات قبل عام ١٠٩٥م، كما أسلفت الإشارة من قبل ويمكن وصف الأمر بتعبير ما قبل الصليبيات Pre- Crusades عليها ، ومن الممكن القول؛ أن تلك الحملات البيزنطية ما هى إلا محاولات عسكرية ؛ من أجل زيادة النفوذ الإمبراطورى فى تلك المنطقة المجاورة لها دون أن تكون هناك «أيديولوجية» معينة خاصة بالحروب المقدسة Bellum Sacrum, The Holy War خاصة أن الكنيسة البيزنطية لم تكن تفضل تلك الفكرة.

ولانغفل ؛ أن عدداً من الباحثين الأوربيين تأثروا بأقوال الإمبراطور نقفور فوكاس عندما خاطب الجماهير الغفيرة المحتشدة فى ساحة السباق أو الهبدروم Hippodrome موضحًا لهم أنه يريد الوصول إلى بيت المقدس، لتحريرها من قبضة المسلمين، وقد تصوروا نتيجة لذلك أن الأمر يندرج تحت مسمى الحروب الصليبية Crusades, Croisades[٣]، وبالتالى ؛ حَمَّلوا الأمر أكثر مما يحتمل ، كذلك حاولوا إيجاد أصول تاريخية لتلك الظاهرة التاريخية المحورية والفعالة فى عالم العصور الوسطى.

= حيث يذكر «إعتبر بعض الباحثين هذه المحاولات إرهاصات للحروب الصليبية »، أنظر نفس الصفحة أيضًا: صابر دياب حيث يشير إلى ما نصه : «نقرر بشئ من الثقة أن عصر الحروب الصليبية إنما يرجع إلى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وليس إلى تلك الصيحة الرعناء التى نطق بها البابا أوربان الثانى فى مجمع كليرمونت سنة ١٠٩١م (أواخر القرن الخامس الهجرى) .

صابر دياب ، المسلمون، وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والثغور الجزرية، والشامية خلال القرن الرابع الهجرى، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص٣٩ .

ويلاحظ أن المجمع المذكور عقد فى ١٠٩٥م، وليس ١٠٩١م، كما تصور المؤرخ الفاضل.

٣- عن بيبلوجرافيا تاريخ الحروب الصليبية أنظر:

Atiya, The Crusade , Historiography and Bibliography , London 1962 .

Mayer , Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzüge , Hannover 1960.

إن الرؤية الموضوعية تدعونا إلى تصور ؛ أن ذلك الإمبراطور البيزنطى أطلق تلك الشعارات كنوع من الدعاية السياسية؛ من أجل إثارة الجماهير وليضمن تأييدها لتوسعاته العسكرية ، ولم تحتوى الشعارات الدينية على أى «مشروع» يوصف بأنه مشروع صليبى متكامل على شاكلة ما ظهر فى الغرب الأوروبى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى فيما بعد.

ثالثا : لم يكن نجاح نقفور فوكاس فى كافة الأحداث السابقة نوعًا من الإنتصارات البيزنطية «الخارقة» التى تعبر عن قدرة بارزة على تغيير الواقع الجيوبولوتيكى فى بلاد الشام، فالملاحظ أن بقاءه فى تلك المناطق لم يستمر طويلاً بالنسبة للإمبراطورية ، والعبرة فى التاريخ عمومًا ليس بالاستيلاء على المواقع بل البقاء فيها لأمد طويل وكذلك تقديم رسالة حضارية لأبناء تلك المواقع وهو أمر ينتفى تمامًا فى حالة الامبراطور المغامر المذكور.

رابعًا : كان ضعف المسلمين فى العصر العباسى الثانى له دوره البارز فى نجاح أعدائهم التاريخيين البيزنطيين فى تحقيق تلك الانتصارات خاصة، أن العلاقات بين الطرفين كانت لصالح المسلمين بصورة تامة منذ ثلاثة قرون مضت .

وعلينا ألا نتبع كل ما ورد فى المصادر البيزنطية المعاصرة بشأن توسعات نقفور فوكاس إذ أنها تعاملت مع تلك الأحداث بنوع سافر من الدعاية الدينية والسياسة، وطابع المبالغة بصفة

= Mayer, Literaturbericht uber die Geschichte der krenzzüge: Veroffent lich ungem 1958 - 1967 , Historiche Zeitschrift 3 1969 , pp. 641-731 , Mayer and Mclellan , Select Bibliography of the Crusades, in Setton (ed.) A History of the Crusades , vol . VI , Wisconsom, 1989 .

قسطنطين زريق ، «ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة السنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية » مجلة الأبحاث الجامعة الامريكية بيروت السنة (٢) ج٢، يونيو ١٩٥٩م، وهو مؤرخ رائد يعد أول من كتب فى بيبلوجرافيا الحروب الصليبية ، محمد مؤنس عوض، «بيبلوجرافيا الحروب الصليبية - المرجع العربية والمعربة ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٣) عام ١٩٨٥م، ص٣٩٤- ص٤٣٣، فصول بيبلوجرافية فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٩م. ويجد القارئ آلاف العناوين عن الحروب الصليبية قدر الجهد المتواضع.

عامة، على الرغم من أن الأمر كان أيسر من ذلك ؛ فالفراغ السياسى الذى عانت منه المنطقة مهمد لذلك الإمبراطور النجاح ، وبعبارة أخرى ساعد المسلمون بضعفهم ذلك الامبراطور - دون أن يدروا على الانتصار البيزنطى !.

خامسًا : لانغفل أن من الباحثين الغربيين من إعتبر عهد الأسرة المقدونية بمثابة العصر الذهبى فى تاريخ الدولة البيزنطية ، وكان من أسباب تلك التسمية لديهم؛ إلى جانب التفوق فى المجالات الحضارية المتعددة النجاحات العسكرية التى بالغوا بشأنه من جانب نقفور فوكاس - ومن بعده يوحنا تزيمسكس - ومن الممكن تقديم ملاحظة أساسية هنا وهى أن أباطرة العصر الذهبى The Golden Age المذكور أباطرة غلبت عليهم الروح العسكرية المتعصبة ، وصنعوا مجدهم الحربى على جماجم آلاف القتلى.

مهما يكن من أمر؛ تولى بعد نقفور فوكاس الإمبراطور يوحنا تزيمسكس (٩٦٩-٩٧٦م) ، ويلاحظ هنا ؛ تكرار المشهد الرئيسى فى القصر الامبراطورى على نحو أكثر خسة ؛ إذ أن نقفور كان قد تزوج من ثيوفانوا Theophano [1]، وقد تآمرت الأخيرة على زوجها للإرتباط بعشيقها ليو حنا تزيمسكس، وبالفعل تم تدبير مؤامرة أعدتها الزوجة الخائنة، وذبح نقفور عام ٩٦٩م فى غرفة نومه !

١- الإمبراطورة ثيوفانو Theophano، زوجة رومانوس الثانى ثم نقفور فوكاس ، ومن بعده حناتزيمسكس وصفت بالجمال ، والطموح، والدهاء، وهناك من يقرر أنه عرف عنها الانحلال الخلقى، وقد لفت جمالها الامبراطور رومانوس الثانى الذى عرف عنه ضعف الشخصية فأتخذها زوجة، ومن بعده تزوجها نقفور ، وقيل أنها لم تكد ترغب فى الزواج منه، وتقرر المؤرخة القديرة، أ.د. عليه الجنزورى؛ أن زواجها من نقفور أثار دهشة المعاصرين : نظراً لما عرف عنه من زهد - كما ردد البيزنطيون - خاصة ما عرف عنها من أخلاق منحلة، وقد سجل نقش على قبره يقول: إن ذلك الإمبراطور تمكن من هزيمة كل شئ إلا المرأة ، وعلى أية حال، لم يستمر ذلك الزواج إذ تآمرت ثيوفانو مع عشيقها يوحنا تزيمسكس لقتل زوجها، عنها أنظر:

Nicol, ABiographical dictionary, p. 127-128 .

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, p. 302, p. 335 .

Ostrogorsky, History of the Byzanine State, p. 251, p. 260 .

عليه الجنزورى ، المرأة فى الحضارة البيزنطية، ص١٩٦-١٩٧، محمود سعيد عمران؛ معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٩ .

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن شهوة السلطة ، والرغبة فى المجد السياسى، دفعت الكثيرين إلى الوصول إلى المنصب الإمبراطورى بالدماء ، والخيانة، وتلك صفة لايمكن أن ينكرها مؤرخ منصف تعامل مع ذلك المنصب الذى أغرى الكثيرين بالتجرد من المشاعر الإنسانية من أجل السعى إليه، وبذلك قدمت لنا بيزنطة صوراً بالغة السوء فى المجال المذكور .

على أية حال ؛ ليس هناك فى عهد يوحنا تزيمسكس من أحداث جديرة بالتسجيل إلا صراعه مع المسلمين، ويلاحظ أنه - من جهة أخرى- دخل فى صراع مع الروس حققت فيها بيزنطة نجاحًا[١] مع ملاحظة أن حسم الأمر سيكون لبيزنطة في علاقتها مع الروس من خلال التنصير وليس القوة العسكرية فيما بعد.

أما العلاقات مع المسلمين ؛ فيلاحظ أن عهد يوحنا تزيمسكس (المعروف فى المصادر العربية باسم ابن شقيق[٢] بعد إمتداداً واضحًا لعهد سلفه نقفور فوكاس ، وقد أغراه ضعف الخلافة العباسية ، وظهور القاطميين الشيعة والصراع القائم بين القوتين المتنافستين سياسيًا ومذهبيًا - أغراه ذلك على التوسع على حساب المسلمين وقد هدف - فيما هدف- إلى إعادة الأملاك التى كانت للإمبراطورية البيزنطية منذ ثلاثة قرون خلت ، كذلك بتكوين مجد عسكرى بارز يدعم، وضعيته السياسية داخل ربوع الإمبراطورية البيزنطية، ولانغفل ، رغبته فى إكمال النشاط العسكرى الذى قام به سلفه[٣].

كذلك لانغفل الأهمية الاقتصادية - خاصة التجارية - لمنطقة شمالى بلاد الشام ولا نرتاب فى أنها أغرته فى القدوم بقواته إليها [٤].

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٨-ص١٦٩ .

٢- أنظر علي سبيل المثال: ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص١٢٦ .

٣- ومع ذلك ؛ فمما يخالف الحقيقة التاريخية ما تصوره أ.د. أحمد مختار العبادى حيث ذكر أن غارات ذلك الامبراطور البيزنطى وصلت إلى أرباض بيت المقدس وبغداد، وقال ما نصه : «يوحنا الأول الشيشق (تزيمسكس) الذى بلغت غاراته أرباض بيت المقدس وبغداد » ولايوجد فى المصادر التاريخية ما يؤكد مثل ذلك التصور المبالغ فيه تمامًا، أنظر إشارته :

أحمد مختار العبادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى، ط. بيروت ب-ت ، ص٣٢٩، ص٩٠ ، فى التاريخ العباسى والأندلسى، ط. بيروت ب-ت ، ص٩٠ .

٤- عن الأهمية التجارية لتلك المنطقة أنظر :شيخ الربوة ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، تحقيق مهرن. ط. بطرسبرج ١٨٣٥م، ص٢٠٢ ، الغزى، نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢م، ج١، ص١٤٥ ، هايد ، تاريخ التجارة ، ص١٨٠، أحمد رمضان ، المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٠٧ .

وقد تمكن الإمبراطور البيزنطى المذكور من الإستيلاء على حمص ، وكذلك بعلبك، وفرض على دمشق ؛ ضرورة أن تدفع له فدية مالية، ونعرف عنه قيامه بعدة حملات على إقليم الجزيرة فى شمالى العراق لبسط السيادة البيزنطية هناك واستولى خلال ذلك على آمد، وميافارقين، ونصيبين؛ وذلك عام ٩٧٤م[١].

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ عقده حلفًا دفاعيًا مع الملك أشوط الثالث الأرمينى Ashot III ، الذى حكم خلال المرحلة الممتدة بين عامى ٩٥٢ ، ٩٧٧م[٢] ليواصل أعماله الحربية فى إقليم الجزيرة بعد العودة إلى بيزنطة غير أن الحليف الأرمينى باء مسعاه بالفشل المبين .

على أية حال؛ حرص المؤرخون الأوربيون على التركيز على البعد الدينى فى حملات يوحنا تزيمسكس[٣] وأبرزوا رغبته فى تحرير القدس من السيادة الإسلامية، وبذلك : خلطوا بين القدرة الفعلية على تحقيق ذلك والبقاء باستمرار هناك ، وبين عنصر الدعاية السياسية الذى تفيض به المصادر التاريخية البيزنطية ولاريب فى أن نوعية مثل ذلك الامبراطور استهوت الكثرين منهم لأسباب لاتخفى علي أحد.

١- تجدر الإشارة إلى أن العلماء والفقهاء لم يترددوا فى إثارة الحماس للجهاد ضد البيزنطيين حينذاك ، ونذكر فى هذا الشأن ؛ ابن نباته (ت ٩٨٥م) ، وهو أبويحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارقى من أهل ميافارقين وقد التقى فى حلب بالمتنبى فى خدمة سيف الدولة، وارتبط بالخطب الحماسية وقد أحدثت أثراً كبيراً فى نفوس معاصريه ، عنه أنظر، ديوان ابن نباته ، ط. بيروت ١٣١١هـ .

الذهبى، دول الإسلام ، ج١ ، ص٢٣٠، عبد اللطيف حمزه ، أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص٢١٤ ، آدم متز، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ت. عبد الهادى أبوريدة ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج٢ ، ص٩٤ ، عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبى، ص١٧٢ ، محمد مؤنس عوض ، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٦١، حاشية (١٤٠) .

Hillenbrand , The Crusades, Islamic Pospectives, Illinois 1999, p. 101 .

وهى دراسة ممتازة غير أنها رؤية أوربية على أية حال .

٢- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٠٥ . طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجى، ج١ ، البيزنطيون والعالم الإسلامى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٢١٩، ص٢٣٠ .

٣- من أمثلة ذلك المؤرخ ، أنظر مقالته :

Walker , " The Crusade of John Tzimisres in The Light of New Arabic Evidence" B., vol . XLVII, 1477, pp. 301-327 .

ومرة أخرى ؛ من المهم الإقرار بأن العبرة فى التاريخ بالبقاء فى المواقع التى تم السيطرة عليها ؛ وهو أمر لم يحدث فى المغامرات العسكرية لذلك الإمبراطور البيزنطى التى إتسمت بالتسرع وعدم الاستمرارية .

على أية حال ؛ توفى يوحنا تزيمسكس المذكور عام ٩٧٦م؛ ليتولى من بعده أحد أشهر أباطرة الدولة البيزنطية ألا وهو باسل الثانى ٩٧٦-١٠٢٥م[1].

جدير بالإشارة ؛ أن أغلب المؤرخين الأوربيين الذين تخصصوا فى حقل الدراسات البيزنطية راهنوا على أعمال ذلك الإمبراطور الذى وصفوه بأنه آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار، واعتبروا وفاته عام ١٠٢٥م ، بمثابة نهاية العصر الذهبى للأسرة المقدونية [2]، وبالتالى علينا تسليط الضوء على أعماله والحكم عليها بموضوعية .

١- باسل الثانى ؛ إمبراطور بيزنطى حكم خلال المرحلة بين عامى ٩٧٦، ١٠٢٥م ويعد من أبرز الأباطرة فى عهد الأسرة المقدونية ، وقد توفى فى العام الأخير عن عمر بلغ الثامن والستين عامًا ويلاحظ أنه لم يتزوج، عنه أنظر:

Psellus , Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia , pp. 27-49 .

Gibbon , The History of the decline and Fall, vol . III, p. 1939- 1942 Nicol, A Biographical dictionary, pp. 17-18 .

Farag, Byzantium and its Muslim Neighbours during The Reign of Basol II , 96-1025, ph. D., University of Birmingham 1979 .

تعد أفضل دراسة بالإنجليزية كتبها مؤرخ عربى بارز فى مجال الدراسات البيزنطية صاحب مكانة دولية مرموقة . انظر: وسام عبد العزيز فرج ، «الامبراطور باسل الثانى سفاح البلغار» (٩٧٦-١٠٢٥م) : العوامل التى أثرت على السياسة فى عصره، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (١) ، عام ١٩٨٢م، ص١٦٩-٢٠٢ ، وهى أفضل دراسة عربية مركزة عن ذلك الإمبراطور.

وسام عبد العزيز فرج ، «قوانين الملكية الزراعية فى الامبراطورية البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى: دراسة تحليلية »، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢)، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص٣٢٨-٣٣٦ ، والبحث الأخير من أمتع ما كتب هذا المؤرخ الذى تدين له الدراسات البيزنطية فى مصر بالكثير.

أنظر عنه أيضًا : عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٩ - ص١٧٨ ، أسد رستم ، الروم ، ج٢ ، ص٤٩-٦٠ ، حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٥٨-١٦٠ ، اسمت غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٣٣ .

٢- Nicol, op . cit ., p. 18 .

يلاحظ أن أبرز ما قام به باسل الثانى بموضوعية يمكن ملاحظته على النحو الآتى:

أولا: تنصير الروس.

ثانيا : العلاقات مع الفاطميين فى مصر والشام.

ثالثا : الصراع مع البلغار والتنكيل القاسى بهم.

جدير بالإشارة ؛ أن الإمبراطورية دخلت فى صراع مرير مع الروس. وقد لاحظنا كيف أنهم هاجموا من قبل عام ٨٦٠م العاصمة البيزنطية وأعملوا فيها التخريب والقتل؛ على نحو أبرزته المصادر التاريخية ، ولكن فيما بعد تحسنت العلاقات بين الطرفين وأخذت بعداً سياسيًا ودينيًا آخر فى عهد باسل الثانى.

لانغفل ؛ أن العرش البيزنطى تعرض لمحنة كبيرة فى عهد باسل الثانى، وإذ أنه لم يوفق فى صراعه المبكر مع البلغار ، وثار ضده اثنان من القيادات البيزنطية فى صورة برداس فوكاس Berdas Phocas ، وبرداس سكليروس Berdas Sklero ، وأعلن الأخير نفسه إمبراطوراً خاصة أنه كان يمت بصلة القرابة لنقفور فوكاس ؛ إذ كان عمًا له . وقد حدث اتفاق بين القائدين على أساس أن ينال برداس فوكاس القسم الأوروبى من الامبراطورية بما فيه العاصمة، ويحصل برداس سكليروس على القسم الآسيوى ، غير أن الخلاف دب بينهما ، وألقى برداس فوكاس القبض على منافسه وصار مطالبا بالعرش الامبراطورى[٢] وتأزم الوضع العسكرى للإمبراطور باسل الثانى وبحث عن حليف فى تلك الظروف العصيبة فتمثل فى

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٢١٧ ، أنظر أيضًا : طارق منصور ، الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥ - ١٠٥٤ م، ص٩٥ .

وعن العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية فى عهد الأسرة المقدونية بصفة عامة أنظر هذه الدراسة المفصلة والعميقة: عليه الجنزورى، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

وهى أفضل دراسة بالعربية فى موضوعها، وتمتاز بالتحليل والعمق من مؤرخة قديرة فى حقلى الدراسات البيزنطية والصليبية.

٢- Obolensky , The Byzantine commonwealth Eastern Europe 500-1453 . washington 1971, p. 255 .

الأمير الروسى فلاديمير Vladimir [1] (٩٨٠-١٠١٥م) - فيما بعد القديس فلاديمير- وبالفعل أرسل له فرقة عسكرية من ٦ آلاف مقاتل لدعم الإمبراطور الشرعى على نحو أدى إلى هزيمة برداس فوكاس عام ٩٨٩م فى معركة ابيدوس Abydos[2] وفى مقابل ذلك ؛ قدم الامبراطور باسل الثانى وعداً بالغ القيمة للأمير الروسى بأن يزوجه من أخته الأميرة أنّا Anna شريطة أن يعتنق المسيحية [3]، وكذلك يفرضها على شعبه.

= أيضــا :
Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, p. 517 .
Vasiliev, History of th Byzantine Empire, p. 332, 347 .
Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 269 .

١- فلاديمير أو القديس فلاديمير St. Vladimir : هو فلاديمير الأول بن سفياتوسلاف ، ولد عام ٩٥٥م، وتولى امارة كييف عام ٩٨٠م تقريبًا ، وفى عام ٩٦٩م؛ صاراً أميراً على نوفجورد Novgord وذلك بمساعدة خاله دوبرينيا ، وقد أقام خطًا دفاعيًا لمواجهة قبائل البجناك على نهر ديسنا ، وسوليو، وغيرهما، وهناك من يقرر أن عهد فلاديمير شهد نهوضاً لدولة كييف ، وارتبط بتقوية الحكم فى الداخل ، وحملات خارجية للغزو ، على أية حال ؛ توفى فلاديمير عام ١٠١٥م وتم منحه لقب قديس ، عنه أنظر:

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia , p. 201 . Attwater , Penguin Dictionary of Saints , London 1977, p. 338-339 .

مجهول ، قصة حملة الأمير أيغور ، ت. خميس فرج، ط. موسكو ١٩٨٩م، ص١٤٧ ، وهو مصدر روسى مهم .

ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١٤ ، ت. محمد بدران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص١٩٩ .

٢- Obolensky The Byzantium Commonwealth, p. 255 .

٣- عن اعتناق فلاديمير المسيحية انظر:

Meyendorff and paynes, " The Byzantine inheritance in Russia", in Paynes and Moss, Byzantium , An Introduction to East Roman civilization , Oxford 1952 , p. 371- 372 , Rybarov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51, Browning, The Byzantine Empire, New York 1980, p. 90 .

Rybarov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51, Browning, The Byzantine Empire, New York 1980, p. 90 .

على أية حال ؛ بعد زوال الخطر ؛ ماطل الامبراطور فى تنفيذ الاتفاق، وأمام ذلك الموقف البيزنطى قام فلاديمير كنوع من الضغط العسكرى، والسياسى بالاستيلاء على ميناء خرسون Cherson[(١)] الاستراتيجى والحيوى على البحر الأسود ، وفيما بعد ؛ وافق الإمبراطور على أمر المصاهرة مع الروس ، فى واحدة من أهم أحداث الزواج السياسى Political Marriage فى شرقى أوربا فى العصور الوسطى .

من ناحية أخرى ؛ عمل باسل الثانى على تزويج إحدى قريباته وهى ماريا أرجيروبولينا Maria Argyropoulaina من ابن دوق البندقية عام ١٠٠٤م، كما أنه زوج ابنة أخته زوى Zoe إلى اوتو الثالث ملك ألمانيا [(٢)].

جدير بالذكر ؛ أن أمر الزيجات السياسية استمرت من بعد ذلك بين الروس والامبراطورية البيزنطية، ولا أدل على ذلك؛ من أن فزيفولد ابن ياروسلاف قد تزوج من ماريا ابنة الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) وذلك فى عام ١٠٤٦م ومن بعد ذلك ؛ نجد أن دوق روسيا إيفان الثالث فاسيليفتش Ivan III Vasi-lievtch (١٤٦٢-١٥٠٥م) تزوج من صوفى باليولوغوس Sophie Paleologue ابنه شقيق قسطنطين الحادى عشر Constantine XI (١٤٢٨-١٤٥٣م) [(٣)]. على نحو أكد أن زواج

= Brehier, Vie et Mort de Byzance , Paris 1946 , p. 222, 2000, p. 34 . Ziegler, History of Russia, London 1999, p. 12 .

ليلى عبد الجواد ، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص٥٥ ، بوريس رواستنباخ، «تعميد كييف. » مجلة رسالة اليونسكو ، العدد التذكارى بمناسبة مرور ألف عام على تعميد كييف، رقم (٣٢٥) يونيو ١٩٨٨م، ص٤-٨، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩- ٢٠٠٠م ، ص٢٨ .

كريستوفر دوسون، تكوين أوربا ، ت. مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص٢١٦ .

١- عنها : Constantine Prophyrogenitus, De Administrando imperio, p. 259 .

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 18 .

٣- عن ذلك أنظر: عليه الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧-١٠٥٦م، ص١٧٥، فايز نجيب اسكندر، مصر فى كتابات الحجاج الروس فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص٥-٦ .

فلاديمير من آنا شقيقة باسل الثانى كان مقدمة لحالات أخرى من الزواج السياسى بين الجانبين والملاحظ أن تحول روسيا إلى النصرانية ؛ قد تم بصورة تدريجية فقد بدأ بالفئات العليا من المجتمع الروسى، ثم انتشر ببطء بين العناصر الأدنى، ولايفهم من ذلك أن العناصر الوثنية لم تظهر مقاومة؛ إذ لاذت بالفرار إلى الأدغال ، والغابات (١)، وظلت أشكال الوثنية قائمة لعدة قرون تالية ، ولكن من خلال الكنائس والأديرة صارت روسيا تحتل مكانها ضمن المراكز الروحية المسيحية فى ذلك العصر (٢).

على أية حال؛ لتحويل روسيا إلى المسيحية ؛ تم بناء العديد من الكنائس فى كافة أنحاء البلاد فى عهد فلاديمير ، وقد قرر أن يتم إقامة الكنائس فى ذات الأماكن التى شهدت من قبل تشييد المعابد الوثنية، كذلك تم تشييد الأديرة ليس فقط فى كييف Kiev بل حتى فى مناطق الغابات دعمًا للدين الجديدة ، وليتوحد الرهبان مع الطبيعة - كما يتصورون-كذلك أقيمت فى عهده- المدارس التى حرصت الفئات العليا على إلحاق أبنائها فيها، ومثلت الأساس الذى قامت عليه المدارس الكنسية التى هدفت إلى تخريج عناصر تعمل بالسلك الكنسى فيما بعد (٣).

مهما يكن من أمر؛ تطور الأمر من بعد ذلك على نحو جعل الروس يحجون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين ويسجلون خواطر رحلاتهم إلى هناك كجزء من أدب الحج الأوروبى فى العصور الوسطى، ومن أمثلتهم فى القرن الثانى عشر م؛ Daniel دانيال (٤)،

١- Pares, A History of Russia, London 1962 , p. 52 .

٢- Harcave, Russia , A History , London , Russia, A History , London 1954, p. 14 .

ولانغفل أنه فيما بعد؛ عمل الروس على نشر المسيحية عبر سيبيريا إلى الاسكا عن ذلك أنظر: حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦١ .

٣- Wren, Acourse of Russian History, New York 1958 , p. 52 .

٤- أنظر رحلته :

Daniel, Plgrimage of The Russian Abbot Danie in The Holy Land, Trans. by Wilson , P.P.TS., vol . IV , London 1895 .

والترجمة العربية التى قام بها سعيد البيشاوى :

دانيال الروسى، رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة،ت سعيد البيشاوى، ط. عمّان ١٩٩٢م، وعن ذلك الرحالة ورحلته أنظر:

والأميرة أيوفروزين Euphrosine [1]، وغيرهما .

ولانزاع ، فى أن الروس كانوا بمثابة الميدان البكر لبيزنطة فى سياستها التنصيرية حينذاك، وما حققته هناك مَثَّل إنتصاراً بارزاً على كنيستها المنافسة لها : روما ، ومن الممكن القول- دون مبالغة أن بيزنطة فى عهد باسل الثانى الثانى توسعت جغرافيًا خارج حدودها ولم يكن ذلك عن طريق الجيوش ، ولكن بالتنصير وبالتوسع العقائدى والثقافى.

بصفة عامة؛ نلاحظ أن الدبلوماسية البيزنطية [2]، وضعت من بين أهدافها الكبرى : السعى إلى تنصير الشعوب المجاورة التى من الممكن أن تشكل خطراً داهمًا على الامبراطورية، ولاريب؛ فى أن خبراتها التاريخية فى ذلك المجال كان لها دورها ، فمن قبل لاحظنا أن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) ؛ أى منذ القرن السادس الميلادى شهد نشاطًا تنصيريًا خلال الصراع مع الدولة الساسانية، ومنذ ذلك الحين إمتد النشاط التنصيرى، ونجد فى القرن التاسع الميلادى إتجاهًا نحو تنصير مورافيا Moravia كما أسلفت الإشارة من قبل.

يوغوليوبسكى، «رحلة السائح الروسى دانيال الراهب فى الأراضى المقدسة، فى أول عهد الصليبيين»، مجلة المشرق ، العدد (١٩) ، السنة (٢٤) عام ١٩٢٦م، ص٦٤١-٦٤٤ ، نقولا زيادة ، رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص٨٢-٨٣ ، محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٧٣- ص١٠٠ .

١- أنظر رحلتها : Euphrosine, " Peleringe en Palestine ", Trans. by De khitrowo. R.O.L., T. III. Année 1895 .

محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق، ص١٤٤-١٥٥ .

٢- عن الدبلوماسية البيزنطية أنظر:

Shepard and Franklin (eds.) Byzantine Diplomacy , Papers From TheTwenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Publication , N. I, Hampshire 2003.

ويحتوى الكتاب المذكور على ٢١ بحثًا عن الدبلوماسية البيزنطية، ومن أفضلها :

Haldon, " Blood and ink, Some Observations on Byzantime attitudes Towards Warefare and diplomary, pp. 281-294 .

وأنظر أيضًا : رأفت عبد الحميد، بيزنطة الدين والفكر والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠٣-١٤١ . حيث خصص العالم الراحل فصلاً مستقلاً عن الدبلوماسية البيزنطية.

جدير بالذكر ؛ مثل ذلك الجانب سياسة عامة للإمبراطورية البيزنطية لم تكن لتتغير بتغير الأباطرة ، وقد أدركت أن من عناصر استمرارها ، وبقائها وسط عالم شديد الاضطراب والتصارع نظراً لاختلاف الأمم، والأعراق ، والأديان ، والمصالح والأهداف أن تتجه نحو التنصير ، ولانغفل وجود دوافع سياسية واقتصادية لاتنكر، ولاننكر أنه خلف القوة العسكرية وجدت التجارة والتنصير، وحتى عندما كانت هناك العلاقات السلمية لم تتخل بيزنطة عن التنصير لتحقيق مكاسب متعددة جنتها من ورائه .

وهكذا؛ كان تنصير الروس نقطة تحول مهمة ومحورية فى العلاقات البيزنطية الروسية؛ خاصة أنها حينذاك توافرت لديها خبرة خاصة بذلك المجال؛ فمع التغير الجديد لن يكون الروس بمثابة أعداء يهددون القسطنطينية مثلما حدث عام ٨٦٠م، بل إنهم عندئذ صاروا تابعين دينيًا، ومذهبيًا للإمبراطورية البيزنطية على نحو جعلهم بمثابة عمق استراتيجى يحسب له حسابه لصالح تلك الإمبراطورية .

يبقى أن نذكر هنا ؛ أن كافة الكيانات السياسية البارزة فى العصور الوسطى سواءً فى الغرب الأوروبى ، أو فى شرقى أوروبا وآسيا الصغرى كما فى حالة بيزنطة ، وحتى فى مملكة بيت المقدس اللاتينية Latin kingdom of Jerusalem في بلاد الشام فيما بعد على مدى القرنين ١٢ ، ١٣م[١] وضعت نصب عينيها القيام بالتنصير؛ دعمًا لوضعها السياسى ولتحقيق أهداف متعددة من خلال مظلة نشر المسيحية سواءً كانت كاثوليكية تابعة لكنيسة روما أو أرثوذكسية تابعة لكنيسة القسطنطينية ، خاصة المكاسب الاقتصادية لاسيما التجارية.

وبصفة عامة؛ مهما اختلفت التوجهات السياسية للكيانات السياسية فى أوروبا العصور الوسطى فقد اتفقت فى زاوية التنصير بصورة ملفتة للانتباه ، وحقيقة الأمر؛ أن التنصير كان الدافع الظاهرى الذى استترت من ورائه عدة دوافع أخرى اقتصادية وسياسية لايمكن إنكارها ، وبعبارة أخرى؛ كان التنصير بمثابة الغطاء الذى وجدت من ورائه دوافع أخرى على جانب كبير من الأهمية والخطورة.

١- عن التنصير فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية فى القرنين ١٢، ١٣م، أنظر: أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى، ط. بيروت ١٩٨١م، ص١٦٨ ، ابن جبير، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٢٨١ .

Baldwin "Mission to the east in The Thirteenth and Fourteenth Centuries" in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . V, Philadelphia 1985, pp. 432-518 .

Kedar , Crusade and Mission, European Appraaches to the Muslims, Princeton 1988 .

وتبقى هنا زاوية أخيرة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - الروسية فى عهد باسل الثانى؛ فالملاحظ أن التأثير لم يكن بيزنطيًا فقط مثلما قد يتبادر للأذهان ، بل أن الروس تركوا تأثيرهم هم أيضًا فى الإمبراطورية البيزنطية لاسيما من الناحية العسكرية ، وكما لاحظ المؤرخ ديمترى أوبولينسكى إذ أن العناصر التى أرسلها فلاديمير إلى القسطنطينية بعد أن انتهت من تأدية مهمتها الحربية لصالح الإمبراطور الشرعى ظل عدد منهم فى العاصمة البيزنطية ووجد منهم أعضاء فى الحرس الفرنجينى Varangian Guard؛ الذى مثل الحرس الشخصى للإمبراطور الذى تولى مهمة الدفاع عن القصر، وشارك فى جيوش الإمبراطورية البيزنطية[١]، وهكذا؛ فإن الكفاءة الحربية لتلك العناصر الروسية ضمنت لها دورها حينذاك وفيما بعد.

وفيما يتصل بالصراع بين بيزنطة والفاطميين فى مصر والشام ؛ يلاحظ أن امتداد نفوذ الفاطميين من المغرب إلى مصر ، ثم بلاد الشام جعلهم فى مواجهة الإمبراطورية البيزنطية، وقد عاصر الإمبراطور باسل الثانى إثنين من الخلفاء الفاطميين هما: العزيز بالله (٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠١١م) .

وبصفة عامة ؛ إتجه العزيز بالله إلى أن تكون بلاد الشام خاضعة لسيطرته من خلال رغبته فى نشر المذهب الشيعى الإسماعيلى هناك، ولكى يكون مجاوراً للخلافة العباسية السنية العدو الرئيسى للفاطميين الشيعة. وقد إصطدم مع الحمدانيين فى حلب على نحو سمع بزيادة هجمات البيزنطيين هناك ، واتجه الحمدانيون فيما بعد إلى مهادنة الفاطميين ، وبالفعل إتجه سعيد الدولة الحمدانى (٩٩١-١٠٠١م) إلى الاعتراف بالتبعية للخليفة الفاطمى العزيز بالله.

= وهى دراسة تعد أفضل ما كتب بالإنجليزية فى موضوعها.

محمد مؤنس عوض ، الاسلام والمسيحية بين الاعتناق والارتداد عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة- المياه- العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٩١- ص١١٧ .

ويقوم حاليًا الطالب اليمنى النابه / محمد المقدم بإعداد رسالته للدكتوراه عن نفس الموضوع من كلية الآداب- جامعة المنصورة.

١- وفى هذا المجال يقول ذلك المؤرخ ما نصه:

"These Russian mercenaries , There mission completel continued to play arole in Byzantine history : Some of them at least remained in Constantinople and became members of the Varangian Guard, The Emperor's Personal bodyguard who defeudet the Palace and where Sometimes enrolled in the field armies of Byzantium".

Obolensky , The Byzantine Commonwealth , p. 255-256 .

إتجه الخليفة المذكور إلى محاربة البيزنطيية وأعد جيشًا كبيراً لذلك غير أن المنية لاحقته عام ٩٩٦م، فتولى من بعده الحاكم بأمر الله الذى واصل سياسة والده حيال البيزنطيين ، وقد حدث فى عام ٩٩٧؛ أى العام التالى مباشرة لتولية الحاكم السلطة. أن قامت فى مدينة صور حركة تمرد بقيادة بُحَّار سُميَّ علاقه [١]، الذى أعلن استقلاله وقد قام باسل بتقديم العون له نكاية فى الفاطميين، وقد أرسل إليه الحاكم بأمر الله جيشًا بقيادة ابن الصمصامة استطاع حصار صور Tyre- التى اشتهرت بمناعتها وحصانتها على مر عصور التاريخ[٣]- وحوصرت براً وبحراً وتم إلقاء القبض على ذلك المتمرد وأرسل إلى مصر، وتابع الجيش الفاطمى تقدمه فى بلاد الشام، من أجل محاربة البيزنطيين ، وبالفعل إصطدم بهم عند أفامية، وتمكن من الإنتصار عليهم ، بل تمت مطاردتهم حتى أنطاكية.

حفزت هزيمة الفاطميين للجيش البيزنطى باسل الثانى ليخرج على رأس قواته ليعيد هيبة البيزنطيين وقام بالإغارة على المنطقة الممتدة من أنطاكية إلى بيروت[٤]، وهكذا اصطدم

١- عن الحاكم بأمر الله أنظر: المقريزى، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تحقيق محمد حلمى أحمد، ط. القاهرة ب-ت، ج٢، ص٣- ص١٢٣ .

محمد عبدالله عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٣٧م؛ عبد المنعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩م، عارف تامر، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين ، الحاكم بأمر الله، ط. بيروت ١٩٨٠م. أحمد كامل محمود، الحاكم بأمر الله وعصره، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

٢- عن ذلك أنظر: جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٣٧٣ .

٣- عن حصانة مدينة صور التى عرفت بها منذ عهد الاسكندر الأكبر أنظر: ابن حوقل ، صورة الأرض، تحقيق دى جويه، ط. ليدن ١٩٦٧م، ص١٧٤ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص٢٧٧-٢٧٨ ، ياقوت ، المشترك وضعًا والمفترق صقعًا ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٢٨٦ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط. بيروت ب-ت ، ص٧٥ ، سر الختم عثمان، مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص٤ ، ص٧، محسن محمد حسين، «مسئولية صلاح الدين فى فشل حصار صور» ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، م (٧) ، العدد (٢٦) ، الكويت ١٩٨٧م، ص٣٢ .

٤- عن حملات باسل الثانى على بلاد الشام أنظر : =

بالفاطميين فى طرابلس فى عام ٩٩٩م، إلا أنه خسر المعركة ، واضطر إلى رفع الحصار عنها، وعاد أدراجه إلى أنطاكية.

على أية حال ؛ ظهر إتجاه لدى الفاطميين يدعو إلى تجنب إتساع الصدام مع بيزنطة، بل والدخول معها فى علاقات سلمية يستفيد منها الطرفان، وهكذا ؛ عقدت هدنة بين الجانبين عام ١٠٠١م مدتها عشر سنوات، وتعهدت بيزنطة من خلال باسل الثانى بتقديم الحبوب الذى تحتاجها مصر الفاطمية، مع ملاحظة أن مرحلة الهدنة لم تكتمل نظراً لعودة العلاقات للتوتر بينهما (١).

أما الصراع مع البلغار (٢)؛ فقد حقق فيه ذلك الإمبراطور إنتصاراً بارزاً فى آخر المطاف، ومنحه لقبه الدموى الذى اشتهر به ، وهو قصاب البلغار Bulgaroctonus، فقد فصّل فيه المؤرخون الأمر ، على نحو لايدعو إلى تقديم المزيد من التفاصيلات بشأنه ، ومع ذلك؛ من الممكن تقديم أهم الملامح العامة عن الصراع البيزنطى- البلغارى حينذاك من خلال النقاط التالية:

أولاً : اعتبر القيصر صموئيل Samuel (٣)(٩٧٦-١٠١٤م) من أبرز القيادات البلغارية،

= ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٢١ ، السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الاسكندرية ، ٢٠٠١م، ص٥٦-٥٧ ، محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين فى شمال أفريقيا، ومصر وبلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠١م، ص٢٤٨، حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج٣، ص٢٤٥ ، عمر عبد السلام تدمرى، لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بين الصليبين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦٩-١١٢٤ م، ط. طرابلس ١٩٩٤ م، ص٣٧-٤٥ .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 311 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 273 .

١- محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامى الوجيز ، ص٢٩٧ .

٢- عن تفاصيل صراع باسل الثانى مع البلغار أنظر:

Gibbon, The History of the decline and fall , vol . III, p. 1939-1942 .

Ostrogorsky , Op. cit, p. 268 .

Stephenson, The Legend of Basil The Bulgar Slayer, Cambridge 2003, pp. 32-48 .

٣- عنه أنظر : Ostrogorsky , p. 268 , note (1).

حيث يناقش أصول مملكة صمويل واختلاف الباحثين بشأنها، أيضًا: اسمت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٣٣ .

ويعده البعض من أكبر حكام ما عرف بالدولة البلغارية الأولى، وقد تمكن من إعادة تكوين بلغاريا ، وحرر مناطقها الواقعة على نهر الدانوب ، بل نجح فى غزو مقدونيا، وتساليا، بل وصل به الأمر إلى أن وصل إلى شبه جزيرة البلبيونيز ، وقد ساعده على تحقيق مثل تلك الانتصارات الغير المسبوقة عدم استقرار الأوضاع للإمبراطور باسل الثانى فى بدايات عهده ، بالإضافة إلى كفاءة قواته من الناحية العسكرية وخبرتها السابقة فى مواجهة البيزنطيين.

ثانيًا : تعرض الإمبراطور باسل الثانى للهزيمة من جانب الزعيم البلغارى عندما تمكن من من مهاجمة قواته عند ممر تراجان أو ما عرف باسم Tragan's Gates فى البلغار ؛ وذلك فى أغسطس عام ٩٨٦م . ومن بعدها تمكن صمويل من مد حدوده من البحر الأسود إلى الأدرياتيكى(١).

ومن المؤكد أنها كانت هزيمة كبيرة بكافة المقاييس، ومن المرجح أنها تركت أثراً نفسيًا بالغًا على الإمبراطور وولدت لديه رغبة قوية نحو الثأر من البلغار، وقد تعاظمت تلك الرغبة مع توالى الأعوام.

ويلاحظ أنه لم يتمكن من الرد عليها إلا بعد أن أنفق ثلاثة عقود تقريبًا ، حرص فيها على تكوين «قاعدة معلومات» وفيرة عن عدوه اللدود وكذلك إعداد جيش قوى على نحو يمكنه من الانتصار فى مواجهة ذلك العدو العتيد الممتد النفوذ من نهر الدانوب شمالاً إلى البحر الأدرياتيكى، وبحر إيجه Aegean Sea جنوبًا.

على أية حال ؛ أمام صمت المصادر ليس فى مقدور الباحث أن يبرز التفسير النفسى لسياسات ذلك الإمبراطور حيال عناصر البلغار ، غير أن الأمر يظل فى دائرة الترجيح دون التأكيد التام. ولانغفل؛ أن المصاعب التى واجهته فى سنوات حكمه الأولى، وكذلك أحداث التمرد التى واجهها ، كل ذلك من المحتمل أنه ولّد لديه نوعًا من الشراسة والعنف .

ثالثًا : تمكن باسل الثانى من الرد على الهزيمة السابقة من خلال إنتصاره الحاسم فى ممر يسمى كيمبالونجو Kimbalongou فى يوليو عام ١٠١٤م(٢). وقد نتج عن تلك المعركة

٢- Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 275 .

حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٥٨، عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٧٠ ، أسد رستم ، الروم، ج٢، ص٥٨ .

وقوع عدد كبير من البلغار بين قتيل، وأسير، ويقال أن الأسرى بلغوا ١٤,٠٠٠ أسير ، وقد أظهر الإمبراطور- الذى حركته - على الأرجح- الهزيمة والرغبة فى الثأر منذ ٢٨ عامًا- وحشية بالغة عندما قام بتسميل أعينهم، وجعل على رأس كل مائة رجل أعور يقودهم ومنطقى أنه هدف من وراء ذلك إشباع رغبته فى الانتقام ، ثم جعل أولئك الأسرى لايصلحون للحرب ضد بيزنطة فى المستقبل وكذلك توجيه ضربة نفسية موجهة لعناصر البلغار ليتجنبوا محاربة الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى ، وقد أرسل أولئك الأسرى إلى القيصر المهزوم صموئيل ومن هنا؛ تولدت التسمية الشهيرة «قُصاب البلغار» السالفة الذكر، ويلاحظ أن القيصر البلغارى التعيس ؛ لم يلبث أن توفى بعد تلك الحادثة البشعة كمداً وحسرة [١].

من الملاحظ أن المؤرخين الأوربيين الذين استهوتهم الأعمال الحربية ، واهنوا على ذلك الإمبراطور وتصوروا أنه من أعظم الأباطرة البيزنطيين ، وسار على مسيرتهم المؤرخون العرب فرددوا ذات العبارات، والأفكار دونما معارضة تذكر! ، بل وصل الأمر إلى أن أورد أحد كبار المؤرخين العرب ممن دَرَسُوا عصر ذلك الإمبراطور عبارات تفيض بالاعجاب به [٢]، وأتصور ؛ أن باسل الثانى كشف عن عنصرية غير مسبوقة فى تعامله مع الأسرى البلغار؛ على نحو يندر أن نجد له نظيراً فى القرون الوسطى قاطبة ، ومن الغريب ؛ أن أولئك المؤرخين الغربيين ، ومن أيدهم من المؤرخين العرب لم يهاجموا ذلك الإمبراطور الذى قام بسلوك بربرى كشف عن طابع مميز فى «السادية» أو حب تعذيب الآخرين، ولايستطيع المؤرخ المنصف إلا الإقرار بما فى مسلكه من عنف ووحشية غير مسبوقة.

١- Gibbon, The History of the decline Fall fall, vol . III, p. 1942 .
Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier , Apolitical Study of the Northern Balkan, p. 72 .
Runciman , A History of the First Bulgarian Empire , London 1930 , p. 240 .
Crampton, A concise History of Bulgaria, Cambridge 1997, pp. 21-22 .

٢- وسام عبد العزيز فرج ، «الإمبراطور باسل الثانى (سفاح البلغار ١٩٧٦-١٠٢٥) يقول ما نصه : «والجدير بالذكر أن الإمبراطور باسل الثانى اقترب بحكمه- أكثر من كل أباطرة بيزنطة - إلى تحقيق المثل الإمبراطورى الأعلى، والمتمثل فى سمو لامثيل له، وسلطان بلاحدود ، فقد كان القائد لجيشه، ورأس الإدارة المدنية والكنسية على حد سواء ، وبفضل نشاطه حققت الإمبراطورية امتداداً إقليميًا وإزدهاراً اقتصاديًا لم يتحقق من قبل ولا من بعد» ، أنظر: «الامبراطور باسل الثانى (سفاح البلغار ٩٧٦- ١٠٢٥)، ص١٦٩ .

لقد أكد ذلك الموقف على حقيقة محورية، وهى أن العنف والقسوة، والتنكيل بالخصوم، والتآمر بصوره المتعددة ؛ جزء رئيسى فى التاريخ البيزنطى لايمكن إنكاره ، وإن اختلفت أسماء وأشكال الأباطرة وكذلك الضحايا .

ومن المهم هنا عقد مقارنة عامة بين توسعات ذلك الإمبراطور البيزنطى، ومعاملته للأسرى البلغار ، ومعاملة المسلمين فى العصور الوسطى لأسراهم وقد أثبتوا - بما لايدع مجالا للشك - تحضرهم ، ولم يرد فى المصادر التاريخية، مثل تلك العمليات البشعة من التعذيب الجماعى مثلما حدث مع الأسرى البلغار.

هكذا؛ خسرت الإمبراطورية على المستوى الإنسانى بذلك السلوك، على الرغم من أنها ربحت على الصعيد الحربى والسياسى؛ إذ تمكنت من القضاء على المملكة البلغارية الأولى عام ١٠١٨م[١] - بعد أن تمكن باسل الثانى من دخول اوخريدا Ochridu عاصمتها- التى ناصبتها العداء زمنًا طويلاً، وبذلك امتدت رقعتها من نهر الدانوب إلى البحر الأدرياتيكى، وصولاً إلى جنوب شبه جزيرة البليبونيز.

مهما يكن من أمر؛ توفى باسل الثانى عام ١٠٢٥م بعد تاريخ عامر بالأحداث السياسية والحربية المخضبة بالدماء والتعذيب .

١- درسها بالتفصيل رنسيمان فى دراسته التالية:

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930 .

وعن المملكة البلغارية الأولى انظر أيضًا :

هانى عبد الهادى البشير ، لعلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١- ١٠٨١م ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب- جامعة طنطا عام ١٩٩٣م.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 112-114 , p. 226-227 , p. 231-236 .

وعن الدولة الثانية انظر: Ibid, p. 358-360 .

وأنظر عن دخول باسل الثانى العاصمة البلغارية: ليلى عبد الجواد ، «أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطى ١٠١٨-١٠٩٧م» ، مجلة المؤرخ المصرى، العدد (١٤) ، يناير ١٩٩٥م، ص٣٠٩ .

يبقى أن نذكر عن الإمبراطور باسل الثانى حرصه على تحجيم دور كبار الملاك الأثرياء فى الأقاليم؛ وهم الذين أطلق عليهم تعبير Dynatoi، وفى هذا الصدد؛ يقرر مؤرخ بارز للتاريخ البيزنطى أن استقرار المجتمع البيزنطى إعتمد على جماعات الفلاحين الأحرار فى صورة صغار المزارعين؛ وهم الذين تعاملوا بصورة مباشرة مع الحكومة المركزية ، وقد اعتمدت قوة بيزنطة العسكرية، والمالية عليهم خاصة أنهم دفعوا الضرائب للحكومة المركزية بالتضامن، كذلك أدوا الخدمة العسكرية من خلال خدمتهم فى الثيمات للدفاع عن أقاليم الإمبراطورية البيزنطية [١]. غير أنه فى القرن العاشر الميلادى تعرضت طبقة صغار المزارعين لطمع الأثرياء، مما دفع الأباطرة البيزنطيين إلى القيام بدورهم من أجل حمايتهم، وهناك ثلاثة عوامل أدت إلى تعرض الطبقة المذكورة لذلك الموقف فى صورة سياسة التوسع العسكرى صوب الشرق وقد صاحبه توجه الأثرياء إلى شراء المزيد من الأراضى[٢]. ثم هناك المجاعة التى لحقت بالإمبراطورية البيزنطية عامى ٩٢٧م، ٩٢٨م، حيث ارتفعت نسبة الوفيات، كذلك اتجه فقراء الفلاحين إلى بيع أراضيهم للأثرياء واشتراها الأخيرون بأسعار زهيدة [٣]. أما العنصر الثالث فيتمثل فى سياسة الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) التشريعية التى كانت فى صالح الأثرياء[٤].

أما بالنسبة لباسل الثانى؛ فقد اتجه إلى تحجيم دور الطبقة العليا التى تآمر عليه من قبل، وهكذا ؛ وجدناه فى أعوام ٩٨٨م، ٩٩٦م؛ سعى إلى تحقيق ذلك الهدف ، وجدير بالذكر فى أوائل القرن الحادى عشر أصدر مرسومًا قرر فيه أن الأغنياء عليهم وحدهم تحمل المسئولية

١- وسام عبد العزيز فرج . قوانين الملكية الزراعية فى الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٠١ .

ويلاحظ أن نفس المقالة المذكورة ؛ أصدرها المؤلف ضمن كتابه: بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ولكن تحت عنوان تشريعات الملكية الزراعية فى الدولة البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى، ص٤٥- ص٧٦ .

٢- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص٣٠٣ . ويقرر دونالد نيكول ما نصه : «عمل على تحجيم الأرستقراطية من ملاك الأراضى وفرض حماية على صغار الفلاحين الذين كانوا عنصراً حيويًا للغاية بالنسبة لوجود الجيش» أنظر: Nicol, A Biographical dictionary, p. 18 .

٣- وسام عبد العزيز فرج . قوانين الملكية الزراعية ، ص٣٠٤ .

٤- نفسه ، ص٣٠٥ .

الجماعية نحو دفع الضرائب التى يتم تقديرها فى كل منطقة من المناطق [١]، وتم إعفاء الفقراء من دفعها فى المستقبل . وإن لاحظ البعض أن التنفيذ الفعلى لذلك لم يتم واقعيًا حيث حدث تواطؤ بين كبار الملاك ، والقضاه وجياة الضرائب؛ لعدم تنفيذ إتجاه ذلك الإمبراطور[٢].

وواقع الأمر ؛ يذكر لباسل الثانى حرصه على تحجيم قوة تلك العناصر للحفاظ على مكاسب الامبراطورية البيزنطية حينذاك من خطر كبار الملاك الأثرياء .

بصفة عامة؛ تعد المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٢٥ م ، ١٠٥٧م ؛ مرحلة قلقة على المستوى السياسى، ولاريب ؛ أن رحيل باسل الثانى عن الساحة البيزنطية قد ترك فراغًا سياسيًا لايمكن إنكاره بغض النظر عن أوجه النقد التى سبق إيرادها من قبل .

بصفة عامة؛ ومن بين عدد من الأباطرة الذين خلفوه ؛ من الممكن إتخاذ الإمبراطور قسطنطين التاسع[٣] مونوماخوس Constantiue IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) ، كأحد أهم الأباطرة فى مرحلة ما بعد باسل الثانى.

١- وسام عبد العزيز فرج ، قوانين الملكية الزراعية ، ص٣٣٣ .

٢- نفسه، ص٣٣٤ .

٣- قسطنطين التاسع مونوماخوس تولى العرش البيزنطى كنتيجة لزواجه من زوى عام ١٠٤٢م ويقرر دونالد نيكول عنه أنه عرف عنه الإسراف فى اللهو وشاركته زوى ذات الأمر على نحو أدى إلى الإفلاس وإلحاق الأضرار بالخزانة الإمبراطورية ، وقد توفى فى يناير عام ١٠٥٥م، عنه أنظر:

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 165-260 .

Hussey , The Byzantine World, p. 47 . p. 48 .

Norwich. A Short History of Byzantium , p. 226-228 , p. 230-232 . Nicol, A Biographical dictionary. p. 28 . Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 315 , p. 355 .

Ostrogorsky, History of the Byzanine State , pp. 294-298 .

Diehl History of the Byzantine Empire, p. 76 , p. 97 .

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٣٦-٣٣٧ .

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٣-١٩٤ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٩٦-٣٠٠ .

لقد حدث فى عهد ذلك الإمبراطور حدثان على جانب كبير من الأهمية أولهما فى مجال التعليم البيزنطى والثانى خاص بالعلاقات مع الغرب اللاتينى ويتمثلان فى:

أولاً : إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية عام ١٠٤٥م.

ثانيًا: الإنشقاق الأعظم The Great Schism بين كنيستى القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤م.

وفيما يتعلق بالعنصر الأول ؛ من المقرر أن قرار تنظيمها كان قد صدر من قبل فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى؛ وذلك عام ٤٢٥م، وفيما بعد؛ فى القرن التاسع الميلادى، إتجه الإمبراطور ميخائيل الثالث (السكير) (٨٤٢-٨٦٧م) إلى الاهتمام بها من خلال خاله برداس فعمل على تنظيمها مرة أخرى[١] بعد أن توالت عليها القرون، وبصفة عامة؛ غدت الجامعة المذكورة ؛ مركزاً رفيعًا من مراكز العلم البيزنطى غير أن الإهتمام بالجانب العسكرى فى عهود كل من الأباطرة نقفور فوكاس، ويوحنا تزيمسكس، وكذلك باسل الثانى؛ جاء على حساب الناحية العلمية التى توارت أمام ارتفاع صوت آلة الحرب مقارنة بالورق، والمداد على الرغم من خلودهما مقارنة بالأولى المدمرة !

على أية حال ؛ إتجه الإمبراطور قسطنطين التاسع إلى العناية بالجامعة المذكورة [٢]، ويقال أنها احتوت على كليتين فى مجالات القانون، والفلسفة ، وكذلك الدراسات الانسانية .

١- Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 198 .

٢- Hussey , The Byzantine World, p. 147 .
Ostrogorsky, op. cit., p. 290 .

نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص٢٥٧ .

أما عن الجامعات فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى من أجل عقد المقارنة التاريخية أنظر:
Rashdall, The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .

دراسة رائدة لايمكن الاستغناء عنها :

جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات فى العصور الوسطى. ط. الاسكندرية ١٩٨١م.

ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها فى النهضة الفكرية بأوربا فى العصر الوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢م، وأود الإشادة بهذه الدراسة حيث تمتاز بالجهد العلمى البارز. من جانب صاحبها الباحث الواعد .

زينب عبد القوى ، «جامعة اكسفورد فى العصور الوسطى »، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣) ، عام ٢٠٠٣م، ص٢١- ص٧٤ . سها إبراهيم منصور، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م، دراسة مهمة ومتميزة.

ومما يذكر ؛ أن تلك الجامعة تم فيها تدريس ما عرف بالفنون السبعة الحرة التى عرفت باسم Sephen arts liberales ، والتى ضمت النحو ، والبلاغة ، والمنطق الجدلى، والحساب ، والهندسة، والفلك، والموسيقى[١].

من ناحية أخرى؛ قامت الدولة البيزنطية بتخصيص رواتب وملابس رسمية ، وكذلك مساكن لأساتذة الجامعة [٢]، مما عكس وجود تنظيم دقيق لكافة جوانب النشاط العلمى داخل تلك المؤسسة التعليمية العليا.

على أية حال ؛ اتجه ذلك الإمبراطور السالف الذكر؛ نحو استقدام كبار علماء عصره، ومن أمثلتهم يوحنا إكسفيلينوس john Xiphilinus ، وميخائيل بسللوس Michael Psellus[٣] وغيرهما، وقد ترك علماء تلك الجامعة تراثًا دالاً على المستوى التعليمى الرفيع الذى شهدته بيزنطة حينذاك .

ومع ذلك ؛ من المهم الإقرار بأنه فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى فيما بعد وفى أعقاب عام ١٢٠٤م قلبت النظم التعليمية، البيزنطية رأسًا على عقب وكانت جامعة القسطنطينية من المؤسسات التعليمية التى تأثرت بذلك الحدث الجلل.

أما الحدث الثانى المحورى الذى حدث خلال حكم قسطنطين التاسع؛ فقد تمثل فى الانفصال الذى حدث بين كنيستى القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤م .

وهناك من يقرر ؛ أن البطريرك البيزنطى حينذاك وهو ميخائيل كيرولاريوس Michael Cerularius[٤] (١٠٤٣-١٠٥٨م) سعى إلى أن يكون صاحب نفوذ بارز شأنه فى ذلك شأن بابا روما ، وقد اختار عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع للقيام بحركته الإنفصالية.

١- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص٢٥٧ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- رأفت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية، العقيدة والسياسة، ص٣١٢ .

وعن ميخائيل بسللوس أنظر المدخل البيليوغرافى.

٤- ميخائيل كيرولاريوس Michael Keroullarios ، تولى بطريركية القسطنطينية ، وفيما بعد ؛ صار فى سلك الرهبنة وشارك فى المؤامرة ضد الإمبراطور ميخائيل الرابع ويلاحظ أن قسطنطين التاسع كان =

على أية حـال ؛ أعلن البطريرك أن البـابوية[١] ممثلة فى ليـو التـاسع Leo IX (١٠٤٩-١٠٥٤م) صـارت أداة تم تسـخيـرها فى أيدى النورمـان وأنهـا تبـذل جـهدها من أجل إبعـاد السيادة البيزنطية عن جنوبى إيطاليا من خلال تأييدها للأطماع النورمانية[٢].

وقد رأى أن خيـر ضمـان للإمبـراطورية البيـزنطيـة أن تـكون كنيسـتهـا منفصلة ومسـتقلة بشئونها، ويلاحظ أنه أرسل فى عـام ١٠٥٣م إلى أساقفته خطابًا شن فيـه هجومًا على البابوية فى روما، وقـد اعـتبـر هذا الأمـر بمثـابة إعـلان «حرب» علـى الأخيرة، خـاصـة أن البابا القـائم حينذاك هو ليـو التـاسع كـان مـن أشد أنصـار دعم نفوذ البابوية ، وقد أرسل رسـالة يقر فيـهـا بأفضليـة كنيسة روما وأحقيـتهـا فـى السيادة على الكنيسة الشرقيـة، إلا أن المنية أدركتـه عـام ١٠٥٤م، وخـلال مـرحلة خلو المنصب البـابوى ، تمكن مـيـخـائيـل كـيـرولاريوس من استـمـالة الإمبراطور البيـزنطى، وبالفعل؛ تم الإعلان رسميًا فى كنيسة أيا صـوفيا في مايو ١٠٥٤م عن أن كنيسة القسطنطينية صارت كنيسة مستقلة عن كنيسة روما [٣].

= مشاركًا له فيها، وقد اختاره ليكون بطريركًا على القسطنطينية ، واشتهر بجدله مع الكاردينال همبرت Humbert الرسول البابوى عام ١٠٥٤ م، وأسفر ذلك الجدل عن حدوث ما عرف بالانشقاق الأعظم، ويقرر دونالد نيكول أن ميـخـائيل كيـرولاريوس لم يكن باللاهوتى البـارع، ولم يكن أيضًا بالعـالم الذى يشـار له بالبنان، عنه أنظر:

Runciman, The Eastern Schism , A study of The Papacy and The Eastern Churches during The XI and XII centuries, Oxford 1956 , pp. 28-54 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 91 .

أسد رستم ، الروم، ج٢ ، ص٣٠٣ .

١- ليـو التـاسع Leo IX ؛ بابا وقديس ، تولى المنصب البابوى خلال المرحلة من ١٢ فبراير ١٠٤٩ إلى ١٩ أبريل ١٠٥٤م، وكان ابنًا للكونت هيو الاجشيمى Hugh of Egisheim ، وقـام بدور بـارز فى إصـلاح الكنيسة وتطهيرها من السيمونيـة أو بيع المناصب الدينية، عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 147-148 .

Attwater, The Penguin dictionary of Saints, p. 217- 218 .

٢- هارتمان وباراكلاف، الدولة والإمبراطورية ، ص٢١٧ ، حاشية، (٢) .

٣- نفسه، نفس الصفحة والحاشية .

جدير بالإشارة ؛ مثَّل ذلك الأمر الذى اشتهر لدى المؤرخين «بالإنشقاق الأعظم» The Great Schism (١٥ يوليو ١٠٥٤م)؛ مرحلة على جانب كبير من الخطورة فى العلاقات بين الشرق البيزنطى، والغرب اللاتينى، وقد ساعد ذلك على إنتهاء الحكم البيزنطى فى إيطاليا، كذلك اتسعت الهوة بين الطرفين ظلت قائمة حتى سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية عام ١٢٠٤م وفيما بعد ذلك ؛ ولانغفل أن الأجيال المتعاقبة لدى كل كيان تشربت الكراهية ورضعت منذ نعومة أظفارها حليب العداء المتبادل، ومن الآن فصاعدا ؛ يمكن القول أن كل طرف صار يكن للطرف الآخر قدراً كبيراً من العداء، والكراهية، وكان كل تصرف يحدث يتم تغليفه بقدر كبير من الشك، والإرتياب على نحو يمكن أن يجعل المؤرخ المنصف يصف العلاقات بين الجانبين بأنها «علاقة مسممة» مؤهلة للانفجار فى أية لحظة ! وقد دفع البيزنطيون ثمنًا فادحًا لما حدث عام ١٠٥٤م فيما بعد .

من ناحية أخرى؛ من الملاحظ أن عصر الأسرة المقدونية- على نحو خاص- شهد نهضة حضارية فى مختلف المجالات على نحو دفع بالمؤرخين إلى إعتباره «العصر الذهبى

١- عن الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م أنظر:

Brehier, La Schism Oriental du XIe Siecle Paris 1899.

دراسة أساسية على الرغم من أنها نتاج أواخر القرن التاسع عشر .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 107 , Ware, The Orthodox Church, Penguin Book. London 1997 , p. 58 - 59 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 282 .

إسحق عبيد، روما وبيزنطة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٢١- ص٦٦ .

عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠ ، ص٣٣٥ ، ص٣٥٥ ؛ جيهان عبد المقصود فتحى، السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية ١٠٢٥-١٠٥٦م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، عام ٢٠٠٢م، ص٩٢- ص١١٦ ، أسد رستم، الروم، ج٢، ص٧١- ص٧٦ .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨٥-١٨٦ ، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية. ص١٦٤ - ص١٦٥ . نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص٦٥ .

للإمبراطورية البيزنطية»، ويلاحظ هنا؛ أن تقدم الاقتصاد البيزنطي، والنجاح في فتح أسواق تجارية جديدة، كل ذلك ؛ دَرَّ على ميزانية تلك الدولة أموالاً طائلة مكنها من الإنفاق بسخاء على كافة المظاهر المعمارية التي شيدت ، وكذلك رعاية الآداب والفنون التي ازدهرت حينذاك، ويمكن إيراد أهم تلك الإنجازات - على نحو موجز- على النحو التالي:

أولاً : إزدهرت العلوم، والفنون في عصر تلك الأسرة، وإذا اتخذنا «التاريخ» Historia نموذجًا على سبيل المثال، نجد ظهور عدد من كبار المؤرخين في صورة ميخائيل بسللوس Michael Psellus ، وليو الشماس[١] Leo The Deacon .

كذلك لانغفل ؛ أن الكتابة التاريخية حظيت باهتمام الأباطرة حينذاك ، ولذا نجد أن الامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنتيس Constantine Porphyrogenitus يقوم بتأليف عدة مؤلفات مثل كتاب عن الثغور ، وآخر عن المراسيم ، وكتاب ثالث عن الإدارة الإمبراطورية[٢] وهي مصادر على جانب كبير من الأهمية وتعكس جوانب متعددة من تاريخ تلك الأسرة وعلاقات بيزنطة الخارجية.

ثانيًا: فيما يتصل بإزدهار الأدب البيزنطي؛ يكفي أن نشير هنا إلى ظهور ملحمة بيزنطية شهيرة في صورة ملحمة ديجنيس اكريتيس Diogenis Akritis [٣] التي تكونت من خلال الإمتزاج الثقافي على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، وقد وصفتها المؤرخة القديرة جوان هسي J. Hussey بقولها : « أشعلت خيال الأجيال التالية، ودفعت المواويل الشعبية عند الصقالبة ، واليونان على حد السواء، حتى إذا كانت العصور الوسطى المتأخرة، ظهرت القصائد الرومانسية الطويلة في اللغة الوطنية متأثرة بالفروسية الافرنجية، والتواتر الملحمي اليوناني»[٤]، بينما وصفها مؤرخ آخر بأنها تضارع أنشودة رولان La Chanson de Roland

---

١- عنه : أنظر المدخل الببليوغرافي.

٢- عنه أنظر: المدخل الببليوغرافي .

٣- عن ملحمة ديجنيس أكرتيس Diogenis Akritis؛ أنظر المدخل الببليوغرافي .

٤- Hussey , The Byzantine World, p. 152 .

جدير بالذكر ؛ من خلال الاحتكاك بين المسلمين والبيزنطيين على الحدود ؛ ظهرت سيرة الأميرة ذات الهمة، عنها أنظر: نبيلة ابراهيم ، سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة ط. القاهرة ١٩٩٤م.

التى تناولت حملة شارلمان على الأندلس عام ٧٧٨م، ومصرع رولان وهو أحد قادة جيشه ومعه عدد من الجنود من جراء هجوم عناصر الباسك أثناء الانسحاب عبر جبال البرانس خاصة ممر رونشفال ، مع ملاحظة أن أنشودة رولان كانت أكثر شهرة من الملحمة البيزنطية المذكورة خاصة أنها استمرت فى أعماق العقل الأوربى حتى إندلاع الحروب الصليبية أواخر القرن ١١م.

رابعًا : ازدهرت العمارة والفنون فى عهد تلك الأسرة ، وتم تشييد عدد من الكنائس - التى اعتقد البيزنطيون أنها ستبقى ما بقى الأيمان فى تصورهم- على شاكلة كنيسة أيا صوفيا (القرن ٦م) التى صارت بمثابة النموذج الأعلي فى تشييد الكنائس على المستوى البيزنطى وحتى خارج أنحاء الإمبراطورية[٢]، كذلك كثرت أعمال الفسيفساء التى حققت شهرة عالمية ونفس الأمر بالنسبة للموزايكو[٣]، والمصنوعات العاجية؛ على نحو عكس رقى الأعمال الفنية فى ذلك العصر، وأكد على حقيقة مهمة وهى أن ذلك الرقى إنعكس إيجابيًا على التجارة الخارجية حيث طافت المنتجات الفنية البيزنطية الراقية مختلف الأسواق العالمية سفيرة لبلادها وحققت مكانة تجارية مرموقة، وصارت موضع ثقة المستهلكين.

بصفة عامة؛ رحل أباطرة الأسرة المقدونية وبقيت لدينا كتابات مؤرخى ذلك العصر وبعض العمائر والتحف الفنية الشاهدة على المستوى الحضارى الذى بلغته بيزنطة حينذاك فالبشر يمضون وتبقى آثارهم شاهدة عليهم وتنطق بل تصرخ بالتاريخ .

على أية حال ؛ وصل إلى السلطة قسطنطين دوكاس ليؤسس أسرة بيزنطية حاكمة جديدة ضمن الرحلة الطويلة الشاقة لذلك التاريخ !

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٨٠ ، وعن أنشودة رولان أنظر:
The Song of Roland , Trans. by Sayers. Benguin Book. London 1977 .

جوزيف نسيم يوسف ، «أنشودة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش». ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٢٧٥ ، وهى الدراسة الوحيدة المتخصصة باللغة العربية.

قاسم عبده قاسم ، «الشعر والتاريخ»، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية»، المجلة التاريخ المصرية. م (٢٨)، (٢٩) ، عا ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، ص٧٨ .

ويلاحظ أن الترجمة العربية للأنشودة توجد لدى: سهيل زكار ، الموسوعة الشامية. ط. دمشق ١٩٩٣م، ج٩ ، ص٩- ص١٨٧ .

٢- عنها أنظر ما سبق إيراد الحديث عن أسرة جستنيان.

٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص١٨١ .

وعند مقارنة الأسرة المقدونية بالأسرات البيزنطية السابقة؛ نجد أنها تفوقت على ما سبقها من أسرات من خلال طول المدة الزمنية التى حكمت خلالها حيث امتد عهدها- كما أسلفت إلى ما زاد على قرنين من الزمان، كذلك نلاحظ تعدد الأباطرة فيها بصورة فاقت ما لدى كل أسرة من الأسرات السابقة.

من جهة أخريك تفوقت الأسرة المقدونية فى أمر توسعاتها العسكرية - وإن كانت مؤقتة أحيانًا خاصة فى الجبهة مع المسلمين، كذلك نلاحظ ظهور أباطرة كبار فيها مثل؛ باسل الثانى وهو أمر افتقدته الأسرة العمورية على سبيل المثال.

ولانغفل كذلك؛ أن الإنجازات الحضارية وخاصة العلمية فى عهد تلك الأسرة على نحو خاص؛ جعل البعض من المؤرخين يعتبر عهدها بمثابة العصر الذهبى للإمبراطورية البيزنطية[١] خاصة المرحلة الممتدة من ٨٦٧م إلى ١٠٢٥م كما أسلفت الاشارة من قبل ، مع عدم إغفال أن التوسعات العسكرية خلالها دعم لديهم مثل ذلك التصور.

كذلك من الأمور الملفتة للإنتباه ؛ أن الأسرة المقدونية تتشابه مع الأسرة العمورية من خلال أن كلاً منهما شهد مرحلة من مراحل التباعد الكنسى بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى، ففى خلال حكم الأسرة العمورية حدثت قطيعة فوشيوس فى عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث ، أما فى أثناء حكم الأسرة المقدونية فقد وقعت أحداث ما عرف بالإنشقاق الأعظم فى عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع وإن كنا نلاحظ أن الإنشقاق الأخير فاق فى آثاره البعيدة القطيعة الأولى وإن جاء ليؤكدها ويعبر بعمق عن تأزم العلاقة بين الكنيستين الشرقية والغربية.

وهكذا ؛ وجدت عدة أوجه للمقارنة بين الأسرة المقدونية وغيرها من الأسرات البيزنطية السابقة .

١- أنظر على سبيل المثال:

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطيى، ص١٤٢ .

وفى تصورى ؛ أن يطلق على مرحلة معينة من مراحل التاريخ البيزنطى بأنها العصر الذهبى؛ فذلك يحوى قوليه واضحة ، إذ أن كل أسرة من الأسرات الحاكمة كانت لها فترات قوة وفترات ضعف ، ومثل ذلك التصور يجعلنا نتصور أن الأسرات السابقة، والتالية لم تنعم باسهامات بارزة فى ذلك التاريخ الممتد ما زاد علي ١١ قرنًا من الزمان، وبالتالى ليس من المنطقى أن نطلق ذلك الوصف على ما زاد قليلاً على قرن ونصف فقط من الزمان .

سابعًا : أسرتي دوكاس وآل كومنين (١٠٥٧- ١١٨٥م)

تتجه الصفحات التالية إلى عرض ملامح عهد أسرتى دوكاس، وآل كومنين على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٥٧ إلى ١١٨٥م؛ لرصد التطورات المحورية التى حلت بالامبراطورية البيزنطية خلال مدة حكم تلك الأسرتين .

لقد امتدت تلك المرحلة نحو ١٢٨ عامًا ، وحكم خلالها عدد من الأباطرة هم: إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus (١٠٥٧-١٠٥٩م) ، وقسطنطين العاشر دوكاس Constan- tine X Docas (١٠٥٩-١٠٦٧م) ، ورومانوس الرابع ديوجينيس Romanus IV Dio- genes (١٠٦٧-١٠٧١م)، وميخائيل السابع دوكاس Micael VII Docas (١٠٧١-١٠٧٨م)، ونقفور الثالث بوتانياتس Nicephor III Potaniates (١٠٧٨-١٠٨١م) والكسيوس الأول كومنين Alexius I Comnenus (١٠٨١-١١١٨م)، ويوحنا الثانى كومنين John II Comnenus (١١١٨-١١٤٣م) ، ومانويل الأول كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) الكسيوس الثانى كومنين Alexius II Comnenus (١١٨٠-١١٨٣م)، وأندرونيكوس الأول كومنين Andronicus I Comnenus (١١٨٣-١١٨٥م) .

وليس الهدف من عرضنا الحالى التعرض لكل إمبراطور بيزنطى بالتفصيل ، بل تقديم ملامح عامة عن أهم أحداث ذلك العصر .

وهكذا؛ يظهر لنا ضرورة التحدث عن قوتين خارجيتين قدر لهما القيام بتأثير مركزى فى التاريخ البيزنطى فى صورة الأتراك السلاجقة ، والنورمان.

جدير بالإشارة؛ أن السلاجقة -فى الأصل- عناصر من القبائل التركية أقامت فى منطقة التركستان ، وبلاد ما وراء النهر، ويلاحظ ؛ أن مؤسسها يدعى سلجوق بن دقاق[١]، وقد

١- الحسينى، أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق عباس إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٢- ص٣ .

وعن أصل السلاجقة أنظر:

El- Azhari, The Saljuks of Syria during the Crusades, 493-549 A.H. / 1070-1154 A. D., Berlin 1997 , pp. 26-77 .

Cahen, Pre- Ottoman Turkey ageneral Survey of the matercy and Spiritual Culture , 1011-1330, Trans. by J.J. Jones - Williams, New York 1968 .

اعتنقوا الإسلام، وصاروا من أشد المؤيدين له ، ومن كبار زعمائهم طغرل بك الذى تمكن من دخول بغداد عام ١٠٥٥م ونجح فى إنهاء حكم البويهيين هناك الذين كانوا من الشيعة بينما كان السلاجقة ومن بعد طغرل بك؛ تولى أمرهم ألب أرسلان (١٠٦٥-١٠٧٢م) وفى عهده حدث الاصطدام العنيف مع الإمبراطورية البيزنطية التى حكمها حينذاك الامبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس [١] فى صورة معركة مانزكرت الحاسمة عام ١٠٧١م، وقد وقعت مانزكرت فى شمالى بحيرة ڤان عند جنوب شرقى البحر الأسود .

جدير بالذكر ؛ أن العام المذكور حدثت فيه تلك المعركة الشهيرة بين جيش بيزنطى ضخم قدره البعض - من قبيل المبالغة - بـ ٣٠٠,٠٠٠ من الفرسان، والمشاة ، أما القوات السلجوقية؛ فقدر البعض عددها بـ ١٥,٠٠٠ [٢]؛ وهى أرقام من العسير الأخذ بها ، نظراً لضخامة الرقم الأول، ومحدودية الرقم الثانى مقارنة به ، وعدم وجود إحصاءات محددة

= منى محمد بدر محمد، أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٧- ص١٨ ، محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة فى بلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص٧٦- ص٧٧ ، أحمد كمال الدين حلمى، السلاجقة فى التاريخ والحضارة، ط. الكويت ١٩٨٦م، ص٢١ - ص٢٣ ، أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد، . ط. الرياض ١٩٩٨م، ص١٨٠ .

١- رومانوس الرابع ديوجينيس ؛ تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٨م، ويلاحظ أنه بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين العاشر ؛ أغرى البعض أرملته أيودكوكيا مكرمبو ليتسا بالزواج من أحد القادة العسكريين وهو الذى تولى العرش البيزنطى بالاسم المذكور، ويصفه دونالد نيكول بأنه كان قائداً محنكًا ، إلا أنه حكم خلال مرحلة تدهور للامبراطورية البيزنطية، وفى أعقاب هزيمته فى مانزكرت عام ١٠٧١م ، تم تسميل عينيه وأرسل إلى المنفى حيث مات عام ١٠٧١ م، وتولى الحكم من بعده الإمبراطور ميخائيل السابع ، عن رومانوس الرابع أنظر:

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 350-366 , O.D.B., vol . 3, p. 1807 .

Nicol, Biographical dictionary, p. 113 .

Vasiliev , Histoory of the Byzantine Empire, p. 352-353 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 304, p. 320 .

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٤٦ .

حينذاك ، كذلك فإن المصادر العربية حرصت- بصفة عامة- على المبالغة فى أرقام القوات المعادية وتقليل عدد قوات السلاجقة لإظهار عظم شأن النصر الذى حدث على الرغم من قلة عدد الطرف الإسلامى، وإن لاحظنا- بصفة عامة- أن هناك فارقًا واضحًا فى عدد قوات السلاجقة مقارنة بأعدائهم دون إمكانية تحديد الأمر فى صورة رقمية واضحة للإعتبار المشار إليه .

على أية حال؛ جرت معركة مانزكرت الحاسمة في يوم ١٦ أغسطس ١٠٧١م[1]. وهناك من

١- عن معركة مانزكرت أنظر:

ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص٤٠- ص٤٤ ، اليزدى، العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ت. عبد المنعم محمود ، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص٤٧ .

Psellus , Chrongraphia , in Ashour and Rabie, Fifty documents in Medieval History , Cairo 1971, pp. 58-60 .

Cahen, " la Campagne de Mantzikert d'apres des Sources musulmaus ", B., vol . IX, p. 934 , pp. 613-642, Id , " The Turkish Invasion", in Setton, A History of the Crusades, vol . I, pp. 148-149 .

Charanis, "The Byzantine Empire in the eleventh Century ", in Setton, A History of the Crusades, vol I, pp. 19-192 .

Friendly , The dreadful Day: The Battle of Manzikert 1071 , London , 1981 .

France, Victory in the East , A military History of the First Crusade, Cambridge 1996, pp. 152-153 .

Holt, The Crusader States and Their Neighbours, London 2004 , p. 11 .

فايز نجيب إسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملازكرد (١٠٧١-٤٦٣هـ) فى مصنف نقفور برينيوس دراسة مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص٧- ص١٠ ، أسمت غنيم، «معركة مانزكرت فى ضوء وثائق بسيللوس»، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، شاكر مصطفى، «دخول الترك الغز إلى الشام ضمن كتاب مؤتمر تاريخ بلاد الشام، ط. عمان ١٩٧٤م، ص٣٥٨- ص٣٥٩ ، أرشيد يوسف ، سلاجقة الشام والجزيرة فى الفترة ما بين ٤٣٥- ٥٧٠هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م، ص٥١- ص٥٤ ، سهيل زكار ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط. دمشق ١٩٨١م، ص١٤٥- ص١٥١ ، سعيد عاشور ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص٤٤ ، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ، ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط. بغداد ١٩٥٤م، ص١٧٢ ، روبرتس ، موجز تاريخ العالم، ت. فارس قطان، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٣٤٥ ، وتصور خطأ حدوث المعركة عام ١٠٧٢م.

يقرر أن عناصر الاحتياط البيزنطية كان على رأسها قائد يدعى أندرونيكوس ابن يوحنا دوكاس الذى وصف بأنه من أشهر من عادوا الإمبراطور رومانوس الرابع، وقد أشاع لدى القوات البيزنطية نبأ هزيمتها على نحو أدى إلى بعث الاضطراب فيها [١]؛ مما انعكس سلبًا على مصير المعركة، كذلك لانغفل حماسة السلاجقة للقتال، وتأجج روح الجهاد فى نفوسهم على نحو كان له الأثر الأكبر فى الانتصار على البيزنطيين.

وأخيراً ؛ تحقق الانتصار السلجوقى الحاسم ، وسقط الجيش البيزنطى الضخم بين قتيل وجريح ، وأسير. ووقع الإمبراطور نفسه فى الأسر على نحو مهين، ونادر التكرار فى التاريخ البيزنطى، وهو يذكرنا بموقف حدث بعد ذلك بـ ١١٦ عامًا عندما أسر الملك الصليبى جى لوزينيان فى حطين ١١٨٧م ، وكذلك فيما بعد ذلك بقرابة ١٨٠ عامًا؛ عندما أسر الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) بعد هزيمته فى المنصورة عام ١٢٥٠م[٢]، حيث شهدت تلك البقعة إذلال فرنسا فى العصور الوسطى على أرض النيل الخالد .

على أية حال؛ من الملاحظ أن القائد المسلم المتحضر ألب أرسلان أحسن معاملة أسيره البارز ، وأود هنا أن أقدم نصًا مصدريًا من جانب المؤرخ البيزنطى ميخائيل بسللوس Michael Psellus واصفًا تلك اللحظة التاريخية الفاصلة حيث قال : «إن قائد جيش السلاجقة بدلاً من أن يصيبه الغرور ، ويبالغ فى مظاهر السعادة نظراً لوقوع الامبراطور الرومانى أسيراً غلب عليه التواضع واحتفل بنصره بصورة غير متوقعة فى اعتدالها ، فقد واسى الإمبراطور

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٤٨ .

٢- عن ذلك أنظر:

Jean de Joinville, The life of St. Louis, in Chronicles of The Crusades, Trans. by M. R.B. Shaw, Penguin Book, London 1976 , p. 259 .

جوزيف نسيم يوسف، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل، ط. القاهرة ب-ت ، ص١١٦ ، العدوان الصليبى على مصر، ط. الاسكندرية ١٩٦٧ م، ص٢٨٥ ، حسن حبشى ، الشرق الأوسط بين شقى الرحى، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص١٠٩ ، محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص١٠٩ .

والدراسة الأخيرة من أفضل ما كتب المؤرخ الرائد الراحل البارز ، وبعد أربعة عقود من صدورها لانجد نظيراً لها بالعربية فى موضوعها .

الواقع فى الأسر، بل دعاه إلى مشاركته الطعام، وعامله كضيف يليق به التكريم، وخصص له مجموعة تتولى حراسته، بل فك أغلال بعض رفقائه ، وأخيراً؛ قام قائد السلاجقة بتحرير رومانوس ذاته، وعقد معه معاهدة صداقة وأخذ منه إيمانًا بالولاء ، وقد أطلق سراحه سامحًا له بالرجوع إلى بلاده »[1].

والسطور السابقة؛ شهادة بيزنطية لاتقبل الشك، لأن شهادة الأعداء لها شأنها البارز فى كل عصر خاصة خلال العصور الوسطى، حيث ترك العداء الدينى والسياسى آثاره البارزة على الكتابة التاريخية حينذاك ، وهى تعكس الكفاءة العسكرية والرقى الحضارى الذى تمتع به ذلك القائد المسلم البارز ، وأهمية ذلك السلوك ؛ أنه حدث فى عصور اشتهرت بالتنكيل بالأعداء.

ومن المهم هنا ؛ عقد مقارنة بين ذلك السلوك المتحضر من جانب ألب أرسلان ، والسلوك المتبربر الذى اقترفه من قبل الإمبراطور باسل الثانى من قبل مع اسراه البلغار، وهو الامبراطور الذى هلل له الباحثون الغربيون من خلال زاوية تعصبية تعجب بكل قيادة قوية تسفك الدماء !! وفى تقديرى ؛ أن القائد السلجوقى- دونما مبالغة أو شيفونية جوفاء- يتفوق على ذلك الامبراطور البيزنطى فى مجالى الحرب والتسامح معًا ! [2]، ومع ذلك لم ينل أدنى تقدير من مؤرخى الدراسات البزنطية الغربيين ومنهم من هم أصحاب المعايير المزدوجة، ولم تكن له تهمه سوى أنه يدين بالإسلام !!!

على أية حال ، نتج عن معركة مانزكرت نتائج بالغة الأهمية على مسار التاريخ البيزنطى من القرن الحادى عشر حتى القرن الخامس عشر الميلادى دونما مبالغة ، ويمكن إجمالها على النحو التالى :

١- Psellus, Chronographia, in Ashour and Rabie, p. 60 .

وأنظر أيضًا ترجمة مهمة لدى: سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م. ص٧٢٣ .

وقد أفدت من الترجمة المذكورة ونجد نص وصف بسللوس للمعركة لدى:

Hollister , Mediieval Europe A Short Soure Book, U.S.A. 1992, pp. 38-40 .

٢- بصفة عامة ؛ تعامل المسلمون مع أسراهم معاملة أفضل من غيرهم سواء من البيزنطيين أو الصليبيين وذلك دون الوقوع فى مأذق التعصب أو الشيفونية، ومن الممكن الرجوع لإحدى الدراسات المهمة المفيدة فى هذا الشأن ، أنظر: فاطمة الشناوى، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧-١٢٩١م / ٥٣١- ٦٩١هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧م.

والواقع أن المرحلة المذكورة هى امتداد طبيعى للمرحلة السلجوقية المبكرة .

أولاً : أدت المعركة المذكورة إلى فتح آسيا الصغرى Asia Minor أمام النفوذ السلجوقى، وهناك من يقرر أنه إذا كانت معركة اليرموك عام ٦٣٦م قد حسمت مصير بلاد الشام وخضوعها للمسلمين ، فإن معركة مانزكرت قررت- هى الأخرى- مصير آسيا الصغرى لهم[١]، وهكذا ؛ عُدت نقطة تحول أساسية فى تاريخ السلاجقة ؛ إذ ظهروا بمظهر المجاهدين الذين أنزلوا الهزيمة النكراء بالبيزنطيين ، وهم بمثابة العدو التقليدى للمسلمين من قبل ظهور الصليبيين فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى ، ولاريب ، فى أن السلاجقة من الآن فصاعداً؛ صاروا عنصراً فاعلاً ومؤثراً فى موازين القوى الدولية فى ذلك العصر، ولانغفل هنا؛ الإشارة إلى أنه بعد سبع سنوات من المعركة المذكورة ؛ استولى السلاجقة على درة شمالى بلاد الشام، وأعنى بها أنطاكية عام ١٠٧٨م.

ثانيًا : لانغفل أنه نتج عن تلك المعركة ؛ تقلص أملاك الإمبراطورية البيزنطية فى أرمينية، وآسيا الصغرى، ولم يعد لها سوى بعض المناطق المعزولة الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ولم يعد لها القدره على استعادة ما فقدته[٢] وعلى نحو خاص بعد أن وجه السلطان ألب أرسلان ابن عمه سليمان بن قتلمش نحو الاستيلاء على سهول وسط آسيا الصغرى وبلاد الشام والجزيرة الفراتية دون أن يواجهوا أية قوة عسكرية توقف توسعهم.

من ناحية أخرى؛ انتشرت فى أعقاب تلك المعركة داخل الامبراطورية البيزنطية الحروب الأهلية وتدهورت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية على نحو يجعلنا نقرر أن مانزكرت جاءت لتكشف الوضع المتردى الذى وصلت إليه تلك الامبراطورية، ولانغفل أن رعاياها من الأرمن عملوا على إنشاء إمارات مستقلة لهم فى المنطقة كما قرر البعض [٣].

ثالثا : افتقدت الامبراطورية البيزنطية من جراء تلك الهزيمة الفادحة المناطق التى كانت تمدها بعناصر المرتزقة ، وهى عناصر أساسية للجيش البيزنطى [٤]، ولم تعد تستطيع تعويض

١- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص١٩٠ .

٢- محمود محمد الرويضى ومحمد نايف العمايره، «معركة ملازكرد، جانب من العلاقات السلجوقية البيزنطية»، الكرك الأردن، ٢٠٠٤م، ص١٨ .

٣- محمود الرويضى ومحمد نايف العمايرة؛ معركة مانزكرت ، ص١٩ .

٤- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٩١ .

وعن الجيش البيزنطى أنظر : طارق منصور ، الجيش فى الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الزقازيق فرع بنها عام ١٩٩٣م وزبيدة عطا، المقاتل البيزنطى، ط. المنيا، ١٩٨٢م.

ذلك النقص فى الإمداد البشرى وإن اتجهت من بعد عام ١٠٧١م إلى محاولة الاستفادة من قدرات عناصر الاسكندنافيين، ، والأنجلوسكسون، غير أن ذلك بالنسبة لها حلاً جزئيًا لم يكن ليعيد لها وضعها فيما قبل معركة كارثة مانزكرت التى حلت بها.

رابعًا : لاننكر أن تلك المعركة وتداعياتها المستقبلية قد أدت إلى حرمان الإمبراطورية البيزنطية من الأنهار العديدة التى توافرت بكثرة وغزارة فى آسيا الصغرى، ولانتشكك فى أن آسيا الصغرى مثلت أهمية خاصة فيما يتصل بالأمن المائى البيزنطى، وإذا كانت الإمبراطورية قد فقدت فى القرن السابع النيل، والعاصى، وقسم من نهر الفرات بالإضافة إلى الأنهار اللبنانية[١] فإنها الآن وفى النصف الثانى من القرن الحادى عشر فقدت السيادة السياسية على أنهار أخرى فى آسيا الصغرى على نحو كان له تأثيره السلبى المؤكد عليها .

ولانغفل كذلك؛ أن الطرق التجارية المارة بتلك المنطقة ، قد خضعت لسيطرة قوة عسكرية وسياسية جديدة ستجبى الأموال الطائلة من وراء ذلك الوضع الجديد على حساب خزانة الامبراطورية البيزنطية بطبيعة الحال.

خامسًا: جدير بالذكر؛ قامت دويلات تركمانية مستقلة فيما بعد عامى ١٠٧١م، ١٠٨٧م، تحت قيادة زعماء من الأتراك فى أنحاء مختلفة من اسيا الصغرى، ويلاحظ أن الحضارة الإسلامية بدأت تحدث تأثيرها فى تلك المناطق التى كانت من قبل متأثرة بالحضارة البيزنطية[٢]، ولانغفل أن عمليات تتريك الأناضول هذه استغرقت زمنًا طويلاً ويقال أنها اكتملت من الوسط إلى السواحل خلال القرنين ١٣ ، ١٤ م[٣]، وفى تقديرى أن ذلك كان أخطر ما نتج عن تلك المعركة الحاسمة.

١- مثل : الليطانى، الزيدانى، الحصبانى، الأولى ، أسطوان، الجوز، البارد، ابراهيم ، الكلب، بيروت، أبو على ، عرقة، الدامور ، الزهرانى، أنظر: سامر مخيمر وخالد حجازى، أزمة المياه فى المنطقة العربية الحقائق والبدائل الممكنة ، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٩٦م، ص٣٦- ص٣٧ ونجد خريطة تلك الأنهار فى ص٣٦ .

٢- عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٥٨ ، دولة السلاجقة ، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص٥٢ .

٣- عن موضوع تتريك آسيا الصغرى بعد مانزكرت أنظر:

Brice, " The Turkish Colonization of Anatolia", B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955- 1956 , pp. 18-44 .

Vryonis, The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh Through the fifteenth Century , Berkeley, los Angelos 1971 .

سادسًا : أحدثت تلك المعركة تغيراً سياسيًا مهمًا، فى الإمبراطورية الجريحة فى شرفها العسكرى ؛ حيث تم إقصاء الإمبراطور المهزوم، ووصل إلى السلطة إمبراطور آخر عقدت عليه بيزنطه الآمال العريضة: وهو ميخائيل السابع Michael VII Docas ، وهو أمر يؤكد لنا ، أن الانتصار فى ساحة المعارك ؛ كان يؤدى - أحيانًا- إلى تمكين القائد المنتصر من اعتلاء العرش، والعكس صحيح تمامًا ، وهو ما نجده على نحو وضّاح فى أعقاب مانزكرت حيث كانت بمثابة إعلان نهاية رومانوس الرابع سياسيًا.

سابعًا : لانغفل ؛ أن ذلك الانتصار السلجوقى البارز، أكد عجز بيزنطة عن القيام بدورها الذى قامت به على مدى أربعة قرون (من القرن السابع حتى القرن الحادى عشر م)، وهو الخاص بحماية المسيحية الشرقية من هجمات المسلمين ، وكذلك فى حراسة الباب الشرقى لقارة أوربا من غزو الآسيويين(١)، وهناك تصور قائم يفيد بأنه عقب تلك المعركة ، بدأت بيزنطة فى الاستغاثة بالغرب الأوروبى على نحو أدى فيما بعد إلى حدوث الحروب الصليبية Crusades, Croisades, Kreuzzuge .

أما بالنسبة للقوة الثانية المؤثرة فى التاريخ البيزنطى حينذاك فهى فى صورة النورمان؛ الذين لعبوا دوراً بارزاً فى تاريخ أوربا العصور الوسطى على مدى القرن الحادى عشر الميلادى على نحو خاص ، فيلاحظ أن زعماءهم من أسرة هوتفيل Hauteville تمكنوا فى نفس العام أى ١٠٧١م من الاستيلاء على بارى Bari بجنوبى إيطاليا(٢)، وكانت حينذاك آخر الأملاك البيزنطية هناك، وقد حدث ذلك التطور الاستراتيجى بقيادة الزعيم النورمانى روبرت

وهى أهم دراسة فى موضوعها. وأيضًا: عثمان توران، الأناضول فى عهد السلاجقة والإمارات التركمانية. ت. على عوده الغامدى، ط. الرياض ١٤١٨هـ، ص٤، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص١٩٣ .

١- سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص٤٤ .

٢- عن التوسع النورمانى فى أملاك الدولة البيزنطية حينذاك أنظر:

Holmes (ed.), The Oxford History of ITaly, Oxford 1997 , p. 48 .

وعن سقوط بارى أنظر:

Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 , p. 223 .

نبيلة مقامى، العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان فى جنوب ايطاليا وصقلية من ١٠١٥- ١١٩٧م، رسالة دكتوراه - غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م، ص٥٦ . =

جـويسكارد Robert Guischard[1] ويدعم من البابوية التى كانت تناصب الإمبراطورية البيزنطية العداء المستمر خاصة بعد الانشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م السالف الذكر.

وهكذا؛ يتأكد لنا أن الإمبراطورية التى كانت من قبل فى عهد أباطرتها المؤسسين الكبار تسيطر على مناطق عديدة ؛ تعرضت مكانتها السياسية إلى هزة عنيفة بعد هزيمتها فى مانزكرت، وسقوط بارى فى عام واحد، دون أن تتمكن من مواجهة زحف الأتراك السلاجقة من الشرق ، والنورمان فى الغرب .

على أية حال؛ من الملاحظ أن الحدث المحورى فى تاريخ بيزنطة والغرب الأوروبى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى تمثل فى اندلاع الحرب العالمية فى العصور الوسطى ونعنى بها الحروب الصليبية : تلك الظاهرة التاريخية ذات التأثير الكاسح فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى تلك العصور.

والواقع توجد هناك عدة تعريفات لها : منها أنها تلك الحملات العسكرية التى شنها الغرب الأوروبى فى أخريات القرن ١١ م متستراً بالدين، والرغبة فى السيطرة على الأماكن

= سميرة يونس، النورمان والدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى، ط. القاهرة ١٩٩٥م. ص٧٩ ، سيد الناصرى، الروم والشرق العربى. ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص٣٧٣، جمعه الجندى، حكم النورمان فى صقلية ٤٨٤- ٥٨٦هـ / ١٠٩١- ١١٩٤م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠م، ص٤٤ .

١- روبرت جويسكارد Robert Guischard (١٠١٥-١٠٨٥م) زعيم نورمانى، وكلمة جويسكارد تعنى «الداهية» ، خلف أخاه كدوق لأبوليا Apolia عام ١٠٥٧م ، وفى عام ١٠٧١ أخضع بارى Bari آخر المراكز البيزنطية فى الغرب، وحاول أن يكون سيداً على الإمبراطورية البيزنطية بأن دافع عن قسطنطين دوكاس ابن ميخائيل السابع خاصة بعد زواج قسطنطين هذا من ابنة روبرت جويسكارد، وقد تمكن من هزيمة الإمبراطور الكسيوس كومنين، واحتل كورفو وديرازو عام ١٠٨٢ م، وزحف على القسطنطينية إلا أنه اضطر للعودة إلى إيطاليا لمعاونة البابا جريجورى السابع ضد عدوه الامبراطور هنرى الرابع بعد أن ترك قيادة قواته وابنه بوهيمند وقد توفى روبرت جويسكارد عام ١٠٨٥م، عنه أنظر:

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Sewter Penguin Book , London 1982 . p. 53 .

O.D.B., vol 3, p. 1799 .

Chiball. The Normans , Oxford 2000, p. 77-78 , p. 118-119 .

Vau Houts , The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 243 .

المقدسة المسيحية فى فلسطين بينما أخفى من وراء ذلك عدة دوافع سياسية ، واقتصادية، واجتماعية لايمكن إنكار تأثيرها البارز حينذاك ، كذلك هناك من اعتقد أنها السياسة الخارجية للبابوية The foreign Policy of the Papacy[١]، أو أنها حركة الاستعمار الأوربى فى العصور الوسطى، The European Colonialism in the Middle Ages [٢]، مع ملاحظة أن الرأى الأخير يفهم – من جانبى- على اعتبر أن «الاستعمار» يعنى «الاستدمار» ، والنهب المنظم لثروات المسلمين وتحويلها إلى الغرب الأوربى .

كذلك هناك من اعتقد أنها جزء من المسألة الشرقية[٣] The Eastern question وفيما يتصل بدوافع تلك الحركة التاريخية ؛ هناك الدافع الدينى ورغبة الغرب الأوروبى فى إخضاع المناطق التى ارتبطت بذكريات المسيحية المبكرة فى فلسطين[٤]- كما اسلفت الإشارة- ويلاحظ أن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله قد أمر بهدم كنيسة القيامة بيت المقدس عام ١٠٠٩م[٥]، وقد أحدث ذلك أثراً عنيفًا فى الغرب الأوروبى مع ملاحظة أنه تم إعادة بنائها؛ إذ قام الإمبراطور البيزنطى رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٢م ، بالإتفاق مع الدولة الفاطمية من بعد عهد الحاكم ؛ من أجل إعادة بنائها ، وبالفعل قام الإمبراطور قسطنطين Constantine IX (١٠٤٢- ١٠٥٥م) بإرسال عماله للمشاركة فى عمليات

١- Barker , The Crusades, London 1949 . p. 3 .

٢- عن ذلك انظر: Prawer, The Latin kingdom of Jerusalem , European Colonialism in the Middle Ages , London 1979 .

٣- Marriot , The Eastern question, Oxford 1958 , p. 1 .

٤- Riant , " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades" A.O.L., T.I, Année 1880 , p. 2 .

٥- عن ذلك انظر:

Canard , " La destruction de l'Eglise de la resurrection par le Calife Hakim et l'Histoire de la descentre du Fen Sacre" , B. XXXV . Anée 1965, pp. 16-43 .

أيضًا اشارة فازيليف للتحديد الزمنى المذكور:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire. p. 311 .

البناء، ويلاحظ أن حركة الحج المسيحي استمرت عبر الثغور الواقعة على الحدود بين مناطق المسلمين والبيزنطيين[١]؛ مما عكس أن الحادثة السالفة الذكر تعد استثناءً وسط الطابع التسامح العام للمسلمين تجاه تلك الأماكن المقدسة للمسيحيين ومن المهم هنا الإقرار : بأن سياسة الحاكم بأمر الله- وهو الذي عرف بتناقض سياساته- تعد استثناء تاريخيًا في سياسة المسلمين المتسامحة بصفة عامة تجاه أهل الخدمة ولايمكن اتخاذ سياسة ذلك الخليفة الفاطمي في أساسات للعلاقة بين الاسلام ورعاياه من غير معتنقيه [٢].

وقد أقر مؤرخون أوربيون محدثون ومن أمثلتهم ، هانز أ. ماير Hans E. Mary بعدم حدوث ما يوصف باضطهاد ديني ضد المسيحيين الشرقيين أو الحجاج الأوربيين فيما قبل

١- Runciman, " The Pilgrimage to Palestine before 1095", in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol . Pennsylvania 1969, p. 74 .

محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٢٣ .

وانظر أيضًا هذه الدراسة المهمة التي تحوى عدداً من الرحلات التي قام بها الحجاج الأوربيون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين وتمت ترجمتها إلى الانجليزية :

Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before the Crusades, London, 1977 .

٢- عن الحاكم بأمر الله وسياسته تجاه أهل الذمة أنظر : ابن الأثير ، الكامل، ج٧، ص٢٤٠ ، ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقره وعبد الحليم عويس، ط. القاهرة ١٤٠١هـ، ص٩٩- ص١٠٠ ، المقريزي ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي ، ط. القاهرة ١٩١م، ج٢، ص٩٤ .

Vatikiotis , " Al- Hakim Bi- Amrillah : The God - king Idea realised". I.C., vol . XXIX , No . I , January 1955, pp. 6-10 .

عبد المنعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٩٩- ص١٠٠ ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص٣٥٧- ص٣٦٠ ، محمد على القطب ، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ ، ط. صيدا ٢٠٠٢م، ص٥٨- ص٦٣ ، إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمي السياسي، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص١٠٩-١١٠ ، ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص٥٦- ص٥٧ ، على حسني الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص١٧٥ ، دافيد صمويل مرجليوث ، القاهرة وبيت المقدس، ودمشق ، ت . خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، ط. دمشق ٢٠٠٠م، ص٤٥ .

إندلاع آتون الحروب الصليبية [1]؛ مما دلَّ على أن كافة ما قيل عن ذلك ما هو إلا جزءاً لايتجزأ من الدعاية Propaganda للمشروع الصليبى التى لم تكن قائمة على سند من الواقع التاريخى . مع عدم اغفال أن الصراع الفاطمى- السلجوقى - فيما بعد جعل طريق الحج المسيحى ليس فى السياق السابق[2]. أما الدافع السياسى؛ فيلاحظ أن ملوك وأمراء أوربا حينذاك أرادوا دعم نفوذهم السياسى فى أملاكهم من خلال الاشتراك فى تلك الحروب[3] ضد الشرق الإسلامى وبالتالى؛ فالحروب الصليبية تعبر عن التنافس السياسى بين الدول الأوربية مثل فرنسا، وانجلترا ، وألمانيا والمدن الإيطالية مثل جنوة وبيزا والبندقية كذلك لانغفل أن البابوية- على الرغم من أنها فى الأصل مؤسسة دينيه- إلا أنها مارست السياسة من رأسها إلى أخمص قدميها من خلال مشروع الصليبيات رغبة فى تحقيق مصالحها الخاصة بإحكام قبضتها على ملوك الغرب الأوربى وكذلك إخضاع الكنيسة الشرقية لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية الأم فى روما[4].

١- Mayer, The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987, p.6.

وعن الباعث الدينى بصفة عامة أنظر :عبدالله الربيعى، «الدوافع الدينية للحركة الصليبية» ضمن ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية ، اتحاد المؤرخين العرب ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٧٩ - ص١٢٢ .

محمد صابر منصور، أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية، ط. بنى غازى، ١٩٩٦م.

٢- عن ذلك انظر : سليمان الخرابشة، الصراع الفاطمى- السلجوقى فى بلاد الشام ٤٤٧- ٥٦٦هـ / ١٠٥٥- ١١٧٠م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م، ص٢٠٩- ص٣١٧ .

٣- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١ ، ص٤٠ .

٤- نفسه ، ج١ ، ص٣٤- ص٣٧ .

وعن دور المدن التجارية الإيطالية فى الحروب الصليبية أنظر:

Byrne, " Genoese Trade with Syria in The Twelfth Century ", A.H.R., vol. XXV, 1919-1920, pp. 191-219 .

شارل ديل ، البندقية جمهورية أرستقراطية ، ت. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ، ط. القاهرة ١٩٤٨م، عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠م، مصطفى الكنانى، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١- ١٢٩١م / ٥٦٧- ٦٩٠هـ ،=

وفيما يتصل بالدافع الاقتصادي؛ نلاحظ أهميته الخاصة ؛ حيث أرادت أوروبا القضاء على دور المسلمين كوسطاء تجاريين بين الشرق والغرب، وهكذا رغبت المدن التجارية الإيطالية التى شاركت فى ذلك المشروع العدوانى على الشرق - رغبت فى المال وكان البنادقة- على سبيل المثال- يقولون «نحن تجار أولاً ثم مسيحيون من بعد ذلك »؛ مما عكس طبيعتهم البرجماتية المتأصلة ، من زاوية أخرى؛ أرادت البندقية القضاء على منافسة بيزنطة التجارية ، وهو أمر تحقق لها فى أوائل القرن ١٣م كما ستوضحه الصفحات التالية.

أما من الناحية الاجتماعية ؛ نجد أن الحروب الصليبية هى إفراز صادق للنظام الإقطاعى حيث احتوى على الفرسان أو الذين يحاربون، ورجال الكنيسة أي الذين يتعبدون ، ثم الأقنان وهم الذين يزرعون ، وعانى الأخيرون من سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ولذلك ؛ إندفعوا للاشتراك فى الصليبيات لتحسين أوضاعهم المعيشية المتردية. ولاريب فى أنهم دفعوا الثمن فادحًا من خلال اشتراكهم فى آتونها [١].

على أية حال ؛ قامت الحروب الصليبية من الغرب الأوربى ، ومن كنيسة روما حيث أن تلك الحروب توصف بأنها فعلة كنسية Action d'Eglise وقد أرادت تلك الكنيسة الأم إخضاع كنيسة القسطنطينية المارقة بأية وسيلة لسيطرتها.

= ط. الاسكندرية ١٩٨١م، عفاف صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة ١١٠٠ إلى ١٤٠٠، ط. القاهرة ١٩٨٣م، أحمد عبدالله، التجارة في الساحل الشامى فى القرنين ١٢ ، ١٣م، رسالة ماجستير غير منشورة ، دراسة أكاديمية قيمة بالعربية عن الجانب التجارى عصر الحروب الصليبية وقد أشرفت عليها بالاشتراك مع أ.د. أحمد رمضان ، سهير نعينع ، «العلاقات التجارية بين المدن الايطالية ، ومصر والشام فى القرنين ١١ ، ١٢ الميلاديين فى ضوء الوثائق التاريخية، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٢٨- ص٣٧١ .

٢- عن النظام الإقطاعى فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى أنظر:

Coulbon (ed.) Feudalism in History, Princeton 1956 .

كويلاند وفينوجرادوف ، الإقطاع فى العصور الوسطى بغرب أوربا ، ت. محمد مصطفى زيادة. ط. القاهرة ١٩٤٥م، إسحق عبيد، الفرسان والأقنان فى مجتمع الإقطاع. ط. مبنى غازى ١٩٧٥م.

وعن الباعث الاجتماعى للحروب الصليبية أنظر:=

جدير بالذكر ؛ فكر البابا جريجورى السابع Gregory VII[١] (١٠٧٣-١٠٨٥م) فى الدعوة إلى الحروب الصليبية ، ويلاحظ أن دوره كان بارزاً فى التمهيد لقيامها وهناك من يقرر أنه قام بجهد واضح فى إحداث تغيرات جوهرية تجاه الموقف المسيحى من حمل السلاح وبالتالى يوصف بأنه مهد السبيل لقيام المشروع الصليبى ولانغفل أنه عمل على جذب العناصر المحاربة، وحاول إكتسابها إلى صف خدمة الكنيسة[٢] .

ومع ذلك ؛ فمن المقرر أن صراع ذلك البابا مع الإمبراطور الألمانى هنرى الرابع Henry IV (١٠٥٦-١١٠٥م) أعاقه عن تنفيذ مشروعه فى شن الحروب الصليبية[٣] تاركًا ذلك الأمر لمن أتى من بعده من البابوات .

= قاسم عبده قاسم «الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص١٨٩- ص٢٣٣ .

١- جريجورى السابع؛ بابا ، وقديس تولى المنصب البابوى خلال المرحلة الممتدة من ٢٢ أبريل ١٠٧٣م إلى ١٥ مايو ١٠٨٥م خلفًا للبابا هونوريوس الثانى الذى تولى المنصب البابوى من ٢٨ أكتوبر ١٠٦١ إلى ٣١ مايو ١٠٧٣م ، وقد آمن جريجورى السابع بسيادة البابوية المطلقة على الامبراطورية، وتنسب له الأوامر البابوية Dictatus Papae التى تعكس ذلك ، عنه أنظر:

Kelly , Oxford dictionary of Popes, pp. 154-156 . Ulmann , History of Political Thought , The Middle Ages, London 1978, pp. 106-107 , pp. 112-113 .

Keen , The Pelican History of Medieval Europe, London 1976, pp. 77-80 .

ومن المهم هنا النظر إلى ذلك البابا على أنه افراز لأوضاع الغرب الأوربى حينذاك وعن تلك الأوضاع انظر: عادل زيتون، تاريخ العصور الوسطى الأوربية، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص١٦٠ .

٢- عن دور البابا جريجورى السابع فى خدمة فكرة الحرب الصليبية ، أنظر:

Cowdrey, " Pope Gregory VII and The Bearing of Arms, " in Kedar , Riley - Smith and Hierstand (eds.) , Montjoie Studies in Crusade Hisory in Honour of Hans Eberhard Mayer, Aldershot 1997 , pp. 21-35 .

ويعد كودرى من أهم من تخصص فى دراسة ذلك البابا ، وتمتاز كتاباته بالعمق والتحليل لمواقف البابوية حينذاك .

٣- عن الصراع بين جريجورى السابع وهنرى الرابع أنظر: =

على أية حال؛ وصل إلى المنصب البابوى البابا أوربان الثانى Urbanus II [١](١٠٨٩-١٠٩٩م) الذى تخرج مثل سابقيه من دير كلونى Cluny بفرنسا ، واتجه إلى دعم النفوذ البابوى ، وقد عقد مجمعًا كنسيًا فى بياكنزا Piacenza بإيطاليا من أجل الدعوة إلى المشروع الصليبى، غير أنه لم يوفق وفكر فى عقد مجمع آخر فى وطنه فرنسا وبالتحديد فى كليرمونت Clermont وفى ذلك المجمع أشعل البابا نيران الحرب العالمية فى العصور الوسطى من خلال الدعوة إلى المشروع الصليبى ، وبصفة عامة ؛ لايمكن أن تقبل ما ذهب إليه المؤرخ الأمريكى مايكل هارت عندما تصور أن ذلك البابا من العظماء المائة الذين صنعوا التاريخ فالعظماء التاريخيين يصنعون التاريخ من خلال روح التسامح لا التعصب وسفك الدماء[٢].

تجدر الإشارة ؛ ألقى البابا أوربان الثانى فى يوم ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م، خطابًا فى المجمع المذكور[٣] لم يستغرق إلقاؤه إلا وقتًا قصيراً دعا فيها إلى الذهاب إلى الشرق لتخليص

= La due , The Chair of Saint peter, A History of the Papacy , p. 100-101 .

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ، ص٣٥٢-٣٥٧ ، نعيم فرح ، تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى ، ص٢٠١ ، هارتمان وباراكلاف ، الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى، ص٥٠ .

١- البابا أوربان الثانى؛ ولد فى شاتيون سيرمارين Chatillon - Sur- Marine ، وقد تولى المنصب البابوى من ١٢ مارس ١٠٨٨ إلى ٢٩ يوليو ١٠٩٩م، وذلك خلفًا للبابا ڤيكتور الثالث Victor III الذى تولى المنصب المذكور من ١٠٨٦ إلى ١٠٨٧م عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 158-160 . Cowdrey, " Pope Urban II and the Idea of Crusade ,, S.M., 36 , 1995, pp. 721 -742 .

محمود الرويضى ، «قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية- جامعة المنيا العدد (٤١) ، يوليو ٢٠٠١ .

٢- مايكل هارت، الأوائل المائة، ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباتو، ط. دمشق ٢٠٠١، ص٥٦٨ .

٣- عن خطاب البابا أوربان الثانى فى مجمع كليرمونت أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian. Tennesse 1967 , pp. 62-65 .

الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين من قبضة السلاجقة ، وإدعى أنهم قتلوا المسيحيين الشرقيين، وذكر أن دماءهم المراقة تنادى وتستصرخ الفرنجه ؛ من أجل نجدتهم، وكل ذلك جاء محض افتراء تام- وقدم البابا إغراءات اقتصادية . من أجل ضمان نجاحه واكتساب ذكر قاعدة مؤيده له ، كذلك تعرض لمدينة القدس باعتبارها هدف رحلة الحج المسيحى، وتحدث عنها باعتبارها الجنة الأرضية التى شهدت ذكريات المسيحية فى عهدها الباكر.

وقال صراحة للحاضرين : «اذهبوا إلى أرض كنعان التى تفيض لبنا وعسلاً » كذلك قدم الغفران الكنسى للمشاركين فى المشروع المرتقب ، وفور انتهاء البابا من خطابه ؛ صالح الحاضرون صيحة واحدة هى "Deus Vult" ؛ أى «الله يريد ذلك» ، وكانت صيحة المسيحية فى حربها ضد الإسلام ، ومن المرجح أن ذلك المجمع كان أشبه شئ بمسرحية مدبرة من جانب البابا والحضور على نحو أدى إلى مثل تلك الاستجابة الفورية الجماعية ونجاح المجمع المذكور بعد فشل مجمع بياكنزا السالف الذكر على أية حال؛ قامت الحملة الشعبية أو ماعرف بحملة

Robert The Monk , in Peters (ed.), The First Crusade , The Chronicle of Fulcher of Charttres and other Source materials, Philadelphia (1971) , pp. 1-4 .

Guilbert of Nogent , in peters, pp. 6-10 .

جوزيف نسيم يوسف ، الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية»، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م (١٦) عام ١٩٦٩م، ص١٩٨ - ص٢٠٥ .

Munro , "The Speech of Pope Urbanus II at Clermont ", A.H.R., vol . III. 1905, pp. 2310 242 .

وهى لاتزال أهم مقالة حتى الآن عن الموضوع المذكور .

Asbridge, The First Crusade , A New History , Roots of Conflict between Christianity and Islam, Oxford 2004, pp. 32-36 .

والواقع أن المؤلف لايقدم «تاريخا» جديداً كما يدل على ذلك العنوان الذى يغلب عليه الطابع الدعائى بما يتعارض مع قواعد الكتابة التاريخية الملزمة .

الفلاحين التى غلب عليها الإندلاع العاطفى ، وعدم الدراية بالقوة السلجوقية ، وظهر فيها دور بارز لرجل يدعى بطرس الناسك [١]. ويلاحظ أن أولئك الفلاحين إندفعوا من الغرب الأوروبى إلى بيزنطة ووصلوا إلى القسطنطينية وذلك فى عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠-١١١٨م)[٢]، ومن المهم إدراك أن بيزنطة عندما طلبت مساعدة الغرب الأوروبى كانت تريد عناصر عسكرية محترفة من المرتزقة ، ولم يمكن يدر فى خد قادتها البتة أن يصل إليها الآلاف من الفلاحين الذين لايفقهوا شيئًا فى فن القتال ضد السلاجقة الذين كانوا فرسانًا أشداء باعتراف المصادر الصليبية ذاتها ، وقد أوردت المؤرخة البيزنطية أنا كومنينا Anna Comnena[٣] وصفا لعناصر الحملة الشعبية فكشفت لنا عن انضمام اللصوص ، وقطاع الطرق والمجرمين في صفوفها ، وهؤلاء هم الذين وصفتهم الحوليات الصليبية بأنهم جند المسيح !! .

وقد طالبوا الإمبراطور الكسيوس كومنين بالسماح لهم بعبور البسفور ؛ ليصلوا إلى آسيا الصغرى ويحاربوا السلاجقة ، وعندما رفض محذراً لهم من خطورة عدوهم ، وبراعته العسكرية ؛ قاموا بسلب، ونهب الأملاك الامبراطورية؛ ولذلك اضطر إلي السماح لهم بالعبور، وعندما عبروا إلى هناك تلقفتهم سيوف السلاجقة، وأجهزت على عدد كبير منهم، ويلاحظ أن الغرب الأوربى اعتقد أن السبب الرئيسى لفشل الحملة الشعبية[١] يتمثل فى

١- عنه أنظر دراسة هجنماير القديمة والجديدة فى آن واحد :

Hagenmeyer, Peter der Ermit, Leipzig 1879 .

٢- عنه أنظر: عبد الغنى محمود عبد العاطى، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين ، ط. القاهرة ١٩٨٣م.

٣- Anna Comnena, The Alexiud Trans. by Sewter Penguin Book, London , 1979 .

وأنظر الترجمة العربية الرائعة التى قام بها حسن حبشى، أنا كومنينا ، الكسياد، ت. حسن حبشى ، المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.

عن الحملة الشعبية، وفشلها أنظر:

Albert d'Aix, Historia Hieroslymitana in R.H. C., T.V, Paris 1879, p. 284-289 .

Hagenmeyer, Peter der Ermite, Leipzig 1879. Runciman, A History of The Crusades, vol . I, p. 121-133 .

بيزنطة دون إدراك أن عناصر تلك الحملة لم تكن تصلح للقتال «لكن ميراث الكراهية والشك كان دائمًا يظهر على السطح لكى يفسر كافة السياسات البيزنطية من خلال تصورات خاصة بالغرب الأوربى وضد مصلحة بيزنطة بطبعية الحال، ولاريب فى أن مرحلة الحروب الصليبية شكلت المرحلة التى تصادمت فيها القوتان الصليبية والبيزنطية .

نتج عن إخفاق الحملة الشعبية : أن قام الغرب الأوربى بتكوين حملة من الأمراء البارزين لكى يقاتلوا السلاجقة، وبالفعل شارك فيها كل من بوهيمند Bohemond[٢] ابن روبرت جوريسكارد Rober Guischard [٣] الزعيم النورمانى ، وتانكرد Tancred وريموند كونت تولوز Raymond of Toulouse [٤] وجودفرى دى بويون Godfrey de Bouillon [٥]، وشقيقه بلدوين، كذلك كان هناك المندوب البابوى أدهيمار Adhimar، وعندما وصلت حملة الأمراء إلى بيزنطة؛ تجددت الشكوك بين الطرفين ، وأراد الإمبراطور الكسيوس كومنين أن يقسم له أفرادها يمين الولاء، والطاعة فقبل البعض ، ورفض البعض الآخر، واتجه إلى أن

جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص١٤١- ص١٧٠ .

يقوم حاليا تلميذى محمود كامل محمد المعيد بكلية الآداب- جامعة أسيوط باعداد أطروحته للماجستير عن الحملة الشعبية ، تحت ، اشرافى بالاشتراك مع د. عز العرب محمد .

٢- عنه أنظر: Fulcher of Chartres, 28-29 .

Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch . Amesterdam 1970 . pp. -9-51 .

٣- عنه أنظر : " Nicholsonn, Tancred : A study of his Career and Work in Their relation to the Latin States in Syria and Palestine . Chicago 1940 , pp. 20-102 .

٤- عنه أنظر : William of Tyre, vol . I , p. 139 , Hill . Raymond IV Count of Toulose , Syracuse 1902 .

٥- عنه انظر: William of Tyre, vol . I , p.

سرور عبد المنعم، «جودفرى بويون حاكمًا للكيان الصليبى فى الشام» مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، عدد (١٤) مارس عام ٢٠٠٤م، ص٢٢٩- ص٢٧٩ .

يحفظ حقوق الإمبراطورية من خلال عقد إتفاقية القسطنطينية مع الصليبيين عام ١٠٩٧م [١]. وكان أهم ما ورد فى تلك المعاهدة تعهد الصليبيين بأن يردوا للإمبراطورية المناطق التى كانت تابعة لها ثم استولى عليها السلاجقة وفى المقابل، تقوم بيزنطة بتقديم المؤن ؛ والإمدادات ، والمرشدين، والأدلاء ؛ لمساعدة الصليبيين على تحقيق هدفهم المعلن بالوصول إلى الأماكن المسيحية المقدسة فى فلسطين .

جدير بالإشارة؛ تمكن فرسان الحملة المنظمة من استعادة نيقية Nigea التى عادت إلى

١- عن إتفاقية القسطنطينية :

William of Tyre, vol . I , p. 130 . Matthieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque a 1162, ed. M.E. Dulqurier, Paris 1858, p. 214 .

Lillie , Byzantium and the Crusader States (1096-1204), Trans. by J.C., Oxford 1993, p. 23 .

فتحية النبراوى، «حياة الامبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن ١٢م»، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٧) عام ١٩٨١م، ص٤٧- ص٤٨ .

عبد الغنى عبد العاطى، السياسة الشرقية ، ص٢٩٣ .

جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين، ص٢٢٢- ص٢٢٣ .

ومع ذلك ؛ من المهم ألا نغفل أن تلك المعاهدة نسختها معاهدة عقدت بين بيزنطة وبوهيمند عام ١١٠٨م وفيها اعتبر الأخير نفسه فصلاً تابعًا لالكسيوس كومنين وكذلك ولى عهده من بعده ، عن تلك المعاهدة أنظر:

Anna Comnena, p. 354 - 355 .

Finly. History of Greece, Oxford 1877, vol . III, pp. 122-123 .

Yewalde. Bohemond, pp. 127-130 .

٢- عن سقوط نيقية أنظر:

بطرس توديبود ، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص١١١ .

الامبراطورية البيزنطة، ثم تمت هزيمة السلاجقة فى معركة ضورليوم عام[1] ١٠٩٧م بعد أن ضعفت الدولة السلجوقية فى أعقاب وفاة ملكشاه آخر السلاطين الكبار عام ١٠٩٢م.

على أية حال ؛ تمكن الصليبيون من تحقيق عدد من الانتصارات على المسلمين من خلال قوتهم الذاتية ، وكذلك الصراع السلجوقى- الفاطمى بالإضافة إلى الاستفادة من الخلافات الطائفية فى بلاد الشام حيث استفادوا من دعم عناصر الموارنة فى لبنان وغيرهم ؛ وتمكنوا من تكوين عدة كيانات سياسية فى صورة إمارة الرها Edessa [2].

١- Raymond d'Aguilers, Historia Francorum , Trans. by John Hill and Laurita Hill, Philadelphia 1968, p. 27-28 .

مجهول ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص٣٨- ص٤٢ .

٢- الرها؛ مدينة بإقليم الجزيرة وقعت فيما بين الموصل وشمالى وبلاد الشام ما بين مرعش ومنبج ، واعتبرت ذات مكانة خاصة لدى المسيحيين نظراً لوجود المنديل الذى يقال أن السيد المسيح إستعمله ولذلك حظيت باهتمام الرحالة الأوربيين الذين زاروها ، وأشاروا إليها فى مؤلفاتهم كذلك عنى بإيراد أمرها الجغرافيون المسلمون، عنها أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٧٦- ٢٧٧، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، ط. باريس ١٨٩٧م، ص٥١ ، الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م، ص٢٧٣ .

Eucherius, Description of Jeruslam, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol . III, London , 1892 , p. 19 .

Silvia of Aquitana, Pilgrimage to the Holy Places , pp. 34-35 .

Segal, Edessa, The Blessed City, Oxford 1970 .

يوسف بغدادى ، «الرها» المشرق، السنة (٨) . العدد (٤) ، بيروت ١٩٠٥م، ص٣١ ، شاكر أبوبدر، الحروب الصليبية ، والأسرة الزنكية، ط. بيروت، ب-ت ، ص١٤٧ .

وعن إمارة الرها أنظر: عليه الجنزورى، إمارة الرها الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٦م، دراسة رائدة عن تاريخ تلك الإمارة لمؤرخة قديرة ، محمود الرويضى، إمارة الرها الصليبية ، ط. مؤته ٢٠٠٢م. دراسة مهمة، أيضًا: هنادى السيد محمود مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الأول ٤٩٤-٥١٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م، (تحت اشرافى وأ.د. أحمد رمضان) ، ص٢٠- ص٢٢ .

وإمـارة أنطاكيــة[١] ومملكة بيت المقدس وذلك بعد أن دخل الغزاه المدينة المقدسة فى يوم الجمعـة ١٥ يوليـو ١٠٩٩م[٢]، حيث احدثوا بها مذبـحة مروعـة راح ضحيـتها عشرات الآلاف

١- مدينة بشمالى بلاد الشام وهى حاضرة نهر العاصى- وتقع على بعد نحو ٣٠٠ك تقريبًا. إلى الغرب من حلب ، استولى عليها المسلمون عام ٦٣٥م على يدى أبو عبيده بن الجراح ، ومن بعد ذلك سيطر عليها البيزنطيون واستعادها السلاجقة ، عنها انظر ياقوت . معجم البلدان ، ج١، ص٢١٣-٢١٦ .

أحمد وصفى زكريا، جولة أثرية فى بعض البلاد الشامية ط. دمشق ١٩٨٤م، ص٩٦-١١٤ ، وعن تلك الإمارة الصليبية أنظر: . Cahen, La Syrie du nord a' Lepoque des Croisades, Paris 1940

وهى أفضل دراسة عنها حتى الآن، أنظر أيضًا: حسين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م، إمارة انطاكيـة والمسلمون، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م. كمال أمين محمد حسب الله، إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨-١٢٦٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م، وهى دراسة مهمة تناولت تلك الإمارة الصليبية من التأسيس حتى السقوط.

٢- عن تلك المذبحة انظر:

Anonymous, The deeds of The Franks and other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R.Hill, London 1962 , p. 51 , Fulcher of Chartres, p. 122 .

Hagenmeyer, " Chronolgie de la Premuere Croisade", R.O.L., T.VII, Anée 1899, p. 477-479 .

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧ ،. ابن ميسر، منتخبات من تاريخ مصر . P.H.C., Hist. Or., t.III, p. 463 ، ابن كثير، الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ، ط. القاهرة ١٣٤٧هـ، ص١٩ ، السيوطى، تاريخ الخلفاء ،، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ، ص٤٢٧ ، اليافعى، مرآة الجنان وعبرة اليقطان، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ ، ج٣، ص١٥٤ ، ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ، ج٩، ص١٠٨ ، رنسيمان ، المسيحيون العرب فى فلسطين . ط. اسكس ١٩٦٨م، ص١٤ ، ميخائيل اسكندر . القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٥٧- ص٥٨ ، سعيد عاشور ، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص١٠ ، مصطفى الحيارى، القدس زمن الفاطميين والفرنجة، ط. عمان ١٩٩٤م، ص٤٤ ، شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى، الحاضر المستقبل، ط. الشارقة ٢٠٠١م، ص٣٩- ٤٠ .

Goitein , " Contemporary Letters on the Capture of Jerusalem by The Crusaders", J.J.S., vol . IX , 1952 , pp. 162-177 .

من المسلمين، وفيما بعد أقاموا إمارة فى طرابلس بشمالى لبنان [١].

ويلاحظ هنا ؛ أن الوجود الصليبى فى بلاد الشام جعل الإمبراطورية البيزنطية أمام عدة اختيارات صعبة بل ومتناقضة فى آن واحد، فهى تكره الصليبيين ولاتثق فيهم خاصة من خلال «التراث» العدائى المتراكم السالف الذكر، وفى ذات الحين ؛ تحتمى بذلك العدو الذى ليس من صداقته بد لمواجهة الخطر السلجوقى. ومن ناحية أخرى؛ لانريد أن يقضى الصليبيون على القوى الإسلامية المحلية البارزة حتى لاتواجه بيزنطة بعد ذلك الخطر الصليبى منفردة، وهكذا؛ لعبت تلك الامبراطورية ذات الخبرة العريضة فى التعامل مع الأعداد ، وما أكثرهم ، والأصدقاء وما أقلهم؛ لعبة توازن القوى Balance of Powers ، وهى لعبة خطرة خاصة أنها تأكدت فيما بعد من أنها استعانت بلص غربى لمساعدتها فى التعامل مع الأتراك السلاجقة! ولانغفل هنا؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية دفعت ثمنها فادحًا خاصة مع تزايد الأطماع اللاتينية فيها .

على أية حال ؛ كان القرن الثانى عشر تجربة مريرة فى أمر العلاقات البيزنطية - الصليبية وشكل ميراثًا مريراً للعداء بين الطرفين .

بصفة عامة ت؛ توفى الكسيوس كومنين عام ١١١٨م، بعد أن قام بدور بارز فى التاريخ البيزنطى ومن خلال استخدامه لأقصى وسائل الدبلوماسية والحيطة والحذر فى التعامل مع الصليبيين، وتمكن من استغلال الضعف الذى حل بالسلاجقة عقب وفاة زعيمهم قلج أرسلان وشن هجومًا عليهم عام ١١١٦م [٢]، وهكذا ، عندما توفى كانت الإمبراطورية تسيطر على

١- عنها أنظر: . Richard , la comte de Tripolis sous la Dynastie Toulousaine , Paris, 1945

عبد العزيز عبدالدايم، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م ؛ نهى الجوهرى بإعداد أطروحتها للماجستير عن امارة طرابلس فى القرن ١٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة عام ٢٠٠٧م، فيليب حتى . لبنان فى التاريخ، ت. انيس فريحه ، ونقولا زياده ، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص١٨٨ . أنيس فريحه ، اسماء المدن والقرى اللبنانية ، وتفسير معانيها ؛ الجامعة الأمريكية بيروت ط. ١٩٥٦م ، ص٢٠٧ ، حكمت بك شريف ، تاريخ طرابلس ، الشام من أقدم أزمانها . تحقيق منى حداد يكن، ومارى عيسى خورى ، ط. طرابلس ١٩٨٧م، ص١١- ص٢٤ .

٢- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٩٢ ، وعن الكسيوس كومنين أنظر بالتفصيل:=

الأناضول ، وطرابيزون ، والساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، وكذلك ساحل البحر الأسود ، ودلّ ذلك ؛ على قدرته على محاولة إعادة بعض الأملاك البيزنطية التى فقدت من قبل ، وعلى الرغم من ذلك؛ إلا أن المسار العام للتاريخ البيزنطى لم يعد إلى الصعود الذى وجدناه فى مراحل سابقة ، ويمكن اعتبار عهد آل كومنين بصفة عام بأنه «صحوة» مؤقته من بعدها كان ينتظر بيزنطة حدث جلل ؛ كما سيتضح من عرضنا التالى [1].

من بعد الكسيوس كومنين ؛ تولى العرش حنا كومنين [2]John Comnenus خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣م، وقد حاول جاهداً إرجاع بعض المناطق التى فقدتها الإمبراطورية منذ

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by E.R.A.Sewter, Penguin Book, London 1979 . =

عبد الغنى محمود عبد العاطى ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين، ط. القاهرة ١٩٨٣م، وهى أفضل دراسة عربية فى موضوعها . فتحية النبراوى، «حياة الإمبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن الثانى عشر الميلادى». المجلة التاريخية المصرية، م (٢٧) عام ١٩٨١م، .

آمال حامد غانم زيان، الامبراطور الكسيوس كومنين والحملة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥م.

ولايخلو كتاب عن الحروب الصليبية أو التاريخ البيزنطى بصفة عامة، إلا ويتناوله بصورة أو بأخرى.

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٩٢ .

٢- حنا كومنين ؛ هو الابن الأكبر للامبراطور الكسيوس كومنين وقد حكم خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣ وقد توفى خلال حادثة صيد فى أبريل من العام المذكور، عنه أنظر:

حنا كومنين بالتفصيل أنظر:

Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 . pp. 13-31 .

Nicol. A Biographical dictionary . p. 55 .

Hussey , The Byzantine World , pp. 60-62 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, vol . II, p. 375- 376 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, pp. 333-337 .

عبد الحفيظ محمد على ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عصر حنا كومنين ١١١٨-١١٤٣م. رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٨١م، ص٧٣-٧٩ .=

زمن بعيد ؛ غير أنه لم ينجح فى حل المشكلة الأنطاكية المزمنة ؛ مما عكس أن هناك حدوداً محددة كانت تواجه آفاق السياسة البيزنطية ولم يكن من الممكن البته أن تنجح بيزنطة فى عهده وكذلك عهد سلفه من تحقيق «الحلم الانطاكى» البعيد المنال والذى كان أشبه شئ بالسراب !

ومع ذلك يذكر لحنا كومنين حصافته السياسية وعدم إندفاعه ووجود مستشارين أفاده فى صنع قراراته السياسية [١].

ومن بعده ؛ تولى العرش الإمبراطورى مانويل كومنين الذى حكم خلال المرحلة من ١١٤٣ رلى ١١٨٠م [٢] فى فترة من أخطر الفترات فى التاريخ البيزنطى والعلاقات بين الشرق والغرب عصر الصليبيات.

= وتعد الدراسة الأكاديمية الوحيدة باللغة العربية المتخصصة عن ذلك الإمبراطور البيزنطى، وقد أجاد فيها مؤرخها الراحل .

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٤٦- ص٣٤٧ .

٢- مانويل كومنين ؛ هو مانويل كومنينوس الذى عرف بالأول وتولى العرش البيزنطى خلال المرحلة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠ ويعد الابن الرابع ليوحنا الثانى كومنينوس الذى قام باختياره كولى للعهد عام ١١٤٣م ، ويلاحظ أن أمه هنغارية الأصل ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , pp. 78-79 .

وأفضل ، وأشمل دراسة عن ذلك الإمبراطور هى تلك التى أعدها بول ماجدولينو Paul Magdalino بعنوان إمبراطورية مانويل كومنين ١١٤٣-١١٨٠ وصدرت من جانب جامعة كمبردج عام ١٩٩٧م، أنظر:

Magdalino , The Empire of Manuel I Comnenos 1143 - 1180 , Cambridge 1997 .

وقد وقعت فى ٥٥٧ صفحة اعتماداً على غزارة ببليوغرافية مصدرية ومرجعية غير مسبوقة وقدرة على التحليل والعرض من جانب أستاذ حقيقى خبير فى الدراسات البيزنطية ، وهذه هى المرة الأولى على ما أعلم التى يخصص فيها مؤرخ أوربى دراسة بمثل هذا التوسع والشمول عن ٣٧ عامًا فقط من عمر التاريخ البيزنطى المديد البالغ أكثر من ١١ قرنًا كما أسلفت مراراً من قبل . وليس معنى ذلك الانفاق التام مع كل ما ورد فيه بشأن تقويم ذلك الامبراطور البيزنطى أنظر أيضًا :

Vasiliev History of the Byzantine Empire, p. 417-418 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 337-350 .

ويلاحظ أن سياسته الشرقية، والغربية؛ ارتبطتا معًا ارتباطًا وثيقًا؛ فنجد أنه واكب مشروعاته فى تدعيم السيادة البيزنطية فى الشرق اللاتينى؛ تدهور وضاح فى نفوذه فى الغرب؛ إذ ثارت البندقية ضده ، وقد باء مشروعه مع البابوية فى توحيد الكنيستين الشرقية، والغربية بالإخفاق [١]؛ إذ أن البابا لم يكن ليقبل أن يكون مجرد بطريرك بيزنطى فى روما[٢].

وقد شغل مانويل كومنين اهتمامه بمشاكل الغرب عن مواجهة صراعات الشرق، وهناك من يقرر من أنه خلال منتصف القرن الثانى عشر كان يحتاج فقط إلى حشد قواته لكى يقضى على سلطنة قونية السلجوقية غير أنه ابتعد عن ذلك بسبب طموحاته المتعلقة بالسياسة الغربية [٣]. وكذلك استخفافه بالخطر السلجوقى خلال تلك المرحلة.

ويأخذ البعض على ذلك الإمبراطور : إتباعه سياسة دفاعية لمدة طويلة ، إذ أنه خلال الأعوام الواقعة بين عامى ١١٦٤ ، ١١٧٥م ؛ أى على مدى أحد عشر عامًا كاملة،ألزم نفسه بإتباع تلك السياسة ، واتجه إلى تحصين تخومه، وعندما أدرك الخطر متأخرًا؛ إتجه إلى إتباع سياسة هجومية غير أن ذلك جاء بعد فوات الأوان، وكان ذلك من عوامل الهزيمة الفادحة المنكرة ، والفضيحة، التى لقيها على يدى قلج أرسلان السلجوقى فى موقعة مرياكيفالون Myriocephalun [٤] فى ١٧ سبتمبر ١١٧٦م ، والتى شهدها الامبراطور نفسه بأنها مثل معركة مانزكرت التى وقعت فى ١٦ أغسطس ١٠٧١م، وقد أدت معركة مريكاكيفالون إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها على النحو التالى:

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٩٨ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، ص١٩٤ .

٤- وقعت مرياكيفالون Myriokephalon فى منطقة فريجيا Phrygia فى آسيا الصغرى Asia Minor إلى الشرق من كوما Choma ويلاحظ أن كلمة مريكاكيفالون ذاتها تعنى ألف رأس ومما يذكر أن الآلاف من البيزنطيين هلكوا فى ذلك الموقع أكثر من مرة !

وعن تلك المعركة انظر :

Kinnamos , p. 146-147 .

أولاً : قضت على هيبة بيزنطة، ومكانتها السياسية والعسكرية التى كانت سلاحها الأول فى مواجهة منافسيها فى الغرب الأوروبى وكذلك الصليبيين فى الشرق اللاتينى.

ثانيًا: أدت تلك المعركة إلى القضاء على أى أمل بيزنطى في استعادة آسيا الصغرى من قبضة السلاجقة القوية؛ على نحو يجعلنا نقرر أن كيفالون مكملة لمانزكرت .

ثالثًا : أعتبرت المعركة المذكورة إنتصاراً كبيراً للإمبراطورية الغربية ولفردريك باربا روسا (١١٥٢-١١٩٠م) نفسه الذى توهم ذلك الإمبراطور البيزنطى أنه ند له. ولكن على الرغم من كل ما حل بالإمبراطورية؛ إلا أن قيادتها السياسية لجأت إلى الانتقام من الإمبراطور

Nicetas Choniates, O'city of Byzantium, Annales of Niketas Choniates, Trans. by = Harry Magoulias, Trans. by Harry Magoulias, Wayne State University, Detriot 1984 , pp. 101-107 .

Michael Le Syrien , Chronque, T. III, p. 371 .

O.D.B., vol . 2 , p. 1449 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 428- 429 .

Hussey , The Byzantine World, p. 66 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 79 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 649 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 119 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 347 .

على عود؛ الغامدى ، «معركة مرياكيفالون ١١٧٦م، »مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى- مكة المكرمة، العدد (١) ، العام الأول عام ١٤٠٩هـ، ص١٢٣- ص١٥٠ ، شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢١١ ، محمد عبد الشافى المغربى، آسيا الصغرى فى العصور الوسطى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى (القرن ١١-١٣)، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م ص٢٢٠- ص٢٢١ محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص٢٧٢- ص٢٧٣ ، أسد رستم، الروم، ج٢، ص١٥٧- ص١٥٨ ، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٣٨ ، على صالح المحيميد، الدانشمنديون وجهادهم فى بلاد الأناضول ، ط. الاسكندرية، ١٩٩٤م، ص٢٣٣، حاشية (١) ، محمد زكى نجيب، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية فى عصر أسرة كومنين ١٠٨١- ١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م، ص١٨٤ .

الامبراطور الألماني، وذلك من خلال تشجيع القوى الثائرة ضده فى إيطاليا وامدادها بالأموال ، واستمر ذلك الأمر قائمًا حتى وفاة مانويل كومنين عام ١١٨٠م[١].

ولانغفل، أن ذلك الامبراطور توافرت لديه اهتمامات كبيرة بالسياسة الغربية ، ويلاحظ أن تلك الاهتمامات شغلته عن سياسته الشرقية التى اتبع فيها الجانب الدفاعى كما أسلفت ، ولانغفل أن عجزة عن التوازن بين السياستين الشرقية والغربية كان خطأه القتال الذى وقع فيه بسبب ضعفه السياسة.

جدير بالإشارة ؛ حاول الإمبراطور المذكور حل «العقدة المستحكمة» فى العلاقات البيزنطية - الصليبية ممثلة فى المشكلة الأنطاكية ، والواقع ؛ أنه كان أضعف من أن يجد لها حلاً ؛ وعلى الرغم من استخدامه كافة الوسائل السياسية، والدبلوماسية إلا أن ذلك لم يمكنه من تجاوزها .

لقد ألزم مانويل كومنين أمير أنطاكية ريموند دى بواتيه Raymond de Poitiers (١١٣٦-١١٤٩م) على الحضور إلى القسطنطينية ، وقدم اعتذاره للإمبراطور بل إنه اعتبر نفسه فصلاً تابعًا له عام ١١٤٥م، ومن بعد ذلك؛ وفى عام ١١٥٨م؛ قام ذلك الإمبراطور بغزو كيليكيا Cilicia فى آسيا الصغرى ، وعامل أمير أنطاكية رينو دى شاتيون Renauld de Chatillon (١١٥٣-١١٦٢م) على نحو قاس وألزمه بالخضوع له[٢]، ويلاحظ هنا: أن انتصاره فى كيليكيا رجع إلى فرار توروس الأرمينى Thoros of Armenia [٣] وعندما علم رينودى شاتيون بتلك التطورات اتجه إلى تقديم الاعتذار للامبراطور شراءً لمسالمته ، وتوج

١- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٣٨ .

٢- William of Tyre, vol. II , p. 276 .

Schlumberger, Renauld de Chatillon Prince d'Antioch au Temps des Croisades, Paris 1933 , p. 102 .

Diehl;. History of the Byzantine Empire, p. 125 .

٣- محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى - الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص١٩٢ .

ورينودى شاتيون: فارس فرنسى قدم إلى بلاد الشام خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩ برفقة الملك لويس السابع، وقد تزوج من الأرملة كونستانس أميرة أنطاكية عام ١١٥٣م، وقد وقع فى أسر المسلمين سبعة عشر عام ، وتزوج ستيفانى دى ميلى فى نوفمبر عام ١١٧٧م ، وقد أخضع قلعة الكرك=

مانويل كومنين مكاسبه السياسية بأن دخل مدينة أنطاكية عام ١١٥٩م(١) فى موكب مهيب،

= لسيطرته وبالتالى اعترض طريقه دمشق - القاهرة . وأعد حملته على الأماكن المقدسة الإسلامية عام ١١٨٢م، ولكن تم إجهاضها ، وقد قتل صلاح الدين الأيوبى أرناط فى ٤ يوليو ١١٨٧م فى معركة حطين الحاسمة، عنه أنظر:

Ernoul , Chronique d' Ernoul Bernard le Tresorier , ed., Mas Laterie , Paris, 1971 , p. 69-70

ابن منكلى ، الأحكام الملوكية والضوابط النموسية فى فن القتال فى البحر، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص٨٥-٨٦ ، حسنين ربيع، «البحر الأحمر فى العصر الأيوبى»، ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص١٠٨- ص١١١ ، عائشة بنت عبدالله، البحر الأحمر فى العصر الأيوبى، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م، ص٤١- ص٤٤ ، حسن عبد الوهاب ، «مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية » ضمن كتاب مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص٢٠٣- ص٢٠٤ ، عبد المنعم ماجد ، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٧٤، يوسف درويش غوانمه . إمارة الكرك الأيوبي، ط. عمان ١٩٨٢م، ص١٢٧- ص١٣٦ ، عبد الرحمن زكى ومحمود عيسى، الحروب بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٧ م، ص٣٢ ، جميل حرب محمود، الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى ط. جدة ١٩٨٥م، ص٦٨- ص٧٥ ، محمود رزق محمود، العلاقة بين ارناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبى حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس .

Hamilton, " The Elephant of Christ , Reynald of The Crusades, 900-1300 , in Monastic Reform Catharism and The Crusades, 900-1300, London 1979, pp. 90-103 .

Hamilton, The Leper King and his hepirs , Baldwin IV and the Crusader Kingdom of Jerusale Id, Cambridge 2000, p. 178-1179 . Friednan, Encounter between Enemies, Captivity and Ransom in the latin kingdom of Jerusalem, Leiden 2002 , pp. 85-86 .

سعيد البيشاوى، الأراضى الزراعية ومنتجاتها فى الخليل فى العصر الفرنجى ٤٩٢- ٥٨٣هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى . تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٦٦ حاشية (١٨) .

١- Kinnamos, p. 142-143 .

Chalandon, Jean II Comnenes et Manuel I Comnene, T. II, Paris 1912 , p. 451-452 .

ومعه كافة الأشعرة الإمبراطورية ومن خلفه الملك الصليبى بلدوين الثالث Baldwin Renauld de Chatillon III (١١٤٤- ١١٦٣م)، ورينودى شاتيون ، وقد تصور العلامة فازيليف Vasiliev ؛ أن دخول مانويل أنطاكية يعد انتصاراً بارزاً للسياسة البيزنطية وجاء نتاجًا لما زاد على الستين عامًا من الجهد البارز فى ذلك النطاق [١]، وإن كنت أتصور أنه انتصار «شكلى» يرضى طموحه كإمبراطور دون أن ينتج عنه أية نتائج سياسية حقيقية لصالح بيزنطة على الأرض .

من ناحية أخرى؛ يوجد فى كنيسة الميلاد ببيت لحم نقش يرد فيه اسم مانويل كومنين جنبًا إلى جنب مع اسم الملك الصليبى عمورى الأول[٢] Amaury I (١١٦٣-١١٧٤م) بمناسبة إحداث تجديدات بها شاركت بيزنطة فيها، وقد وقع الخلاف بين المؤرخين فى تحليل دلالات ذلك النقش ، وهل يعنى أن الإمبراطورية البيزنطية كانت لها سيادتها على الكيان الصليبى. والمرجح أن النقش المذكور دلّ على رغبة بيزنطة فى رعاية الأماكن المقدسة المسيحية فى فلسطين حيث اتجهت إلى ترميم تلك الكنيسة ، والأمر المؤكد ؛ أن ذلك الموقف من جانب تلك الإمبراطورية استفادت منه فى الدعاية السياسية لها إذ أنها تصورت وجود سيادة لها على الوجود الصليبى شرقى البحر المتوسط Levant؛ غير أنه من الناحية العملية لم يكن هناك تأثير حقيقى بيزنطى من الناحية السياسية على الصليبيين، وفى حالة حدوث ذلك لحلت المشكلة الأنطاكية الأمر الذى لم يحدث .

Hussey , " The Later Macedonians, The Comneni and The Angeli" , C.M.H., vol . V,= p. 234 .

Baldwin , " The Latin States under", Baldwin III and Amaric I 1143-1174 in Setton (ed.), II, Pennsylvania 1958, p. 544 .

١- Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 80 .

٢- عنه أنظر : Corpus Inscriptonum Graecorum , vol . IV , p. 339 .

وقد شاهد النقش المذكور الرحالة اليونانى يوحنا فوكاس ، عن ذلك أنظر:

Joannes Phocas, Abrief Description of the Holy land , Trans. by A. Stewart, P.P. T.S, vol . V , London 1896 , p. 19 .

واقع الأمر ؛ أن الصليبيين كانوا أكثر دهاءً من الإمبراطور مانويل كومنين، فقد جعلوه يتوهم أنه صاحب سيادة سياسية عليهم[١]، لكن واقعيًا لم يكن له تأثير عملي ملموس على نحو يؤكد عكس إدعاءات الإمبراطورية بأنها نالت مكاسب جديدة على الصعيد السياسي سواءً في أنطاكية أو في قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية مثلما توحي بذلك بعض الكتابات المصدرية البيزنطية وكذلك المراجع المنحازة لذلك الامبراطور .

وقد تصور البعض؛ أن مانويل كومنين حقق إنجازات تاريخية كبرى وبالتالي ؛ لم ينسبوا إليه أية سلبيات وذلك بعد أن وقعوا في أسر الإعجاب المفرط به وكانوا بذلك ضحية كاريزما القائد، وللرد على ذلك الاتجاه نورد الآتي:

أولاً: جاءت هزيمة مرياكيفالون السالفة الذكر، وعلى ذلك النحو المهين من جانب الأتراك السلاجقة، وكأنها تقترب من أن تكون بمثابة «الاحتفال المئوي بكارثة مانزكرت »[٢]، مع استثناء ستة أعوام فقط على الهزيمة الأولى- وقد جاء الإنتصار السلجوقي على بيزنطة في أحد الممرات الجبلية بآسيا الصغرى؛ ليقضي على ما بقي للجيش البيزنطي من هيبته ! وهي تذكرنا بهزيمة باسل الثاني في ممر جبلي على أيدي البلغار من قبل .

١- من المهم الرجوع إلى ذلك المقال الممتاز القديم الجديد الذي أعده جون لامونت :
La Monte, " To what extent was The Byzantine Empire The Suzerian of the Latin Crusading State, " B., vol . 1923, pp. 253-264 .

٢- ويقرر المؤرخ البارز برنارد هاملتون Bernanrd Hamilton في معرض تناوله لمعركة مرياكيفالون أنها كانت ضربة لمكانة وهيبة مانويل كومنين أكثر من كونها موجهة إلى قوته العسكرية ولانغفل أن قليج أرسلان لم يكسب مناطق جديدة على الأرض، دون أن ينكر ذلك المؤرخ أنها كانت هزيمة كبيرة على نحو جعلها تشبه معركة مانزكرت ، وقد قرر أن بيزنطة كانت لديها القوة في صورة أسطوها الذي عمل مانويل كومنين على إعادة بنائه، وكانت بيزنطة بمثابة القوة القادرة على دعم الشرق اللاتيني في مواجهة المسلمين وفي تقديري إن ذلك الرأي جانبه الصواب ، فلو لم تكن ذات تأثير عسكري كبير لما شبهت بكارثة مانزكرت ، وهو أمر أقره ذلك الامبراطور شخصيًا والمؤرخ برنارد هاملتون نفسه ، وأتصور أن هيبة مانول وهيبة الجيش البيزنطي تأثرت تأثرًا كبيرًا بأحداث مرياكيفالون بغض النظر عن جزئية اكتساب قليج أرسلان لأراض جديدة أم لا ، ولانغفل أن تثبيت الوضع القائم لصالح السلاجقة يعد مكسبًا عسكريًا . وسياسيًا بكل المقاييس وهو ما أغفله المؤرخ المذكور، أنظر رأيه :=

لقد نظر الغرب الأوروبي إلى الامبراطورية البيزنطية من بعد تلك الحادثة نظرة الاستهانة والإزدراء أكثر من ذى قبل؛ إذ أن هيبة ، ومكانة الإمبراطورية البيزنطية صارت موضع شك كبير ، بل ولم يعد هناك من يتصور أن الجالس على ضفاف البسفور يمكن أن ينادي بالسيادة العالمية التى لم تكن سوى فى مخيلته فقط دون أن يملك سنداً من الواقع خاصة بعد أحداث كارثة ١١٧٦م ، ويلاحظ أنه خلال القرن ١٢م : نجد أن الإمبراطور فردريك بارباروسا خليفة أثر مرياكيفالون؛ كتب بازدراء لمانويل كومنين رسالة يخاطبه فيها بأنه ملك اليونان، وأنه ومملكته يعدان جزءاً لايتجزأ من إمبراطوريته الرومانية [١].

جدير بالإشارة أن الهزائم العسكرية، والإخفاق السياسى صاحب ذلك الإمبراطور عدة مرات وكى لايتصور البعض أن مرياكيفالون بمثابة الهزيمة المتفردة فى تاريخه ؛ نود الإشارة إلى موقعين يعكسان تأصل «مفهوم» الهزيمة فى سلوك مانويل كومنين على النحو التالى:

١- يكفى الإشارة إلى معركة حارم التى وقعت عام ١١٦٤م[٢]، التى حدثت بين التحالف البيزنطى- الصليبى- الأرمينى ضد نور الدين محمود مؤسس الدولة النورية

Hamilton, " Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem" in Chrysostomides (ed.) Kathegetria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday, Cambridge 1988, p. 361 .

١- محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١١ .

٢- وقعت حارم ضمن إمارة أنطاكية الصليبية ، وهى حاليًا ضمن محافظة أدلب عنها أنظر : محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية، ص١٨٥ ، فتحى عثمان ، الحدود الإسلامية- البيزنطية ، ج١، ص٢٣١ .

وعن معركة حارم أنظر :

عبدالله بن سعيد الغامدى ، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ، جامعة أم القرى. سلسلة بحوث الدراسات التاريخية ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ ، ص٤٨ .

Anonymous Syriac Chronicle , p. 303 .

William of Tyre , vol . II, p. 306-308 .

Jacques de Vitry , History of Jerusalem , Trans . by A. Stewart, P.P.T.S., vol . XI , London 1896 , p. 94 .

(١١٤٦-١١٧٤م) وقد قاد القوات البيزنطية القائد قسطنطين كارلومان Constantine Carloman ، وخلال أحداثها هزمت قوات التحالف وتم الفتك بعدد وافر من القوات البيزنطية بفضل دور بارز لقوات الموصل ، ولذا؛ استحق البيزنطيون الذين شاركوا فيها وقدموا كممثلين عن إمبراطورهم؛ سخرية الصليبيين اللاذعة !

٢- تحالف مانويل كومنين مع الملك الصليبى عمورى Amaury (١١٦٣-١١٧٤م) لغزو مصر ، وقد حركت الامبراطور البيزنطى أوهام أن أرض الكنانة كانت يومًا ما من أملاك بيزنطة قبل مقدم الفتح العربى لها فى القرن السابع الميلادى ، وقد قام صلاح الدين الأيوبى بتحصين بلبيس ، والقاهرة ، والاسكندرية، وهاجم الحلف المشترك دمياط عام ١١٦٩م[1]، على نحو أدى إلى فشل ذلك التحالف .

كل ذلك يدل على أن أعوام ١١٦٤م، ١١٦٩م، ١١٧٦م علامات مميزة فى تاريخ حياة إمبراطور بيزنطى فاشل إلا أن عام ١١٧٦م عكس هزيمة بارزة لمكانة بيزنطة ذاتها حتى عند الغرب الأوربى .

= ابن الأثير، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص١٢٤ ، ابن عساكر ، ترجمة محمود بن زنكى، تحقيق نيكيتا اليسيف، مجلة الدراسات الشرقية م (٢٥) عام ١٩٧٢م B.E.O., T.XXV, Année 1972، ص١٣٨ ، العماد الأصفهانى ، البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان، تحقيق كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية عدد عامى ١٩٣٧- ١٩٣٨م، ابن واصل، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة من ١٩٥٣م، ص١٤٣ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. القاهرة ١٣٥١هـ ، ج٤ ، ص١٨٦ ، العدوى، الزيارات، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. دمشق ١٩٥٦ م، ص٤٠ ، محمود سعيد عمران،«معركة حارم ١١٦٤م ، قصة التحالف البيزنطى الصليبى الأرمينى ضد نور الدين»، مجلة المؤرخ العربى، العدد (٨) عام ١٩٧٧م، ص٩٠ - ص١١٢ ، السياسة الشرقية، ص٢٨٥ ، عليه ديب تبريزى، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود، ط. صيدا، ٢٠٠٣م، ص١١٦-١١٧ .

Cahen, la Syria du nord , p. 204 .

حيث يصفها بكارثة حارم "La desastre de Harim" .

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٣١٧- ص٣٣٤ .

حيث يقدم تحليلاً ممتازاً اعتماداً على مقالته القيمة عن معركة حارم . .

ومع ذلك ؛ لاتتضح لنا الصورة كاملة إلا من خلال سياسة الامتيازات التجارية التى بالغ فى تقديمها مانويل كومنين للبنادقة، على نحو خاص ثم عاد وقام بإلغائها!، فيلاحظ أنه أصدر مرسومًا عام ١١٤٨م ؛ جدد فيه الامتيازات التى كان قد منحها الكسيوس كومنين من قبل عام ١٠٨٢م [١]، وقد أقر ذلك المرسوم على حق البنادقة فى مد حدود حيهم الخاص بهم فى العاصمة البيزنطية، كما أن الإمبراطور قرر كذلك إعفاءهم من الجمارك فى جزيرتى قبرص، وكريت التى لم يشملها مرسوم عام ١٠٨٢م [٢].

جدير بالذكر؛ أن سياسة الامتيازات التجارية للتجار الإيطاليين التى سار عليها ذلك الإمبراطور كان لها أسوأ الأثر على بيزنطة واقتصادها ويقرر البعض ما نصه : «لاريب فى أن الامتيازات التى منحت للتجار الإيطاليين، وبصفة خاصة للبنادقة ، قد ألحقت أبلغ الأضرار، وأخطرها فى بيزنطة واقتصادها ، وأدت إلى منافسات غير شريفة بين هؤلاء التجار الإيطاليين عبر الإمبراطورية، وخلقت الحقد، والحسد فى نفوس البيزنطيين الذين نظروا إلى هؤلاء الأجانب وهم ينهبون ثرواتهم، ويسيطرون على أسواق إمبراطوريتهم، واقتصادها بقوة السيف» [٣].

من بعد ذلك ؛ قام الإمبراطور فى ١٢ مارس ١١٧١م، باعتقال البنادقة ومصادرة أملاكهم على نحو مَثَّل نكبة حقيقية بالنسبة لهم [٤]، ومن بعد وفاته عام ١١٨٠م، قامت ثورة عنيفة

١- عن تلك المعاهدة بين الكسيوس كومنين والبنادقة انظر:

Anna Comnena , pp. 146-147 .

Gadolin, "Alexios I Comnenus and The Venetians Trade Privileges; A New interpertation", B. 50 , 1980 , pp. 439-445 .

Adelson, Medieval Commerce , NewYork 1962 , p. 160 .

عادل زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، ص٣٣٦ ، حاشية (٣) .

٢- عادل زيتون ، المرجع السابق، ص٦٧ ، وأنظر أيضًا هذه المقالة المهمة :

Danstrup, " Manuel's Coup againest Genoa and Venice in the light of Byzantine Commercial Policy" C.M., T.X, 1949, pp. 195-219 .

٣- عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص٦٨ .

٤- هايد، تاريخ التجارة، ص٢٢٧ .

ضد اللاتين تفجرت عام ١١٨٢م[1] وتم فيها مهاجمة الحى البندقى وفتك بهم رجالاً ونساءً وأطفالاً بعد أن ظهرت إلى السطح الأحقاد القديمة ولانغفل هنا أن ميراث الكراهية المتبادل ، وأحداث العام الأخير سيكون رد البنادقة عليها ممثلاً فى ما حدث فى العاصمة البيزنطية أوائل القرن الثالث عشر الميلادى .

هكذا ؛ كان الأمر مع مانويل كومنين الذى لاريب فى تحمله أكثر من غيره نتائج ذلك، ومن الجلى البين عدم إدراكه لتنامى الخطر السلجوقى إذ تحرك متأخراً بعد أن اختلت كفة ميزان القوى لصالح المسلمين بطبيعة الحال، وهكذا؛ صار متردداً بين سياسته الغربية والشرقية، وعندما إتجه إلى الشرق، كانت مرياكيفالون بمثابة الدرس القاسى للإمبراطور الذى تأخر طويلاً وأراد أن يقوم بدور أكبر بمراحل من حجمه التاريخى ! وذلك بموضوعية دون التأثر بالرؤية البندقية المعادية له .

ومن الأمور ذات الدلالة ؛ أنه بعد (٢٨) عامًا فقط من تلك الهزيمة: كانت القوات الصليبية من الغرب الأوروبى تعيس فساداً فى القسطنطينية[2] وتحتلها لأول مرة فى تاريخها وذلك عام ١٢٠٤م . بعد أن تزايدت الأطماع اللاتينية فيها ، وجاءت المعركة المذكورة تعبيراً عن الضعف الداخلى الذى لم يدرك الامبراطور المذكور حقيقته .

ثانيًا : تصور البعض أنه كان محقًا عندما تصور أمر «السيادة العالمية» ، واعتبروا ذلك تقليداً بيزنطيًا امتد عبر القرون ، والواقع أن ذلك التصور كان أشبه بمحاولة إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، فقد رأينا من خلال العرض السابق، كيف أن بيزنطة فقدت أملاكها تدريجيًا فى إيطاليا، وفى عام ١٠٧١م أى قبل تولى مانويل كومنين العرش البيزنطى بنحو ٧٠ عامًا- فقدت بارى Bari، آخر أملاكها فى الغرب على أيدى النورمان، وهم قوة

١- عن أحداث الحى البندقى أنظر:

حاتم الطحاوى، بيزنطة والمدن الإيطالية ١٠٨١- ١٢٠١. ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٠٦ ، وأود الإشادة بهذه الدراسة العميقة المركزة من جانب باحث يمتلك كافة مقومات النجاح فى مجال التاريخ البيزنطى.

أنظر أيضًا : محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٦٥ .

Kaplan, " le Sac de Constantinople", H., T.LXVI, Année 1982, p. 114 .

٢- عن تفاصيل ذلك أنظر أحداث أسرة أنجيليوس .

لايستهان بها فى معترك السياسة الدولية حينذاك، وتصور مانويل، أنه ند لأباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة مثل فردريك بارباروسا[1] Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) وكان ذلك قصر نظر واضح تمامًا ؛ فالسيادة العالمية لم يكن من الممكن أن يسعى إليها إمبراطور بيزنطى واقعى يفهم وقائع التاريخ ويتعلم منها.

ثالثًا : يتحمل ذلك الإمبراطور نصيبًا كبيراً فى كارثة عام ١٢٠٤م على بيزنطة مع عدم اغفال العوامل الأخرى - فقد أعطى امتيازات كبيرة للبنادقة ووجه امبراطوريته نحو وجهة غربية، بل هو نفسه كانت أمه هنغارية ، وزيجاته نفسها من الغرب فى صورة برتا أخت زوجة كونراد ملك ألمانيا ، ومن بعدها مارى الأنطاكية[2] .

ومن خلال ميوله الغربية؛ قدم إلى الإمبراطورية الكثيرون من الغربيين، على نحو أدى إلى تعميق كراهية البيزنطيين لهم وبصورة أدت إلى الصدام بين الجانبين الذى جر نتائج وخيمة على بيزنطة.

١- عن فردريك بارباروسا أنظر:

Otto of Freising , The Deeds of Frederick Bararossa, Trans. by Charles Christopher Microw, Toronto 1966 .

Otto of St. Blasion, The Third Crusade 1187-1190 , from The Chronicle of Otto of St. Blasion , in Thatcher, Source Book of Medieval History , New York 1902 , pp. 529-553 .

Munz, Frederick Barbarossa: A study in Medieval Politics, London 1969 .

حامد زيان، فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة : ط. القاهرة ١٩٧٧م، كمال الدسوقى، تاريخ ألمانيا ، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص٣٩ .

٢- مارى الأنطاكية Mary of Antioch ، هى ابنة ريموند دى بواتييه Roymond de Poitiers وكونستانس Constance ، وقد تزوجها مانويل كومنين بعد وفاة زوجته الأولى عام ١١٥٩م، وتم الزواج فى ديسمبر عام ١١٦١م، ويلاحظ أنها كانت أختًا لبوهيمند الثالث Bohemond III أمير أنطاكية (١١٦٣-١٢٠١م) عنها أنظر:

Garland . Byzantine Empresses Woman and Power in Byzantium , A.D. 527-1204 , pp. 199-209 .

Hill , Imperial Woman in Byzantium 1025-1204 : Power, Patronage and Ideology . London 1999, pp. 201-204 .

رابعًا : وجد من المؤرخين الغربيين من انبهر بذلك الإمبراطور فالمؤرخة البريطانية القديرة جوان هسى J. Hussey فى كتابها الموجز القيم العالم البيزنطى The Byzantine World أورد عنه ما نصه : «وخلال تلك الظروف انتقل التاج البيزنطى إلى مانويل الابن الرابع ليوحنا، ومثله في ذلك مثل بطل الملحمة البيزنطية ديجنيس اكريتاس Digenis Akritis سيد البر الذى يعود فى أصله إلى شعبين كان مانويل كومننوس ينتمى لعالمين . وليس من حق الخيال أن يتصور تناقضًا كبيراً مع أباطرة الأسرة السالفة مثل جوستنيان أوقسطنطين السابع بورفير وجنتيوس، فقد كان مانويل حاكمًا متألقًا ، جنديًا، ودبلوماسيًا ، ورجل دولة»[١].

والواقع أن الرأى السالف على الرغم من علو شأن صاحبته فى حقل الدراسات البيزنطية إلا أنه يكشف بجلاء عن الانبهار بشخص الإمبراطور، ومن الممكن تشبيهه بجستنيان - فقط- من خلال أنهما الاثنان سارا وراءهم السيادة العالمية التى ولت وأدبرت غير أن جستنيان يتفوق عليه ؛ نظراً لإسهامه القانونى السالف الذكر والذى عاش من بعد وفاته ؛ وهو أمر افتقده مانويل كومنين .

ومن الملفت للإنتباه ؛ أن نفس المؤرخة؛ بعد أن أظهرت ولعها، وإفتتانها بذلك الإمبراطور إلى حد أوصلها إلى تشبيهه بأبطال الملاحم البيزنطية !!! وهو تشبيه إنفعالى عاطفى يتنافى مع الموضوعية التاريخية والواجبة ثم عادت وناقضت نفسها فى موضع آخر من كتابها وقالت ما نصه : «إن فى سياسة مانويل الشئ الكثير من التقليدية، ومع ذلك ؛ فقد كانت لها بعض الملامح غير العادية التى أثارت كوامن الطموح المندفع البعيد عن الحكمة، وخاصة فيما يتصل بمشروعاته نحو إيطاليا، ولكن يبدو أن الظروف التى أحاطت به لم تترك له مجالا للإختبار، بل فرضت عليه ما ظهر جليًا فى سياسته صوب الغرب»[٢].

١- Hussey, The Byzantine World, p. 62 .

تقول ما نصه : "It was in such circunistances That the Byzantine Crown passed to John's Fourth son Manuel . like The hero of The Byzantine epic, Digenis Akrites, The marcher Lord of double race, Manuel Comnenus was of Two World , No Greater Contrast could be imagined to the Emperors of earlier dynasties , a Justinian or a Constantine VII Parphyrogenitus. Manuel was a brilliant ruler, Soldier and diplomat and Statesman ".

٢- أنظر نص قولها : =

ومن الجلى البين؛ محاولة تلك المؤرخة تجميل عصر مانويل كومنين ، وإتجهت إلى محاولة البحث عن الذرائع والحجج الواهية التى تبرر سياساته الخرقاء ، ووجدتها فى ذلك «الحل» السهل الميسر فى صورة «الظروف» ، وهو أمر يتناقض مع ألف باء المنهج التاريخى الذى يدرك أن الإنسان كفاعل تاريخى مسئول عن تصرفاته ويشارك عمليًا فى صنع الظروف المحيطة به ومن الممكن رفض «الظروف» إذا كانت بمثابة الشجب الذى تُعلق عليه الأخطاء القاتلة .

وهكذا؛ لم تستطع جوان هسى إقناعنا بعكس تصورنا ولاريب أن الامبراطور المذكور امتاز بفشلين معًا فى الغرب والشرق على شاكلة الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) الذى أخفق فى حملته على مصر عام ١٢٥٠م. ومن بعدها على تونس عام ١٢٧٠م، ويتفق الاثنان فى عدم الاستفادة من دروس التاريخ !

خامسًا : من الخطأ البين - فى تقديرى- دراسة ذلك الامبراطور والتوقف عند عام ١١٨٠م، بل الاجدى الامتداد إلى عام ١٢٠٤م إذ أن قرابة الربع قرن من الزمان التالى على مدة حكمه هى الكفيلة بأن تحكم عليه الحكم الموضوعى بموضوعية ، وبدون ذلك لايمكن رصد وقائع مرحلة ما قبل السقوط الأول فى التاريخ البيزنطى.

على أية حال ؛ هناك رأى تقويمى مهم أورده بنصه لما له من دلالة خاصة حيث رأى البعض : «توفى مانويل سنة ١١٨٠م بعد أن تسبب فى ضياع هيبة بيزنطة وهيبة الأسرة الكومنينية التى أخذت فى طريق الزوال بعد ذلك بسنوات قليلة، خاصة بعد أن أدت حروب مانويل الكثيرة إلى زيادة نفوذ الإقطاعيين حتى أصبحوا دويلات داخل الدولة، وأضعفوا السلطة المركزية فى الوقت الذى ترددت فيه الأحوال الاقتصادية لكثرة الضرائب لتمويل الحروب

" In Manuel's Policy There was much That was Traditional , it is certain more unusu- = al Features which have given rise to the Charge of rashness and unwise ambitions particulary in connenction with his Italian designs it was not entirly choice that directed the apparent western emphasis of Manuel's Policy . it was essential to Find Some modus vivendi With The Western Power".

Hussey, The Byzantine World , p. 63 .

بالإضافة إلى أن ما لجأ إليه مانويل من طرد التجار البنادقة ، دون ترتيب سابق ؛ أحدث هزة اقتصادية فى السوق التجارية ، وأدى بالتالى إلى إنهيار مفاجئ فى الاقتصاد البيزنطى[١]. »

ويعكس الرأى السابق خطورة سياسات ذلك الامبراطور والنتائج السيئة التى ترتبت عليها على نحو أثر على تاريخ إمبراطورية بأكملها ويقرر أ.د. عمر كمال توفيق تعليقًا على سياسات نفس الإمبراطور ما نصه : «إن طموح مانويل عاد بنتائج وبيلة على الإمبراطورية ، فإن هذا الإمبراطور قد ورّط الإمبراطورية فى مشاكل مع أوربا الغربية بإصراره على تحقيق أحلامه هناك، ولم ينتبه للخطر الذى يحيق بالإمبراطورية، وقد أثار مانويل مخاوف اللاتين عندما أنضب موارد الإمبراطورية، وأن الكراهية والحقد الذين أثارهما بتصرفاته ، وجشع العناصر الغربية التى سمح له بالإزدياد؛ كانت أمور تنذر بنتائج سيئة عندما يتولى زمام الدولة حكام ضعاف »[٢].

أما أ.د. اسحق عبيد؛ فقد قرر عن سياسة مانويل كومنين ما نصه : «كانت جماهير الشعب تئن من وطأة الفقر الذى عم بسبب مشروعات عمانويل الباهظة الفاشلة فى غرب أوربا، ونظر أهل العاصمة من حولهم ليروا جاليات البنادقة والبيزيين والجنويين تعيش فى رفاهية زائدة »[٣] والتعليق على هذا القول الموضوعى تمامًا ؛ أن سياسات ذلك الامبراطور جاءت على حساب شعبه الذى كان ضحيته الأولى .

وترى مؤرخة بارزة عن عهد مانويل كومنين وعواقب سياسته ما نصه : «كان متأثراً إلى حد بعيد بأسلوب الفروسية الغربية، وقد أحب العادات الغربية، وأدخلها فى تقاليد البلاط البيزنطى كما أنه تزوج من أميرتين غربيتين هما برت الألمانية، ومارى الفرنسية الأمر الذى أضفى على قصره مظهراً غريبًا وجعله يختلف عما كان عليه الحال زمن أسلافه ... وقد أدى هذا الإتجاه نحو الغرب ؛ إلى إنفتاح حدود الإمبراطورية البيزنطية أمام اللاتين الغربيين الذين

١- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٧٤ .

٢- تاريخ الدولة البيزنطية. ص٢٠٥ .

٣- روما وبيزنطة، ص٢٧٩ .

تدفقوا إليها وزادت أعدادهم داخل العاصمة ، وقد تقلد عدد كبير منهم بعض المناصب العليا في الدولة، مما أدى إلى قلق ، وتذمر العناصر اليونانية داخل الإمبراطورية[١] ».

وهكذا ؛ يتضح لنا من ذلك الرأى أن التذمر الذى حدث داخل أرجاء الإمبراطورية البيزنطية سيؤدى حتمًا إلى الإنفجار وهو ما وقع بالفعل بعد انتهاء عصر مانويل كومنين، ولاريب أن مشكلة ذلك الإمبراطور تتمثل فى سياسة التغريب Westernization التى سار عليها باندفاع دون روية أو إدراك للعواقب التى ستنتج عنها .

أما المؤرخ أ.د. جوزيف نسيم يوسف فقد قرر تعليقًا على سياسات ذلك الإمبراطور ما نصه : «لكن فكرة مانويل فى إحياء الإمبراطورية القديمة لم تكن فى الواقع إلا حلمًا من أحلام الماضى البعيد، إذ لم يؤد التراضى بينه وبين البابا الكاثوليكى إلى شئ مما كان يأمله ، كذلك لم تؤد المساعدات المادية التى قدمها مانويل إلى المدن الإيطالية فى نضالها ضد الإمبراطور الألمانى شيئًا ، والدليل على ذلك ؛ الصلح الذى تم بينه وبين البابا إسكندر الثالث، والإمبراطور فردريك بارباروسا سنة ١١٧٧م، الذى عرف بصلح البندقية ... وكان الإتفاق بين عاهلى المسيحية فى الغرب لطمة أصابت آمال بيزنطة فى الصميم»[٢].

ويدل الرأى السالف الذكر؛ على أن «أحلام» ذلك الامبراطور لم تتسم بالواقعية ، ثم أن مجهوداته فى التحالف مع البابوية ضد فردريك بارباروسا ذهبت أدراج الرياح عام ١١٧٧م بالإتفاق المذكور، وذلك فى العالم التالى مباشرة لفضيحة مرياكيفالون ١١٧٦م ، وهكذا ؛ توالت عليه الإخفاقات العسكرية والسياسية من كل حدب وصوب ، وبصورة متعددة ومتنوعة يندر تكرارها فى التاريخ البيزنطى على الأقل فى العصر الأوسط منه على نحو يجعل الباحث يتساءل ما هو المجال الذى نجح فيه ذلك الامبراطور ؟!! ومن الممكن القول أنه يتشابه مع الملك الإنجليزى يوحنا (١١٩٩- ١٢١٦م) الذى وصف بأنه دخل التاريخ بسبب أخطائه [٣].

١- أسمت غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٤٦ .

٢- تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٣٣ .

٣- سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص٤٧٤- ص٤٧٧ .

والملك يوحنا؛ هو ابن هنرى الثانى Henry II وقد حكم يوحنا خلال المرحلة من ١١٩٩ إلى ١٢١٦م ، =

أما العلامة دونالد نيكول Donald Nicol ؛ فقد رأى فى ذلك الإمبراطور أنه : «أخطأ فى تقدير قوة خصومه ... وقد خرج فى عام ١١٧٦م على رأس جيشه غير أنه هزم هزيمة فادحة فى مواجهة الأتراك فى مرياكيفالون غير أنه لم يلبث أن مات بعد أربعة أعوام فى سبتمبر عام ١١٨٠م »[١].

وفى موضع آخر يقرر ما نصه «أما صورته فى مخيلة شعبه فهو أنه بالغ فى ميله للاتين واتجه فى هذا الشأن إلى مدى أبعد مما كان ينبغى عليه».

كذلك أقر ذلك المؤرخ البارز صراحة عن مانويل كومنين ما نصه : «ترك مانويل من ورائه تركة من الشنآن والتعصب العرقى الذى سريعًا ما تفجر على نحو عنيف وقد شارك قريبه اندرونيكوى كومنينوس على زيادته ».

والفقرة الأخيرة- على نحو خاص - تكشف لنا عن مسئولية ذلك الإمبراطور فى الأحداث الصاخبة التى وقعت فيما بعد رحيله .

أمـا المؤرخ هايد Heyd ؛ فيقرر عن سياسته مانويل كومنين تجاه البنادقة ما نصه : «إن منظر الثروات الضخمة التى جمعها بنادقة القسطنطينية قد أثارت جشعه ، إذ أنه كان فى حاجة إلى الكثير من المال ليواصل الحروب التى تورط فيها والإنفاق على أساليب الرشوة التى كان يستخدمها بسخاء ، وضروب البذخ التى يمارسها ، ورغم الأعباء التى كان يثقل بها كاهل رعيته ، فإن خزانة الدولة لم تكن كافيه للوفاء بمطالبه [٢].

= وكان أخًا لريتشارد قلب الأسد Richard Lion hearted (١٠٨٨- ١٠٩٩م) ، وفى عهده تمرد عليه النبلاء على نحو أدى إلى الاتفاق المعروف بالعهد الأعظم Magna Charta ، عام ١٢١٥م، وبصفه عامه لم يوصف ذلك الملك بالخبرة السياسية، وقد توفى عام ١٢١٦م، عنه أنظر:

جيمس ، الماجنا كارتا (العهد الأعظم) ، ت. مصطفى طه ، ط. القاهرة ١٩٦٥م، سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ص٤٧٤ ، عبد القادر اليوسف ، العصور الوسطى الأوربية، ط. صيدا ١٩٦٧م، ص١٨٤- ص١٨٥ ، إسماعيل نورى الربيعى، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، ط. عمان، ٢٠٠٢م، ص١١١ .

١- Nicol, A Biographical dictionary p. 79 .

٢- تاريخ التجارة، ص٢٢٧ .

وفى موضع آخر يقول ما نصه : «حين أكمل استعداداته أصدر أمره بالقبض على كل البنادقة ومصادرة أموالهم ، واحتجاز سفنهم وكان ذلك فى ١٢ من مارس عام ١١٧١ ، ومن القسطنطينية وحدها راح ١٠٠٠٠ من البنادقة ضحية هذا الاعتداء[١].

وآخر شهادة تقويمية لعهد ذلك الإمبراطور نقدمها من خلال المؤرخ شارلز أومان Charles Oman صاحب الدراسة الشهيرة عن فن الحرب في العصور الوسطى[٢]، وبالتالى من المقرر أنه على معرفة بأقدار الرجال جيداً خلال تلك العصور خاصة أولئك الذين قادوا الجيوش ، وخاضوا المعارك ، وفى عرضه عن الإمبراطور مانويل كومنين نجده يقرر ما نصه : «خلف جون الطيب على العرش ابنه مانويل، وقد اجتمعت فيه عناصر القوة والضعف لتكون سببًا فى تسديد ضربة قاتلة إلى الإمبراطورية ، وكان مانويل مجرد فارس متجول أحب القتال لذاته. وسمح لعاطفة الحماس والمخاطرة أن تكون رائدها الوحيد وكان عهده كله سلسلة طويلة من الحروب يدخلها ويخرج منها طائشًا » [٣].

وفى موضع آخر يذكر عنه ما نصه : «لم يكن سوى سياسى خامل». كما قرر «كانت الغلطة»، الأساسية فى حروب مانويل أنها دبرت مع إغفال الاعتبارات المالية إغفالاً يكاد يكون تامًا ، فقد أصر على إشعال الحرب بعد الحرب ومملكته سائرة نحو الإفلاس ببطء ، ودخلها كان ينقص نقصًا مستمراً ، كما أنه كرّس كل بيزة Bezant كان يستطيع استخلاصها من رعاياه لإغاثة الجيش وحده، فاختلت الإدارة المدنية اختلالاً شديداً وفسدت إدارة العدل وتهدمت الطرق والجسور وأهملت المرافئ والموانئ[٤].

وأتصور أن تلك الشهادات التاريخية لكوكبة من كبار المؤرخين من الشرق والغرب من ذوى الخبرة الأكاديمية البارزة كافية لوضع الامبراطور مانويل كومنين فى حجمه الحقيقى دون مبالغة.

١- هايد، تاريخ التجارة ، ص٢٢٧ .

من المهم هنا عدم إتهام هايد وغيره من كبار المؤرخين الأوربيين الذين هاجموا مانويل كومنين بالاعتماد على وجهة النظر البندقية ، فالأمر يتجاوز تلك الزاوية على نحو مؤكد. ومن غير المنطقى تصور أن كافة أولئك المؤرخين وهم كبار الباحثين على المستوى الدولى والعربى فى حقل الدراسات البيزنطية وقعوا أسرى الرؤية التاريخية البندقية كما يتصور البعض !!! .

٢- أنظر: Oman , A History of the art of War in the Middle Ages , 2 vols ., London 1924

٣- شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٠٩ .

٤- نفسه، ص٢١٠ .

مهما يكن من أمر؛ كانت الامبراطورية البيزنطية في أعقاب عهد الإمبراطور مانويل كومنين في حاجة ماسة لأن تنعم بالأمن والاستقرار وتطلب الأمر، وجود رجل قوى حازم يملك القدرة على قيادة تلك الإمبراطورية بعد الحكم «الكارثى» لمانويل كومنين، غير أن الأحداث أتت بعكس ذلك ؛ إذ خلف ذلك الإمبراطور إبنًا صغيراً في صورة الكسيوس الثانى، ونظراً لصغره ، تولت الوصاية عليه أمه مارى الأنطاكية خلال المرحلة من ١١٨٠ إلى ١١٨٢م وصارت صاحبة الكلمة العليا في إدارة دفة أمور الامبراطور[١] دون أن تملك الكفاءة السياسية المؤهلة لذلك، وهكذا صار مصير تلك الإمبراطورية في قبضة امرأة !!.

ويذكر التاريخ لتلك المرأة أنها كانت تلهث وراء المظاهر الخادعة، دون أن تدرى أن حب الظهور بقصم الظهور بل أطلقت العنان لقلبها كي يهوى ويعشق الكسيوس ابن أخ مانويل دون الالتفات إلى الخطر المحدق بالإمبراطورية، ولاريب في أن غرامياتها ، وكونها أجنبية كل ذلك جعل البيزنطيين ينظرون إليها نظرة عداء[٢] كانت متأصلة في نفوسهم ضد كل من هو غير بيزنطي، ومن بعد ذلك تمكن أندرونيكوس الأول ابن عم مانويل من انتزاع المنصب الامبراطورى من الكسيوس الثانى وأمه عام ١١٨٣[٣]، وكان متقدمًا في السن ولم يستطع القيام بدور بارز في حكم الإمبراطورية .

ذلك أمر السياسة وجدلها المعارك وغبارها ومع ذلك؛ فمن الإنصاف أن نذكر أن هناك بعض الإنجازات الحضارية لأسرة كومنين في التاريخ البيزنطى[٤] ويمكن ملاحظتها من خلال المظاهر الآتية.

١- جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٣٨ ، أيضًا: أسمت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٦ - ص١٤٧ .

٢- جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص٢٣٩ .

٣- أندرونيكوس الأول ؛ كان قريبًا للإمبراطور مانويل الأول وعندما مات مانويل عام ١١٨٠م كان أندرونيكوس في الستين من عمره بينما ترك مانويل ولده الصغير الكسيوس الثانى تحت وصاية أمه ماريه الأنطاكية، وفيما بعد في عام ١١٨٢م ؛ اتجه إلى القسطنطينية على رأس قواته ونصب نفسه في الوصاية على الصبى ووضع التاج على رأسه في عام ١١٨٣م ، وتمكن من قتل الكسيوس الثانى وكذلك أمه، ويلاحظ أنه حكم خلال المرحلة من ١١٨٣ إلى ١١٨٥م عنه أنظر :

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 377-379 .

Ostrogorshy, History of the Byzantine State, pp. 350-356 .

Nicol , A Biographical dictionary, p. 7 .

حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٣٢- ص٣٣ .

٤- عن الجانب الحضارى في تاريخ أسرة آل كومنين أنظر: "

أولاً : ظهر خلال عهد تلك الأسرة عدد من المؤرخين ومن أمثلتهم أنّا كومنينا إبنة الامبراطور الكسيوس كومنين وهى المؤرخة الوحيدة وسط الغالبية الساحقة من المؤرخين البيزنطيين الذكور التى ألفت كتابها الشهير الكسياد Alexiad[1] ، وقد تناولت فيه أحداث عهد والدها ، والأوضاع الداخلية، والعلاقات الخارجية حينذاك على مدى المرحلة من ١٠٨٠ إلى ١١١٨م، ويعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخيًا لاغنى عنه لمن يتصدى بالكتابة عن تلك المرحلة ، ويلاحظ، أن المؤرخة المذكورة إنبهرت بوالدها ، وقدمت لنا رؤية منحازة له من خلال افتتانها بكاريزما ذلك الامبراطور الذى كان بالنسبة لها أبًا وامبراطوراً فى نفس الحين مما ضاعف المشكلة لديها ولدى الباحثين أنفسهم.

ولانغفل كذلك ظهور مؤرخين آخرين حينذاك مثل: نيكتاس خونياتس Nicetas Choni-ates[2]، ويوستاش السالونيكى Eustathius of The ssalonica [3]من كبار المؤرخين البيزنطيين.

ثانيًا : اهتم آل كومنين بالجانب المعمارى سواءً فى صورة الأديرة أو القصور، حيث شيدوا عدة أديرة مثل دير باتموس Patmos الذى شيده القديس كريستو دولوس

= أبحاث المؤتمر الدولى العشرين للدراسات البيزنطية الذى عقد فى ولاية ميتشجان بالولايات المتحدة الأمريكية فى ٢١ سبتمبر عام ١٩٩٤م، وشارك فى تحرير أعماله أنا مارى وكار Annemarie Weyl Carr، وبربارا هيل Barbard Hill، وشارلز م. براند Charles M. Brand ، وتاليا جوما بترسون Thalin Gouma Peterson ، وسارولتا أ. تاكاكس Saroltu A. Takacs وعنوانه : . Komnenian Culture

ونجد بعض أعمال ذلك المؤتمر البالغة (١٠) دراسات منشورة فى مجلة (B.F.) فى العدد (١٣) ، والصادر فى أمستردام بهولندا عام ١٩٩٦م، عن ذلك أنظر:

Car, Hill, Brond, Peterson and Takacs (eds.) "Komnenian Culture" at the 20 th Annual Byzantine Studies Conference , An Arbor, Michegan, on 21 Septembre 1994. (in B.F., vol - XXIII. Amsterdam 1996) .

١- عنها أنظر : المدخل البيليوغرافى.

٢- عنه أنظر: نفس المدخل .

٣- عنه أنظر : نفس المدخل .

Christodulus[1] فى عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين، كذلك تم تشييد دير بانتو كراتور Pantocrator[2] فى عهد الإمبراطور يوحنا كومنين .

ولانغفل كذلك تشييد القصور ومن أمثلتها ، قصر بلنشيرنس Blenchernes الذى وقع على رأس القرن الذهبى وقد وصف بالفخامة والأبهة[3]، ولدينا وصف له من جانب الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى Benjamin of Tudela[4] الذى زار العاصمة البيزنطية فى النصف الثانى من القرن ١٢ م، حيث ذكر ما نصه «فيه الأساطير والحيطان الموشاة بالتبر الخالص والنقوش البديعة التى تصور المعارك القديمة والحروب التى خاضها هذا الملك، وفى القصر عرش من خالص الذهب مفصص بالحجار الكريمة يتدلى من أعلاه بما يحاذى هامة الرأس تاج من ذهب معلق بسلاسل من ذهب، مرصع بالجواهر النادرة الثمينة ، ولمع هذه الجواهر ينير القاعة فى الغسق ، فيغنيها عن نور المصابيح ، وهناك عدا هذا من التحف ما يقصر عن تفصيله اللسان » [5]؛ والعبارة الأخيرة تحوى إيجازاً يغنى عن التفاصيل .

ولاريب ؛ فى أن ذلك الوصف القوى الدلالة والموجز فى ذات الحين، يكشف لنا بما لايدع مجالاً للارتياب عن مدى الثراء الذى كانت عليه تلك الأديرة، فلاعجب إذا ما أدركنا أنه خلال أحداث عام ١٢٠٤م؛ تعرضت لعمليات سلب ونهب ولاريب فى أن سالبيها أدركوا مدى ما عليه من ثراء عريض.

وبعد ؛ فذلك عرض عن أسرة آل كومنين، وأحداث عصرها سياسيًا والإنجازات الحضارية فى عصرها، أما الصفحات التالية فتتعرض لأسرة أنجيلوس .

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٠٣ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة . وعن الأديرة انظر: عبد العزيز محمد عبد العزيز، المرأة البيزنطية، ص٢٠٢ .

٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢٠٣ .

٤- عنه أنظر: المدخل الببليوغرافى.

٥- بنيامين التطيلى ، الرحلة ، دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ، المجمع الثقافى بأبوظبى، ط. ٢٠٠٦م، ص٢٢١- ص٢٢٢ .

وبصفة عامة عن الفن البيزنطى وهو أمر متصل بالعمارة اتصالاً وثيقًا أنظر :

Vikan, " Byzanine Art ", in Aygeliki Laiou and Maguire (eds.) Byzantium Aword Civilization, Dumberton Oaks Research Library, Washington 1992, pp. 81-118 .

Hussey, The Byzantine World, pp. 156-165 .

ثامنًا : أسرة أنجيلوس والاحتلال اللاتينى (١١٨٥- ١٢٦١م)

نتعرض فى الصفحات التالية؛ لأسرة أنجيلوس التى تولت حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١١٨٥ ، ١٢٠٤م ثم الاحتلال اللاتينى لها حتى عام ١٢٦١م .

وقد تولى الحكم عدد من الأباطرة هم إسحق الثانى، Issac II ، (١١٨٥-١١٩٥م)، والكسيوس الثالث Alexius III (١١٩٥-١٢٠٣م) ، وإسحق الثانى بعد أن عادوا واشترك مع إبنه الكسيوس الرابع Alexius IV (١٢٠٣-١٢٠٤م) ، ثم الكسيوس الرابع Alexius IV (١٢٠٤م) وأخيراً الكسيوس الخامس Alexius V (١٢٠٤م) .

مهما يكن من أمر؛ لايمكن فهم عهد هذه الأسرة على نحو خاص دون إدراك طبيعة العلاقات المتصارعة بين بيزنطة والغرب الأوروبى من خلال تجربة الحروب الصليبية على نحو خاص مع عدم إغفال تراث العداء السابق بين الجانبين، وهو أمر لاحظناه منذ عهد الأسرة الأيسورية حتى أسرة أنجيلوس ذاتها.

والواقع أن الحروب الصليبية جعلت بيزنطة وجهًا لوجه مع الغرب الأوروبى على أرض بلاد الشام القريبة منها، وفيما بعد على الأرض البيزنطية ذاتها !

ولانغفل ؛ أن خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية[1] ١١٤٧-١١٤٩م، وهى التى شارك فيها الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII (١١٣٧- ١١٨٠م) والإمبراطور الألمانى

١- عن الحملة الصليبية الثانية أنظر:

Bernard of Clairvaux, The Letters of St. Bernard of Clairvaux , Trans. by Bruno Scott James, institute, of Cistercian Studies, Western Michegan University 1998, p. 274, p. 288 .

William of Tyre, vol . II, pp. 163-194 .

The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle , ed. and Trans. by A.S. Tritton and Hamilton Gibb, J.R.A.S., vol 92 , 1933, pp. 298-299 .

Odo of Deul , De Profectione Ludovici VII in Orientem, ed. V. Giuyerick Berry, New York 1948, pp. 7-143 .

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٩٨- ص٣٠٠ .

كونراد الثالث Conard III (١١٣٨-١١٥٢م) وذلك بعد أن تمكن المسلمون عام ١١٤٤م بقيادة الأتابك عماد الدين زنكى من إخضاع إمارة الرها Edessa الصليبية لسيطرتهم[1] ، وقد اتضح خلالها مدى ما كنه الغرب الأوربى لبيزنطة بل تأكد له أن تلك الإمبراطورية تناصبه العداء من خلال اختلاف المصالح السياسية بطبيعة الحال.

Berry, " The Second Crusade", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. I, pp. = 463-512 .

قتيبه الشهابى ، صمود دمشق أمام الحملات الصليبية، ط. دمشق ١٩٩٨م. عبد السلام زيدان ، الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧- ١١٤٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة جنوب الوادى عام ٢٠٠٠م، وهى أطروحه ممتازة ، نعيمة محمد إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٧٤ - ص٢٠٦ ، جيراو ديجورج ، دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، ت. محمد رفعت عواد، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص١٥٠ .

وأيضًا هذا الكتاب :

Philips and Hoch (eds.), The Second Crusade, Scope and Consequences, Manchester 2001 .

والكتاب المذكور يحتوى على (١٠) دراسات عن الحملة الصليبية الثانية، وهى فى الأصل أبحاث ألقيت فى المؤتمر الدولى للعصور الوسطى الذى عقد فى جامعة ليدز Leeds بإنجلترا فى ١٤ يوليو ١٩٩٨م بمناسبة مرور ٨٥٠ عامًا على الهجوم الصليبى على مدينة دمشق فى ١١ يوليو ١١٤٨م ، ويلاحظ أن تلك الذكرى مرت على الباحثين العرب دون الانتباه إليها للأسف الشديد، وهكذا ؛ يهتم الغرب الأوربى بحدث تاريخى وقع على أرضنا ونحن عنه غافلون!

١- عن استرداد المسلمين للرها أنظر: ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب - القسم الخاص بتراجم السلاجقة ، تحقيق على سويم، الجمعية التاريخية التركية، ط. انقرة ١٩٨٦م، ص٢٧٢ .

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٧٩ ، Michael le Syrien, Chronique, T.III, p. 260-262

عليه الجنزورى ، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٣١٦-٣١٧ .

Gibb, " Zengi and The Fall of Edessa", in Setton, ed. A History of the Crusades , vol . I, Pennsylvancin 1952 , p. 461 .

وفى الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢م؛ التى حدثت بعد أن تمكن المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبى من استرداد بيت المقدس بعد معركة حطين الحاسمة فى ٤ يوليو ١١٨٧م [١]. وخلالها : تحالفت الإمبراطورية البيزنطية مع ذلك السلطان الأيوبى المجاهد لمواجهة الحملة الألمانية بقيادة فردريك بارباروسا Frederick Barbarossa (ذو اللحية الحمراء)، ويلاحظ أن العداء بين الجانبين بلغ حد الصدام المسلح بين القوات الألمانية، والبيزنطية، نظراً لموقف بيزنطة المعادى له، وللمشروع الصليبى برمته [٢]، وفكر ذلك الامبراطور فى مهاجمة العاصمة البيزنطية غير أنه فيما بعد : غرق فى نهر سالف Saleph من أنهار كيليكيا Cilicia فى آسيا الصغرى Asia Minor ، فتأجل مشروع غزو القسطنطينية إلى حين .

ولدينا وثيقة أوردها المؤرخ بهاء الدين بن شداد مؤرخ سيرة صلاح الدين الأيوبى؛ تكشف لنا عن التحالف الذى نجح ذلك السلطان بدهاء فى إقامته مع إسحق الثانى إنجيلوس[٣]

١- عن معركة حطين أنظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص٧٥- ٧٩، العماد الأصفهانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمد صبيح ، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص٨١ .

Richaard, " La Bataille de Hattin , Saladin defait l'Occident , H., T.XLVII, Année 1982 , pp. 104-111, fuller, Decisive battles of Western Europe and their Influences History ; London 1954 p. 427 .

٢- وعن العلاقات بين فردريك بارباروسا وبيزنطة أنظر: Brand, Byzantium Confronts The West 1180-1204 , Cambrige 1968 , pp. 176-188 .

قاسم عبده قاسم وعلى السيد، الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسى والعسكري، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٦١ .

٣- ابن شداد ، المصدر السابق، ص١٣٢- ص١٣٣ . وعن علاقة صلاح الدين الأيوبى ببيزنطة خلال الصليبية الثالثة أنظر:

Brand , " Byzantium and Saladin 1185-1192, oppenents of the Third Crusade" S. vol XXXVII, 1962 , pp. 167-181 .

على نحو مكنه من إعاقة تقدم القوات الألمانية وتزويده بالمعلومات - وهى أخطر سلاح - من أجل متابعة تقدمها ، مما عكس حنكة مؤسس الدولة الأيوبية الذى تمكن على العزف على وتر الصراعات البيزنطية - اللاتينية لتحقيق مصالح دولته العليا على نحو يخدم قضية الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين بوجه عام ، وبالتالى استطاع أن يخطو خطوة للأمام متقدمة على السياسة التى اتبعها من قبل نور الدين محمود عندما حاول تحييد بيزنطة - قدر الامكان- على نحو اتضح فى الاتفاق الموقع معها عام ١١٥٩م فى عهد مانويل كومنين .

من زاوية أخرى؛ خلال أحداث تلك الحملة الصليبية ذاتها ، تمكن ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted [1] (١١٨٩-١١٩٩م) من الاستيلاء على جزيرة قبرص

زبيده عطا ، الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٨٧-١٠٠ ، محمد أحمد محمد، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك»، ط. الرياض ٢٠٠٤م ص٦٠ ، ابراهيم سعيد فهيم. «حبى دولوزينيان وصلاح الدين الأيوبى بين الحرب والسلام، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٨٣ ، حاشيه (٢) ، حسن عبد الوهاب، معالم التاريخ البيزنطى السياسى والحضارى، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٣٠٢ .

١- عن ريتشارد قلب الأسد أنظر:

= Geoffrey of Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of The Crusades, London , 1908 .

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans. by Hubert, New York 1943 .

Anonymous Chronicle of the Third Crusade, A Translation of I Tenerarium Peregrinorum of Gesta Regis Recard, Trans. by Helen Nicholson, London 1994 .

Richard of Devizes, Crusade of Richard Cour de Lion , in Chronicles of the Crusades , London 1908 .

Richard, The Crusades 1071-1921, Trans. by Jean Birrell, Cambridge 1999, pp. 218-220 .

Cyprus عـام ١١٩١ م[1]، وكانت من قبل تابعة للأملاك البيزنطية ؛ على نحو كشف عن حجم المطامع اللاتينية فى أملاك تلك الإمبراطورية وكأنها خطوات مرحلية يتخذها الغرب الأوروبى بدأت من الأطراف إلى أن يتمكن فى نهاية المطاف من الإنقضاض على القلب البيزنطى.

على أية حال؛ ارتبطت الحملة الصليبية الرابعة بالبابا أنوست الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) . ويلاحظ هنا، أنه لم يكن يهدف إلا إلى توحيد الكنائس الشرقية وخاصة كنيسة القسطنطينية وإخضاعها لسيطرة كنيسة روما، يلاحظ أن قلة من القيادات الأوروبية استجابت له في صورة ثيبوت كونت شامبنى Thibault of Champagne ثم بلدوين الفلاندرزى Baldwin of Flanders وغيرهما .

وجدير بالذكر ؛ أن الشخصية ذات الدور الفعّال فى أحداث الصليبية الرابعة تمثلت فى السياسى الداهية المخضرم الدوج هنرى داندلو Henry Dandelo [2] دوق البندقية Venice وكان يحركه ثأر شخصى جامح ضد الإمبراطورية البيزنطية بعد أن فقد بصره من جراء الخلاف مع البيزنطيين من قبل .

= نظير حسان سعداوى ، تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص٩٢- ص٩٣ زينب عبد القوى، الإنجليز والحروب الصلبية فى الفترة من ١١٨٩-١٢٩١ ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٢-١٣٧ ، محمد دسوقى محمد حسن، العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثرها على الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧- /١٢٢٣ ٥٣١-٦٢٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرع دمنهور عام ٢٠٠١م، ص١٨٤-٢١٦ .

١- Edbury, The kingdom of Cyprus and The Crusades, 1191-1374, Cambridge 1981, p. 7 .

عاطف مرقص، قبرص والحروب الصليبية فى القرنين ١٢ ، ١٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩١م، ص٩٧ ، جيمس رستون (الابن) ، مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبى وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ت. رضوان السيد، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص٢١٥-٢١٦ .

٢- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٠ .

على أية حال ؛ توفى ثيبوت كونت شامبنى عام ١٢٠١م، فتولى الأمر من بعده بونيفاس المونتفرتى Boniface Of Montferrat [١]، ووصلت الحملة إلى البندقية ، ولم يتمكن الصليبيون من دفع المبلغ الذى طلبه من البنادقة من أجل إستغلال سفنهم لنقل المشاركين فى الحملة إلى هدفها ، وقد تم الاتفاق على نصيحة داندلو ومقتضاها أن يتم تأجيل دفع المال حتى يساعد الصليبيون البنادقة على إسترداد مدينة زارا Zara الهنغارية فى دلماشيا (من قبل يوغوسلافيا) التى كانت مركزاً تجاريًا كبيراً، وكانت تخص المجر التى دخلت فى صراع مرير مع البندقية ليس فى نطاق الأدرياتيك فقط؛ بل أيضًا خارجه ، وقد حوصرت من جانب الصليبيين ودمرت[٢]، وتم نقل أهلها عام ١٢٠٢م، مما عكس أن تلك الحملة الصليبية صارت تستهدف مدنًا مسيحية .

بصفة عامة؛ يقال أن هدف تلك الحملة الصليبية كان صوب مصر ، إلا أن سفراء البندقية عقدوا إتفاقية فى عهد السلطان العادل أبوبكر الأيوبى عام ١٢٠٢م[٣] ، بمقتضاها منحهم

١- عنه وعن انتخابه أنظر:

Villeharduin, The Conquest of Constantionople , in Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, London 1963 , p. 38 .

queller, The Fourth Crusade, The Conquest of Constntinople 1201-1204 , Leicerted 1978 , pp. 19-35 .

Nicol, Byzantium and Venice , Astudy in Diplomatic and Cultural relations, Cambridge 1995 , p. 129 .

Norwich Byzantium, The decline and Fall, pp. 168-170 .

٢- Villehardouin, Op. cit., pp. 46-49 .

ويلاحظ أن مدينة زارا بعد تلك الأحداث ؛ لم يبق فيها حجر يساند حجراً آخر، أنظر:

إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص٣٢٥- ص٣٢٦ .

٣- فايد حماد عاشور ، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامى فى العصر الأيوبى، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م، ص١٨٠ . وعن العادل انظر: محمود الحويرى، العادل الأيوبى صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ١٩٨٠م.

السلطان عدداً من الفنادق فى الاسكندرية بالإضافة إلى بعض الامتيازات التجارية ، وأمام الإغراء المادى؛ سال لعاب البنادقة وتعهدوا بعدم توجيه أية حملة صليبية صوب مصر .

ولانغفل هنا؛ الإشارة إلى أن البندقية نقمت على بيزنطة قيام الإمبراطور الكسيوس الثالث Alexius III بحرمانها من عدة إمتيازات تجارية، وفى المقابل؛ قام بتقديم إمتيازات للبيازنة الذين نافسوا البنادقة منافسة شديدة[١] ، وكان البنادقة يتحرقون شوقًا للثأر من بيزنطة مقابل ما حدث عام ١١٨٢م عندما تم إحراق الحى البندقى فى القسطنطينية [٢]، كما أسلفت الذكر من قبل .

على أية حال ؛ قدم البيزنطيون بصراعهم الأحمق على العرش الامبراطورى الفرصة الذهبية للبنادقة للثأر منهم وكان ذلك بمثابة الخطأ الفتاك الذي وقعوا فيه ، وكان الكسيوس الثالث قد تولى العرش باحدى الطرق المعتادة ، والتقليدية فى التاريخ البيزنطى؛ أى القيام بالثورة على أخيه إسحق الثانى، وزج به وبابنه الكسيوس الرابع فى غياهب السجن إلا أن الأخير فر من سجنه وطلب مساعدة الغرب الأوروبى لإعادته إلى العرش، والتخلص من الكسيوس الثالث وتعهد بأن يدفع للصليبيين المبلغ الذى كان دينًا للبنادقة للأخيرين واستغل الدوق داندلو كل ذلك ، وتوجه الصليبيون إلى العاصمة البيزنطية، وبالفعل تمكنوا من دخولها عام ١٢٠٣م، واسترد إسحق الثانى أنجيلوس العرش وتم تتويج ابنه الكسيوس الرابع مساعداً للإمبراطور، ويلاحظ أن الكسيوس الرابع[٢] هذا لم يتمكن من الايفاء بالوعد وتقديم الأموال المطلوبة للبنادقة؛ مما أدى إلى تأزم الموقف.

١- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٣ .

عن ذلك أنظر:

حاتم الطحاوى ، بيزنطة والمدن الإيطالية ، ص١٠٦ ، عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٢٠٧ .

Kaplan, Le Sac de Vonstantinople, p. 114 .

أنظر أيضًا عن البنادقة والحى البندقى فى العاصمة البيزنطية فى أواخر القرن ١٢م.

Brown, " The Venetians and Venetian quarter in Constantiuople in Close of the Twelfth Century ", J.H.S., vol . XL , 1920. pp. 68-88 .

٢- الكسيوس الرابع حكم خلال الفترة ما بين ١٢٠٣- ١٢٠٤م وهو ابن الامبراطور اسحق الثانى الذى =

جدير بالذكر؛ قامت ثورة فى العاصمة البيزنطية أطاحت بإسحاق الثانى ، والكسيوس الرابع وقتلا بعد أن اتهمتهما الجماهير الغاضبة بالخيانة، وممالأة أعداء الإمبراطورية وتولى العرش الكسيوس الخامس Alexius V الذى وقف موقفًا مضاداً من الصليبيين وأيد الاتجاه الشعبى الكاره لهم، وأمام ذلك التطور ، وأمام ذلك التطور ؛ إتجه الصليبيون إلى إسقاط القسطنطينية فى ١٣ أبريل عام ١٢٠٤م[1].

= أودع السجن بعد الإنقلاب الذى قاده عمه الكسيوس الثالث عام ١٠٩٥م، وقد مات مشنوقًا عام ١٢٠٤م ، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary , p. 3-4 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 440, p. 449 .

Ostrogorsky , History of The Byzantine State, p. 368-370 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, pp. 135-136 .

١- عن سقوط القسطنطينية أنظر:

Robert Clari, The Conquest of Constantinople , Trans. by E. H. Mc Neel, New York 1936 .

Villeharduin, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villeharduin, Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.B., Shaw, Penguin Book 1963 .

وأنظر الترجمة العربية من جانب العلامة حسن حبشى ؛ نظرا لتعليقاته الثرية عن ذلك أنظر: المدخل البيليوغرافى .

The Register of Innocent III, in Contemporary Sources for The fourth crusade , ed. by Alfred J. Andrea and Brette E. Whalen. Leiden 2000, pp. 7-176 .

The Anonymous of Soissons . in Contemporary Sources. pp. 223-238 .

Count Hugh of Saint pol's Report to the West , in Contemporary Sources, pp. 177-202 .

Ralph of Coggeshhall, Chronicle, in Contemporary Sources , pp. 277-290 .

Alberic of Trois Fontaines, Chronicle . in Contemprory Sources , pp. 291-310 .

Anonymous , The Devastatio Constantinopoli tana, in Contemporary Sources , pp. 205-222 .

Bartlett, An Ungodly war , The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade, Gloucestershire 2000, pp. 142-152 .

على أية حال؛ لابد لنا من التوقف هنا؛ من أجل رصد سلوك الصليبيين فى العاصمة الإمبراطورية التى ظلت منذ عام ٣٣٠ إلى ١٢٠٤م تتعالى على غزاتها، وتتفاخر بحصانتها الطبيعية، والصناعية التى غدت مضرب الأمثال ، ويلاحظ هنا؛ أنها احتوت على تحف ونفائس رائعة[١] كانت تليق بالفعل بعاصمة إمبراطورية عتيدة ، وعريقة، ولاشك فى أنها حينذاك كانت بمثابة متحف ضخم للتحف الفنية عابر للقرون، خاصة أنها كانت ذات ثقل بارز فى التجارة الدولية فى نطاق البحر الأسود، والبحر المتوسط، والعلاقات التجارية فيما بين آسيا ، وأوروبا ، وأفريقيا، ويمكن إيجاز سلوك الصليبيين على النحو التالى:

أولا: تعرضت المدينة إلى السلب والنهب بصورة لم تحدث على مدى تاريخها، حتى أن الجياد الأربعة التى كانت تزين ميدان السباق فى العاصمة البيزنطية قام الدوق هنرى داندلو بحملها إلى البندقية[٢] وهى موجودة إلى يومنا هذا تزين واجهة كاتدرائية القديس مارك St. Mark فى البندقية ، دليلاً على واحدة من أكبر عمليات السلب ، والنهب على مدى العصور الوسطى، ولانغفل هنا الإشارة إلى أن عدة تحف ، ونفائس بيزنطية بيعت فى أسواق حلب ودمشق ، وبغداد، والقاهرة ، مما عكس ضخامة الغنيمة كذلك وأرباح اللصوص الذين استولوا عليها وباعوها فى أسواق مدن كبرى خارج بيزنطة.

١- شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية، ص٢٢٥-٢٢٦ .

وعن أحداث الصليبية الرابعة بصفة عامة أنظر:

Gunther of Paris , in Allen and Ant (eds.) The Crusades Areader, Toronto 2003, pp. 236-238 .

محمد مجدى حسن عبد الفتاح ، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ١٢٠٤م/ ٦٠٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة المنيا ١٩٨٨م.

Harris , Byzantium and the Crusades, London 2003, pp. 145-162 .

٢- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٥٧ .

أنظر أيضًا : Mayer , The Crusades , p. 191 .

كذلك تم نهب قبور الأباطرة البيزنطيين المدفونين فى القسطنطينية . وقام الصليبيون بسرقة ما فيها من مذهبات وجواهر، أنظر: عصام محمد شبارو، السلاطين فى الشرق العربى، معالم دورهم السياسى والحضارى، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص١٧٦ .

ثانيًا : قتل عدد من البيزنطيين، كما تم إغتصاب الراهبات فى الأديرة[١] ؛ مما عكس أن الصليبيين تجردوا من أية مشاعر إنسانية، على نحو جعلهم يفعلون ذلك مع المنقطعات للعبادة من الفتيات البيزنطيات المسيحيات !!!

ثالثًا : أحضر الغزاة الذين لعبت الخمر برؤوسهم إحدى العاهرات كى ترقص أمام مذبح كنيسة أيا صوفيا التى عدت مفخرة العمارة والفن البيزنطى والتى شيدت منذ ما زاد على ستة قرون، وقامت بإنشاد الأغانى البذيئة ، وجلست على العرش البطريركى[٢]، وقام الغزاة باحتساء الخمور، إحتفالاً بسقوط مدينة قسطنطين فلاعجب، والأمر كذلك ؛ أن قام المؤرخ المعاصر نيكتاس خونياتس Nicetas Choniates الذى شاهد تلك الأحداث المروعة رؤية عينية ولم يكن يصدق ما يحدث أمام ناظرية من بشاعته قام برثاء القسطنطينية قائلاً :

«أيتها المدينة ! ؛ يا حديث العالم ، يا منار الأرض، يا حامية الكنائس، ويا سيدة الإيمان ! يا قلعة العلم! ، لقد تجرعتى كأس غضب الله حتى الثمالة! ، ولقد حاق بك آتون أكثر بشاعة من ذلك الذى أصاب قديمًا المدن الخمس »[٣]، وهكذا جاءت عبارات ذلك المؤرخ المؤثرة لتدل على أنه وهو يكتبها كان يرثى نفسه أولاً قبل أن يرثي مدينته الأثيرة إلى نفسه !! .

ولانغفل هنا الإشارة إلى استمرار ذلك السلوك نفسه المتبربر ثلاثة أيام[٤]، وقد تمنى

١- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٦٧ .

٢- إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص٣٤٣ . وعن نهب وسلب الصليبيين للقسطنطينية أنظر: برنادين كلى، فتح القسطنطينية، ت. شكرى محمود نديم، ط. بغداد ١٩٦٢م، ص٦١ .

٣- Nicetas Choniates, p. 314 .

Ebeid, " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the Fourth Crusade 1204 ", E.H.R., vol XV , Cairo 1969, p. 19 .

وقد أفدت من الأسلوب الأدبى الراقى للأستاذ الدكتور إسحق عبيد.

Madden, Aconcise History of the Crusades, London 1999, p. 104 .

محمد مؤنس عوض، سندباد فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٥٣ .

٢- قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، الأيديلولوجية ، الدوافع ، النتائج ، ط. الكويت، ١٩٩٣م، ص١٤٨ .

ذلك المؤرخ أن تسقط مدينته على أيدى المسلمين وليس على أيدى برابرة الغرب الأوربى[١] ؛ نظراً لأنهم ما كانوا يفعلوا بها ما فعله اللاتين ؛ مما عكس إدراكه الكامل للفارق الحضارى بين الجانبين .

واقع الأمر ؛ من الممكن المقارنة بين غزو القسطنطينية عام ١٢٠٤م وحادثة محورية سابقة عليها فى صورة غزو بيت المقدس على أيدى الصليبيين أيضًا عام ١٠٩٩م، فيلاحظ ؛ أن العام الأخير شهد مذبحة مروعة للمسلمين فى المدينة المقدسة اعترفت بها المصادر الصليبية ذاتها مثل مؤرخ الجستا Gesta المجهول ، وفوشيه الشارترى Fulcher of Chartres ، ووليم الصورى William of Tyre [٢] نفسه وقد بلغ عدد القتلى عشرات الآلاف وإن لم يصاحب تلك الأحداث الدموية عمليات سلب ونهب كبير، نظراً لفقر تلك المدينة بصفة عامة، أما فى عام ١٢٠٤م، فالهدف لم يكن مدينة مقدسة بل عاصمة إمبراطورية، وصاحب غزوها سلب ونهب واسع النطاق، نظراً لثرائها العريض، كما أن الفارق الجوهرى بين عامى ١٠٩٩ م، ١٢٠٤م، أن العام الأول هاجم فيه الصليبيون مدينة إسلامية أما العام الثانى فقد هاجموا فيه مدينة مسيحية[٣] ؛ مما عكس أن المشروع الصليبى أشبه بأخطبوط بأذرع متعددة يهدف إلى تحقيق مطامعه دون اعتبارات دينية ، وتتفق الحادثتان من خلال تعبيرهما عن الوجه الدموى القبيح للحركة الصليبية ذات الطابع المتعصب حتى مع أبناء المسيحية ذاتها .

١- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٦ ، أسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٥٨ .

وعن استيلاء الصليبيين عن العاصمة البيزنطية أنظر:

ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م، ص٣٣- ص٣٤ ، وهى دراسة علمية فريدة لمؤرخة قديرة .

٢-أنظر ما سبق ذكره من قبل.

٣- عن أصول وتطور الحملات الصليبية ضد المسيحين أنظر هذه الدراسة المتخصصة :

Housely , " Crusades againest Christians: Their Origin and Early development 1000-1216 ", Crusade and Settlement ed. by Peter W. Edbury, Cardfiff 1982, pp. 17-36 .

ويلاحظ أن المؤرخ البارز نورمان هاوسلى تخصص فى أمر الصليبيات المتأخرة.

مهما يكن من أمر؛ تم إقامة حكم لاتينى فى القسطنطينية وتم انتخاب بلدوين الفلاندرزى إمبراطوراً ، كذلك تم تنصيب بطريرك جديد فى صورة توماس موروسينى Thomas Morosini[١]، أما الغنائم ؛ فقد تم تقسيمها على كبار المشاركين فى تلك الأحداث ، وعلى ذلك حصل بلدوين الفلاندرزى على جنوبى تراقيا ، وخمسة أثمان العاصمة البيزنطية ، وبعض جزر بحر ايجه مثل ساموس ، وخيوس ، ولسبوس ، أما قائد الحملة بونيفاس؛ فقد نال سالونيك ، ونجد أن نصيب الأسد حصلت عليه البندقية ، ولا أدل على ذلك من استعراض حجم المناطق التى سيطرت عليها ، وهى كالآتى :

١- ابيروس ، واكارنانيا ، وإيتوليا ، مع مدن دورازو وارتا ، وغيرها [٢].

٢- الجزر الأيونية ، وعلى نحو خاص كورفو ، وكيفالونيا ، وسانت مور ، وزانتى.

٣- البليبونيز فى صورة مدن بتراس ، وكالفريتا ، واستروڤا ، ومودون ، ولاكيدومنيا [٣].

١- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٥٧- ص٢٥٨ .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢١١ .

أنظر وصفه لدى: ليلى عبد الجواد ، «البابوية والإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية (١٢٠٤-١٢٦١م) ، » ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تكريمًا للأستاذ الدكتور / إسحق عبيد ، تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، ص٤٣ ، حاشية (٢٠) .

٢- هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ج١ ، ص٢٧٧ ، حيث يقدم تفصيلات مهمة عن توزيع المغانم والأسلاب البيزنطية ، وأنظر كذلك الملحق الخاص بما سيطرت عليه البندقية .

٣- عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة المتميزة.

Lock, The Franks in the Aegean, 1204-1500, London 1995, pp. 35-66, pp.. 68-104 .

ويلاحظ اعتماد هذه الدراسة القيمة على حولية المورة : The Chronicle of Morea.

عنها أنظر المدخل الببليوغرافى.

وفى هذا الشأن أنظر:

Longnon , " The Frankish in Greece (1204- 1311) , in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol . II, Wisconson 1989 , pp. 235- 274 .

Topping , " The Morea 1374-1470", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . II,m Wisconson 1989, pp. 141-166 .

٤- جزر جنوبى وغربى بحر ايجه، ومنها ناكسس وأندروس وجزيرة يوبيه، خاصة مدينتى اوريوس وكاريستوس .

٥- مجموعة من المدن متراصة على طول الشاطئ الأوروبى لمضيق الدردنيل، وبحر مرمرة أهمها جاليبولى، ورودستو، وهيراقليا.

٦- بعض مدن داخل تراقيا أكبرها أندرينوبل بالإضافة إلى جزيرة كريت(١) .

ويقرر العلامة هايد Heyd فى دراسته القديمة الجديدة عن تاريخ التجارة فى العصور الوسطى ؛ أن أغلب تلك المناطق كانت خصبة وتصل إليها السفن على نحو ميسر، وكلها على نحو تقريبى ، وقعت على الطريق البحرى الكبير الذى يصل البندقية بالقسطنطينية.

وقد يتساءل البعض عن موقف البابوية من كافة تلك الأحداث ، وفى الواقع أنها متمثلة فى أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) كانت تدرك إدراكًا يقينيًا أن الصليبية الرابعة استهدفت الهجوم على القسطنطينية كما أنه تواطأ فى إدانة اتجاه الصليبيين نحو مدينة زارا Zara الهنغارية العاصمة البيزنطية ، وبذلك يكون قد سمح لقادة تلك الحملة الصليبية بالاتجاه قدمًا فى مخططاتهم العدوانية (٢).

= ممدوح مغازى ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى إمارة المورة الصليبية فى عهد أسرة فيلهاردوين ١٢٠٥-١٣١٠م، رسالة غير منشورة، كليةج الآداب - جامعة طنطا، عام ٢٠٠م.

١- هايد، تاريخ التجارة، ص٢٧٨ .

٢- أفضل دراسة كشفت النقاب عن تواطؤ البابوية فى أحداث الصليبية الرابعة أعدها أ.د. اسحق عبيد ، انظر : روما وبيزنطة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م وأيضًا:

Ebeid, " Was Pope Innocent III an accomplice in The diversion of the Fourth Crusade 1204" E.H.R., vol . XV , 1969, pp. 2-19 .

إنوسنت الثالث، هو البابا الذى تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ يناير ١١٩٨م إلى ١٦ يوليو ١٢١٦م خلفًا للبابا كلستين الثالث Clestin III (١١٩١-١١٩٨م) ، وهو فى الأصل من لوتاريو Lotario، ولد حوالى عام ١١٦٠م ودرس اللاهوت فى باريس والقانون الكنسى فى بولونيا ، وصار كردينالا عام ١١٩٠م، وقد ألف عدة مؤلفات ، وأظهر مهارة إدارية ، ومن أعماله الدعوة إلى شن حملة صليبية ضد العناصر الألبيجنسية فى جنوبى فرنسا، كما يذكر له عقده لمجمع كنسى فى نوفمبر عام ١٢١٥م وهو ما عرف بمجمع=

من ناحية أخرى؛ من الممكن إدراك كارثة ما حدث للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م؛ إذا ما قارناه بما حدث لبغداد فيما بعد بأربعة وخمسين عامًا وتحديداً عام ١٢٥٨م، فى نفس القرن الثالث عشر على أيدى المغول(١)؛ إذ أن السلوك المتبربر هو نفسه وإن اختلفت وجوه القائمين به، إذ الأمر المؤكد أن ما حدث فى المدينتين والأول عاصمة إمبراطورية عريقة ، والثانية عاصمة الخلافة العباسية التى عُدت مدينة عالمية إزدهر فيها العلم، والتجارة وقد دفعت

= اللاتيران الرابع The Fourth Lateran Council وهناك من يقرر أنه من أكبر المجامع فى أوربا العصور الوسطى، عن البابا انوسنت الثالث انظر بالتفصيل :

Roger of Wendover, The Chronicle of Roger of Wendover, in Peters , Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Padenborn, Pennsylvania 1971, pp. 37-40 .

Binns, Innocent III, London 1931 , Luchaire, Innocent III, 6 vols., Paris 1905- 1908 .

وهى أشمل وأوسع دراسة بالفرنسية فى موضوعها .

Roscher , Papst Innocenz III und die Kreuzzuge, Gottingen 1969, Kelly , Oxford dictionary of Popes, pp. 186-188 .

١- عن ذلك أنظر:

ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧ ، ص٤٨-٥٣ ، بيبرس الدوداري، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة . تحقيق زبيدة عطا، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ج٩، ص٦٤-٦٧ ، ابن أيبك الدواداري ، الدرة الذكية فى الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، ط. القاهرة ١٩٧١م، ص٣٤-٣٧ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر فى أخبار البشر، ط. النجف ١٩٦٩م، ج٢ ، ص٢٧-٢٨٠ ، السيد الباز العرينى ، المغول ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٢١٦- ص٢٨٠ ، فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص٢٤٩- ص٢٨٦ ، مصطفى طه بدر ، محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول . ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٥٦- ص١٨٦ ، محمد نصر مهنا ، الإسلام فى آسيا من الغزو المغولى دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص٣١-٣٥ ، أحمد مختار العبادى ، قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص١٤٧- ص١٤٩ ، سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب، ت . عفيفى البعلبكى، ط. بيروت ١٩٩٠م، ص٣٤٦ .

الكتب، والتحف والنفائس - وهى ميراث حضارى لايقدر بثمن وملك للإنسانية جمعاء الثمن فادحًا فى كل من العاصمتين الأوروبية والآسيوية. والفارق الزمنى بينهما لايتجاوز ٥٤ عامًا فقط من عمر الزمان، وبالتالى يكون القرن المذكور . قد شهد أكبر حادثتى سلب ونهب ، وتدمير فى تاريخ كل من البيزنطيين والعباسيين الذين كثيراً ما تصارعوا فى حروب متعددة خاصة خلال العصر العباسى الأول والآن اتفقوا فى المصير المأساوى الواحد ! وتلك من مفارقات التاريخ التى تدعو المرء للتأمل بإمعان .

ويقرر رنسيمان - وهو الذى وصف الحروب الصليبية بأنها آخر الغزوات المتبربرة Last of the Barbarian Invasions[1] وما كانت تلك العبارة الفريدة الصادرة من مؤرخ بريطانى مسيحى إلا تعقيبًا على الصليبية الرابعة- يقرر تعقيبًا على آثار تلك الصليبية : « من العسير علينا المبالغة فى الأثر الذى أحدثه نهب القسطنطينية فى الحضارة الأوربية، فإن كنوز المدينة، والكتب، والآثار الغنية التى احتفظ بها منذ دهور سحيقة قد بددت جميعًا، ودمر معظمها ، ثم إن الإمبراطورية تلك الحصن العظيم المنيع لعالم المسيحية قد قصمت كدولة كما أن تنظيمها الشديد المركزية دمر وقضى عليه، واضطرت الولايات، والمقاطعات إلى التحول عن الدولة؛ لتنقذ نفسها، وكانت ثمرة جريمة الصليبيين تمهيد السبيل، وتسهيل الأمر أمام الفتح العثمانى »[2]، وهكذا ؛ أوجز ذلك المؤرخ حجة الدراسات البيزنطية فأوعى ! ومن المفترض أنه لو لم يكن مؤرخًا بيزنطيًا ما أدرك فداحة ما حدث ، وما وصف الصليبيين ذلك الوصف «التاريخى» الذى لم نسمعه من مؤرخ غربى مسيحى آخر .

١- Runciman , A History of the Crusades, vol . I, The Prefare.

جدير بالذكر أن العلامة أ.د. إسحق عبيد وصف الحركة الصليبية وصفًا ذكر ما نصه : «تمثل الحروب الصليبية نقطة سوداء فى تاريخ العلاقات بين الغرب الأوروبى المسيحى والشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، فلقد هاجم مفلسو القلاع الإقطاعية ، وقطاع الطرق وأرباب السجون، والقتلة، بل ونفر من بنات الهوى من كل نجوع أوروبا الافرنجية شعوب الشرق الأدنى الآمنين للنهب، والسلب، والتدمير، والقتل وذلك بتحريض من البابا أوربان الثانى سنة ١٠٩٥م»، أنظر:

ريمون استانبولى، مفاتيح أورشليم القدس، حملتان صليبيتان على مصر (١٢٠٠-١٢٥٠) ، ت عايدة الباجورى، مراجعة وتقديم إسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٩ ، من مقدمة المراجع والمقدم.

وهى شهادة موضوعية تذكر لذلك المؤرخ الكبير .

٢- Runciman , Byzantine Civilization, p. 46 .

نأتى الآن إلى زاوية مثيرة للجدل فى صورة مسئولية توجه الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية .

والواقع أنه وفقًا لما قرره مؤرخ متخصص فى العلاقات اللاتينية البيزنطية فإنه حتى عام ١٨٦٠م؛ إعتقد كثير من المؤرخين فى صحته أورده أورده المؤرخ فيلهاردوين الذى ذكر أن «إنحراف» الحملة إلى القسطنطينية كان من قبيل المصادفة ، وهكذا ؛ لم يشر إلى أية خطة متعمدة فى هذا الشأن، غير أنه فى عام ١٨٦١م ، إتهم المؤرخ ماس لاتير Mass- Lateric البندقية بعقدها لإتفاق سرى مع الأيوبيين مما جعلها تضغط على الصليبيين لتوجيه مسار الحملة صوب العاصمة البيزنطية[١]، ومن بعد ذلك أقر المؤرخ الألمانى كارل هوف Karl hoph بأن الاتفاق المذكور وقع بالفعل وحدده زمنيًا بيوم ١٣ مايو عام ١٢٠٢م[٢].

مهما يكن من أمر: قام المؤرخ الفرنسى هانوتو Hanotaur فى عام ١٨٨٧م ؛ برفض ما ذهب إليه المؤرخان السابقان ولم يؤيد فكرة الاتفاق السرى، بل رأى أن البندقية تصرفت خلال الأحداث من خلال مصلحتها الاقتصادية العليا التى كانت تقتضى إسقاط تلك العاصمة المنافسة[٣] .

وفيما بعد من خلال أطروحة الدكتوراه التى أعدها أ.د. إسحق عبيد بإشراف المؤرخ الإنجليزى الشهير برنارد هاملتون Bernard Hamilton من جامعة نوتنجهام Nuttingham عن العلاقة بين روما وبيزنطة من قطيعة فوشيدس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين ١٢٠٤م[٤]، تأكد للدارسين أن تحول مسار الحملة الرابعة لم يكن من خلال الصدفة ، بل نتج

١- عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية ، ص٣٠١ .

وقد أيد ذلك الاتجاه كل من جمال الدين الشيال ومحمود الحويرى أنظر: جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية، ج١، العصران الأيوبى والمملوكى، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، ص٩٩ .

محمود الحويرى، العادل الأيوبى، ص٨٣ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، ص٣٠١- ص٣٠٢ .

٢- ناقش الرسالة المذكورة كل من المؤرخين البارزين السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runcima وجوان هسى Joan Hussy ، ووصفت بأنها مصححة Corrective لتصورات المؤرخين السابقين عليها .

عن خطة مسبقة مدبرة [١]، كما أن البابا أنوسنت الثالث يحتل جانبًا من المسئولية، وفى احدى رسائله إلى رئيس أساقفة مدينة تور Tours ذكر البابا مبلغ سعادته بإذلال كنيسة القسطنطينية والقضاء على عجرفة البيزنطيين، ويعلق ذلك المؤرخ قائلاً : « على ضوء الوثائق سالفة الذكر؛ يتضح موقف البابا انوسنت الثالث تجاه غزو القسطنطينية دون لبس أو غموض، وليس من باب الصدفة أن نجد كثيراً من المعانى التى وردت فى هذه الرسائل مطابقة تمامًا لما كان البابا ذاته قد كتب إلى السلطات البيزنطية فى عام ١١٩٨م حينما كان يهددها باتخاذ إجراءات عنيفة لإخضاع كنيسة القسطنطينية المنشقة ».

من جهة أخرى؛ لانغفل أن أحداث التاريخ تحدث من خلال دوافع متعددة وجزئية المصادفة ليس من الممكن تصورها فى حالة تلك الحملة، وفى تقديرى أنه فى حالة افتراض المصادفة - وهو أمر مرفوض أصلاً، ما تم تنفيذ مخططات البابوية بمثل ذلك الاحكام. ويعلق البعض على ذلك بقوله : «نجحت القوى الإيطالية فى حل المسألة البيزنطية عن طريق احتلالها بعد محاولات تمتد أكثر من قرن إلى الوراء ، محاولات بدأها روبرت جويسكارد عام ١٠٨١-١٠٨٥م وابنه بوهيمند عام ١١٠٧-١١٠٨م وروجر الثانى عام ١١٤٧-١١٥٠م ووليام الثانى عام ١١٨٥م» [٢]، من الممكن التقرير بأن مسئولية سقوط العاصمة البيزنطية موزعة بين البيزنطيين أنفسهم والبابا إنوسنت الثالث، والبنادقة ، وقد يتصور البعض أن البيزنطيين هم الضحية فى كافة تلك الأحداث التى وقعت على أرض إمبراطوريتهم غير أن الواقع التاريخى يؤكد أن بيزنطة سقطت من الداخل قبل أن تسقط من الخارج وهى فى ذلك ، تتشابه مع روما التى سقطت على أيدى الجرمان من قبل القسطنطينية ، بما زاد على السبعة قرون وتحديداً عام ٤٧٦م [٣]، ولانغفل أن الصراع على المنصب الإمبراطورى الذى سمح بالتدخل الأجنبى ؛

١- وفى ذلك يقول ما نصه : «إن الغزو الصليبى لبيزنطة سنة ١٢٠٤ لم يكن وليد «إنحراف» أو «صدفة» كما يذهب الكثيرون، ولذا كان لزامًا على الكاتب الرجوع إلى جذور المشكلة من عام ٨٦٩، عام القطيعة الدينية بين روما القديمة وروما الجديدة، ولذلك لتقصى الحقائق الكافية وراء هذا الصراع الذى إنتهى بسقوط مدينة قسطنطين العظيم سنة ١٢٠٤ فى أيدى جنود البابا أنوسنت الثالث، أنظر: إسحق عبيد. روما وبيزنطة، التمهيد.

٢- عادل زيتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص٣٠٠ .

٣- أنظر ما تم إيراده من قبل.

مثّل فرصة ذهبية أمام الغرب الأوروبى أحسن استغلالها ؛ من أجل توجيه ضربة قاضية لبيزنطة ، ثم أن الضعف العام لتلك الإمبراطورية شجع أعداءها على الإنقضاض عليها فى غير هوادة.

إن الإمبراطورية التى استدعت الغرب الأوروبى من أجل مواجهة الأتراك السلاجقة فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، دفعت الثمن فادحًا من حريتها فى أوائل القرن الثالث عشر م . وبذلك تأكد للقاصى والدانى أن تلك الإمبراطورية التى لعبت بمهارة فائقة – ولعدة قرون خلت– لعبة توازن القوى ، واستطاعت عبور كافة الأزمات التى واجهتها ، إلا أنها الآن تقع فى مأزق مواجهة العدو الذى استعانت به يومًا ، وتلك مفارقة ساخرة فى التاريخ البيزنطى يندر أن نجد لها مثيلا فى العصور الوسطى!

ومن الملفت للإنتباه ؛ أن أطماع الغرب الأوروبى فى بيزنطة كانت واضحة للعيان على مدى القرن ١٢م ، غير أن البيزنطيين لم يتحدوا من أجل مواجهة تلك الأطماع السافرة .

ولانغفل كذلك؛ أن عصر الأباطرة الكبار قد ولّى وأدبر ، ولم يعد فى جعبة بيزنطة أباطرة علي شاكلة هرقل ، وليو الثالث الأيسورى ، وباسل الثانى، والآن ؛ لم يكن لدى تلك الامبراطورية إلا أباطرة صغار والأحداث كبار ! وبعبارة أخرى لقد عقم الرحم البيزنطى حينذاك عن إنجاب إمبراطور يواجه كافة تلك العواصف والأنواء التى أقسمت على اقتلاع بيزنطة من جذورها .

وهكذا ؛ أدت أحداث تلك الحملة الصليبية إلى تغيير جذرى فى خريطة توزيعات الجغرافيا السياسية لشرقى أوروبا إلى درجة غير مسبوقة ، وإذا كانت بيزنطة قد نجت من قبل من مصير روما فى القرن الخامس الميلادى ، ولم يسقطها عندئذ الجرمان إلا أن حفدة أولئك الجرمان نجحوا فى ذلك الأمر بعد ما زاد على السبعة قرون !!!

جدير بالإشارة؛ أن أحداث عام ١٢٠٤م ؛ أدت إلى التمهيد– بصورة أو بأخرى – لحدوث الإنهيار البيزنطى النهائى على أيدى الأتراك العثمانيين ١٤٥٣م(١) فى عهد قسطنطين الحادى عشر (١٤٤٩-١٤٥٣م) على نحو سيتم تفصيله فيما بعد.

١- اعتقد المؤرخ سيدنى بيبتر من قبل؛ أن المرحلة الواقعة من القرن الحادى عشر الميلادى ، وعلى نحو خاص عام ١٠٥٧م إلى القرن الخامس عشر الميلادى وبالتحديد ١٤٥٣م مثلت أربعة قرون من الضعف =

ذلك أمر كارثة عام ١٢٠٤م ؛ وهى بالتأكيد حدث محورى ليس فى تاريخ بيزنطة فقط، بل فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بصفة عامة ، ولانغفل ؛ أن العدوان الصليبى الذى كان يضع نصب عينيه المسلمين إنحرف الآن عنهم ، واتجه إلى وجهة مغايرة ، كذلك فإن تلك الحملة جعلت الكثيرين من الصليبيين فى بلاد الشام يقدمون إلى الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ، بحثًا عن غنائم لهم على نحو أضعف الكيان الصليبى هناك [١]، وبصورة أفادت- بالضرورة- المسلمين ، ولاريب فى أن ذلك كله مثل نوعًا من إنتحار الصليبيات ، ولذا لم يكن غريبًا أن اعتبر البعض تلك الحملة الصليبية الرابعة قد جاءت لتنذر بإخفاق المشروع الصليبى برمته [٢]، مع ملاحظة أن النذر الأولى الدالة على فشل ذلك المشروع بدأت منذ بداية الدعوة له من خلال كونه مشروعًا متعصبًا يرفض الحوارين الحضارات وقائم على سفك الدماء دون تقديم أية رسالة حضارية للآخرين.

= والتدهور البيزنطى إلى أن تم إسقاطها على أيدى الأتراك العثمانيين، ومعنى ذلك أن يرجعه إلى ما قبل عام ١٢٠٤م ، انظر قوله:

" The last four centures of thhe empire's existance , from 1057 to 1453, was aperiod of gradual decadence in power, Enemies from both east and west cut her provinces way one by one until The great capital , Constantinople, was finally overwhelmed by the Ottoman Turks".

أنظر رأيه :

Painter, A History of the Middle Ages 284-1500, New York 1954, p. 35 .

ومع وجاهة ذلك التصور إلا أن عام ١٢٠٤م وما حدث فيه يظل نقطة تحول فارقة فى التاريخ البيزنطى وعن بعدها تزايدت ظاهرة الضعف البيزنطى إلى أن حسمت عام ١٤٥٣م.

١- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية. ج٢، ص٩٤٠ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

ويقرر رينيه جروسيه Réne Grousset تعليقًا على سقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤ ما نصه : « سبب مضاراً خطيرة لسورية الفرنجية . فقد حرمها من تعزيزات لم يكن بالإمكان الاستغناء عنها، كما أدت بعثرته لقوى الفرنجة فى الأرض المقدسة، حتى أن يجوز لنا أن نقول بأن قيام هذه الامبراطورية اللاتينية قد أفضى إلى تجميد الحياة فى سورية الفرنجية».

عن ذلك أنظر: =

على أية حال؛ هناك من إعتقد أن كثيراً من المؤرخين لايعترفون بالفترة البيزنطية فيما بعد حكم اللاتين ، وأن عام ١٢٠٤م ، يمثل نهاية لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية حيث سقطت على أيدى اللاتين[١].

وواقع الأمر ؛ أن أهمية التاريخ البيزنطى- فى أحد جوانبه بطبيعة الحال- القدرة على الاستمرار على الرغم من الكوارث، والمحن التى واجهت تلك الإمبراطورية ، وهكذا ؛ فإن المرحلة الواقعة من ١٢٠٤ إلى ١٤٥٣م على الرغم من العنف الذى شابها ؛ إلا أنها جزء لايتجزأ من مسار التاريخ البيزنطى وهى بالتالى تحتل مكانة بارزة فيه وليس فى الإمكان إسقاطها تحت أي مبرر وإذا وجد هناك من المؤرخين من توقفوا بدراساتهم عن عام ١٢٠٤م مثل نورمان بينز Norman Paynes - على سبيل المثال- فإن ذلك لايلزمنا بالضرورة ، والعصر الذى كان يكتب فيه ذلك المؤرخ الرائد كانت التصورات تجاه ذلك التاريخ ليست بنفس الاتساع المتوافر حاليًا مع الأخذ فى الاعتبار الزخم المعرفى الكبير الحادث حاليًا وانعكس بالضرورة على دراسته .

تلك ملامح عهد أسرة أنجيلوس التى حكمت الإمبراطورية المتناقضة التاريخ بين صفحات القوة وصفحات السقوط إلى الحضيض ، لقد استمر عهد تلك الأسرة ١٩ عامًا فقط ولاريب فى أنها قصيرة فى تاريخ إمبراطورية امتد بها العمر إلى نحو ١١٢٣عامًا غير أنها تعد

= رينيه جروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب. ت. أحمد أيبش،ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص٨١ .

ويقرر أمين معلوف ما نصه : «بدلاً من أن توطد حملة القسطنطينية المجنونة دعائم المنشآت الفرنجية فى بلاد الشام ؛ فقد أصابتها بضربة قاصمة».

أنظر: أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب. ت. عفيف دمشقية، ط. بيروت ١٩٩٣م. ص٢٧٧ .

١- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص٣٩٠ .

وقد أنهى كتابه عند عام ١٢٠٤م، ولم يواصل عرض أحداث التاريخ البيزنطى الممتدة من ذلك العام حتى ١٤٥٣م . واتخذ نفس التعليل الذى ذهب إليه من قبل نورمان بينز ، ومع تقديرى لجهد ذلك المؤرخ البارز ، فإننى أختلف معه فى الرأى .

وعن نفس تلك الزاوية أنظر: جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٤٧ .

فاصلة، وفارقة فى التاريخ البيزنطى، خاصة المرحلة التالية عليها على نحو يجعلنا لانبالغ إذ ذكرنا أنه فيما قبل عام ١٢٠٤م كان التاريخ البيزنطى له نمط محدد أما بعد العام المذكور فنلاحظ تغيراً جوهريًا واضحًا ظهر فيه حيث بدأ العد التنازلى البطئ لذلك الكيان الذى صارع الزمن لقرون طويلة .

والواقع ؛ أن تقدير المسئولية التاريخية عن تلك الأحداث يجعلنا نركز تصوراتنا على ثلاثة أباطرة فقط هم إسحق الثانى ، والكسيوس الثالث ، والكسيوس الرابع، ومع ذلك ، فمن الإنصاف التقرير بأن تاريخ تلك الأسرة بغض النظر عن مواقف أباطرتها من مسار الأحداث السياسية وما عرفوا به من ضحالة الخبرة السياسية فى التعامل مع الغرب الأوروبى المتنمر بالامبراطورية أثر فيها إمبراطور سابق كان يوجه تاريخ تلك الأسرة ، وما حكم أباطرتها إلا الحصاد الحقيقى لسياساته فى صورة مانويل كومنين، وهكذا؛ فعند الحكم التاريخى على أسرة أنجيلوس من الأهمية بمكان ؛ إدراك أنها أسرة جاءت فى ظروف بالغة التعقيد ، وكانت مقدمات الانفجار فى العلاقات البيزنطية - اللاتينية قد وجدت من قبل توليها السلطة !

منطقى أن السطور السابقة لايفهم منها إبعاد المسئولية عن أولئك الأباطرة وصراعات العرش البيزنطى فى عهدهم ، بل أنهم يتحملون جانبًا مهمًا منها.

ومع ذلك ؛ فإن تلك الامبراطورية المتصارعة مع الزمن أبت إلا أن تواصل الاستمرار ، فيلاحظ قيام عدة إمارات بيزنطية منها ما عمل على استعادة القسطنطينية أو القلب السليب، ففى طرابيزون قامت إمارة انتسبت إلى آل كومنين، وقد مدت نفوذها ليشمل الشريط الساحلى للبحر الأسود من هرقلية إلى القوقاز [1]، وفيما بعد امتد عمر تلك الإدارة حتى عام ١٤٦١م؛ أى حتى بعد السقوط النهائى لبيزنطة عام ١٤٥٣م.

١- عن إمبراطورية طرابيزون أنظر بالتفصيل :

Michael Panaretos , Chronicle of the Empire of Trebizond , ed. O. Lampsides , Athens 1958 .

Vasiliev, " The Foundation of The Empire of Trebizond (1204- 1222) , S., vol . XI, 1936 , pp. 3-37 .

Id , The Empire of Trebizod in History and literature, " B., vol . XV, 1940- 1941 , pp. 316-326 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 378 .

أما فى ابيروس Epirus فقد أقام ميخائيل الأول كومنينوس دوكاس Michael I Komnenos Ducas (١٢٠٤-١٢١٥م) إمارة إمتدت من ليباتو إلى دورازو[1] .

وفى نيقية Nicea استطاع تيودور لاسكاريس Theodore Lascaris صهر الكسيوس الثالث أن يجمع عدداً من أفراد الطبقة الأرستقراطية ، وتوج كإمبراطور للرومان عام ١٢٠٨م[3]. دون إغفال كيانات بيزنطية صغيرة فى رودس وفيلادلفيا .

هناء بركات، التاريخ السياسى لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى سقوطها ١٤٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨م.

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢١١- ص٢١٢ .

١- عن إمبراطورية ابيروس أنظر: Ostrogorsky , p. 452 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 92 .

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص٢١٢ .

وميخائيل الأول كمنينوس دوكاس كان قد فر إلى شمال شرقى بلاد اليونان بعد الغزو اللاتينى للقسطنطينية عام ١٢٠٤م وهناك فى جبال بندوس Pindos صار قائداً لمقاطعات ابروس Epiros واكارنانيا Akarnania وقام بحماية تلك المناطق من جيوش الصليبيين. وقد تمكن من مد أملاكه إلى تساليا Thessaly فى الشرق وحتى دورازو Durazzo وجزيرة كورفو Corfu فى الشمال. وقد توفى عام ١٢١٥م تاركًا الأمر من بعده لتيودور كومنينوس دوكاس Theodore Komnenos Doukas

عنه أنظر: Nicol, op. cit., p. 92 .

٢- عمر كمال توفيق ، المرجع السابق، ص٢١٢ .

أيضًا : Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 143 .

وتيودور لاسكاريس؛ هو إمبراطور نيقية خلال المرحلة من ١٢٠٨ إلى ١٢٢٢م، وكان قد ولد عام ١١٧٥م تقريبًا وتزوج من أنا Anna ابنة الامبراطور الكسيوس الثالث أنجيلوس وفى عام ١٢٠٨ م توجه البطريرك ميخائيل الرابع كإمبراطور وتمكن من أن يقيم امبراطورية ذات اقتصاد قوى وجهاز إدارى ودفاعى متماسك على نحو كان له دوره فى اعادة الحكومة البيزنطية إلى القسطنطينية . ومما يذكر له هزيمته للسلاجقة عام ١٢١١م، كذلك إرغامه امبراطور القسطنطينية اللاتينى هنرى أوف فلاندرز على احترام حدود ووحدة إمبراطورية نيقية ، وقد توفى عام ١٢٢٢ دون أن يترك من يرثه، عنه أنظر: Nicol , Op. cit., pp. 121-122 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 507-508 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, pp. 378-385 .

ويكشف ذلك عن تحول الكيان الامبراطورى الكبير إلى شذرات متناثرة مؤقتة إلى أن تعود إلى حضن القلب السليب .

من ناحية أخرى؛ تكونت- كما أسلفت الإشارة من قبل- إمبراطورية لاتينية فى القسطنطينية وقد قامت على أصول إقطاعية [١]، وعاشت فى ظل التصارع الداخلى وكذلك مع جيرانها ، وبصفة عامة؛ حدث التصارع بين الإمبراطور، والأمراء التابعين له الذين تطلعوا إلى زيادة نفوذهم على حساب سلطاته ، وسال لعاب الجميع من أجل نهب ثروات بيزنطة التى كانت بمثابة عروس وقعت فى قبضة من يريدون اغتصابها جماعيًا !!

ويجدر بنا ؛ أن نلقى نظرة موجزة على أوضاع تلك الإمبراطورية اللاتينية الاستثنائية فى التاريخ البيزنطى، ويلاحظ أن بلدوين أوف فلاندرز الذى حكم من ١٢٠٤-١٢٠٥ م ، وهو أول الأباطرة كان قليل الكفاءة ، ولم يزد عن أن يكون بمثابة الأول بين أقرانه Primus enter Pares[٢] وقد قتل فى عام ١٢٠٥م فى صدام وقع بينه وبين البلغار ومن بعد رحيله تولى الحكم شقيقه هنرى (١٢٠٥- ١٢١٦م) [٣].

١- عن ذلك بالتفصيل أنظر:

عبد الحافظ البنا، النظام الإقطاعى فى المملكة اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤- ١٢٦١م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٩٤م، وهى الدراسة الأكاديمية العربية الوحيدة فى الموضوع المذكور.

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢١٣ .

وعن بلدوين أوف فلاندرز أنظر:

Wolff . " Baldwin of Flanders and Hainaut first Latin Emperor of Constantinople his life. death and resurrection", S., vol XXVII, 1952 , pp. 281 - 322 .

Lock. The Franks in Aegean, pp. 43-45 .

٣- Runiciman. Byzantine Cicilization . p. 46 .

Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 142 .

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص٢١٥ .

وقد سعى جاهداً إلى استمالة البيزنطيين إلا أن غالبيتهم اتجهت صوب امبراطورية نيقية بقيادة تيودور لاسكاريس بحثًا عن الحرية التى تاقت إليها نفوسهم بعد كارثة الاحتلال اللاتينى، ومات عام ١٢١٦م[١]

بعد أن فشل فى إيجاد أدنى قدر من التعايش بين البيزنطيين والغزاة اللاتين. وخلفه على العرش أخته يولند Yolande وزوجها بطرس دى كورتناى Peter de Courtenay غير أن القتل كان مصيره قبل الوصول إلى القسطنطينية عام ١٢١٧م [٢]، وقامت يولند بحكم البلاد على مدى المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م [٣]، وتنازلت من بعد ذلك لابنها روبرت الذى تم خلعه نظراً لمحدودية خبرته السياسية[٤] عام ١٢٢٨م، ومن بعده : تولى الحكم بلدوين الثانى تحت وصاية حنا أوف برين ملك مملكة عكا الصليبية John of Birenne (١٢٢٨-١٢٣٧م)[٥]، ثم تولى الحكم منفرداً خلال المرحلة من ١٢٤٠ إلى ١٢٦١م.

١- Diehl, History of the Byzantine Empire. p. 143 .

٢- Runciman, Byzantine Civilization, p. 47 .

٣- يولند Yolande؛ أميرة لاتينية للقسطنطينية خلال المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م ، وهى أخت بلدوين الفلاندرزى Baldwin of Flanders، وهنرى أوف هينوت Henry of Hinault، وبعد زوجها بطرس كورتيناى Peter of Courtenay : حكمت الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية، وأثبتت أنها حاكمة قوية. وقد زوجت اثنين من بناتها زيجات تحالف الأولى : وهى أجنيس Agnes التى تزوجها جودفرى الثانى فلهاردوين Geodffrey II Villehardouin ، والثانية : وهى مارى Marie التى تزوجها ثيودور الأول لاسكاريس Theodore I Laskaris ، وقد أثارت وفاتها مسألة خلافتها إلى أن تولى من بعدها ابنها الأكبر روبرت أوف كورتناى ثم من بعد: ابنها الأصغر بلدوين الثانى. عنها أنظر:

Norwich . Byzantium, The decline and Fall, pp. 191-193 .

O.D.B., vol . III, p. 2215 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 282, p. 284 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 519- p. 520

٤- Runciman, Op. cit ., p. 47 .

٥- حنا أوف برين هو ملك مملكة بيت المقدس خلال المرحلة ما بين عامى ١٢١٠م، ١٢٢٥م وامبراطور =

وهكذا ؛ نلاحظ أن تلك الإمبراطورية لم يتول حكمها من يوصف بالحنكة السياسية أو الخبرة التى تمكنه من توطيد أركانها ولانزاع فى أنها منذ يومها الأول عجزت عن تحقيق الأمن والاستقرار لها وللبيزنطيين الذين نظروا إليها نظرة عدائية وقاوموها بكل وسيلة ممكنة .

بصفة عامة ؛ لم تعمر تلك الإمبراطورية طويلاً بل تعد أقصر إمبراطورية شهدتها العصور الوسطى، إذ لم يتجاوز عمرها المرحلة من ١٢٠٤م إلى ١٢٦١م[1]. من الممكن إدراك العوامل التى وقفت لتضع نهاية لذلك الجنين المشوه الذى خرج إلى الدنيا سفاحًا فى صورة الإمبراطورية اللاتينية المذكورة من خلال الآتى :

أولاً : كان الأمراء اللاتين وكذلك البنادقة - وهم الذين اشتركوا في الصليبية الرابعة لتحقيق مصالحهم الشخصية - أقل نفعًا لتلك الإمبراطورية ، وقد حدث التناحر، والتصارع بين الإمبراطور، والأمراء التابعين؛ على نحو أضعف ذلك الكيان السياسى الهش والدخيل على الأرض البيزنطية ، وبذلك ؛ وجدت عوامل الإنهيار الداخلى قبل العوامل الخارجية ، وتفاعلت تلك العوامل معًا فى توافق مثير للدهشة ؛ من أجل الإجهاز عليها بعد مرور ٥٧ عامًا فقط من ميلادها .

ثانيًا : من الملاحظ أن تلك الإمبراطورية ؛ لم تتمكن من صنع أية جسور للتفاهم ، والتواصل ، والتعايش مع البيزنطيين الذين صارت كارثة عام ١٢٠٤م حيّة فى عقولهم،

= القسطنطينية فيما بين عامى ١٢٢٨م ، ١٣٤٧م، وقد تلقى تاج مملكة عكا عندما تزوج مارى دى مونتفرت Montfeorat عام ١٢١٠م وفقده عام ١٢٢٥م عندما تزوجت ابنته ايزابيلا Isabella فردريك الثانى Frederick II ويلاحظ أن حنا دى برين يشتهر فى تاريخ الحروب الصليبية بقيادته الحملة على مصر بالاشتراك مع المندوب البابوى بلاجيوس وهى التى عرفت بالحملة الخامسة، عنه انظر: Oliver of Paderborn . The Capture of Damietta. Trans. by Joseph J. Cavigan in Peters. Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn, Pennsylvania 1971 , p. note (3)

محمود سعيد عمران ، الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م.

١- من المفيد الإشارة إلى أن من المؤرخين المسلمين من أشار إلى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين ، ومن أمثلتهم ابن الفرات ؛ حيث أشار إلى أن البيزنطيين استردوا عاصمتهم عام ٦٦٠هـ وهى تقابل عام ١٢٦١م، ما نصه: «لم تزل فى أيدى الفرنج إلى سنة ستمائة وستين فاستعادها الروم»، عن ذلك انظر ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م (٥) ج١ ، تحقيق حسين محمد الشماع، ط. البصرة، ب-ت ، ص١٧ .

متأججة فى نفوسهم[١]، وبذلك تمكن اللاتين بسلوكهم المتبرير ؛ من كسب عداء البيزنطيين منذ اللحظة الأولى التى احتلوا فيها العاصمة الإمبراطورية، - وهم يشبهون فى ذلك موقف الصليبيين عندما قدموا إلى بلاد الشام وسياستهم تجاه المسلمين وجاءت أحداث العداء والكراهية القديمة عبر قرون سابقة لتدعم العداء تجاه اللاتين .

ثالثًا : كانت محنة الاحتلال اللاتينى بمثابة الفرصة الذهبية لبعث الروح البيزنطية من جديد !! وإذا كانت عوامل الاختلاف الطائفى ، والعرقى، والسياسى فرقت مرات ومرات بين البيزنطيين من قبل؛ فإن كارثة الاحتلال المرير عادت لتجمعهم من جديد ، ومن ثم بدأ التنافس بين الإمارات المتعددة؛ من أجل تحقيق الهدف الرئيسى ؛ وهو استرداد القسطنطينية التى لم تعد حينذاك مجرد عاصمة فقط بل رمزاً تاريخيًا وسياسيًا بالغ التأثير فى البيزنطيين الذين تحرقوا شوقًا من أجل تخليصها من الاستعمار اللاتينى البغيض إلى نفوسهم .

رابعًا : لاننكر أن القائمين على الإمبراطورية اللاتينية ارتكبوا أخطاء سياسية قاتلة أفادت- دون أن يدروا- البيزنطيين ، فيلاحظ أنهم لم يتحالفوا مع البلغار وعلى رأسهم قيصرهم جوهانيزا Johanniza،[٢] وهكذا؛ وجدنا أن إمبراطورية نيقية البيزنطية تتحالف مع البلغار ضد المحتل اللاتينى، على نحو أكسبها قوة على قوتها ؛ وبالتالى حققت مكاسب سياسية كبيرة من وراء ذلك ضد الإمبراطورية اللاتينية الوليدة.

مهما يكن من أمر؛ تأكد للباحثين أن إمبراطورية نيقية على نحو خاص كان لها دورها فى استعادة القلب البيزنطى كى يتدفق بالحياة من جديد.

١- وفى هذا الشأن يقرر المؤرخ نورمان هاوسلى ما نصه :

"The Sack of Constantinople by the Crusaders and Venatians has been neither forgotten nor Forgiven by the Greek World" .

عن ذلك أنظر:

Housely , The Crusaders, London 2002, p. 79 .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢١٤ .

لقد قام تيودور الثانى لاسكارس بدور بارز فى دعم قوة البيزنطيين خلال المرحلة من ١٢٥٤م إلى ١٢٥٨م [١]، على حين كان اللاتين يمرون بمرحلة من الضعف المبكر لم يكن لهم من الممكن الخروج منها.

على أن أكبر الشخصيات البيزنطية البارزة حينذاك - بلانزاع- يتمثل فى ميخائيل الثامن باليولوغوس Michaul VIII Paleologus الذى حكم خلال المرحلة من ١٢٥٩ إلى ١٢٨٢م [٢]، وبعد صراع مرير مع قوى متعددة ؛ لاح من جديد الأمل الذى تصارع من أجله.

وكان قد تولى حكم الإمبراطورية اللاتينية بلدوين الثانى ١٢٢٨-١٢٦١م الذى طالت مدة حكمه ، ولم يكن يستطيع مواجهة المشكلات المتعددة التى أحاطت إمبراطوريته التى عاشت وسط نطاق بيزنطى عدائى ينتظر لحظة سقوطها التاريخية ، وقد طلب مساعدة الغرب الأوروبى .

جدير بالذكر : كان وضع تلك الإمبراطورية يشبه فى ملامحه العامة مع وجود فوارق بطبيعة الحال وضع مملكة بيت المقدس الصليبية التى عاشت وسط محيط إسلامى يناصبها

١- عنه أنظر : حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٨٤ .

Nicol. A Biographical dictionary , p. 122 .

٢- ميخائيل الثامن باليولوغوس Michael VIII Palaeologos، تولى المنصب الإمبراطورى خلال المرحلة ما بين عامى ١٢٦١ م إلى ١٢٨٢م، وقد ولد عام ١٢٢٥م، ويلاحظ توليه الوصاية على الطفل يوحنا الرابع لاسكاريس . وكان قد تمكن من أن يحمل لقب امبراطور للامبراطورية العائدة من ١٢٥٩م إلى ١٢٦١ م، وفى العام الأخير تولاه فى القسطنطينية ذاتها عنه أنظر:

Nicol. Op. cit ., pp. 89-90 .

Chapman , Michael Paleologue Restaurteur de L'empire byzantine (1261-1282). Paris 1926 .

Greankoplos , Emperor Michael Paleologus and the west 1258-1282. Cambridge . 1959 .

أيضًا : إسحق عبيد، الدولة البيزنطية فى عصر آل باليولوغوس ١٢٦١- ١٢٨٢م ، منشورات جامعة بنى غازى ، ط. بيروت ب-ت .

ليلى عبد الجواد ، «علاقة الدولة البيزنطية بسلطة المماليك البحرية ٦٥٩-٧٨٤هـ / ١٢٦١- ١٢٨٣م» مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة . العدد (٤٦) (٤٧) عام ١٩٨٦م، ص٥٧- ص١٣١ .أسمت غنيم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٦٨- ص١٧٠ .

العداء المستمر وكانت بالفعل مملكة فى نظر المسلمين غير شرعية ، كذلك استمر وجودها بمثابة عبء على الغرب الأوروبى الذى إتجهت إليه دومًا للحصول على حاجتها المتزايدة للمال والرجال ، أما الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية فقد نظر إليها البيزنطيون أيضًا على أنها غير شرعية هى الأخرى . ومع ذلك ينبغى أن ندرك أن هناك فوارق واضحة بين الكيانين، ويكفى أن الكيان الصليبى عمر نحو مائتى عام فى بلاد الشام؛ أى ما زاد على أربعة أضعاف المدة التى عمرتها الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ، كذلك لانغفل ؛ أن الكيان الصليبى ذاته كان كيانًا آسيويًا من الناحية الجغرافية مرتبطًا بالقارة الأوربية من خلال اتصال الصليبيين بالوطن الأم للحركة الصليبية فى أوروبا عبر البحر المتوسط ، أما الإمبراطورية اللاتينية فكانت كيانًا أوروبيًا خالصًا ، وإن تركت تأثيرها على الكيان الصليبى كما اسلفت الذكر من قبل .

على أية حال ؛ يعد عام ١٢٦١م عامًا فارقًا فى تاريخ البيزنطيين بصفة عامة ، وكذلك فى تاريخ ميخائيل باليولوغوس على نحو خاص ، وقد تمكن من خلال جهد جهيد من إخضاع كافة المناطق التى سيطر عليها اللاتين خارج أسوار القسطنطينية ، وقد أدرك بثاقب بصره ، عدم قدرته على مواجهة البنادقة إلا من خلال أعدائهم التقليديين وهم فى صورة الجنويين، وقد عقد معهم حلفًا من خلال معاهدة نيمفايوم Nymphacum عام ١٢٦١م وعرض عليهم نفس امتيازات البنادقة السابقة ، ولاريب فى أن ذلك العرض كان سخيًا وأسال لعابهم ووافق الجنويون أمام بريق الذهب البيزنطى الذى طالما خلب لبهم .

وفى يوم ٢٥ يوليو من عام ١٢٦١م ؛ عندما رحل الأسطول البندقى من القرن الذهبى، وجه أحد قادة ميخائيل باليولوغس ضربته بأن قامت قواته بدخول القسطنطينية[٢] وكان الفرار من

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص. ٢٢ .

وعن المعاهدة المذكورة أنظر :

فايز نجيب اسكندر، دراسة لإتفاقية تجارية بين إمبراطورية طربيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص٨ .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص. ٢٢ .

جانب الحكومة اللاتينية الدخيلة أكبر دليل وضاح دال على العجز عن مواجهة رد الفعل البيزنطى المحتوم ، وفى الشهر التالى ؛ وبالتحديد فى ١٥ أغسطس من ذات العام دخل ميخائيل باليولوغوس[١] القسطنطينية منتصراً وتم تتويجه فى كنيسة أياصوفيا Hagia Sophia بعد أن ظلت فى قبضة اللاتين نحو ٥٧ عامًا هى من أصعب الأعوام فى تاريخ بيزنطة بصفة عامة.

ولا مراء فى أن يوم ١٥ أغسطس ١٢٦١م[٢]، يعد يومًا محوريًا فى التاريخ البيزنطى؛ لأنه دلالة وضّاحة على قدرة تلك الإمبراطورية على مقاومة أعدائها ، والتجدد رغم تكالب الأعداء والمحن التى عصفت بها .

ومع ذلك ؛ من المهم الحذر من توهم أن تلك القيادة البيزنطية بمفردها تمكنت من تحقيق ذلك الإنجاز التاريخى إذ أن مئات الآلاف من البيزنطيين الذين لانعرف اسماءهم شاركوا فى صنع ذلك اليوم التاريخى ، وهناك بصفة مستمرة الحذر من نسبة الإنجازات الكبرى لافراد وابعاد الشعوب عنها ، وعندئذ تصدق العبارة القائلة : «إن التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون للحكام».

يلاحظ أن من المؤرخين الأوربيين ؛ ممن نظروا إلى دور ميخائيل باليولوغوس على أنه البطل «الأسطورى» المنقذ الذى أرسلته الأقدار ليقوم بذلك الدور التاريخى، وسط مصاعب ، ومشاق جمة غير مسبوقة فى التاريخ البيزنطى[٣].

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- أنظر على سبيل المثال:

Chapman , Michal Paleologue restaurateur de l'empire byzantintin (1261-1282). Paris, 1926 .

وأود أن ألفت إنتباه القارئ إلى المقدمة القيمة التى وضعها أ.د. اسحق عبيد لكتابه عن الدولة البيزنطية فى عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢ ، ط. بيروت ، ب-ت ، ص٩، ص١٢ . حيث انكر الدور الفردى فقط فى توجيه التاريخ وأشار إلى دور العوامل الداخلية وفعالياتها وتعاونها مع القيادة الفردية.

ومع تقديرى لذلك التصور جزئيًا من خلال دور ذلك القائد الفذ الذى قام بدوره فى وقت إحتاجت فيه بيزنطة له احتياجًا ماسًا وكان بالفعل رجل الساعة ، إلا أن الكيان اللاتينى ذاته كان قد دب فيه الضعف خاصة أنه كان كيانًا أشبه بجزيرة منعزلة تحيطها أمواج العداء، والكراهية وبالتالى لايملك مقومات وجوده الأصلية . وبدون ذلك العنصر وهو عنصر حاسم بلاريب- ما كان من الممكن لميخائيل باليولوغوس أن يقود البيزنطيين نحو تحقيق ذلك الإنجاز التاريخى فى ١٥ أغسطس ١٢٦١م، وبالتالى ؛ نقرر أن العوامل الداخلية والخارجية تعاونت معًا بالإضافة إلى أن الشعب البيزنطى تحت قيادته صنع معه ذلك اليوم بإنجازاته قيادته الواعية، دون أن يفهم من تلك العبارات أى تقليل من دوره ومكانته فى التاريخ البيزنطى فى عصره المتأخر .

وبعد ؛ فتلك كانت ملامح المرحلة العاصفة والعصيبة من التاريخ البيزنطى التى امتد بين عامى ١٢٠٤م، ١٢٦١م، وهى بلاريب مرحلة تعد استثنائية لانظير لها على ما زاد على (١١) قرنًا من عمر الزمان؛ فالإمبراطورية التى من قبل استعمرت غيرها صارت هى نفسها مستعمرة ومن جانب أعداء كانت تكن لهم الاحتقار والكراهية! وهكذا؛ دفع البيزنطيون الثمن من حريتهم نتيجة للصراع الاحمق علي المنصب الإمبراطورى، ناهيك عن «غياب الوعى بالتاريخ» ، حيث لم يدرك رجال السياسة حينذاك أن الاستعانة بالغرب لن تكون فى صالح أحد الأطراف المتنازعة بل سينشب مخالبه فى الجسد البيزنطى بلاريب.

ذلك أمر السياسة وتقلباتها ، أما الجوانب الحضارية ؛ فنذكر خلال تلك المرحلة ظهور عدد من الأعلام البيزنطيين فى مجالات متعددة ونكتفى بتقديم أمثلة فقط عنهم، وفى مجال التاريخ ، هناك المؤرخ نيكتاس خونياتس Nicetas Choniates (١١٨٥-١٢٦١م الـذى يرتبط إسمه دومًا بسقوط معشوقته ؛ بيزنطة، ولذلك تعد كتاباته مرآة صادقة لتطور أحداث تاريخها خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١٢٠٤م وخاصة كارثة العام الأخير ، ومع ذلك ينبغى ألانتصور أن اهتماماته اقتصرت على الكتابة التاريخية فقط، إذ أن هناك من يقرر تأليفه لكتاب كبير فى النطاق العقائدى عرف باسم «ثروة الأرثوذكسية» [٢] ؛ مما عكس تعدد مواهبه التأليفية .

١- أنظر عنه : المدخل الببليوغرافى .

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 23 .

وفى ذات مجال الكتابة التاريخية ، نشير إلى قسطنطين مانسيس Constantine Ma-nasses (ت ١١٨٥م) وقد وصف بأنه اتجه إلى العمل فى السلك الكنسى ، وألف كتابه حوليات العالم بدأه منذ الخليقة حتى عام ١٠٨٠م[١].

ثم هناك أيضًا ؛ ميخائيل جليكاس Michael Glykas (ت بعد عام ١٢٠٠م) وعرف أيضا باسم سيكيتيز Sikidites وهو مؤرخ عمل فى ديوان مراسلات الإمبراطور مانويل الأول إلى سنة ١١٥٩م ، وقد ألف كتابًا فى التاريخ تناول الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ١١١٨م[٢].

أما في المجال الكنسي؛ فنذكر من الاعلام الذين ظهروا خلال تلك المرحلة يوحنا ميساريتس John Mesarites، وقد ترهب في دير من الأديرة المتعددة التى وجدت فى القسطنطينية، وفيما بعد؛ صار أستاذاً لتفسير الكتاب المقدس، ومما يذكر عنه؛ معارضته الشديدة للكنيسة الرومانية وقد قام بالاشتراك مع أخيه نيكولا بالدفاع عن الأرثوذكسية من خلال محاورات مع مندوبى البابوية وذلك فى عام ١٢٠٤م [٣].

وفى المجال الحربى؛ نذكر من الأعلام الكسيوس ستراتيجوبولس Alexius Strategopulos الذى عمل كضابط فى جيش ميخائيل الثانى باليولوغوس ، وقد ساهم فى معركة حدثت ضد الحاكم ميخائيل الثانى سيد ابروس وحلفائه عام ١٢٥٩م، واشتهر فى التاريخ باقتحامه المفاجئ للعاصمة البيزنطية فى يوليو عام ١٢٦١م ؛ مما نتج عنه تخليصها من السيطرة اللاتينية [٤].

على أية حال ؛ من الأمور المؤكده أن ظهور أولئك الأعلام فى مختلف المجالات يعكس لنا قدرة بيزنطة «الجريحه» على أن تنجب لنا الأبناء البارعين الذين مثلت أحداث ١٢٠٤م تحديًا لقدراتهم فكانت تلك الاستجابة التى حفظها لها التاريخ ، ولاريب أن وقت الخطر تستنفر المواهب من أجل إبرازها ، وهذا ما حدث بالفعل على المستوي التاريخى حينذاك، حيث أن التاريخ ذاته تحدى به واستجابه.

١- Nicol , A Biographical dictionary, pp. 77-78 .

٢- Ibid, p. 44 .

٣- Ibid, p. 84 .

٤- Ibid, p. 116 .

مهما يكن من أمر ؛ عند مقارنة أسرة أنجيلوس مع غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة عليها، نجد أنها حكمت سنوات قليلة لاتتجاوز العقدين من عمر الزمان، وهى مرحلة قصيرة لاتصل أحيانًا إلى حكم إمبراطور بيزنطى واحد فى عهود الأسرات الأيسورية أو المقدونية كذلك حكم خلال عهدها خمسة أباطرة فقط.

والواقع ، أنها تعد أسرة أقل شأنًا إذا ما قورنت بالأسرات السابقة من حيث السياسة والحضارة، فلم تفرز لنا إمبراطوراً فى أهمية هرقل أو ليو الثالث الأيسورى ، أو باسل الثانى.

ومع ذلك ؛ من الإنصاف القول: أن مراحل التدهور والضعف البيزنطى التى لمسناها بجلاء على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٢٥ مع وفاة باسل الثانى حتى ١٢٠٤م تجمعت فى أسرة انجيلوس، وبعبارة أخرى: فإن أخطاء الأسرات السابقة سواءً المقدونية - وفى قسم منها- وأسرتى دوكاس وكومنين كان حصادها فى تلك الأسرة دون أن يعني ذلك تبرير أو تبرئة أباطرتها من مسئولية ما حل ببيزنطة عام ١٢٠٤م.

ومن الممكن القول بموضوعية ؛ أن أسرة أنجيلوس هى النتاج الحقيقى لسياسات آل كومنين خاصة فى صورة الإمبراطور مانويل كومنين الذى فصّلت أمر سياساته وتقويمها من قبل، ولذلك لاتتجاوز الحقيقة إذا تم التأكيد على أنها كانت مهيأة أكثر من غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة ليحدث فى عهدها سقوط القسطنطينية الأول.

ذلك عرض عن تاريخ أسرة أنجيلوس؛ أما أسرة باليولوج التالية لها فتتناوله الصفحات التالية.

تاسعًا : أسرة باليولوج (١٢٦١- ١٤٥٣م)

تتعرض الصفحات التالية : الآخر الأسرات البيزنطية الحاكمة ؛ ألا وهى أسرة باليولوج[1] التى امتد حكمها إلى أكثر من قرنين من الزمان، لرصد عوامل الإنهيار النهائى التي اتضحت بجلاء فى خلال تلك المرحلة أكثر من المراحل السابقة فى التاريخ البيزنطى مما أعطاها طابعًا مميزاً عن غيرها من الأسرات الحاكمة .

جدير بالإشارة ؛ تولى الحكم خلال القرنين المذكورين عدد من الأباطرة : ميخائيل الثامن Michael VIII (١٢٦١- ١٢٨٢م) وأندرونيكوس الثانى Andronicos II بالاشتراك مع ابنه ميخائيل التاسع Michael IX ، (١٢٨٢- ١٣٢٨م) ، وأندرونيكوس الثالث Andron- icos III (١٣٢٨-١٣٤١م) ، ويوحنا الخامس John V (١٣٤١-١٣٤٦م) ، ويوحنا السادس John VI كنتاكوزين Cantacuzene (١٣٤٦-١٣٥٥م)، وأندرونيكوس الرابع Andronikos IV (١٣٥٥- ١٣٧٩م) ويوحنا الخامس (المرة الثانية) ١٣٧٩-١٣٩١م، ويوحنا السابع John VII ١٣٩٠م، ومانويل الثانى Manuel II (١٣٩١- ١٤٢٥م) ، ويوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥-١٤٤٨) ، وأخيراً قسطنطين الحادى عشر Constantine (١٤٤٨- ١٤٥٣م) .

١- عن أسرة باليولوج أنظر:

Head , Imperial Twilight : The Palaeolouns Dynasty and the decline of Byzantium , Chicago 1977 .

مع ملاحظة أن الإضمحلال البيزنطى سابق على عهد تلك الأسرة .

Diehl, Etudes Byzantines, Introduction a L'Histoire de Byzance, Paris 1905 , pp. 217-240 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 580-721 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 401-509 .

Browning , The Byzantine Empire, pp. 228-292 .

Norwich, Short History of Bzantium, pp. 307-381 .

صلاح ضبيع، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية فى عصر آل باليولوغوس ١٢٦١- ١٤٥٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة جنوب الوادى عام ١٩٩٨م، وأود الإشارة بالجهد المبذول فى هذه الأطروحة العلمية.

إن نظرة متأنية لأولئك الأباطرة يتضح لنا من خلالها ؛ أن هناك من حكم أعوامًا طويلة مثل أندرونيكوس الثانى الذى حكم ٤٦ عامًا ، ومن بعده مانويل الثانى الذى امتدت مدة حكمه ٣٤ عامًا ، ولانغفل أيضًا؛ أندرونيكوس الرابع الذى شغل المنصب الإمبراطورى ٢٤ عامًا، وفى المقابل هناك من الأباطرة من أدار أمور الإمبراطورية مدة زمنية قصيرة فى صورة يوحنا السابع الذى لم يحكم إلا عامًا واحداً.

ويلاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة تعد مرآة - بصفة عامة- للأسرات البيزنطية السابقة على مدى القرون العديدة التى عاشتها تلك الإمبراطورية «المعمرة» ؛ إذ هناك الإمبراطور المؤسس وهو ميخائيل باليولوغوس وهو أهم الأباطرة الذين حكموا خلال القرنين البيزنطيين الأخيرين ونعنى بهما المرحلة الممتدة من العقد السادس من القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر ، والأمر المؤكد ؛ أن الإمبراطور المؤسس حظى باهتمام المؤرخين أكثر من أى إمبراطور آخر؛ وهى ظاهرة أدركناها من خلال عرضنا السابق.

كذلك هناك ظاهرة الإمبراطور الذى يحكم بمساعدة آخر، كما لاحظنا ذلك فى حالة أندرونيكوس الثانى الذى حكم خلال الأعوام من ١٢٨٢ إلى ١٣٢٨م بالاشتراك مع ابنه ميخائيل السابع، كذلك نلمح ظاهرة أخرى من الظواهر المرتبطة بالتاريخ البيزنطى وهى اغتصاب العرش ونجد مثالاً دالاً عليها فى يوحنا السادس الذى حكم من ١٣٤٦م إلى ١٣٥٥م.

والواقع ، أن تلك الأسرة تختص بخاصية تميزها عن غيرها من الأسرات السابقة وهى أنها شهدت السقوط النهائى لبيزنطة، ولذلك كثر تصور المؤرخين بأنها المسئولة عن الإنهيار البيزنطى عام ١٤٥٣م. ولذلك فهى بالتالى من أكثر الأسرات التى من الممكن على مستوى الكتابة التاريخية أن تظلم من خلال دراسة السقوط دون البحث فى جذوره التاريخية الدفينة وهكذا؛ فإن ذلك الأمر يجعلها تمتاز بأنها شهدت حادثة الممات البيزنطى وبالتالى فهى الأسرة التى بعدها وجد الإنقطاع وعدم التواصل .

١- عنه أنظر: ناهد عمر صالح ، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور أندرونيقوس الثانى باليولوجوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٩م.

على أية حال؛ من الملاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة حكمت كيانًا محدوداً في صورة ما تمكن ميخائيل الثامن باليولوغوس في إسترداده في صورة ما سيطرت عليه إمبراطورية نيقية في آسيا الصغرى، ثم هناك القسطنطينية ، وتراقيا ، وقسم من مقدونيا ، وقد صارت مدينة سالونيك بمثابة مدينة محورية ، ولانغفل كذلك عدة جزر أبرزها رودس ، ومن الملاحظ عن عهد ميخائيل الثامن إنشغاله بالصراع مع القوى السياسية في الغرب الأوربي مثل شارل الأنجوي Charles d'Anjou [1]، الذي وضع خطة لمهاجمة الأراضي البيزنطية وكذلك الصراع بينه وبين البابوية والبنادقة ؛ كل ذلك جعله لايتفرغ لمواجهة الخطر المحدق بالإمبراطورية البيزنطية من جهة الشرق في صورة الأتراك العثمانيين ، وبالتالي واجه جبهتين حربية في الشرق وسياسية في الغرب دون أن يتفرغ تمامًا لأية واحدة منهما ، ولانغفل هنا؛ الإشارة إلى

١- شارل الأنجوى Charles d'Anjou (١٢٢٦-١٢٨٥م) : هو شقيق الملك لويس التاسع Louis IX (١٢٢٣-١٢٧٠م) ملك فرنسا ، ويعد أصغر إخوته ، ويلاحظ أنه انتصر على خصمه مانفرد بن فردريك الثاني هو هشتاوين في معركة بنفينتو Beneventino في ٢٦ فبراير ١٢٦٥م وآلت له أملاك الصقليتين ، وقد توجه البابا كليمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥- ١٢٦٨م) عام ١٢٦٦م ملكًا على نابولي Napoli ، وصقلية Sicily ، ومما يذكر عنه اعدامه لمنافسه كونرادين عام ١٢٦٨م ، كما قام بانتزاع ألبانيا من الإمبراطورية البيزنطية ، كذلك اشترك في حملة لويس التاسع على تونس ، وهي التي توفى فيها ملك فرنسا في ٢٥ أغسطس ١٢٧٠م، عنه أنظر :

محمود سعيد عمران ، «شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس» ، ندوة بلاد المغرب وعلاقاتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى/ التاسع الهجرى، القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م. أميرة مصطفى أمين يوسف ، «كونراد وعرش الصقليتين» ، المؤرخ المصرى ، العدد (٢٥) يناير ٢٠٠٢م ص٨٥ ، محمد عبد العزيز ، «تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩١م» ، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وابراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م، ص٤٧٠ ، ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد الباز العرينى ط. بيروت ١٩٩٣م، ج٣ ، ص٥٠٠- ص٥٠١، مصطفى الكنانى، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠ م / ٦٦٩هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص٢٣١- ص٢٣٧ ، ليلى عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك ، ص٧٥، حاشية (١)، محمد شفيق غربال (محرر)، الموسوعة العربية الميسرة ، ط. بيروت ١٩٩٥م، م (٢) ، ص١٠٦٤ .

Waley, Later Medieval Europe from St. Louis to luther , London 1976, p. 38 .

أن الإمبراطورية المذكورة على مدى تاريخها المديد ؛ واجهت خطرين من جهتين مختلفتين؛ وهو أمر لاحظناه منذ مرحلة مبكره من عهود الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد أسرة جستنيان عندما واجه الفرس والجرمان على سبيل المثال على نحو جعلها مبعثرة الجهود فى مواجهة الخطرين فى وقت متزامن .

من زاوية أخرى ؛ يذكر عن عهد الامبراطور ميخائيل الثامن باليولوغوس ؛ اتجاهه إلى الحصول على دعم البابوية لشرعية حكمه فى مقابل اعترافه بتبعية الكنيسة الأرثوذكسية للبابوية من خلال مجمع ليون lyons [١] عام ١٢٧٤م، والواقع ؛ أنه مارس بمهارة لعبة توازن القوى Balance of Powers انتهز فرصة إنزعاج البابا جريجورى العاشر Gregory X[٢] (١٢٧١- ١٢٧٦م) من تنامى قوة شارل الأنجوى، كما أستفاد من رغبة البابوية فى فرض سيادتها على كنيسة القسطنطينية وبالتالى ؛ عقد الاتفاق المذكور، وقد أفاده ذلك فى أن أعطاه حرية الحركة ضد خصومه حيث قام بشن هجوم على ابيروس ضد قوات شارل الأنجوى

١- عن ذلك انظر: أمل أحمد حامد ، مجمع ليون الثانى ١٢٧٤م ، دراسة فى مشروع الوحدة بين كنيستى القسطنطينية وروما فى القرن الثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م، وهى الدراسة العربية الوحيدة فى موضوعها .

Constantinides , Byzantine Scholars and the Union of Lyons (1274) , in Beuton and Roveche , (eds.) The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies , King's College , London 1993, pp. 86-93 .

Vasiliev , Histoy of the Byzantine Empire, p. 657-659, p. 662-663 . Ostrogorcky, History of the Byzantine State, p. 409, p. 433 , p. 500 .

Kelly , Oxford dictionary of Popes, p. 198 .

٢- البابا جريجورى العاشر Gregory (١٢٧١- ١٢٧٦م): تولى المنصب البابوى من يوم ١ سبتمبر ١٢٧١ إلى ١٠ يناير ١٢٧٦م وذلك عقب وفاة البابا كليمنت الرابع Clement IV (١٢٦٥-١٢٦٨م) ، ويلاحظ أنه وضع نصب عينيه القيام بحملة صليبية ، كذلك يذكر عن ذلك البابا أنه مات فى العاشر من يناير عام ١٢٧٦م، وقد دفن فى دومو Duomo، وأضاف بندكت الرابع عشر Benedict XIV ، اسمه إلى سجل علم الشهداء الرومانى The Roman Martyrology ، ويوافق عيده هو يوم ١٠ يناير غير أنه منذ عام ١٩٦٣م، صار ذلك يوم ٩ يناير عنه أنظر:

Kelly, Op. cit, p. 197- 199 .

كما تدخل فى تساليا Thessalia كذلك حارب البنادقة فى أبوليا Apolia وتوغل فى آخايا التى مرت بمرحلة ضعف فى أعقاب وفاة وليام فلهاردوين بعد توقيع الاتفاق مع البابوية بأربعة أعوام وتحديداً عام ١٢٧٨م[١].

مهما يكن من أمر؛ من الضرورة بمكان إلقاء الضوء على نحو موجز على الأتراك العثمانيين؛ وهم الذين شكلوا القوة الخارجية الفعالة فى التاريخ البيزنطى حينذاك حتى نهايته.

وبصفة عامة : فإن الأصول الأولى للأتراك العثمانيين يكتنفه الغموض ، ومع ذلك من الممكن القول بأنهم ينتمون إلى قبيلة تدعى قبيلة قابى التركية ، وهى إحدى العشائر البدوية شديدة المراس من بين عناصر الأتراك الأوغور[٢]، وقد قدمت من أواسط قارة آسيا حيث شكل استبس وسط تلك القارة عنصراً مكونًا لشرقى وغربى أوروبا على مدى تاريخه ، ووصلت إلى أعلى منطقة الجزيرة الفراتية، واستقرت من بعد ذلك فى منطقة خلاط، ويقال أنها

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٢٥ .

٢- عن أصل الأتراك العثمانيين أنظر:

ابن أبى السرور البكرى ، المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية، ت. ليلى الصباغ ط. دبى ١٩٩٥، ص٨- ص١٨ . محمد فؤاد كوبريللى، قيام الدولة العثمانية، ت. أحمد السعيد سليمان، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص١١٩- ص١٢٢ ، ويعد أفضل من درس تلك الزاوية بالإضافة إلى جيبونز ، إسماعيل ياغى، الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، ط. الرياض ١٩٩٨م، ص٩- ص١٠ ، العالم العربى فى التاريخ الحديث ، ط. الرياض ١٩٩٧م ، ص١٤ ، أكمل الدين حسام أوغلى (تحرير) ، الدولة العثماني تاريخ وحضارة ، ت . صالح سعداوى، ط. استانبول ١٩٩٩م، ص٨- ص١٠ ، نبيل عبد الحى رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس وإسترداده فى مطلع العصر الحديث، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م، ص١٦-١٧ ، صلاح هريدى ، دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩--٢٠٠٠م، ص١٧ ، رأفت الشيخ ومحمد رفعت ، آسيا فى التاريخ الحديث والمعاصر، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٩٧ .

quotaert, The Ottoman Empire 1200-1922, Cambridge 2000, p. 13 .

Inalcik , " L'Empire Ottoman ", Acts du Congres international des etudes balkaniques et Sud-est enropenne, III, Sophia 1969, p. 76-77 .

Gibbons, The Foundafions of the Ottoman Empire, Oxford 1916 .

ويعد أفضل دراسة فى موضوعها بالإنجليزية حتى الآن وتقابلها بالتركية دراسة محمد فؤاد كوبريللى السالفة الذكر .

غادرتها من بعد ذلك عام ١٢٢٩م ، ثم هبطت من بعد ذلك إلى حوض نهر دجلة ، ثم قامت بالهجرة إلى أرزنجان فى آسيا الصغرى، وهكذا ندرك تمامًا ؛ أن تلك التحركات الديموغرافية حدثت فى وقت كانت فيه الإمبراطورية البيزنطية تعانى من الاحتلال اللاتينى لعاصمتها.

على أية حال؛ فإن ذلك التحول إلى آسيا الصغرى حدث بقيادة أرطغرل (ت ١٢٨١م) وقد حمل لقب الغازى لكثرة معركة ضد البيزنطيين[١]. ومن بعده ؛ تولى الحكم ابنه عثمان (١٢٨٨-١٣٢٦م) الذى يذكر له التاريخ تأسيسه على مدى سنوات متعددة تلك الدولة التى حملت اسمه ، وهناك من يقرر أن عهده شهد تحديد الوضع السياسى والدينى والعسكرى للأتراك العثمانيين[٢].

بصفة عامة؛ فإن تحول تاريخ العثمانيين من مجرد إمارة حدودية إلى إمبراطورية كبيرة كان بمثابة «لغز تاريخى»[٣]، فى تصور البعض وفى تقديرى أن الجهاد الإسلامى مع عدم إغفال الدوافع الاقتصادية الأخرى هى المفتاح الحقيقى لفهم ذلك التطور التاريخى الفعال والمؤثر فى تاريخ العلاقات الدولية حينذاك .

لقد كانت الدولة البيزنطية التى خرجت منهكة من الصراع مع اللاتين ، بمثابة الميدان الحيوى لتوسعات الأتراك العثمانيين وقد تمكن عثمان بن أرطغرل من السيطرة على مدينة بورصة فى العام الأخير من حكمه أى عام ١٣٢٦م.

أى عام ١٣٢٦م[٤]. ومن بعده ؛ تولى الحكم خلفه أورخان ؛ الذى امتد عهده من ١٣٢٦م

١- أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، ت. عبد القادر الدنا، تحقيق عبد اللطيف الحميد،، ط. بيروت ١٩٩م، ص٩٨ .

سهيل طقوش، التاريخ الإسلامى الموجز ، ص٣٤٥ .

٢- نفسه، ص٣٤٦ ، وعنه أنظر: حسين مجيب المصرى، صلات بين العرب والفرس والترك، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣١١ .

٣- Inalcik, Op. cit , p. 76 .

٤- عن عثمان أنظر :

سعيد أحمد برجاوى، الدولة العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى، ط. بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٥ .

نبيل عبد الحى رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، ص١٨- ص١٩ .

زينب بيرچكلى، شعر الثورات الداخلية فى العهد العثمانى، ط. عمان، ١٩٩٩م، ج١، ص١٧ .

إلى ١٣٥٩م[١]، وقد قام بإخضاع مدينة نيقية Nicea بآسيا الصغرى بعد ٦ أعوام فقط من توليه السلطة، كما حاول جاهداً أن ينطلق من آسيا الصغرى إلى أوروبا عبر البسفور ، ونجده في عام ١٣٣٧م تمكن من الوصول إلى قلب العاصمة القسطنطينية - في تطور غير مسبوق- إلا أنه انسحب من جراء المقاومة البيزنطية له[٢]، وأهمية محاولته أنها كشفت عن أن عمر محاولات الأتراك العثمانيين لإخضاع تلك العاصمة امتد من عام ١٣٣٧م إلى ١٤٥٣م فنال الأتراك العثمانيون خبرة حربيه بارزة في صراعهم معها، ويلاحظ أن نفوذهم أخذ في التزايد على نحو أدى إلى ضآلة الأملاك البيزنطية في آسيا الصغرى، بل إن الأتراك العثمانيين عملوا على مهاجمة المدن البيزنطية بصورة عكست مدى الضعف، والهوان الذي وصلت إليه تلك الإمبراطورية التي بلغت من الكبر عتيًا .

لانغفل هنا: أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث[٣] باليولوغوس Andronicos III Palaiologos (١٣٢٨-١٣٤١م) أمام تزايد خطر الأتراك العثمانيين حاول جاهداً أن يطلب من

١- وعن عهد أورخان أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire from earliest times to the end of the Sixteenth Century , Leiden 1972, pp. 38-40 .

Norwich , Short History of Byzantium , pp. 339-340 .

سيار الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث ، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص٣٠٤- ٣٠٥ ، أحمد عثمان، تاريخ اليهود ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج٣ ، ص٩ .

٢- عن ذلك أنظر:

نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس، ص١٩- ص٤٣ .

٣- أندرونيكوس الثالث هو الابن الأكبر لميخائيل التاسع المتوفى عام ١٣٢٠م ، كما أنه يعد حفيداً لأندرنيكوس الثاني ، وقد تولى حكم الامبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عام ١٣٢٨م، ١٣٤١م، عنه أنظر:

Browning, History of the Byzantine Empire , p. 234 . Nicol A Biographical dictionary , p. 8.

Norwich, Short History of Byzantium , pp. 337-338 .

Vasiliev , History of The Byzantine Empire , p. 444-454 .

البابا بندكت الثانى عشر Benedict XII (١٣٣٤-١٣٤٢م)[١] شن حملة صليبية من الغرب الأوروبى لحماية ما تبقى لبيزنطه من أملاك ؛ إلا أن ذلك المسعى أخفق لعدة أسباب رئيسية يمكن إجمالها كالآتى :

أولاً : كان الاختلاف المذهبى القائم بين كنيستى القسطنطينية وروما بمثابة حجرة عثرة فى مواجهة أية إمكانية للاتفاق بين الطرفين وكان الثمن الذى تطلبه البابوية بصفة عامة فادحًا وتمثل فى إعلان الخضوع لها من جانب الكنيسة المنافسة لها على مدى قرون خلت أى كنيسة القسطنطينية.

ثانيًا : كان الغرب الأوروبى قد تغيرت أحواله السياسية وشغلت كل دولة بظروفها الخاصة. ولم يعد هناك الاهتمام البارز بأمور الدولة البيزنطية ، وهكذا ؛ فإن كل دولة شغلت بقضاياها الداخلية عن أن تقدم المساعدة لإمبراطورية تاريخها السابق حافل بالصدام مع الغرب اللاتينى.

بصفة عامة ؛ يؤكد لنا ذلك كله أوجه التشابه والاختلاف بين طلب الإمبراطور الكسيوس - من قبل- مساعدة الغرب الأوروبى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى وقيام البابا أوربان الثانى (١٠٨٩-١٠٩٩م) بتبنى تلك الاستغاثة البيزنطية [٢]، واتجاه الإمبراطور أندرونيكوس الثالث إلى تكرار الأمر مع البابا بندكت الثالث عشر، إلا أن الظروف التاريخية كانت قد تغيرت إلى حد كبير .

ولم تكن الروح الصليبية بنفس قوتها فى القرن الرابع عشر الميلادى، مثلما كانت من قبل فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى ؛ إذ أدركت أوربا بعد قرنين كاملين كيف دفعت ثمنًا باهظًا فى صورة مشروعها التوسعى على حساب الشرق من أبنائها القتلى ونسائها

١- حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٩٨ .

البابا بندكت الثانى عشر : تولى المنصب البابوى خلال المرحلة من ٢٠ ديسمبر ١٣٣٤م إلى ٢٥ أبريل ١٣٤٢م، وذلك فى أعقاب الباب نيقولاس الخامس Nicolas V وهو بابا غير شرعى تولى بدوره مقعد القديس بطرس خلال المرحلة من ١٣٢٨ إلى ١٣٣٠م . عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, p. 210- 211 .

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل.

الأرامـل [١]، بالإضافة إلى اختلاف نوعية البابا أوربان الثانى وبندكت الثالث عشر حيث كان الأول نتـاجًـا لصـحـوة ديركلونى Cluny على نـحـو لم يـتـأت للثـانى، وهكذا ، فـإن الظروف التاريخية حينذاك ونوعية القيادة الدينية لم تكن فى صالح تصور الإمبراطورية البيزنطية فى شن حملة صليبية مدعمه لها لصد التوسع العثمانى.

مـهـمـا يكن من أمر؛ من الملاحظ أنه خلال عـهـد الامبراطور يوحنا السـادس كنتـاكـوزين[٢] John VI Cantacuzene وتحـديدا فى عـام ١٣٤٧م أى العـام الأول من حكمـه (١٣٤٧-١٣٥٥م) تعـرضت الامـبـراطورية إلي جانب الخطر الخـارجى، إلى كـارثة طبـيـعـيـة فى صـورة

١- أدى ذلك إلى ظهور رأى عام مضاد للحروب الصليبية فى الغرب الأوروبى عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة القيمة :

Throop, Criticism of the Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Amsterdam 1940 .

جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين، ص٣٣٦-٣٣٧ .

٢- يوحنا السادس كنتاكوزين ؛ هو إمبراطور بيزنطة خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٣٤٧م، ١٣٥٣م، وانتمى إلى احدى الأسرات البيزنطية النبيلة ذات الأملاك الواسعة ، ويقرر دونالد نيكول تبنيه لأفكار خاصة باحيا ، الإمبراطورية غير أن عامة الناس ما كانوا يثقون فيه نظراً لتمثيله الطبقة الارستقراطية، بصفة عامة؛ اتجه إلى التأليف فألف بعض الرسائل الدينية، وتأثر بالأفكار التصوفية، كما ألف تاريخه السالف الإشارة إليه فى المدخل البليوغرافى من هذا الكتاب، وقد توفى يوحنا السادس كنتاكوزين عام ١٣٥٣م، عنه أنظر:

Nicol, The Reluctant Emperor , Abiography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk , (1295-1353), Cambridge 2002, pp. 29-186 , Id , The Byzantine Lady Ten Portrait 1250- 1500 , Cambridge 1994 , p. 71 , p. 81 , pp. 84 , Id , A Biographical dictionary, pp. 57-58 .

Norwich, Byzantium , The decline and Fall, pp. 276-282 .

Browning , The Byzantine Empire , pp. 235-240 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 443 , p. 472 .

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, pp. 584-585 .

اسمت غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص١٧٠ ، سيد الناصرى، الروم والمشرق العربى، ص٤٦٩-ص٤٧٠ ، حسنين ربيع دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٩٩ .

الطاعون الذى اشتهر فى التاريخ باسم الفناء الكبير أو الموت الأسود The Black Death[١] وقد انتقل من آسيا إلى مايوتس Maeotus (بحر أزوف Azov) [٢]، وامتد إلى جزر بحر إيجه، وشاطئ البحر المتوسط ، ويقدم حنا كنتاكوزين فى تاريخه وصفًا مؤثرًا للأثر الكبير لذلك الطاعون فى الفتك بالسكان بأعداد غفيرة على نحو بعيد للأذهان الصورة التى وصف بها المؤرخ اليونانى ثيكوديدز Thucydides فى الجزء الثانى من تاريخه للطاعون الأثينى Athenian Plague؛ على نحو يدل دلالة وخاصة على حجم كارثة انتشاره [٣].

١- عن الفناء الكبير بصفة عامة أنظر: المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٠م، ص٣٣- ص٣٥ ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٤ ، تحقيق سعيد عاشور، ط. القاهرة، ص٩٤١ - ص٩٤٤ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة،ج١، ص٢٠٤ .

Dols , The Black Death in the Middle East , Princeton 1977 Ziegler , The Black Death , London 1960 .

على السيد على، «الفناء الكبير»، والموت الأسود فى القرن الرابع عشر الميلادى- دراسة مقارنة بين الشرق والغرب» المجلة التاريخية المصرية ، م (٣٣)، عام ١٩٨٦م ، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص٤٨٣، قاسم عبده قاسم وعلى السيد على، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسى والعسكرى، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٩١- ص١٩٤ . دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص١٣٣-ص١٣٥ ، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٥٥- ص٥٩ .

٢- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 626 .

٣- Ibid , p. 626 .

وثيكوديدز ، مؤرخ أثينى ولد عام ٤٦٠ ق.م وتتلمذ على أيدى مشاهير الخطباء والفلاسفة مثل أناكساجوراس وبروتاجوراس وعندما نشبت حرب البليبونيز بين أثينا واسبرطه شارك فيها، ويوصف بأنه أبو النقد التاريخى، وتمتاز كتابته عن تلك الحروب بالموضوعية والدقة ، كما نلاحظ أنه لايرجع للآلهة التثير فى كل كبيرة وصغيرة فى الأحداث والوقائع ، عنه أنظر:

Freedman , The Greek Achievement, The Foundation of the western World , New York 1999, pp. 205-206 .

ويضاف إلى ذلك، قدم الكاتب الايطالى بوكاشيو[١] Bocccacio (١٣١٣م-١٣٧٥م) فى قصته الشهيرة بعنوان : ديكايرون Decameron ؛ وصفًا لنفس الطاعون وتأثيره فى إيطاليا حيث إمتد إليها وكذلك فرنسا ، واسبانيا ، والنرويج وانجلترا[٢] مما عكس طابعه العالمى وليس البيزنطى فقط.

ووفقًا لما أورده المؤرخ المعاصر ديمتريوس كيدونيس Demetrios Kydones؛ نعرف أن حجم الخسائر كان كبيراً من جراء ذلك الطاعون، وقد قرر أنه فى كل يوم نذهب بأصدقائنا إلى القبور، وفى كل يوم نجد المدينة الكبيرة- يعنى القسطنطينية - أكثر خلواً من السكان وأعداد القبور فى تزايد مستمر، وقد عجز الأطباء أن يفعلوا شيئًا فى مواجهة تلك الأحداث [٣].

ويلاحظ أن ذلك التأثير امتد على مدى عام ونجد أثر الطاعون فى العاصمة البيزنطية، وكذلك فى سالونيك، أو أدريانوبل، وهناك من يقرر أنه بلغ طرابيزون فى سبتمبر ١٣٤٧م[٤].

ولانغفل ؛ أن الوباء المذكور أصاب أندرونيكوس Andronikos ابن حنا كنتاكوزين كذلك فتك بصديق صدوق له هو يوحنا انجيلوس John Anglos الذى عينه حاكمًا لتساليا عام ١٣٤٢م[٥].

= فوزى مكاوى ، تاريخ العالم الاغريقى وحضارته ، ص٢٥٢ ، لطفى عبد الوهاب، اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص١٧١- ص١٧٣ حيث يتعرض لحروب البليوتيز التى وصفها ذلك المؤرخ اليونانى البارز .

١- زينب راشد، تاريخ أوربا الحديث، ص٧٩ .

وبوكاشيو (١٣١٣-١٣٧٥م) من أعلام النهضة فى إيطاليا ، نعرف أنه إتجه إلى القسطنطينية : كى يدرس الدراسات الكلاسكيية ، وبالفعل بلغ فيها شأنًا كبيراً ، وقد برع فى اللغة الايطالية لاسيما كتابة من يقرر أنه شرع فى تأليفه عقب انتشار الطاعون المذكور وكان قد بلغ من العمر ٣٥ عامًا .

عن ذلك أنظر:

زينب راشد ، المرجع السابق، ص٧٩ .

٢- Vasiliev, Op. cit. p. 626 .

٣- Demetrios Kydonies Letters , ed. R.J. Loenertz, vol . I Vatican City , 1956, pp. 121-122 .

نقلا عن : Nicol , The Relnctant Empir, p. 93 .

٤- Ibid , p. 93 .

٥- Ibid, p. 93 .

وبناء على ذلك ؛ ندرك أن الطاعون قد أحدث تأثيره المدمر على البنية السكانية البيزنطية على نحو هيئأ للأتراك مهاجمة شمالى بلاد اليونان واحتلاله [١]، وكذلك كافة جوانب النشاط الاقتصادى ، كذلك ترك أثره على الناحية النفسية من ناحية أخرى ؛ كانت الامبراطورية فى عهد ذلك الامبراطور بطبيعة الحل. حيث عمق الشعور بالموت، والخوف منه أكثر من ذى قبل[٢].

من ناحية أخرى ؛ عانت الامبراطورية فى عهد ذلك الامبراطور من الصراع الداخلى ، وحدوث حرب أهلية من جانب القيادات السياسية البيزنطية، فقد حدثت مؤامرات قام بها يوحنا الخامس باليولوج الخامس John V Paleolgos انتهت بطرد كتناكوزين من العرش ، كذلك تنازع يوحنا الخامس مع ابنه اندرونيكوس الرابع Andronicos IV ، كذلك حدث صراع بين الأول وحفيده يوحنا السابع John VII[٣].

لقد كان ذلك الصراع من أخطر ما واجه بيزنطة حينذاك؛ إذ أن الأطراف المتصارعة بحثت عن حليف ولم يتورع البعض منها عن طلب مساعدة الأتراك العثمانيين ونجد ذلك واضحًا فى تحالف حنا كنتاكوزين معهم[٤]. وجاء ذلك بمثابة الفرصة الذهبية السانحة ليكون للأتراك العثمانيين القدرة على تشكيل الخريطة السياسية البيزنطية من خلال التحالف مع البعض ضد البعض الآخر؛ تعميقًا لهوة الخلاف بين كافة الفرقاء البيزنطيين .

١- عن ذلك انظر:

Nicol , The Reluctant Emperor , p. 92. Id, A Biographical dictionary p. 58 .

٢- ولعل هذا هو تعليل ما أورده أحد المؤرخين عندما ذكر ما يفيد أن فكرة الموت تعمقت فى أوربا العصور الوسطى فى مرحلتها الأخيرة ، ولاشك ؛ فى أن الكوارث الطبيعية كالأوبئة والأمراض الفتاكة ساهمت فى ذلك .

أنظر: يوهان هويزنجا ، إضمحلال العصور الوسطى، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ط. القاهرة ١٩٩٨م. ص١٣٧ .

٣- Nicol , The Reluctant Emperor , p. 45-83 .

أنظر أيضا : Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 444-474 .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٢٨ .

٤- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 622-624 .

من ناحية أخرى ، دخل الصرب كقوة أخرى فى لعبة توازن القوى بين الأجنحة البيزنطية المتصارعة ، وفى هذا الصدد تم تقديم منح كبيرة وصلت أحياناً إلى حد التنازل عن بعض مناطق الإمبراطورية مقابل الحصول على الدعم العسكرى [١].

وهكذا ؛ يمكن القول أن الفناء الكبير ، والحرب الأهلية كانتا بمثابة الجسر الذى مر عليه الأتراك العثمانيون من بعد ذلك وصولاً إلى العاصمة البيزنطية مع عدم اغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

لقد كشفت تلك الحروب الأهلية المذكورة عن مدى الضعف الشديد الذى وصل إليه البيزنطيون على نحو جعل أحد قياداتهم البارزة يستعين ضد خصمه بالعدو الرئيسى لبيزنطة المتمثل فى الأتراك العثمانيين ، وهو يشبه فى ذلك السلوك ما قام به ملوك الطوائف[٢] فى الأندلس الذين وجد منهم من فَضّل التحالف مع القوى المسيحية التى قادت حرب الاسترداد

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٢٨ .

٢- فى أعقاب سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس عام ١٠٣١م ؛ ظهر إلى الوجود عده من الدويلات مثل دويلة فى قرطبة (بنو جهور) ، ودويلة فى أشبيلية (بنوعباد)، ودويلة فى بطليوس (بنو الأفطس) ، ودويلة فى طليطلة (بنو ذى النون) ، ودويلة فى غرناطة (بنو مناد) وغيرها ، في بلنسية ، وسرقسطه ، والجزائر الشرقية ، عن ملوك الطوائف أنظر:

ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، ت. كولان وليفى بروفنسال ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص١٥٣-٢٨٧ ، رضا هادى عباس ، الأندلس محاضرات فى التاريخ والحضارة، ط. ڤاليتا-مالطة ١٩٩٨م، ص٢١٠- ص٢١١، كمال السيد أبو مصطفى، دراسات أندلسية فى التاريخ والحضارة ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص٣- ص٣٧ ، ابراهيم بيضون ، الدولة العربية فى اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢- ٤٢٢هـ / ٧١١-١٠٣١م ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٣٥١- ص٣٧٣، حسن محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص٢٢٥- ص٢٢٦، رجب محمد عبد الحليم، دولة بنى حمود فى مالقة بالأندلس، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م، مونتغمرى وات ، فى تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص١٠٢- ص١٠٥، خالد السامرانى وعبد الواحد ذنون وناطق صالح ، تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ص٢٢٤- ص٢٥٤ ، عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربى المرصود إلى الفردوس المفقود ٩١- ٨٩٧هـ / ٧١٠- ١٤٩٢م ، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص٢١١- ص٢٢٢، يوسف بن أحمد حواله، بنو عباد فى أشبيليه ٤١٤- ٤٨٤هـ/ =

Reconquesta - من وجهة نظر اسبانية- ضد منافسيه من المسلمين مفضلاً مصلحته الشخصية على الصالح العام للمسلمين؛ مما جر أسوأ الكوارث بدولة الإسلام هناك؛ ومهد فيما بعد لإنتصار تحالف قشتالة وأراجون وإسقاطه لمملكة غرناطة فى عهد بنى الأحمر عام ١٤٩٢م بعد ٣٨ عامًا فقط من سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أوجه التشابه بين الكيان البيزنطى فى الشرق والكيان الإسلامى فى الغرب ، ولاريب فى أن سقوط غرناطة يتشابه فى خطوطه العامة مع سقوط القسطنطينية ، وإن اختلفت التفاصيل ، دون إغفال أن دولة المسلمين فى الأندلس كانت أقصر عمراً مقارنة بالإمبراطورية البيزنطية ، ولانغفل أن كلاً منهما امتاز بالاحتضار الطويل قبل الموت.

على أية حال ؛ أدرك الأتراك العثمانيون أن عدوهم البيزنطى - أكثر من أى وقت مضى - لايملك إلا الضعف ، والهوان، وإن تلك هى فرصتهم التاريخية للإجهاز على كيان طال إحتضاره ، ويتمسك بالحياة على الرغم من عدم جدارته بها ! ، وأكد ذلك الكيان للقاصى والدانى ، «جدارته » بالخروج من التاريخ من خلال عوامل النحر الداخلى التى كشفت عنها أحداث الصراع السالف الذكر ، مع ملاحظة أن الأتراك العثمانيين كانوا يتزايدون قوة يومًا بعد آخر ، فى ظل غياب الوعى بالتاريخ الذى خيم على عقول حكام بيزنطه، وكان هذا - بالفعل- من حسن حظ أعدائهم !

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ أن الأتراك العثمانيين الذين حركتهم روح الجهاد ، مع عدم اغفال الدوافع الزخرى بطبيعة الحال ولاتناقض بينهما[1]، والذين أرادوا دعم نفوذهم السياسى على

= ١٠٢٣-١٠٩١م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جدة ١٩٨٩م، ص٦١- ص١١٠ ، ويلاحظ أن الشاعر أبو الحسن بن رشيق القيروانى قال فى هذا الشأن:

مما يزهدنى فى أرض أندلس   أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة فى غير موضعها   كالهر يحكى انتفاخًا صورة الأسد

أنظر:

أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ط. الاسكندرية، ب-ت ، ص٩٥ .

١- يشير المؤرخ التركى خليل إينالجيك إلى رغبة الأتراك العثمانيين فى الاستفادة من الثروات الطائلة التى تعود على من يتمكن من إخضاع التجارة المارة بالقسطنطينية وخاصة تجارة البحر الأسود مع أوربا. =

حساب البيزنطيين، كان لهم هدفهم الاستراتيجى الذى ما حادوا عنه مهما تقلبت بهم الأحداث السياسية فى صورة إسقاط القسطنطينية تلك المدينة التى راودت مخيلة المسلمين منذ عهد الدولة الأموية، وذهبت كافة المحاولات لإسقاطها أدراج الرياح، ولانغفل ؛ أن ذلك الهدف المحورى لم يتغير بتغير السلاطين العثمانيين، وبالتالى صار كل واحد منهم مكملاً لدور الآخر فى سبيل تحقيقه مهما واجههم المصاعب والمشاق .

على أية حال؛ وجه الأتراك العثمانيون ضربة للامبراطورية العجوز وقد عملوا على اتباع سياسة حرب الاستنزاف المستمرة لإقتطاع الأطراف ، وقد توسعوا فى إقليم تراقيا وحاصر زعيمهم أورخان أدرنه غير أن المنية أجهزت عليه، فتولى أمر الحصار ابنه مراد الأول (١٣٦٠- ١٣٨٩م)[١] إلى أن تمكن من الاستيلاء عليها عام ١٣٦١م، ودعم نفوذه من خلال جعله أدرنه عاصمة لدولته مما أعطاها أهمية سياسية أكبر ودعم تحديه للامبراطورية البيزنطية دون أن تستطيع له دفعًا .

ولانغفل زاوية لا تخلو من أهمية ؛ إذ أنه مع الضعف السياسى، الذى صارت عليه الإمبراطورية البيزنطية العائدة ، وجدنا أن المجتمع البيزنطى ذاته يعانى بشدة من الأمراض الاجتماعية ، وقد تفشت فى صفوفه معدلات الجريمة وكذلك الانحلال الجنسى[٢]، ولاريب فى أن إنهيار منظومة العادات والتقاليد فى الحياة البيزنطية التى كانت قوية فى عصر قوة الامبراطورية كان مؤشراً دالاً على الإنهيار الذى أسرعت به تلك الإمبراطورية.

= ومع تقديرنا للدافع الاقتصادى إلا أن ذلك لا يلغى الدافع الدينى فى صورة الجهاد والرغبة فى نشر الإسلام ، عن الرأى السابق أنظر:

خليل إينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت. محمد الأرناؤط ، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص٨٤ .

وتعد دراسته من أفضل ما كتب فى موضوعها ويملك مؤلفها رؤية تاريخية خاصة به بالإضافة إلى قاعدة ببليوغرافية متخصصة وثرية ناهيك عن التحليل الذى يعكس الخبرة بالعصر التاريخى ذاته .

١- عن مراد الأول ومن بعده يزيد الأول أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire, pp. 41-56 .

E. Isl . , " Murad I ", vol . 3, 1993 , pp. 592-594 .

Norwich , Short History of Byzantium , pp. 333-335 .

٢- عن ذلك أنظر بصفة عامة: O.D.B., vol . III, p. 1741 .

بصفة عامة من الممكن أن نجد وجهًا للمقارنة بين الانحلال الأخلاقى الذى صارت إليه من قبل مملكة عكا الصليبية فى أخريات القرن ١٣م[١]، والإمبراطورية البيزنطية فى عصر تدهورها المتسارع، وذلك من أجل التأكيد على أن إنهيار المنظومة الخاصة بالقيم لأى مجتمع تعد المؤشر الحقيقى للانهيار والسقوط العسكرى والسياسى.

مهما يكن من أمر؛ فقد جاء آخر فصول الهوان البيزنطى عندما إتجه الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس John V Palaulogus إلى أن يطلب مساعدة البابا البابا ويلغ به الأمر أن أعلن تخليه عن المذهب الأرثوذكسى وإتجاهه صوب الكاثوليكية، إلا أن ذلك كله لم يجعل البابا يقدم له يد العون ، أما داخليًا؛ فقد رفض البيزنطيون ذلك التنازل المهين الذى أقدم عليه الإمبراطور بعد أن أعيته السبل وأتعبته الحيل، ولم يجد فى جعبته إلا اللعب بالورقة الأخيرة! غير أنه باء بالخسران المبين حيث رفضه الشعب باصرار ولم يؤد مسعاه إلا إلى إلحاق المزيد من المهانة بإمبراطوريته المتهاوية ، وتعمقت الهوة بين القيادة السياسية وعامة الشعب البيزنطى.

١- عن ذلك الجانب لدى الصليبيين على مدى القرنين ١٢ ، ١٣ أنظر: أسامه بن منقذ ، الاعتبار، تحقيق فيليب حتى ، ط. بيروت ١٩٨١م، ص١٧٤ ، العماد الأصفهانى، الفتح القسى فى الفتح القدسى، ط. القاهرة ب-ت ، ص١٧٠ .

Jacques de Vitry, A History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart , P.P.T.S., vol . XI , London 1896 , p. 64 . Prundage, " Prostitution, Misicgenation and Sexual Purity in the First Crusade, " in Edbury (ed.), Crusade, and Settlement , Cardiff 1985 , pp. 57-65 .

زكى النقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص١٥٢ ، جمعة الجندى ، حياة الفرنج ونظمهم فى الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م، ص٢٩٩- ص٣٠٠، محمد عبد القادر أبوفارس ، دروس وتأملات فى الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص٨٥ .

جدير بالإشارة ؛ يقوم الباحث النابه محمد فوزى رحيل بإعداد أطروحته للدكتوراه بعنوان مملكة عكا الصليبية ١٢٥٠ - ١٢٩١م دراسة فى عوامل الإنهيار والسقوط وذلك فى كلية الآداب- جامعة عين شمس تحت إشرافى ، وأ.د. أحمد رمضان .

٢- عن ذلك بالتفصيل أنظر: ناهد عمر صالح ، «الاتحاد الكنسى فى عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس (١٣٥٤-١٣٧٦م) المؤرخ المصرى العدد (٢٨) ، يناير ٢٠٠٥م، ص٣١١- ص٣٤١ .

على أية حال؛ واصل الأتراك العثمانيون إنتصاراتهم بصورة عكست التباين الشديد بين عصر قوتهم وعصر الانحطاط البيزنطى: وقد وصلوا إلى نهر الدانوب عام ١٣٧٣م، بل أنهم بلغوا ساحل دلماشيا ، واضطر الإمبراطور إلى الدخول فى طاعة مراد الأول عام ١٣٧٤م فى خطوة غير مسبوقة دليلاً على العجز التام عن مواجهة القوة العثمانية الفتية والمتنامية.

كذلك تمكن الأتراك العثمانيون من استغلال الصراع على السلطة بين الإمبراطور يوحنا كنتاكوزين، وابنه وقاموا بالسيطرة على مدينة سالونيك عام ١٣٨٢م[١]، ثم صوفيا عام ١٣٨٥م ، وتوالى تلك الأحداث على هذا النحو السريع لايخلو من دلالة ؛ لأنه يعكس أن الأتراك العثمانيين طرقوا على الحديد وهو ساخن ، واغتننموا الفرصة ؛ من أجل إيجاد واقع حربى جديد على الأرض يغير خريطة التوزيعات الجيوبوليتيكية لصالحهم ، ولاترتاب فى أنهم قاموا باتباع سياسة تحقيق الهدف النهائى من خلال إستهلاك طاقة بيزنطة فى حرب استنزاف مستمرة دونما هوادة.

من زاوية أخرى؛ لايمكن الفصل بين الإنجازات التى حدثت خلال عهد مراد الثانى دون إدراك أن ذلك ما كان ليتحقق دون التطور الاقتصادى حينذاك ؛ فقد تطورت التجارة ونمت المدن العثمانية نمواً كبيراً ومن أمثلتها بورصة وأدرنة[٢]، وهناك من يقرر؛ أن الرحالة برتراندون دولا بروكييه Bertand de la bracquiere قرر أن الدخل السنوى للدولة العثمانية قد بلغ (٢,٥٠٠,٠٠٠) أوقية ، وهو مبلغ ضخم بإمكانات ذلك العصر، ويقرر باحث رفيع الشأن فى الدراسات العثمانية ما نصه «وهو مبلغ لو استغله مراد الثانى كاملاً لكان فى وسعه أن يفتح أوروبا بسهولة »[٣]؛ مما دل على أن المكاسب الاقتصادية كانت عنصراً مهمًا فى دعم طموح العثمانيين للتوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية ، وإن كنت أتصور وجود مبالغة فى هذا القول بطبيعة الحال.

١- عن إخضاع الأتراك العثمانيين لمدنية سالونيك أنظر:

Mazower, Salonica City of Ghost , Christians , Muslims and Jews 1430-1950 , New York 2005, p. 88-31 .

٢- على سبيل المثال انظر:

Inalick , " Busra and the Commerce of the levant ", J.E.S.H.O., vol . III, 1960, pp. 131-142 .

٣- خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية ، ص٣٨ .

مهما يكن من أمر؛ من بعد السلطان مراد؛ تولى الأمر، السلطان بايزيد الأول الذى عمل على إشاعة الفرقة بين كبار القيادات البيزنطية التى تصارعت من أجل بلوغ المنصب الامبراطورى الذى تحرقت نفوسهم شوقًا للوصول إليه من خلال مصالح شخصية ضيقة دون أن يضعوا فى الاعتبار المصلحة البيزنطية العليا.

ويلاحظ أن البنادقة حرصوا على شن حملة صليبية هى صليبية نيقوبوليس Crusade of Nicopolis فى أخريات القرن الرابع عشر الميلادى وتحديداً عام ١٣٩٦م، وقد حاصرت الحملة التى قادها ملك المجر سيجموند Sigsimund ١٣٨٧- ١٤٣٧م مدينة نيقوبوليس Nicopo-lis [١]؛ غير أن القوات العثمانية فى عهد السلطان الوافر النشاط بايزيد الأول تمكنت من إلحاق الهزيمة الفادحة بهم، وأكد السلطان انتصاره باستيلائه على شبه جزيرة المورة Morea (البليبونيز) عام ١٣٩٧م.

من ناحية أخرى ؛ لانغفل أن الإمبراطور مانويل الثانى Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) طاف أنحاء الغرب الأوربى ، طلبًا للمساعدة ضد العثمانيين[٢] من خلال جهد دبلوماسى بارز على مدى الأعوام من ١٣٩٩م إلى ١٤٠٢م، ولكنها كانت بمثابة دبلوماسية النصف قرن الأخير التى لاجدوى من ورائها ، فلم تقدم إيطاليا أو فرنسا أو انجلترا ما يمكنه من التصدى للقوة العثمانية المتزايدة بل خذلته، ولاريب فى أنه بعد إخفاق صليبية نيقوبوليس زاد حذر الغرب الأوربى عن أى تورط غير محسوب العواقب فى مجال دعم بيزنطه على اعتبار أن من يتورط فى عالم السياسة يدفع الثمن فادحًا .

١- عنها بالتفصيل أنظر:

Atiya, the Crusade of Nicopolis, London 1934 .

Newall, The Crusades, New York 1963- pp. 92-93 .

٢- عن ذلك أنظر:

Jugie, " le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O. T. XV, 1912 , pp. 322-332 .

وأنظر أيضًا هذه الدراسة المتخصصة عن الإمبراطور مانويل الثانى باليولوجوس:

Barker, Manuel II Paleologus (1391-1425): A study in late Byzantine Statesmanship , New Brunswick 1969 .

مهما يكن من أمر ؛ حدث تطور مهم على صعيد العلاقات الكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى من خلال وحدة الكنيستين وهو أمر حدث فى ٦ يوليو ١٤٣٩م فى مجمع فلورنسا [١]، وتم ذلك فى عهد الإمبراطور يوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥-١٤٤٨م) :

ومع ذلك ؛ حلت بأعداء البيزنطيين تطور عسكرى وسياسى كان في صالحهم إذ أن العثمانيين ، قد نكبوا بالهزيمة من جانب التتار بقيادة تيمورلنك الذين دخلوا آسيا الصغرى، وفي عام ١٤٠٢، حدثت معركة أنقرة[٢] التى كانت بمثابة كارثة حلّت بالعثمانيين ، وفيها وقع السلطان بايزيد الأول أسيراً فى قبضة القائد المذكور المنتصر فى مشهد يندر حدوثه خلال المرحلة التاريخية التى ظهرت فيها القوة العسكرية العثمانية متصاعدة دون أية انتكاسات .

١- عن المجمع المذكور أنظر:

Gill, The Council of Florence , Cambridge 1959 .

ويشير المؤلف إلى رفض الشعب البيزنطى لذلك أنظر أيضًا. Gill, Ibid, p. 350 .

Id, " Greeks and latins in acommon Council : The Council of Florence (1438-1439) O. Chr. p. vol . XXV, 1959 , pp. 265-287 .

ويعد جيل متخصصًا فى العلاقات البيزنطية اللاتينية خاصة خلال العصر البيزنطى المتأخر.

٢- عن معركة أنقرة أنظر:

ابن عربشاه ، عجائب المقدور فى نوائب تيمور، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٣١٩- ص٣٣١ ، حاتم الطحاوى، «معركة أنقرة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م مقدماتها ونتائجها» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الزقازيق دراسات خاصة ، مايو ٢٠٠١م، ص١٧- ص٣٩ ، دراسة ممتازة ابن تغرى بردى ، النجم الزاهرة ، ج١٢ ، ص٢٦٧ ، ص٢٦٨، جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى، ت. محمد فتحى الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص١٨١ ، ص٢٠٦ ، عبد العزيز نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٥-١٦ ، إسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين، ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٢٤- ص٢٥ ، نزار قازان ، سلاطين بنى عثمان بين قتال الاخوة وفتنة الإنكشارية ، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص٢٩ ، محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٢٣ - ص٢٤ ، أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثمانى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٥٨ .

ويقرر المؤرخ القدير الأخير عن تقويمه لها ما نصه : «معركة أنقرة ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى التاريخ العثمانى باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التى حلت بالعثمانيين خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الدولة، ولأنها المناسبة الوحيدة التى شهدت أسرى عاهل من آل عثمان ولكنها من ناحية أخرى ليست من =

ويلاحظ هنا: أن تلك الهزيمة تركت أثرها على الواقع السياسي والاجتماعي العثماني ، إذ هناك من يقرر أنها اطلقت مرحلة من الاضطرابات والتوتر الاجتماعي السياسي والاجتماعي وظهور الحركات الدينية المعارضة في أنحاء الأراضي العثمانية وعدة انتفاضات .

لقد أدى ذلك الأمر؛ ثم وفاة السلطان بايزيد بعد تلك المعركة بعام واحد: أدى إلى «تأجيل» نجاح العثمانيين في وضع أقدامهم على أرض القسطنطينية لعدة عقود، مع ملاحظة أن تعبير «تأجيل» هنا من قبيل الاستعارة ؛ نظراً لكون أحداث التاريخ لاتتأخر بل تحدث في توقيتها المحدد لها من خلال جملة دوفاع متعددة تمهد لها .

مهما يكن من أمر؛ حكم من بعده إبنه محمد ١٤١٣- ١٤٢١م، ومن بعد وفاته تولى الحكم ابنه مراد الثاني ١٤٢١- ١٥٤١م ، ومن أهم الأحداث خلال عهده : ما عرف بصليبية فارنا The Crusade of Varna[٢] وهي التي حدثت كنتيجة لدعوة البابا يوجينوس الرابع Eugenius IV[٣] (١٤٣١- ١٤٤٧م) ؛ وذلك عام ١٤٤٠م، وقد تم تكوين جيش كبير

= المعارك التي غيرت مجرى التاريخ على اعتبار أنها لم تحول مجرى تاريخ المنتصر والمهزوم على حد سواء » أنظر : نفسه ، ص٥٨ .

ابن عربشاه ، عجائب المقدور في نوائب تيمور، ط. بيروت ١٩٨٦م، وهو المصدر المتخصص عن تلك الشخصية، أيضًا:

القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ط. بيروت ١٩٩٢م، ج٢، ص٤٩٩ - ص٥٠٦ .

Manz, The Rise and Rule of Tamerlane Cambridge 1989 .

وتعد أفضل ما كتب بالإنجليزية عن الموضوع المذكور.

أيضًا: محمود السيد، من تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص١٤٩- ص١٥٠ .

٢- فرنا Varna؛ وهي ورنه والمروفة باسم أوديسوس Odessos وقد وقعت على الساحل الغربي من البحر الأسود The Black Sea ، عنها أنظر:

O.D.B., vol . III, p. 2154 .

٣- البابا يوجينوس الرابع : تولى المنصب البابوي خلال المرحلة من ٣ مارس ١٤٣١ إلى ٢٣ فبراير ١٤٤٧م، وذلك في أعقاب وفاة البابا بندكت الرابع عشر Benedict XIV وهو بابا غير شرعي، عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 241-242 .

بولندى هنغارى من نحو ٢٥,٠٠٠ رجل قاده هيونادى أوف ترانسلفانيا Hunyadi of Transyluania، وجورج برانكوفيك الصربى George Brankvic of Serbia وتقدم فى ١٤٤٣-١٤٤٤م صوب البلقان حيث تم تحقيق عدد من الانتصارات ضد الأتراك[١] .

وكان من نتاج ذلك ؛ أن قام السلطان مراد الثانى بعقد اتفاق سلمى لمدة ١٠ سنوات مع القيادات السالفة الذكر فى يوليو ١٤٤٤م ، وعندما سحب قواته، لم يحترم الصليبيون مواثيقهم فى غالبيتهم وهاجموا العثمانيين فى ڤارنا Varna فى ١٠ نوفمبر عام ١٤٤٤م، وهناك تم إلحاق الهزيمة بتلك الصليبية وعن ذلك مكسبًا كبيراً عسكريًا وسياسيًا للعثمانيين[٢].

ويقرر أحد كبار المؤرخين فى مجال الدراسات العثمانية ؛ أن معركة ڤارنا تعد آخر محاولة صليبية جماعية ضد الأتراك العثمانيين وقد كانت أخبار النكبة التى منى بها الصليبيون خلالها من العوامل الأساسية التى جعلت الحكام الأوربيين يعتقدون أن فكرة الحرب الصليبية لاجدوى من ورائها ، وهكذا ، لم يعد هناك أمل أمام إمبراطور القسطنطينية بعد تلك المعركة ، وقد تولى محمد الفاتح مهمة توجيه ضربة قاضية لآخر معقل للإمبراطور [٣].

١- O.D.B., vol . 3, p. 2154 .

٢- عن صليبية ڤارنا ؛ أنظر هذه الدراسة المهمة :

Halecki, The Crusade of Varna, New York 1943 .

وتعد من أفضل الدراسات المتخصصة فى الموضوع المذكور.

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 643 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 423 .

O.D.B., vol . III, p. 154 .

Norwich , Short History of Byzantium , p 369-370 .

عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية ، العصر الحديث، ص٢١ .

٣- نفسه، نفس المرجع والصفحة .

وأود الاشادة بكتاب المؤرخ الكبير الراحل .

على أية حال ؛ لم يكن ذلك السلطان العثمانى ليتوقف عن تحقيق ذلك الحلم الذى طالما راود المسلمين منذ قرون خلت ، وهكذا ؛ دعم قواته البرية والبحرية وتمكن بعد ثلاثة أعوام من الانتصار على الحملة الصليبية السالفة الذكر ، وبالتحديد عام ١٤٤٧م من الإنتصار على حاكم المورة Morea قسطنطين باليولوج الذى أعلن خضوعه للسلطان ودفع له الجزية [١]، بعد أن وضح له الفارق الشاسع بين الضعف البيزنطى والقوة العثمانية الفتية ، ومن المهم هنا ملاحظة أن العثمانيين يحققون هدفهم النهائى على صورة مرحلية ، ولاريب فى أن تساقط الأطراف جاء مقدمة حقيقية لتوجيه الهجوم صوب القلب البيزنطى فى نهاية المطاف.

ومع ذلك ؛ لم يتمكن مراد الثانى من فتح القسطنطينية تاركًا تلك المهمة التاريخية لمن يأتى من بعده .

على أية حال ؛ كان شرف فتح تلك العاصمة -التى أجهدت أعداءها على مدى قرون متعددة- للسلطان محمد الثانى ابن مراد الثانى وهو الذى سيتلقب «بالفاتح» فيما بعد ؛ ويجدر بنا تسليط الأضواء عليه نظراً لدوره البارز فى صنع فصل الختام للتاريخ البيزنطى بكفاءة غير مسبوقة ومعه المسلمون بطبيعة الحال حتى لانقع فى مأزق دور الفرد فى حركة التاريخ بمعزل عن المجموع البشرى المتعاون معه .

وقد ولد محمد الثانى بن مراد الثانى فى ٢٠ أبريل عام ١٤٢٩م[٢]، وتولى الحكم عام ١٤٥١م، وهو فى الثانية والعشرين من العمر .

ويلاحظ أن عوض صغر عمره بوجود عدد من المستشارين المحنكين الذين قدموا له كل نصيحة صائبة أفادت تحركاته السياسية والعسكرية وجنبته الوقوع فى مواقع الذلل.

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٣٦ .

٢- لانغفل فى مرحلة تنشئة محمد الثانى دوراً بارزاً قام به إثنان من العلماء، هما: آمد شمس الدين ، وأحمد إسماعيل كورانى، وقد حرصا على تعليمه تعليمًا راقيًا ، وقد وضعا فى ذهنه ضرورة أن يكون فتح القسطنطينية على يديه على نحو عمقق الهدف فى ذهنه ، عن ذلك أنظر:

محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص٤٣-٤٤ .

ومن المهم هنا الإقرار بأن دور الحاشية عمومًا يحتل أهمية كبرى فى التاريخ، وكثيراً ما أدت إلى أخطاء قاتلة عندما لم تحسن النصح أو زينت أمور الحكم للحاكم دون النظر إلى الصالح العام.

ويلاحظ أن ذلك السلطان جمع بين البراعة العسكرية ومحبة العلم واتجه إلى قراءة كتب التاريخ والتشبع بسير كبار أعلامه، ولانغفل إجادته لعدة لغات مما عكس أننا أمام حاكم مسلم مثقف [١]!

ومن المهم إدراك بعض الزوايا فيما يتصل بدوره فى فتح القسطنطينية ويمكن إجمالها فى الآتى:

أولا: إتجه ذلك السلطان إلى حصار تلك المدينة فى أوائل أبريل عام ١٤٥٣ م وذلك بعد عامين فقط من توليه الحكم؛ مما عكس جديته وادراكه لأهمية هدفه المنشود مبكراً من جهة البر بجيش قدره البعض بـ ٢٥٠ ألف رجل - وقد يكون فى الرقم مبالغة - أما من جهة البحر؛ فقد حاصرها بـ ١٨٠ سفينة، ، كذلك أقام حول المدينة المذكورة ٢٤ بطارية مدفعية لدك دفاعاتها ، ولاشك ؛ فى أن كافة تلك الاستعدادات استغرقت منه وقتًا طويلاً ولم يسمع فى تاريخ بيزنطة أن واجهت من قبل قوة برية وبحرية بتلك الصورة منذ افتتاح العاصمة فى القرن الرابع الميلادى.

ثانيًا : قام العثمانيون بوضع مدافع خاصة تمكن من صنعها مهندس مجرى اسمه أورباس[٢]، على الهضاب المجاورة للبسفور ، وكذلك القرن الذهبى مهمتها تدمير السفن البيزنطية، وكان لذلك أثره فى أن عرقل حركة السفن المعادية وأصابها بالشلل .

١- عن السلطان محمد الفاتح أنظر:

Kritovolos, History of Mohamed The Conqueror, Trans . by Charles T. Riggs, Princeton 1954 .

Babinger, Mehmet der Eroberer und seine Zeit, Munich 1953 .

وهى أفضل دراسة بالألمانية فى موضوعها .

سالم الرشيدى ، محمد الفاتح، ط. جدة ، ١٩٨٩م.

٢- عن ذلك أنظر:

Schlumberger , Le Siege, la prise, et le Sac de Constatinople par les Turcs, Pariss 1914 .

زبيدة عطا ، الترك فى العصور الوسطى، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٨٨- ص٢٠٦ ، حيث تقدم عرضًا ممتازاً يكشف عن مؤرخة خبيرة وأنظر الملاحق فى ختام الكتاب .

أيضًا من المفيد الرجوع إلى :=

ثالثًا : دعَّم جهود العثمانيون الحربية تشييد قلعة روم إيلى حصار الضخمة عام ١٤٥١م على بعد لايتجاوز ٧ كم. من أبواب القسطنطينية فى منطقة البسفور على الجانب الأوروبى مقابل قلعة سابقة فى آسيا الصغرى عرفت باسم أناضولى حصار التى شيدها بايزيد وتمكن محمد الثانى بذلك من أن يشرف على المضيق ، واستطاع أن يمنع أية إمدادات تصل إلى العاصمة البيزنطية. وضمن أن يضع فى قبضته حرية المرور بين الأناضول ، وأوروبا [٢].

رابعًا : أنشأ ذلك السلطان حوالى ٧٠ سفينة خفيفة وعمل على أن تحمل براً من منطقة البسفور إلى خليج القرن الذهبى وقد تم ذلك فى ليلة واحدة وهو عمل عبقرى عكس براعة عسكرية غير مسبوقة ، وهدف من وراء ذلك ؛ تشتيت جهود المدافعين عن القسطنطينية[٣]، حتى يجعل البيزنطيين يقومون بنقل جزء كبير من قواتهم إلى شاطئ الخليج على نحو يضعف الجبهة البرية الغربية الوحيدة [٤].

خامسًا : ظل المقاتلون المسلمون يشددون حصارهم حتى إذا لاح فجر يوم الثلاثاء ٢٩ مايو ١٤٥٣م بدأ الهجوم العام على العاصمة البيزنطية ؛ وذلك بعد حصار دام ٤٥ يومًا وكان الهجوم بريًا ، وبحريًا فى آن واحد وبالفعل سقطت[٥] المدينة، وسقط الكثيرون من المسلمين شهداء ذلك اليوم التاريخى ، وسقط الكثيرون من البيزنطى قتلى خلال دفاعهم عنها ،

= محمد مفيد الشوباشى، ألمع ساعات الحرج فى تاريخ الإنسانية، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٩١ ، ص٨٧-١٠٠ ، مى علوش ، أشهر حضارات المدن فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص١١٩- ص١٢٦ .

١- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ت. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص٤٣٠ .

٢- مفيد الزيدى، العصر العثمانى، موسوعة التاريخ الإسلامى؛ ط. عمان ٢٠٠٣م، ص٢٠ .

٣- Runciman, The Fall of Constantinople 1453 , Cambridge 1965 , pp. 105-106 .

٤- محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب، ص٤٢ .

٥- عن سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م أنظر:

Doukas, Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks, trans. by Magoulias , Detriot 1975 .

أتوجه بالشكر للزميل د. حاتم الطحاوى الذى قام بتزويدي بهذا المصدر التاريخى .

Kritovoulos , History of Mehmed the conqueror. pp. 66-72 .

Nicola Barbaro , Diary, of the Siege of Constantinople 1453 , Trans. by J.R. Jones, New York 1969 .

وكذلك قتل الامبراطور قسطنطين الحادى عشر[1]، وسط جنوده المدافعين عن العاصمة .

= وله ترجمة قيمة قام بها حاتم الطحاوى أنظر: الفتح الاسلامى للقطنطينية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

The Siege of Constantinople 1453 , Seven Contemporary Accounts, trans . by J.R. Jones, Amesterdam 1972 .

ويحتوى الكتاب الأخير على عدة مصادر هى : Giacomo Tedalti , Leonicus Chalcocondylas, Michael Ducas, Christophes Riccherio , Zorzi Dolfin, Angelo Gioranni Lomellllino , Leonard of Chios .

وتوجد ترجمة عربية ممتازة له مزودة بمقدمة اضافية وتعليقات ثرية من جانب المؤرخ الواعد حاتم الطحاوى، تحت عنوان: جونز ، الحصار العثمانى للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

أنظر أيضـًا : Nicolle, Constantinople 1453 , The end of Byzantium , London 2005 , pp. 69-82 .

Schlumberger , Le Siege , La Prise et le Sac de Constantinople par les Turcs en 1453 , Paris , 1922 .

ويعد من أهم الدراسات فى موضوعه على الرغم من تأليفه فى الربع الأول من القرن العشرين.

Asimov, Constantinople, The Forgotten Empire, p. 260 .

برنارد لويس، استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد رضوان على ، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص١٥- ص٢٦ ، على محمد الصلابى، فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية، وقاهر الروم. ط. دمشق ١٩٩٣م، ص١٢٦ ، صالح السعدون، فتح القسطنطينية ، ط. دمشق ب-ت ، ص٨٤ .

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر:

Mijatovich, Constantine Paleologus, The last Emperor of the Greeks, 1448-1453, Chicago 1968 .

Nicol, The Immortal Emperor , The life and Legend of Constantintine Paleologos, last Emperor of the Romans, Cambridge 2002, pp. 54-128 .

Kordoses, " The question of Constantine Palaiologos Coronation", in Beaton and Roueche (eds), The Making of Byzantine History Studies dedicated to donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies King's College , pp. 137-141 .

وواقع الأمر؛ تعد نهاية الامبراطور البيزنطى الأخير موضعًا للتأمل فقد طلب منه محمد الثانى الاستسلام ، والخروج بسلام من القسطنطينية غير أنه أبى ذلك، وظل يقاوم إلى أن قتل على الرغم من أن الوضع العسكرى القائم حينذاك يؤكد بما لامزيد عليه أن الانتصار حتمًا سيكون لصالح العثمانيين ، ومنطقى أن ذلك الامبراطور ومن بقى معه مدافعًا عن العاصمة البيزنطية كانوا يدركون ذلك تمام الإدراك.

والتساؤل الذى يثار هنا ؛ لماذا ظل يقاوم أمام قوة كاسحة برية وبحرية لاقبل له بها ؟ ومن المفترض أنه أدرك أن الموت محيط به لا محالة ، ولذلك رأى أن يموت بشرف حتى لايقال عنه أنه استسلم ذليلاً لأعدائه ، وهو فى ذلك يذكرنا بمقاومة عناصر الاسبتارية والداوية خلال حصار السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاون لعكا عام ١٢٩١م على الرغم من عدم تقديرى لتلك العناصر التى شاركت فى نهب الشرق طوال قرنين كاملين هما القرنين ١٢ ، ١٣م.

على أية حال فإن ذلك الامبراطور الذى قاتل ولم يستسلم؛ يستحق منا الاحترام، وهذا هو ما بقى منه للتاريخ ، فلاعجب والأمر كذلك أن تسجت حوله أسطورة. وهو فى ذلك يتشابه مع شخصيات قيادية نسجت حولها أساطير مثل شارلمان وفردريك بارباروسا وغيرهما.

ومن المهم هنا ؛ تناول سلوك السلطان محمد الذى لقب بالفاتح تجاه المدينة ، وسكانها ، والواقع أنه عامل أهلها معاملة متحضرة ، وقد أمر جنوده بحسن معاملة الأسرى البيزنطيين، وإفتدى من ماله الخاص عدداً كبيراً من الأسرى[1]، وخاصة الأمراء ، ورجال الدين مكرراً ما قام به من قبل - منذ ٢٦٦ عامًا- السلطان صلاح الدين الأيوبى عندما دخل بيت المقدس فاتحًا فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م[2] ليدخل التاريخ من بعد من أوسع أبوابه . وينال تقدير المعاصرين حتى من غير المسلمين ومن بعدهم الباحثين الأوربيين المحدثين .

١- على محمد الصلابى. الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط ، ط. بيروت ١٩٩٩، ص١٧٧- ص١٧٩ ، فاتح القسطنطينية ، ص١٣٧- ص١٣٨ ، سلامه البلوى، صور من تسامح الحضارة الإسلامية مع غير المسلمين، ط. الشارقة ٢٠٠٣م، ص٧٦ .

٢- عن ذلك أنظر: ابن الأثير ، الكامل ، ج١١، ص٢٢٥ ، الفتح البندارى، سنا البرق الشامى، تحقيق فتحية النبراوى، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص٣٨٥ ، مالكوم ليونز جاكسون ، صلاح الدين ، ت. على ماضى ومراجعة نقولا زيادة وفهمى سعد. ط. بيروت ١٩٨٨م. ص٣٢٠ ، عزيز سوريال عطية ، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص٢٤٩ ، على عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبى والعالم الإسلامى، ط. الرياض=

وهكذا ؛ لم يحل بالعاصمة الإمبراطورية ما حل بها من قبل عام ١٢٠٤م، وهو أمر فصّلته من قبل- والتعليل الوحيد يكمن فى الفارق الشاسع بين عدو متبربر واجهته بيزنطة عام ١٢٠٤م ، وعدو متحضر عام ١٤٥٣م ، وذلك دون شيفونية جوفاء بل بروح الموضوعية الواجبة.

وأكرر عبارة ابن بيزنطة الملكوم نيكتاس خوبناتس Nicetas Choniates [١] المعاصر لأحداث الصليبية الرابعة والذى كتب وقائعها بمداد الألم ، وعلى أوراق المرارة، والحزن القتال، وقد تمنى أن تسقط عاصمته الأثيرة إلى نفسه على أيدى المسلمين لا اللاتين ، وبالفعل تحقق ذلك عام ١٤٥٣م[٢]. ولاريب فى أن البيزنطيين منهم من رأى أنه أنه خير لبيزنطة أن تحتلها عمائم العثمانيين الخضراء ، عن أن تحتل من جانب القبعه البابوية [٣]. أفضل إليه ، وهو اعتقاد تأتى من خلال تجربة بيزنطة المريرة مع الغرب الأوربى.

على أية حال ؛ وجدنا محمد الفاتح القائد الشاب لاينتشر بخمر النصر على عكس ما حدث لعشرات المنتصرين فى العصور الوسطى بصفة عامة؛ ولم يقم جنوده باغتصاب الراهبات

= ١٩٨٢م، ص١٠٦ ، كارين آرمسترونج ، الحرب الصليبية الحملات الصليبية وأثرها على العالم العربى، ت. سامى الكعكى ، ط. بيروت ٢٠٠٤م، ص٣١٩ ، مصطفى الحيارى، صلاح الدين القائد وعصره، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص٣١٩، محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى ، دراسة موثقة ، ط. دمشق بيروت ١٩٩٤م، ص١٣١ - ص١٣٢ .

١- عنه أنظر المدخل الببليوغرافى.

٢- من قبل اعتقد أ.د. إسحق عبيد : أن عوامل الإنهيار الداخلى التى ألمت ببيزنطة كانت حاسمة فى سقوطها الداخلى وذكر ما نصه : «لم يكن عسيراً على السلطان محمد الفاتح فى ٢٩ مايو ١٤٥٣ أن يدخل مدينة قسطنطين ويعلن زوال الإمبراطورية الرومانية الشرقية من الوجود وإلى الأبد، لقد سقطت بيزنطة من الداخل، ولم يكن للترك حتى مجرد شرف الإجهاز عليها، لقد كانت كالمخلوق الذى إنتحر». أنظر :

إسحق عبيد ، الدولة البيزنطية فى عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م ص١٢ .

والواقع إننى اختلف مع أستاذنا القدير؛ لأن الإعداد لاسقاط العاصمة البيزنطية . والمجهودات البارزة التى استغرقت عدة أعوام متواصلة لإسقاط عاصمة استعصت على الكثيرين على مدى قرون متعددة ، تجعلنى أرى أن محمد الفاتح ومن خلفه المسلمون بالفعل صاحب شرف إسقاطها بجدارة؛ وهو إنجاز تاريخى غير مسبوق ، وأن العوامل الداخلية للضعف مهما كان تأثيرها لاتكتمل إلا بالفعل الخارجى الذى يحسن استغلالها وهو ما تم بالفعل فى العام المذكور .

٣- اسحق عبيد، الدولة البيزنطية فى عصر باليولوغوسى، ص١٢٦ .

كما حدث عام ١٢٠٤ م-كما أسلفت الذكر من قبل- كما اجتمع بكبار رجال الدين وطمأنهم على أرواحهم وعقائدهم . وتم انتخاب بطريرك جديد، وأحسن استقباله وكان البيزنطيون يتصورون واهمين أن القتل الجماعى سيحل بهم ، والواقع أنه بعد أيام قليلة استؤنفت الحياة العادية فى أمن وسلام حرمت منه العاصمة البيزنطية طويلاً ، وهكذا تحقق على أيدى العثمانيين بسقوط القسطنطينية ، حلم الاسلام الحربى الكبير[١].

من ناحية أخرى ؛ تم إختيار كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia لتكون بمثابة الجامع الرئيسى للعاصمة عقب الفتح، وحيث أن الإسلام رفض تصوير الكائنات الحية لذلك تم تغطية الفسيفساء والذهبية التى تمثل الفن البيزنطى أفضل تمثيل بطبقة كلسية. كذلك ثم إقامة محراب فى وسط الجناح الجنوبى للكنيسة، وإلى اليمين منه أقيم المنبر تجاه المقصورة ؛ كذلك تم وضع لوحات النقوش الضخمة بأحرف بلغ طولها تسعة أمتار احتوت على اسم الجلالة، والرسول (ص) والخلفاء الراشدين وذلك بماء الذهب على لوحات مستديرة . فى عهد مراد الرابع (١٦٢٣- ١٦٤٠م) ، كذلك تم تشييد أربعة منارات إحداها شيدت فى عهد محمد الفاتح ، والثلاث الأخريات أقيمت فى عهد من حكم من بعده [٢].

وهناك زاوية مهمة تضاف إلى ما سبق؛ إذ أن سقوط القسطنطينية فى العام السالف الذكر لم يكن ليعنى انتهاء الوجود البيزنطى بل ظل قائمًا فى صورة امبراطورية طرابيزون التى ظلت قائمة بعد ذلك بسبع سنوات إلى أن استسلمت للسلطان محمد الفافتح عام ١٤٦١م[٣].

١- أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ٥٦٧هـ / ٦٤٨ هـ. ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٨٠ .

وأود الإشادة فهذه الدراسة التى أعدها المؤرخ الراحل الفذ د. أحمد فؤاد سيد ، عنه أنظر مقالتى: محمد مؤنس عوض، عصر الحروب الصليبية، بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢٤٣- ص٢٥٣ .

٢- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٤٣٢ .

وعن تحويل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد أنظر :

Parker, Early Modern Tales of Orient . London 1999, p. 264 .

Norwich , Byzantium , The decline and Fall, p. 437 .

٣- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٤٣ .

تبقى هناك، ملاحظة على جانب كبير من الأهمية ، إذ فى تاريخ العصور الوسطى ثلاث قيادات بارزة حملت أو وصفت بلقب «الفاتح» هى كالآتى :

أولاً: وليم «الفاتح»[1] William The Conqueror ؛ دوق نورمنديا الذى هزم الأنجلوسكسون فى معركة هاستنجر بانجلترا عام ١٠٦٦م .

ثانيًا : جنكيز خان الملقب «بفاتح العالم» [2]؛ القائد المغولى الذى ضم إليه الصين ١٢١٥م، وفتح مناطق عديده منها الدولة الخوارزمية ومناطق الاسماعيلية النزارية فى شمالى إيران وتمكن أتباعه من دخول بغداد وإسقاط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨م.

ثالثًا : محمد «الفاتح» ؛ مسقط بيزنطة ١٤٥٣م.

= وجدير بالذكر؛ أن ذلك السلطان واصل فتوحاته وأخضع صربيا عام ١٤٥٤م، ص١٤٥٥م، وفى عام ١٤٥٦م؛ قام بحملة ضدها غير أنه لم يتمكن من الإستيلاء على بلجراد ، عن ذلك أنظر: نجلاء حسين توفيق، سياسة الدولة العثمانية فى البلقان تجاه الصرب ١٣٢٦- ١٤٥٩م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة أسيوط عام ٢٠٠١م، ص١٢٨ .

أيضا بالتفصيل أنظر:

Inalcik, " The Ottoman Turks and The Crusades 1451-1522", Setton (ed.), History of the Crusades , vol . VI , Wisconson 1989, pp. 311-353 .

١- عن وليم الفاتح أنظر:

William of Poitiers, Deeds of Duke William , in Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 74-75 .

Adams, The History of England from The Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London 1905 , p. 67-78 .

Chibnall, The Normans , Massachesttle 2000, p. 29 .

محمد محمد مرسى الشيخ، «الفتح النورمانى لانجلترا - ملحمة فريدة فى تاريخ إنجلترا ونورمنديا فى العصور الوسطى»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص٢٤٧- ص٢٥١، سعيد السيد على فرغلى، «إضمحلال حكم الانجلو سكسون فى انجلترا ٩٧٩- ١٠٦٦م / ٣٦٨- ٤٥٨هـ ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٤٩٤- ص٤٩٥ .

نور الدين خاطوم، تاريخ العصر الوسيط فى أوروبه، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص٦٩٠- ص٦٩٥ .

٢- عن جنكيز خان أنظر: عطا ملك الجوينى ، تاريخ جهانكشاى ، ت. محمد السعيد جمال الدين ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران، ط. القاهرة ، ١٩٧٥م فلاديمير سينوف ، حياة جنيكز خان الإدارية والسياسية والعسكرية، ت. سعيد بن حذيفة الغامدى. ط. الرياض ١٩٨٣م، رمزى ، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار فى وقائع قزان ، وبلغار ومعارك التتار ، م. اورنبورغ ١٩٠٨م ، ص٣٤٤ ، عباس إقبال ، تاريخ =

وجدير بالذكر؛ أن المؤرخين الأوربيين حرصوا أشد الحرص على المبالغة فى تقديم وليم الفاتح وتكفل المؤرخون البريطانيون بتأليف مئات الدراسات عنه وتصويره على أنه من الأفذاذ عسكريًا وسياسيًا من خلال دعاية قومية لاجدال فيها . حقيقة أ معركة هاستنجر لاتعد مجرد معركة عسكرية بل أنها بمثابة غزو حضارى فرنسى لانجلترا وأنهت عزلتها من القارة الأوربية؛ إلا أنها صوحبت بقدر بارز من الدعاية السياسية عندما اتجه المؤرخون البريطانيون للكتابة التاريخية عنها.

أما جنكيز خان؛ الذى أقام إمبراطوريته على جماجم المسلمين ، ودمر حواضر الشرق الإسلامى التى كانت مزدهرة تجاريًا وعلميًا بصورة غير مسبوقة ، مثل بغداد ، ونيسابور ، ومرو ، وبخارى ، وأقام المذابح فى كل مكان حل فيه . فقد لقى من المؤرخين الغربيين التقدير ، وكتابات المؤرخين الروس[١] ، والفرنسيين خير برهان ودليل، بل اعتبره المؤرخ الأمريكى الواهم مايكل هارت من «العظماء المائة فى التاريخ !!! [٢].

فإذا اتجهنا إلى محمد الفاتح الذى تمكن من إسقاط بيزنطة- التى حوصرت من قبل (٢٩) مرة كما قرر البعض ، ونجح فى تحقيق ذلك وهو فى أوائل العشرينيات من عمره فهو أصغر

= المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ت. عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافى بأبوظى ٢٠٠٠م، ص٥٧- ص١١٣ ، أحمد حطيط، حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص١٨- ص١٩ ، أحمد عودات وجميل بيضون وشحاده الناطور، تاريخ المغول والمماليك فى القرن السابع الهجرى ، حتى القرن الثالث عشر الهجرى، ط. أربد ١٩٩٠م، ص٢٢ ، محمود السيد، التتار والمغول، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٦٠- ص٦٤ ، محمد التونجى، بلاد الشام أبان الغزو المغولى ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص٢٣- ص٣٨ ، محمد أسد الله صفا، جنكيز خان ، ط. بيروت ١٤٠٨ هـ . هارولد لامب، جنكيز خان وجحافل المغول ، ت. مترى أمين، ، ط. القاهرة ١٩٦٢م. السيد الباز العرينى ، المغول ، ط. بيروت ١٩٨٦م، فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م، حافظ حمدى ، الدولة الخوارزمية والمغول ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى، ط. القاهرة ١٩٥٠م قاسم عبده قاسم ، السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ط. دمشق ١٩٩٨م، ص٩٧- ص٩٨ ، محمد فتحى أمين، الغزو المغولى لديار الاسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ابرار كريم الله ، من هم المغول، ت. رشيده رحيم ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.

١- على سبيل المثال أنظر:

فلاديمير ستينوف، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ت. سعيد بن حذيفة الغامدى، ط. الرياض ١٩٨٣م.

Grusset , Histoire de , Le Monde Mongol , Paris 1922 .

٢- المائة الأوائل ، ص٧٨ .

فاتح بارز فى العصور الوسطى على الأقل، محققًا إنجازاً عسكريًا وسياسيًا غير مسبوق- فلم ينل منهم إلا العداء الشديد واتهامه فى أخلاقه على الرغم من تسامحه الفريد ولكن هى المركزية الأوروبية ذات المعايير المزدوجة ، ومن المضحكات المبكيات أن يردد البعض فى الغرب الأوروبى والأمريكى فى مطلع القرن الحادى والعشرين أن الإسلام دين الإرهاب بعد كل تلك الصفحات الناصعة من التسامح من جانب صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧م، ومحمد الفاتح عام ١٤٥٣م وغيرهما .

على أية حال ؛ تأكد الممات البيزنطى من خلال أن «القلب» تغير اسمه فصارت القسطنطينية تسمى إسلام بول أو مدينة الإسلام أو استانبول [١]، أو الاستانة ، واختفى اسمها القديم إلى غير رجعة، ولم يعد موجوداً إلا فى كتب التاريخ فقط، وظلت استانبول عاصمة للدولة العثمانية إلى أن قام مصطفى كمال أتاتورك بإسقاط الخلافة وتحويل العاصمة إلى انقره فى مطلع عشرينات القرن العشرين ، وتحديداً عام ١٩٢٣م[٢].

ولاريب فى أن كافة تلك التغيرات كانت بمثابة النتيجة الطبيعية لما حدث خلال عام ١٤٥٣م الذى يعد - بكافة المقاييس - عامًا محوريًا فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى وإيذانًا بتحولات تاريخية لاحقة بعيدة المدى فى التاريخ الحديث والمعاصر؛ مما عكس قدرة المسلمين على التأثير الواسع المدى فى تاريخ القارة الأوربية ، وأن سبب ذلك حسرة كبيرة فى نفوس المؤرخين الغربيين الذين كتبوا مؤلفاتهم عن التاريخ البيزنطى وتعرضوا لتلك الحادثة [٣]، وهناك منهم من وصف الواقعة على أنها «رد الاسلام الكبير»[٤]، وهو تعبير قوى الدلالة بطبيعة الحال.

١- عن استانبول أنظر : أدهم الدم، دانيال غوفمان ، وبروس ماسترز ، المدينة العثمانية بين الشرق والغرب، حلب ، أزمير واسطنبول، ت. زكى زبيان، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

٢- عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٥ .

٣- من أمثلة هؤلاء نذكر شارلز أومان الذى أورد ما نصه : «وأخيراً وصل السلطان (يقصد محمد الفاتح) إلى سانت صوفيا حيث كانت جموع الأسرى الباكية يوزع بين جنوده ، وقد دخل من الباب الشرقى وأمر أحد العلماء بصعود المنبر وأن تقرأ هناك صيغة التشهد الإسلامى وهكذا؛ دوى الصوت بأنه الله أكبر محمد رسوله فى القبة التى أحيا فيها ثلاثون جيلاً من البطاركة العشاء الربانى المقدس وعرفت أوربا كلها وآسيا أن الستار قد أسدل على أطول قصة رأتها المسيحية لإحدى الامبراطوريات .أنظر: شارلز أومان، الامبراطورية البيزنطية ، ص٢٦٦ .

٤- فرديناند بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ،ت. يوسف شلب الشام، ط.حمص ٢٠٠٠م،ص١٧٦ .

وهكذا ؛ كان التاريخ البيزنطي بمثابة قصة طويلة عنيفة للصراع مع الموت عبر الزمان على مدى ما زاد على الأحد عشر قرنًا ، الميلاد في ١١ مايو ٣٣٠، والممات ٢٩ مايو ١٤٥٣م، ولانغفل أن نفس الشهر الذي ولدت فيه كان لها مع الموت موعد ! وتلك من مفارقات التاريخ وما أكثر مفارقاته !!!

على أية حال ؛ فإن السقوط البيزنطي كان مدويًا، ويكفي أن هناك من المؤرخين من تصور أن عام ١٤٥٣م ؛ يصلح ليكون بداية تاريخ العصر الحديث في أوربا على اعتبار حدوث تلك الحادثة المحورية، وكذلك نهاية حرب المائة عام بين إنجلترا، وفرنسا في العام المذكور[1]، مما عكس أهمية ذلك العام بأحداثه في الشرق البيزنطي «سابقًا»، والغرب الأوروبي على حد سواء .

أما نتائج عام ١٤٥٣م؛ فيمكن ملاحظتها من خلال إرتفاع شأن الأتراك العثمانيين الذين ظهروا في عيون رعاياهم على أنهم قادة الجهاد الإسلامي وقد نجحوا فيما عجز عنه الحكام

١- نشبت حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا حيث حدثت نتيجة للصراع حول أملاك إنجلترا في القارة الأوربية، كذلك لانغفل الصراع الاقتصادي بين الدولتين وكذلك تصادم المصالح السياسية ، ويلاحظ أن تلك الحرب لم تستمر مائة عام على نحو الدقة بل (١١٦) عامًا ، وأهم ما يميزها ثلاث مراحل هي الأولى : من ٣٣٧م إلى ١٣٨٠م وخلالها انتصر الانجليز عند كريس، واستولوا على كاليه ثم بواتيه أما الثانية ؛ فقد امتدت من ١٣٨٠ إلى ١٤١٥ م ولم تحدث خلالها صدامات كبيرة ، أما الثالثة ؛ فقد امتدت من ١٤١٥ إلى ١٤٥٣م وخلالها تجددت الحرب على يدى هنرى الخامس ملك إنجلترا، ودوق برجنديا، وحقق الإنجليز انتصاراً عند ازينكورت وقاموا بغزو شمالي فرنسا ، ثم قامت برجنديا بالتحالف مع فرنسا إلى أن تم طرد إنجلترا بصورة نهائية من أوربا ومن أهم أحداث تلك المرحلة قتل جان دارك عذراء أورليان أورليان حرقًا عام ١٤٣١م، عن حرب المائة عام أنظر:

Perroy, The Hundred Years War , Trans. by D.C. Dauglas, London 1951 . Painter , A History of the Middle Age 284- 1500, New York 1954 , pp. 16-32 .

إسحق عبيد ، «جان دارك رؤية من خلال الوثائق ضمن الموسم الثقافي للجمعية التاريخية المصرية، ط. القاهرة ١٩٧٨م.

الفيلد مارسال مونتيجومرى، الحرب عبر التاريخ ، ج١، ص٢٦١ - ص٢٩٧ ، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى، ص٤٩١- ص٥٠٥ ، مجموعة من المؤرخين الروس، موجز تاريخ العالم ، ت. محمد عيناني، ج١ . ط. بيروت ١٩٨٩م، ص١٩٣ - ص١٩٤ ، موريس كين، حضارة أوربا العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٢٤- ص٢٣٨ ، جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، الغجر، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، ص١٣٣- ص١٤١ .

المسلمون طوال العصور الوسطى، وهكذا ؛ تمكن المسلمون فى صورة الأتراك العثمانيين من أن يضعوا أقدامهم فى القارة الأوربية فى الجزء الشرقى منها وبذلك حققوا حلمًا جماعيًا طالما داعب عقولهم منذ قرون طويلة مضت ، ليستمر ذلك الوجود حتى يومنا هذا ليرتفع شأن تركيا فى القرن السادس عشر فى عالم البحر المتوسط [١]، وقيمة ذلك العمل؛ أنه بعد حدوثه بأقل من أربعة عقود- كما أسلفت- إنتهى الوجود الإسلامى من الغرب الأوروبى ، فكأن عام ١٤٥٣م؛ جاء كبديل عن الإنسحاب الذى سيحدث فيما بعد بأقل من أربعة عقود عام ١٤٩٢م من خلال اتحاد فرديناند وايزابيلا ضد بنى الأحمر فى غرناطة[٢]، من الجهة المقابلة ؛ واعنى بها شبه الجزيرة الأيبيرية بعد ثمانية قرون من الوجود الحضارى هناك .

والأمر المؤكد ؛ أن القرن الخامس عشر شهد تحولات جذرية على المستوى الجيوبولوتيكى بصورة دلت على أن عصراً تاريخيًا جديداً إفتتح ، ولاشك فى أن المسلمين شاركوا بجدارة فى

١- فرديناند بروديل، تاريخ وقواعد الحضارات، ت حسين الشريف ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٠١ .

٢- فرديناند أو فرناندو ؛ هو ابن ملك نبره خوان الأول ولد عام ١٤٥٣م ، وقد تولى عرش مملكة أرتون من عام ١٤٧٩ إلى ١٥١٦م، كذلك اعتلى عرش مملكة نابولى عام ١٥٠٤ حتى ١٥١٦م، وصقلية من ١٤٦٨م إلى ١٥١٦م وقشتالة من ١٤٧٤ إلى ١٥٠٤ م، ثم تزوج من الملكة ايزابيلا ملكة قشتالة وقاد الحرب ضد المسلمين فى غرناطة آخر معاقلهم فى الأندلس إلى أن سقطت عام ١٤٩٢م، أما ايزابيلا ، فقد ولدت فى مدريفال دى الناس تورس عام ١٤٥١م وهى ابنة ملك قشتالة خوان الثانى، وأمها هى إيزابيلا البرتغالية، وقد تزوجت من فرديناند أمير أرغون وصقلية وقادت معه ما أسماه الأسبان حرب الاسترداد Reconquesta ، عن ذلك أنظر: مانويل جاسبار رميرو، رحيل أبى عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه ، ت . عبد الفتاح عوض ، ضمن كتابه فصول فى تاريخ الأندلس - بداية النهاية ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٥١- ص٢٧٦ ، محمد عبده ، الاتفاقية السرية الملحقة بمعاهدة تسليم غرناطه عرض وتحليل ، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداه إلى عبد العزيز الدورى ، ط. عمان ١٩٩٥م، ص٢٥٥- ص٢٦٧ ، سحر محمد سالم ، علاقة مصر المملوكية بغرناطه قبيل وعقب سقوطها ، المؤتمر العالمى الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية حول الذكرى الخمسمائة سنه لسقوط غرناطه ١٤٢٢- ١٩٩٢ : إشراف عبد الجليل التميمى، ط. زغوان ١٩٩٣م، ج٢ ، ص٩٣ ، حاشية (٤١) ، واشنطن ، أخبار سقوط غرناطه، ت. هانى يحيى نصرى، ، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ، ص٢٢١- ص٤٢٨ ، على حسين الشطشاط ، نهاية الوجود العربى فى الأندلس ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٧١- ص١١٤ ، محمد حسن العيدروس ، تاريخ العرب الحديث ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣١- ص٣٣ ، عبد العزيز نوار، ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٩، عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار ، التاريخ الأوربى الحديث، ط. القاهرة ، ص١١ .

صنعه ، ولانغفل كذلك اكتشاف الأمريكتين من خلال حركة الكشوف الاسبانية على نحو مثل نقطة تحول تاريخية.

ولانغفل ناحية أخرى من نتائج ذلك الحدث ؛ إذ أن الكثيرين من العلماء البيزنطيين رحلوا إلى الغرب الأوربى من بعد دخول الأتراك العثمانيين القسطنطينية وكان لهم دورهم البارز فى قيام النهضة الإيطالية قبل غيرها من الدول الأوروبية[١] دون إغفال عوامل أخرى أدت إلى تلك الأسبقية الحضارية بطبيعة الحال.

ولانغفل ؛ أن الدولة العثمانية من الآن فصاعداً ستغدو أكثر من مجرد آلة حربية ، لقد أقام العثمانيون بوصفهم نخبة فاتحة، وحدة من الإيمان ، وكذلك الثقافة واللغة على مساحة تجاوزت مساحة الامبراطورية الرومانية، واعتنقها أعداد هائلة من الشعوب [٢]، وإن كان ذلك جميعه لايقدم مبرراً كافيًا لنشوء الرعب الأوربى من تلك الدولة المسلمة التى وضعت أقدامها على أرض القارة الأوربية بعد جهد جهيد وكفاح حفظ التاريخ ملامحه .

لانغفل كذلك أن سقوط العاصمة البيزنطية فى التاريخ قد اعتبره البعض بمثابة انتقام آسيوى أخذت فيه آسيا بثأرها من فتوحات الاسكندر الأكبر أو أنها حركة مضادة للحروب الصليبية [٣]. وإن كنت أتصور أن القضية ليست قضيه إنتقام بل نمو وتطور طبيعى لقوة الاسلام كدين فاتح وعابر للقارات فى توسعاته .

١- زينب عصمت راشد، تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ج١، ص-٧، شوقى الجمل، وعبدالله عبد الرازق، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط . القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٤ وعن عطاء بيزنطة الحضارى للعالم أنظر:

Diehl , Byzantium , Greatness and decline, Trans. by Naomi Walford, New Jersy 1957 , pp. 227-288 .

٢- بول كنيدى ، نشوء وسقوط القوى العظمى، ت. مالك البديرى، ط. عمان ١٩٩٤م، ص٣٢ .

وأود الإشارة بهذه الدراسة لمفكر استراتيجى أمريكى وأشيد بجهد المترجم الذى بذل ما فى وسعه لنقل ذلك الكتاب الموسع إلى العربية فى لغة سلسة .

٣- نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى ص٣٤٧ ، هذه الفكرة نظرية للغاية وانفرد المؤرخ الفاضل بها ولا أميل إلى تأييدها .

من ناحية أخرى ؛ أثارت تلك الحادثة التاريخية المحورية جدلاً بين المؤرخين حول من يرث الامبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية ، ومن هى روما الثالثة ؟ ورأى البعض أن ذلك الوصف ينطبق على فيينا Vienne عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ بينما رأى فريق آخر أن موسكو صاحبة ذلك الميراث[١]، ومنطقى أنه من الصعب حسم ذلك الأمر الجدلى.

ولانغفل كذلك؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية التى حملت لواء المسيحية الأرثوذكسية على مدى عدة قرون، غدت مناراً للاسلام والدعوة لذلك الدين على الأرض الأوربية[٢]. وتلك مفارقة من مفارقات التاريخ .

والواقع أن «الممات البيزنطى» على ذلك النحو يثير قضايا ملحة وهى التوقيت الزمنى ، ثم تحليل عوامل السقوط، كذلك المسئولية التاريخية عن ذلك بين الفردية، والجماعية ، أو بينهما معًا.

وفيما يتصل بالتوقيت الزمنى؛ وهو عام ١٤٥٣م؛ من الملاحظ سقوط بيزنطة من قبل ذلك التاريخ بعدة قرون ، وعدة مرات ! وهنا مكمن التعجب فى تاريخها المديد! إذ أنها سقطت أوربا عندما قامت الإمبراطورة إيرينى من قبل بتسميل عينى ابنها قسطنطين السادس سعيًا وراء بريق المنصب الإمبراطورى فأطفأت بريق عينى فلذة كبدها !!!

كما أن بيزنطة سقطت أخلاقيًا من خلال كم المؤامرات والدسائس والفتن الغير مسبوقة التى حدثت بين ما يمكن ، وصفه «بالصفوة» السياسية والعسكرية والواقع أنها لم تكن - غالبًا- صفوة على المستوى الأخلاقى لأنها كانت تستحل فعل أى جرائم من أجل بريق السلطة الأخاذ بجامع العقول والقلوب ولا شئ غيرها !

١- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسة، ص٣٤٧ ، ولشرح هذه الزاوية ، هناك من يقرر أن المسيحيين اللاتين نظروا لأحداث عام ١٤٣ م على أنها بمثابة عقاب إلهى حل بالبيزنطيين المهرطقين وإنفصالهم عن كنيسة روما وشارك الروس عناصر اللاتين فى الفكرة المذكورة ، وأعتقدوا أن موافقة الامبراطورية البيزنطية على مجمع فلورنسا نتج عنه أن انتزع الله منهم الرئاسة على العناصر الأرثوذكسية وبالتالى صارت موسكو- فى تصورهم- القسطنطينية الجديدة أو روما الثالثة، عن ذلك انظر:

طارق مترى : المسيحيون الشرقيون والإسلام، ضمن كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية ، قراءات مرجعية فى التاريخ والحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط . بيروت ١٩٩٤م، ص١٨٧، حاشية (٢٩) .

ومع ذلك ؛ فالواقع أن عملية الإضمحلال ، والسقوط على المستوى التاريخى بصفة عامة عملية معقدة متداخلة العناصر [١]. وبالنسبة للتاريخ البيزنطى؛ تسببت فيها عدة عوامل ، والأمر المؤكد ؛ أن معركة مانزكرت عام ١٠٧١م ؛ أحدثت زلزالاً عنيفًا فى الجسد البيزنطى، أو كما وصفها طومسون J.K.J. Thomson بأن مفتاح الهزيمة تمثل فى تلك المعركة[٢] .

وجدير بالذكر أن آسيا الصغرى مثلت - على مدى التاريخ البيزنطى- خط الدفاع الشرقى البالغ الامتداد عن القلب البيزنطى فى صورة القسطنطينية ، ومثلت الرئة التى تتنفس من خلالها الامبراطورية ، ناهيك عن دورها التجارى الممتاز ، وهكذا فإن أحداث ١٠٧١م وما تلاه مثل نقطة تحول محورية فى تاريخ تلك الإمبراطورية نظراً لتأثيرها على آسيا الصغرى، على نحو خاص ولانغفل كذلك؛ أن الحركة الصليبية ذاتها جاءت بمثابة اختبار عسير للإمبراطورية التى دفعت الثمن فادحًا من خلال لعبة توازن القوى التى مارستها ببراعة من قبل، ثم سقطت ضحية لها فيما بعد؛ كما حدث فى عام ١٢٠٤م ومن الممكن القول أن القرنين ١٢ ، ١٣م، شاركا بفعالية فى الأحداث النهائية التى جرت فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

من جهة أخرى؛ لاننكر تأثير عوامل الاضمحلال الداخلية ، وقد تزايدت على نحو جلى فى عهد أسرة باليولوج دون أن نفصل بين ما حدث فى عهد تلك الأسرة والخط البيانى الهابط لغير صالح تلك الإمبراطورية من قبل.

١- عن الاضمحلال فى التاريخ بوجه عام أنظر: آرثر هيرمان، فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى ت . طلعت الشايب، تقديم رمضان بساويس ، المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

ويغلب على الكتاب الطابع الفلسفى التنظيرى ويبتعد أحيانًا عن «التطبيق» العملى التاريخى.

٢- عن ذلك أنظر:

Thomson , Decline in History The European Experience , Cambridge 1998, p. 8 .

وفى ذلك يقول ما نصه :

" A key defeat was the battle of Manzikert in 1071, following which the Turks advanced to the very walls of Constantinople" p. 8 .

وقد درس المؤلف أمر الإضمحلال البيزنطى على مدى الفصل الرابع من دراسته القيمة عن ذلك انظر:
Thomson , pp. 3-9 .

وبصفة عامة ، تعد دراسته متميزة.

والمؤكد ؛ أن الحرب الأهلية والصراع على العرش الامبراطوري قد أجهد تلك الامبراطورية خاصة أنها استمرت عدة أعوام وهناك من يقرر أن تلك الحرب أدت إلى نشر الخراب فى أنحاء الامبراطورية، وخلال ذلك وجدنا الانقسام بين البيزنطيين إلى فريقين [١]، كل فريق يؤيد أحد الساعين إلى ذلك المنصب وكل ذلك فى وقت كان البيزنطيون أحوج ما يكونوا إلى الوحدة والتماسك فى مواجهة الخطر الخارجي .

أما إذا اتجهنا صوب الجانب الاقتصادى والاجتماعى- وهو يحتل أهمية خاصة - نجد أن الخزانة الامبراطورية حينذاك صارت تعانى من نقص شديد ، خاصة أن الخراب قد انتشر من خلال الحرب الأهلية . وتضاءل شأن الرسوم الجمركية ؛ نظراً لاستئثار البنادقة والجنوية بجانب وافر من التجارة الخارجية وحصولهم على امتيازات كبيرة، ولذلك اضطرت الحكومة إلى خفض قيمة العملة وبل استدان الأباطرة ووصل بهم الأمر إلى حد رهن جواهر التاج[٢]؛ مما عكس الوضع المالى المتردى الغير مسبوق .

أما من الناحية الاجتماعية ؛ نلاحظ أنه منذ أواسط القرن الرابع عشر الميلادى ظهرت موجة من الثورة الاجتماعية فالعناصر الغفيرة ثارت ضد الطبقة الارستقراطية ، وفى مدينة سالونيك - على سبيل المثال- وهى التى وصفت بأنها المدينة الثانية فى الأهمية عنها الفوضى وقامت فيها حكومة ذات طابع جمهورى[٣] ووجدت السلطة الامبراطورية مشقة بالغة فى إخضاعها فى عهد حنا كنتاكوزين ولم يحدث ذلك إلا بشق الأنفس وبعد جهد جهيد[٤].

أما على الصعيد الدينى؛ فلاريب فى أن مسألة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية قد أجهد الامبراطورية البيزنطية وأدخل أهلها فى جدل وتصارع لم يكن من ورائه مغنم، ومن الأمور ذات الدلالة أنه فى عام ١٤٥٢م، وهو العام السابق مباشرة على الفتح العثمانى نشبت

١- Diehl. The Byzantine Empire, p. 18 .

٢- Ibid. p. 19 .

٣- Ibid. p. 17 .

٤- Ibid, p. 17 .

مظاهرات صاخبة عند كنيسة أيا صوفيا نتيجة لتلك القضية ، واستمر الأمر موضعًا للخلاف حتى عندما كان العثمانيون يحاصرون العاصمة البيزنطية[١].

وإذا نظرنا صوب الجيش والأسطول نجد أن الأول بلغ درجة كبيرة من الضعف ، وثارت عناصر المرتزقة بل إن فرقة المرتزقة التى عرفت باسم جماعة الكاتلان الكبرى Catakan، انتزعت غاليبولى Gallipoli ثم حاصرت القسطنطينية لمدة عامين[٢] على نحو عكس الوضع المتردى الذى بلغه الجيش البيزنطى حينذاك.

أما الأسطول البيزنطى ، فقد حاول ميخائيل الثامن إعادة تنظيمه إلا أن من حكم من بعده من الأباطرة البيزنطيين رأوا أن الاحتفاظ بذلك الأسطول يمثل عبئًا ماليًا كبيراً ، ولذلك أهملوه، وهكذا ؛ ثم ترك حماية مصالح الإمبراطورية فى القسم الشرقى من البحر المتوسط لأساطيل المدن التجارية الإيطالية[٣].

وهكذا يتأكد لنا أن الاحتضار البيزنطى تزايد بصورة واضحة فيما قبل الفتح العثمانى للقسطنطينية ، ويتضح لنا بالفعل أن الانهيار شمل كافة المرافق والمؤسسات فى الامبراطورية، فإذا أضفنا ذلك أن الشخصية البيزنطية أصيبت فى الصميم من جراء محنة ما بعد ١٢٠٤م، أدركنا أن حجم الانهيار كان كبيراً .

ومن الممكن الإقرار بأن السقوط كفكرة قديمة ومتكررة على مدى التاريخ البيزنطى ذاته، كما أنها فى عام ١٢٠٤م سقطت لأول مرة، غير أن الفارق الجوهرى بين أحداث عامى ١٢٠٤م، ١٤٥٣م؛ أنها استمرت بعد العام الأول، وانتهت إلى غير رجعة بع العام الثانى، وبالتالى بعد عام ١٤٥٣م؛ هو الأكثر بقاء ولالة فى التاريخ مقارنة بالأول حتى هذه اللحظة !!

ولانغفل ، أن المرحلة الواقعة ما بين عامى ١٢٦١م حتى ١٤٥٣م يمكن أن توصف بأنها «الاحتضار البيزنطى طويل الأجل»، ومن الممكن الافتراض- كنوع من الرياضة الذهنية لا أكثر حيث أنه لايوجد لو فى التاريخ ، أنه لولا حدوث كارثة أنقرة عام ١٤٠٢م؛ لكان من

١- Ibid, p. 158 .

٢- Ibid , p. 159 .

٣- Diehl, Rhe Byzantine Empire, p. 160 .

الممكن أن يسقط الأتراك العثمانيون بيزنطة قبل عام ١٤٥٣ بعدة عقود، في عهد بايزيد الأول وليس في عهد محمد الفاتح ، وهكذا ؛ فإن عاملاً خارجيًا في صورة التتار بقيادة تيمورلنك ساعد على إطالة عمر تلك الإمبراطورية إلى أن سقط في العام المحدد لذلك ويلاحظ أن صراعات أعداء بيزنطة مع بعضهم البعض - على مدى تاريخها- أى فى أحيان متعددة أدت إلى «إطالة» عمرها وهو أمر تكرر مرات متعددة .

نخلص من ذلك؛ أن عام ١٤٥٣م في الواقع تحديد زمني ينبغي ألا يوهمنا بأن الإمبراطورية البيزنطية قد سقطت فيه بينما -نظريًا- سقطت من قبل ذلك عدة مرات في ظروف متباينة.

ونفس الأمر نجده لدى كيانات سياسية أوربية ، وإسلامية معاصرة لتلك الإمبراطورية في مرحلة العصور الوسطى ومن أمثلة ذلك؛ مملكة بيت المقدس الصليبية ، والدولة الفاطمية والدولة الأيوبية ، فقد تصور الكثيرون أن الأولى سقطت من جراء حطين عام ١١٨٧م، بينما سقطت من قبل ذلك أدبيًا من خلال طبيعة الحركة الصليبية ذاتها كحركة متعصبة عنصرية ودموية [١] ، وتمثل المرحلة من ١١٧٤ - عام وفاة الملك عمورى آخر الملوك الصليبيين الأقوياء- حتى عام ١١٨٧م احتضار ما قبل النهاية العسكرية في صورة حطين وأعقابها ، ونفس الأمر يقال عن الدولة الفاطمية التي لم تسقط عام ١١٧١م بل من قبل ذلك من خلال الصراع الشيعي السني محضرى التشكيك في نسب الفواطم من جانب العباسيين في عهدى الحاكم والمستنصر على نحو أدى إلى هوانهم في نفوس رعاياهم ثم التصارع على السلطة بين الوزراء العظام كل ذلك جعل تلك الدولة تعيش نوعًا من الاحتضار الذي طال بها منذ عهد المستنصر (١٠٣٦-١٠٩٤م) خاصة منذ الشدة المستنصرية حتى عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر ناهيك عن العجز عن مواجهة الغزو الصليبي، أما الدولة الأيوبية قد

١- عن ذلك بالتفصيل : محمد مؤنس عوض، عوامل إخفاق المشروع الصليبي في القرن ١٣ م / ٧هـ ، ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة ، المياه ، العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٤١- ص٦٧ .

وتقوم حاليًا تلميذتي صفاء عثمان بإعداد أطروحتها للدكتوراه في نفس الموضوع وتحديداً بعنوان.

عوامل فشل المشروع الصليبي في القرن ١٣م .

سقطت أدبيا بمعاهدة يافا ١٢٢٩[1] والتفريط فى القدس على يد الكامل الأيوبى قبل أن تسقط فى عهد تورانشاه ١٢٥٠م.

أما العوامل التى أدت إلى الممات البيزنطى فيمكن إجمالها فى صورة عوامل داخلية وخارجية .

وفى تصورى؛ أن العوامل الداخلية لعبت دوراً فعالاً لايقل عن العوامل الخارجية ، ولانغفل أن الاثنين معًا تعاونًا .

وفيما يتعلق بالعوامل الداخلية؛ هناك من المؤرخين الأوربيين من عمل على تركيز نظرته صوب آل باليولوج فقط، وبالتالى تصور أن ضعف تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة على نحو

١- عن معاهدة يافا ١٢٢٩ م ، أنظر:

Philip of Novara , The Crusade of Frederick II from Philip of Novara , in Peters (ed.) , Christian Society and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 , pp. 157-158 .

ابن العديم ، زبدة الحلب، ج٣ ، ص٢٠٥؛ ابن نظيف الحموى ، التاريخ المنصورى - تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد دودو، ط. دمشق ١٩٨٢م. ص١٧٦ ؛ ابن أيبك الدوادارى ، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٢٩٢ ، المقريزى ، السلوك ، ج١ ، ص٢٣٠- ص٢٣٢ ، ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ. عصر الملك الكامل الأيوبى ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الموصل عام ١٩٨٨م، ص١١٣- ص١١٤ . وأود الاشادة بالجهد المبذول فى هذه الرسالة ،محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٢٩١- ص٣٠٠ ، أحمد رمضان ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، الحروب الصليبية،. ط. القاهرة ب-ت ، ص١٧٩ ، نظير حسان سعداوى ،الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص٩٦- ص٩٧، رأفت عبد الحميد، الملك الكامل بين «الافراط والتفريط» فى مواجهة الصليبيين، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٢٥- ص٢٠١ . فوزى رضوان العربى، «بيت المقدس تحليل تاريخى» ، الندوة الدولية القدس التاريخ والمستقبل ، تقديم أ.د. يوسف درويش غوانمه ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ، ط. عمان ١٩٩٥م، ص٦٨- ص٦٩ . سعيد عاشور «الامبراطور فردريك الثانى والمشرق العربى»، المجلة التاريخية المصرية ، عام ١٩٦٣م محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية ، رسائل الثقافة الحربية ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى، ط. القاهرة ١٩٥٤م، ص١٢ ، ياسين التكريتى، الأيوبيين فى شمال الشام والجزيرة ، رسالة دكتوراه كلية دار العلوم- جامعة القاهرة ، عام ١٩٨١م ، ص٢٠٤ .

خاص هو السبب المباشر وراء سقوط الامبراطورية، وهو أمر غير منطقى لأنهم فى هذه الحالة لايبحثون عن أصول وجذور الاضمحلال ، والواقع أن ذلك الاضمحلال عميق الجذور ، وقد لاحظنا أن المنصب الإمبراطورى كان هدفًا لكل طامع خاصة من جانب المؤسسة العسكرية وكانت الوسيلة المثلى متمثلة فى المؤامرات والإنقلاب .

وقد وصل إلى ذلك المنصب فى الكثير من الأحيان أشخاص غير جديرين به ، وبالتالى كان الضعف مصاحبًا لهم، ومن بين عشرات الأباطرة لانجد إلا أقل القليل منهم من لديه القدرات الفعلية لتولى القيادة البيزنطية بكفاءة تاريخية حقيقية .

ولانغفل كذلك؛ الخلافات الدينية والمذهبية، ودورها الفعّال فى استهلاك طاقات الإمبراطورية وتفكيك روابطها ، كما أن سياسة الأباطرة تجاه القضايا الدينية كانت متغيرة وقضية الصراع على عبادة الأيقونات خير دليل على نحو إنعكس بدوره على مسار التاريخ البيزنطى ذاته.

من ناحية أخرى ؛ نجد أن الجيش البيزنطى على نحو خاص ، قد أصابه الوهن من قبل الأسرة البيزنطية الأخيرة، ومن بعد عام ١٠٧١م مع حدوث معركة مانزكرت وهزيمة الامبراطورية على أيدى السلاجقة ، نلاحظ إفتقاد بيزنطة للمقاطعات التى كانت تحصل منها على عناصر المرتزقة ، وهكذا : صار الجيش البيزنطى فى عصور الضعف لايملك إمكانية الدفاع عن الامبراطورية خاصة مع تكالب الأعداء عليها من كل حدب وصوب.

كذلك لانغفل أهمية الناحية الاقتصادية ، وإذا تعرضنا لأمر الإقطاع البيزنطى [١]، يلاحظ البعض أن الإمبراطور ميخائيل باليولوغوس حاول أن يرضى العناصر المؤيدة له من العناصر العسكرية وكذلك أصحاب الضياع الكبيرة من الطبقة النبيلة ، وبعد أن كانت الإقطاعات الزراعية الكبيرة المسماه برونويا Pronoia يتم منحها لمدة محدودة وهى غالبًا مدى الحياة دون أن تورث صارت وراثية ، وصار لأصحاب البرونويات حق توريثها إلى أبنائهم منذ صدور أمرها، وتزايد عدد البرونويات كنتاج لأمر التوريث وقد صاحبها الاعفاء من الخدمة الحربية ،

١- عن أمر الاقطاع البيزنطى أنظر:

Ostrogorsky, Pour L'Histoire de la Feodalité byzantine, Trans. by H. Kazhdan and Epstein, Change in Byzantine Culture in The Eleventh and Twelfth Centuries, pp. 56-73 .

واضطرت الامبراطورية إلى استخدام عناصر المرتزقة ، على نحو زاد من أعبائها المالية المنهكة أصلاً، كذلك نلاحظ أن أباطرة أسرة باليولوغوس قاموا باعفاء الضياع الكبيرة من العناصر المدنية من الضرائب ، على نحو أدى إلى ضعف الموارد المالية ناهيك عن نقص الخدمات الحربية[1].

فإذا أضفنا إلى ذلك كله: افتقاد بيزنطة للعديد من أملاكها وسيطرة البندقية عليها عقب الصليبية الرابعة؛ أدركنا كيف أن الضعف الاقتصادى قد رسم ملامح قضية الاضمحلال والسقوط البيزنطى.

وفى معرض تناولنا للعوامل الداخلية؛ قد يتصور البعض أن الامبراطور قسطنطين الحاد عشر آخر الأباطرة البيزنطيين يتحمل أكثر من غيره مسئولية سقوط بيزنطة ، وكأن الأمر ارتبط بسياسة شخص واحد فقط وهو أمر غير منطقى لأن عهده كان نتاجًا لمرحلة ضعف طويلة سابقة عليه وبالتالى فهو نتيجة أكثر من كونه سببًا.

واقع الأمر ، لايتحمل الامبراطور الأخير الذى وقع فى عهده السقوط منفرداً ذلك بصفة عامة وينطبق ذلك على الخليفة الأموى مروان بن محمد عام ٧٥٠م، والخيفة الفاطمى العاضد عام ١١٧١م، والسلطان الأيوبى تورانشاه عام ١٢٥٠م، والخليفة العباسى المستعصم عام ١٢٥٨م، وطومانباى عام ١٥١٧م، ومثلما نقول دومًا أن التاريخ يصفه الفرد القائد ومعه شعبه فإن ذلك ينطبق على السقوط فى التاريخ أيضًا بنفس الدرجة.

أما العوامل الخارجية: فيمكن إبراز أهمها فى صورة البابوية ، والبنادقة والأتراك العثمانيين، فيلاحظ بالنسبة للأولى أنها ناصبت بيزنطة العداء على مراحل تاريخها المديد من قطيعة فوشيوس مروراً بالإنشقاق الاعظم ١٠٥٤م، إلى الدور المتآمر للبابا أنوسنت الثالث

١- حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ص٢٩٦ .

وعن البرونويا فى عهد آل كومنين أنظر :

Ostrogorsky , “ Die Pronoia unter den Komkenen”, Z.R.V.I., 1970, pp. 41-57 .

وتعد دراسات أوستروجورسكى أفضل ما ظهر فى موضوع الإقطاع البيزنطى .

حسنين ربيع ، المرجع السابق، ص٢٩٧ .

٢- عن تلك الأملاك أنظر الملحق الخاص بها .

خلال الصليبية الرابعة، ثم عدم الاستجابة للاستغاثات البيزنطية فى مرحلتها المتأخرة للغاية حتى بعد أن تحول إمبراطورها يوحنا كانتاكوزين عن الأرثوذكسية على نحو مهين. لقد كان ميراث العداء بين الجانبين أكبر من إمكانية تناسبه مع استفحال الأخطار على الامبراطورية التى ظلت درعًا للمسيحية الشرقية عدة قرون.

وبالنسبة للبندقية ؛ نجد أن منافستها التجارية لبيزنطه جعلتها تتآمر عليها فى ظروف أحداث عام ١٢٠٤م ولاشك أن بيزنطة قُدمت الأتراك العثمانيين منهوكة القوى بعد ما حدث لها فى خلال الصليبية الرابعة ، وفى تصورى أن الموقع الجغرافى الفريد لبيزنطة وتحكمها فى تجارة البحر الأسود وقسم فعال من تجارة البحر المتوسط قد جنى عليها أحيانًا ، وجر عليها صراع البندقية معها التى أبت إلا أن تقضى على مكانتها التجارية الرفيعة المنافسة لها، وينبغى ألا يتصور أحد؛ أن الإمبراطورية البيزنطية قد تعرضت لمؤامرة خارجية قضت عليها فى النهاية ؛ أن تلك الإمبراطورية «تآمرت» داخليًا على نفسها أولاً من خلال الصراعات السياسية التى استمرت حتى النهاية ، وبالتالى: تعاونت مؤامرة الداخل، والخارج معًا: لتخط آخر فصول المسرحية البيزنطية البالغة الطول، والتى شارك فى أدائها قوى سياسية عديدة على مسرح العلاقات الدولية بين الشرق والغرب !!!

أما الأتراك العثمانيون ؛ فالملاحظ أنهم مثّلوا دماءً مجاهدة شابة جديدة وفدت إلى المنطقة، والواقع أن بيزنطة لم تكن فى عصر تدهورها وهوانها نداً لمواجهة تلك القوة الفتية الجديدة التى تحسن التخطيط بدقة وتجيد تنفذ ما خططت له .

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأتراك العثمانيين إمتازوا بوضوح الهدف ، والسعى له بكل وسيلة نحو تحقيقه ، ولانغفل ، براعة التخطيط على أساس علمى من خلال سلاح المعلومات التى توافرت لهم عن العدو البيزنطى، ثم الإعداد العلمى العسكرى الفذ سواءً من خلال الجيش أو الأسطول على نحو صنع الانتصار الأخير الفعّال الذى لايزال يعيش حيًا بيننا من خلال دولة تركيا حاليًا على الخريطة الأوروبية بالإضافة إلى آسيا الصغرى أو الأناضول.

والآن: تبرز قضية خاصة بالمسئولية التاريخية عن سقوط بيزنطة، هل فردية أم جماعية ، والواقع أن القول بالجانب الفردى من خلال سلوكيات الأباطرة أنفسهم، ليس إلا نصف التفسير الواقعى لما حدث ، فليس من المنطقى؛ تصور أن مجموعة من الأفراد أيًا كانت سلطاتهم المطلقة يمكن أن يؤدوا - بمفردهم إلى سقوط كيان سياسى كبير فى حجم الإمبراطورية البيزنطية.

واقع الأمر ؛ أن «الأغلبية الصامتة من الشعب البيزنطى» تتحمل جانبًا كبيراً من المسئولية التاريخية، فمن غير المتصور أن يتم تصوير الأمر من خلال مسئولية فردية وترك الشعب البيزنطى ذاته دون أن يتحمل قسمًا بارزاً فيها. وقد يرد البعض بأن العصور الوسطى لم تكن بها شعوب تشارك فى صنع القرار السياسى كما فى العصر الحديث، إلا أن ذلك لايبرر الأمر، ولاننسى أن القيادات السياسية البيزنطية هى إفراز حقيقى من الشعب البيزنطى ذاته بإيجابياته وسلبياته .

وبعد ؛ فلا مراء فى أنها رحلة طويلة شاقة قطعتها بيزنطة ؛كى تتكيف مع الأحداث الدولية ، وصراعات القوى الدولية المتعددة التى كانت تتقلب فى تحالفاتها وعداءاتها بين الحين والآخر، ولاريب؛ فى أنه بين يوم ١١ مايو ٣٣٠م، ٣٠مايو ١٤٥٣؛ أى بين الميلاد والممات عاشت تلك الإمبراطورية تصارع الزمن بين مد وجزر لكن لم يكن من الممكن البته أن تقوى على منطق التاريخ الذى رأيناه لدى كافة الكيانات السياسية الأخرى فى العصور القديمة والوسطى والحديثة عندما تضعف وتشيخ ويكون بالتالى الخروج من التاريخ، وكان ذلك على أيدى المسلمين من الأتراك العثمانيين الذين دخلوا التاريخ بجدارة مثلما خرجت منه بيزنطة بجدار موازية! وأعنى بها جدارة الضعف والهوان ثم الإنسحاب ؛ لأن التاريخ لايصنعه إلا الأقوياء !

تبقى زاوية أخيرة ، تتعلق بعض مقارنة موجزة بين إسقاط القسطنطينية عام ١٤٥٣م فى أيدى العثمانيين ، وإسقاط الوجود الصليبى فى عكا من قبل فى عام ١٢٩١م بأيدى المماليك.

واقع الأمر ؛ أن هناك مشروعية للمقارنة ، على اعتبار أن الحدثين التاريخيين الكبيرين حدثا خلال مرحلة العصور الوسطى وضمن نطاق العلاقات بين الشرق والغرب ، كما أن الفارق بين الحادثتين ١٦٢ عامًا فقط.

ومع إدراكنا الأولى لوجود اختلافات بين مملكة بيت المقدس الصليبية التى تمدت مملكة عكا الصليبية بعد عام ١١٨٧م ، والدولة ذات طابع اقتصادى تجارى على نحو خاص، وكذلك العاصمة البيزنطية، ولم يكن غريبًا والأمر كذلك؛ أن ذكر الرحالة الأندلسى البارز ابن جبير عندما زار عكا عبارته ذات الدلالة : «المشبهة فى عظمتها بالقسطنطينية[1] .»

١- الرحلة ، بيروت ب-ت ، ص٢١١ ، برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لأوربا ، ت. ماهر عبد القادر، ط . القاهرة ١٩٩٦م، ص١١٥ .

كذلك نلاحظ أن كلاً من التاريخين كان يعنى نهاية كيان مسيحى - بغض النظر عن عن مذهبه، وذلك لمصلحة التوسع السياسى للإسلام كدين، وهكذا ، فإن عام ١٢٩١م شهد نهاية الوجود الصليبى من بلاد الشام، وعام ١٤٥٣م شهد نهاية البيزنطى من القسطنطينية وانتهاء تلك الامبراطورية ذاتها .

من جهة أخرى؛ تتشابه الحادثتان من حيث أن من قام بالانجازين فى صورة المماليك ومن بعدهم العثمانيون التزموا أنفسهم بالجهاد وهو ذروة سنام الإسلام، وبالتالى احتلت الدولتان مكانة بارزة من بين الدول الإسلامية فى العصور الوسطى.

ولانغفل كذلك أن المرحلة العمرية لكل من الأشرف خليل بن قلاوون ومحمد الفاتح العثمانى كانت شابه على نحو عكس أن التاريخ من الممكن أن يصنعه الشباب صغير السن إذا ما كان مهيأ أصلاً لصنعه بجدارة!

أما أوجه الاختلاف فنذكر منها ، أن الكيان الصليبى فى عكا كان آسيويًا بينما كان الكيان البيزنطى أوربيًا ، كذلك لم يكن لعكا ذات الموقع العبقرى الذى كان للقسطنطينية ، ناهيك عن قصر عمر مملكة عكا مقارنة بالقسطنطينية واسعة المدى الزمنى، كذلك لانغفل أن سقوط عكا الصليبية لم يكن يعنى بداية عصر تاريخى جديد ؛ إذا استمرت مرحلة العصور الوسطى قائمة أما بالنسبة لسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م؛ فقد اعتبره البعض بداية لما عرف بالعصر الحديث، ونستدل من ذلك ؛ أن التاريخ الأخير يعد أكثر محورية مقارنة بالأول لاسيما فى النطاق الأوربى.

على أية حال ؛ أيًا كانت أوجه التشابه والاختلاف فالأمر المؤكد أن الحادثتين تمثلان نقطتى تحول فى مرحلة العصور الوسطى ومنها ما كان فى فصولها الأخيرة:

نخلص من وراء ذلك كله أن الإضمحلال البيزنطى كانت له على المستوى الداخلى صور وأشكال مختلفة ومتعددة منها السياسى، والحربى، والاقتصادى وتعاونت معًا فى تزامن متكامل على نحو أدى إلى النهاية المعروفة وبالتالى لم يكن الأمر نتاجًا لعامل واحد بل عوامل مشتركة وفعالة فى نفس الحين .

على أية حال ؛ إذا كان ذلك شأن السياسة والحرب ، فيلاحظ أن الامبراطورية البيزنطية فى عصرها المتأخر أنجبت عدداً من الأعلام فى مجالات متعددة وكأنها تقول للتاريخ أن لديها القدرة على إنجاب المبدعين فى كافة المجالات حتى وهى فى النزع الأخير ! ومن الممكن تقديم العديد من الأمثلة والنماذج فى هذا الشأن.

ففى مجال التاريخ : نجد هناك جريجوروس باخميريس[1] Pachimeres (١٢٤٢-١٣١٠م) ويعد مصدراً أساسيًا عن عهد كل من ميخائيل الثامن ، واندرونيكوس الثانى .

كذلك نشير إلى ميخائيل كريستوبوليس Michael Kerstoboulos والذى انحدر من أسرة عريقة من جزيرة إيمبروس Imbros، وقد تمكن من الوصول إلى شروط محددة مع الأتراك العثمانيين بعد عام ١٤٥٣م وعلى أساسها جعلوه يتولى ادارة جزيرته منذ عام ١٤٥٦م وقد ألف تاريخًا يتناول الأحداث ما بين عامى ١٤٥١م ، ١٤٦٧م ، وقام باهدائه للسلطان محمد الفاتح ووصفت كتاباته بالميل إلى الأتراك العثمانيين، ويعد ما كتبه مهمًا خاصة فيما يتصل بالنهاية البيزنطية عام ١٤٥٣م[2].

أما فى مجال اللاهوت : فنشير إلى جريجورى القبرص Gregory of Cyprus الذى تولى بطريركية القسطنطينية خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٢٨٣- ١٢٨٩م وقد تولى ذلك المنصب فى عهد أندرونيكوس الثانى، وقد ألف كتابين فى الإيمان ، وفى «الانبثاق» ، وهناك من يقرر عنه أنه كان خطيبًا لايشق له غبار وألف رسائل كثيرة[3].

وهناك أيضا جناديوس سكولاريوس Gnadius Scholarius ، ويوصف بأنه أول بطريرك يتولى منصبه بعد الفتح العثمانى للقسطنطينية ، وكان قد اشترك فى مجمع فلورنسا، وقد أيد الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، غير أن فيما بعد عدل عن رأيه وصار من أشد خصوم الاتحاد بينهما ، ومن أهم مؤلفاته كتابه «المراثى» ويحتوى على مادة تاريخية مفيدة خاصة عن أوضاع الكنيسة الأرثوذكسية فى ظل الوجود العثمانى[4].

١- عنه أنظر المدخل البليوغرافى .

دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ت.حسن حبشى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٢٥١ .

٢- نفسه ، ص٢٥١ .

٣- أسد رستم، الروم، ج٢، ص٢٧١ .

Nicol , A Biographical dictionary , p. 45 .

٤- أسد رستم، المرجع السابق. ج٢، ص٢٥١ .

ومن أعلام اللاهوت؛ ديمتريوس كيدونيس Demetrius Cydones (١٣١٠ - ١٤١٠م) وقد قام بترجمة أحد مصنفات توماس الاكوينى إلى اليونانية وهناك من يقرر أن أفضل ما كتب مراسلاته مع مانويل الثانى، ويوحنا كنتاكوزين، وغيرهما [١].

كذلك لانغفل بيساريون Bessarion الذى تعرف أنه ولد فى طرابيزون حوالى عام ١٣٩٥م، ويمم صوب العاصمة البيزنطية لمتابعة دراسته وفيما بعد انهاها على مدى بليثون الفيلسوف فى ميسترا فى المورة Morea ، مما يذكر عنه ؛ مرافقته يوحنا الثامن إلى مجمع «فلورنسا[٢]، وبعد سقوط بيزنطه عام ١٤٥٣ اتجه إلى ايطاليا وقد تمكن من جمع ٦٠٠ مخطوط دفع ثمنًا باهظا لها وصارت فيما بعد نواة مكتبة البندقية[٣].

ثم تسير إلى ايوجنيكوس Eugenicos والذى وصف بأنه من أشد من تمسك بالأرثوذكسية وبقرارات المجامع المسكونية ، وقد حضر مجمع فلورنسا ورفض توقيع قراراته، واشتهر بمؤلفاته فى تفنيد العقيدة اللاتينية ، كذلك هناك مراسلاته [٤].

وفى مجال الفلسفة والأدب وفقه اللغة نشير إلى عدد من الأعلام ومنهم؛ جيمستوس Ge-mistus (ت ١٤٥٠م) الذى درس فى القسطنطينية وعشق الفكر الكلاسيكى وهناك من يقرر ترويجه لفكرة انشاء أكاديمية أفلاطونية فى فلورنسا، وقد صنف مؤلفًا فى المفاضلة بين اثنين من أعلام الفكر الفلسفى اليونانى هما أفلاطون وأرسطو[٥].

ومن أعلام البلاغة ، والخطابة خلال تلك المرحلة ؛خمنوس Chumnos وقد ترك عشرات الرسائل فى مجالات الأدب وكذلك اللاهوت والفلسفة[٦] مما عكس موسوعية معارفه وتعددها بين علوم مختلفة .

١- أسد رستم ، الروم، ج٢ ، ص٢٧٠ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

٣- زينب راشد، تاريخ أوربا الحديث، ج١ ، ص٧٠ .

٤- أسد رستم ، المرجع السابق، ص٢٧٠- ص، ٢٧١

٥- أسد رستم ، الروم، ج٢، ص٢٧٢ .

٦ نفسه. ص٢٧٣ .

ويضاف إليه : بلاندوس Planudes الذى كان عالمًا لغويًا ، وعاصر ميخائيل الثامن، وأندرونيكوس الثانى ومن أهم مؤلفاته رسائل فى جراماتيكا اللغة اليونانية كذلك ساهم فى أمر الترجمة فقام بنقل عدة مؤلفات لاتينية إلى اليونانية [١].

وفى مجال الأدب نشير إلى يوحنا خورتا سمبينوس John Chortasmpnos (ت ١٤٣٦-١٤٣٧م) ، ووصلت إلينا رسائله التى وجه أغلبها إلى الامبراطور مانويل الثانى كذلك نظم عدداً من القصائد ، ومما يذكر عنه شكواه الدائمة من شظف العيش[٢] ومع ذلك فيوصف بعشق الكتب التى كانت له - على ما يبدو - خير عزاء عما عاناه على المستوى المادى.

كما لانغفل من الأعلام الذين تألق نجمهم خلال تلك المرحلة مانويل خريسو لوراس Manuel Chrysoloras (ت ١٤١٥م) الذى قام بتدريس اللغة اليونانية فى فورنسا عام ١٣٩٦م، كما قام بأدوار دبلوماسية نشطة عام ١٤٠٨م من خلال سفره إلى باريس ، ولندن، والبندقية. كذلك شارك فى مجمع كوتستانس عام ١٤١٤م.

على أية حال ؛ يذكر عنه سعيه إلى إحياء اللغة اليونانية فى إيطاليا ، ومن بين أهم مؤلفاته كتابه عن قواعد اللغة اليونانية الذى كان له تأثيره البارز وعنوانه : "Erotemata"[٣] .

كذلك نشير إلى جورج مينوخيتس (ت ١٣٢٨م) الذى عمل رئيسًا للشمامسة وكاتبًا ، ويذكر عنه بلاغته الجلية خلال المفاوضات التى جرت بين ميخائيل الثامن مع البابوية وكان نائبًا عن الامبراطور المذكور خلال مجمع ليون ١٢٧٤م، وقد ترك بعض المؤلفات العقائدية التى يقرر دونالد نيكول أنها كانت تنمو نحو المذهب اللاتينى [٤].

أما إذا أردنا عقد مقارنة موجزة بين أسرة باليولوج ، والأسرات البيزنطية السابقة عليها، نجد أنها حكمت قرابة قرنين من الزمان (١٩٢عامًا) فهي بالتالى من أطول الأسرات الحاكمة

١- نفسه، نفس الصفحة .

٢- Nicol, ABiographhical dictionary, p. 23 .

٣- Ibid, p. 24 .

٤- Nicol , A Biograpical dictionary , p. 86 .

على مدى ذلك التاريخ المديد وبالتالى فاقت فى ذلك الأسرة المقدونية (١٩٠) عاما على سبيل المثال ، غير أنه من الواضح أن الفارق الزمنى محدود بين الأسرتين.

من جهة أخرى، نلاحظأن تلك الأسرة تفوقت زمنيًا على الأسرة السابقة عليها وهى أسرة انجيلوس إذ حكمت نحو عشرة أضعاف مدة حكمها ، ومع ذلك ؛ تتفق الأسرتان فى نوعية الأباطرة الضعاف، فلم تعد بيزنطة بقادرة على إنجاب أباطرة مثل مؤسسى الأسرات السابقة، بل من يشيع بيزنطة إلى مثواها الأخير ! وإن تشابهت معها فى زاوية أن كلاً من الأسرتين شهدت السقوط البيزنطى كما حدث عام ١٢٠٤م، ١٤٥٣م مع ملاحظة أن الأول استمرت من بعده قرنين من الزمان ، أما الثانى فكان يعنى النهاية.

ولانغفل أنه إذا كانت أسرة قسطنطين (٣٢٤-٣٧٨م) توصف بأنها أسرة البداية والتأسيس فإن أسرة باليولوغوس - فى المقابل- توصف بأنها أسرة النهاية ، وتعد الأسرات الأخرى بمثابة حلقة الوصل بين الأسرتين المذكورتين .

من زاوية أخرى؛ يتطلب الأمر منا الاقرار بأن أسرة انجيلوس تتشابه مع الأسرة الهرقلية، وكذلك الأسرة الايسورية فى التعامل مع الضغط العسكرى للمسلمين فى عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والسلاطين العثمانيين وإذا كانت الأسرة الايسورية نجحت فى المواجهة إلا أن الاسرتين الهرقلية وأسرة انجيلوس فشلتا. وإذا كانت الاسرتان الأولى والثانية نجحتا فى المواجهة إلا أن الأخيرة أخفقت فكانت أحداث ١٤٥٣م.

كذلك لاننكر ؛ أن أسرة باليولوج اتضح خلالها تأزم العلاقة مع الغرب الأوربى على الرغم من التنازلات البيزنطية الغير مسبوقة ، وبالتالى ؛ يمكن القول أن ما حدث فى عهد الأسرة العمورية من خلال قطيعة فوشيوس، وكذلك ما وقع فى عهد الأسرة المقدونية من الإنشقاق الأعظم ، اتضحت آثاره السلبية على بيزنطة فى عهد أسرة باليولوج التى كان من عوامل سقوطها الصراع الطويل بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى .

ذلك عرض عن أسرة باليولونج آخر الأسرات البيزنطية الحاكمة .

الخاتمـــة

نتجت عن هذه الدراسة عدة نتائج مهمة يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً: إن هناك إشكالية متعددة الأوجه فى دراسة التاريخ البيزنطى، لعل من أبرز معالمها ؛ الاتساع الزمانى والمكانى الخاص بالإمبراطورية البيزنطية، ثم الدور الكاسح لمؤسس الأسرات البيزنطية الحاكمة مقارنة بالأدوار التاريخية الأخرى للأباطرة الثانويين ، وما أكثرهم ! ، ثم هناك «كاريزما» البطل ودورها فى معالجة المؤرخ للأحداث التاريخية، كذلك لانغفل الطابع الرسمى للمصادر، ثم زاوية الدعاية فى النصوص المصدرية وانعكاسها على المعالجات الحديثة ، ولانغفل مشكلة أساسية فى صورة المركزية الأوربية التى كان لها تأثيرها الوضّاح فى معالجة بعض المؤرخين العرب ممن تأثر بها بصورة أو بأخرى .

ولانغفل ؛ أنه فى حالة إدراك المؤرخ لمظاهر تلك الاشكالية ، فبالتالى تتزايد مصاعب دراسة تاريخ تلك الامبراطورية ويتحول هو نفسه جزءًا منها .

ثانيًا : حاولت الدراسة تقديم تصور لأعمال عدد من الأباطرة البيزنطيين ممن عملت المركزية الأوروبية على إبراز أدوارهم بنوع من الدعائية، ولكن من خلال استعراض تلك الأعمال التى قاموا بها ؛ من الممكن التوصل إلى اكتشاف إيجابياتها وكذلك ما فيها من سلبيات تركت أحيانًا أسوأ الأثر على مسار التاريخ البيزنطى بوجه عام، ويبقى الأمر مجرد وجهات نظر، ولكل مؤرخ تصوراته طالما أنها مدعومة بمنطق الأحداث التاريخية لا من خلال رؤية شيفونية أو من زاوية اعتساف الأحكام أو القولبة إلى نحو ذلك من التصورات التى تتعارض مع الموضوعية التاريخية الواجبة ومن الطبيعى أن تختلف التصورات والرؤى لأن ذلك يمثل طبيعة الدراسات التاريخية ذاتها .

ثالثًا : أكدت الدراسة على فعالية العوامل الداخلية ودورها البارز فى سقوط بيزنطة أول مرة عام ١٢٠٤م خلال أحداث ما عرف بالصليبية الرابعة، والمرة الثانية ؛ عندما سقطت إلى غير رجعة من خلال فعاليات الأتراك العثمانيين فى عهد محمد الفاتح عام ١٤٥٣م ، وبالتالى كان السقوط من الداخل قبل الخارج، وتفاعلت العوامل الداخلية، والخارجية معًا ؛ لتضع النهاية «الواقعية» لتاريخ بيزنطة أطول الإمبراطوريات عمراً فى تاريخ العصور الوسطى قاطبة دون منازع ؛ وينبغى ألا نخدع بغزارة الاشارات المصدرية والمرجعية من فعاليات العامل الخارجى فقط بمعزل عن تأثير العوامل الداخلية .

رابعًا : اتضح من خلال الصفحات السابقة ! الطابع البرجماتى ، «والميكيافيلى» فى التاريخ السياسى البيزنطى، وبالتالى ، فإن حوادث الاغتيال ، والخيانة والغدر تمثل جزءاً لايتجزأ من ذلك التاريخ على نحو لايستطيع المؤرخ الموضوعى تجنبه مهما كانت درجة تعاطفه مع أبطاله التاريخيين .

ومن الممكن القول؛ أن بيزنطة الإمبراطورية بعد رحلة دامت أكثر من ١١ قرن من الزمان عجزت عن تقديم نموذج أخلاقى رفيع يتمثل فى أحد أباطرتها الكبار إلا ما ندر ، وظل تاريخها تشويه الدسائس ، والمؤامرات على مستوى ما سمى بالنخبة العسكرية ، والسياسية على الأقل ، وبالتالى؛ فإن رؤية المؤرخ البريطانى إدوارد جيبون Edward Gibbon حيالها التى أوردها فى كتابه عن إضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية منذ زمن بعيد لم تنشأ من فراغ بل من خلال استقراء تاريخى يحمل جانبًا من الواقعية ، دون أن نغفل ما كان لتلك الإمبراطورية – فى المقابل- من جوانب حضارية مشرقة لابد من الإشادة بها لأنها جزء من التراث الحضارى الانسانى عمومًا .

خامسًا : تأكد لنا من خلال العرض السابق؛ أن النطاق الزمنى الطويل لبيزنطة على غير المألوف فى أعمار القوى السياسية فى العصور الوسطى ؛ لم يكن يرجع إلى قدرات بيزنطية ذاتية فقط بل إن القرنين الأخيرين من عمرها كانت تعيش خلالهما مرحلة احتضار طويل الأجل ، وقد أثرت أحداث فعّالة لدى أعداء بيزنطة فى «تأخير» سقوطها، خاصة أنها فى مرحلتها الأخيرة لم تكن تمثل عنصراً فاعلاً بل كانت الإمبراطورية الصدى؛ أى تعبر عن ردود الأفعال على قوة العثمانيين التى تتبرص بها من خلال تناميها سياسيًا وعسكريًا واقتصاديا، ناهيك عن الغرب المتربص بها كنسيًا ، ثم هناك الضعف البيزنطى بعد أن شاخت وهرمت ولم تعد تستطيع التفاعل بجدارة تاريخية مع تلك « القوة العثمانية الشابة» كانت تعرف هدفها بجلاء وتسعى له بقوة ودائما التاريخ للأقوى والأصلح.

سادسًا : اتضح لنا من خلال العرض السابق؛ أن التاريخ البيزنطى على الرغم من أن وقائعه ذات معالم واضحة من خلال معالجة المصادر التاريخية المختلفة إلا أن قراءته اختلفت من مدرسة تاريخية غربية إلى أخرى ، ويكفى أن نذكر؛ أن معالجة المؤرخين المحدثين الروس، واليونانيين نظرت إلى ذلك التاريخ على اعتبار أنه جزء لايتجزأ من التاريخ القومى الروسى، واليونانى، وإنعكس ذلك بالضرورة على معالجاتهم والمواقف الفكرية التى اتخذوها ،

وتمجيدهم لأباطرة معينين، خدمة لأهداف تاريخهم القومى، وهكذا؛ يتأكد لنا أن هناك عدة أشكال مختلفة لقراءة وكتابة التاريخ البيزنطى فى داخل المركزية الأوربية الواحدة - وهو أمر غير موجود فى المدرسة التاريخية العربية لإنعدام وجود مركزية بديلة أصلاً للأسف الشديد - وبالتالى؛ من الضرورة بمكان الحذر عند التعامل مع إسهامات أولئك المؤرخين الأوربيين ، وضرورة إدراك دوافعهم للكتابة التاريخية فى المجال المذكور .

سابعًا : ومن الجوانب المهمة التى حرصت الدراسة على إبرازها ؛ ضرورة إيجاد مركزية عربية إسلامية فى مواجهة المركزية الأوروبية كنوع من التعبير عن الهوية ، ولتجنب التبعية الفكرية للغرب الأوربى، والأمريكى الذى يقدم لنا تصوراته، وللأسف هناك من المؤرخين من يأخذها دون ملاحظة أن هناك دوافع لتصورات أولئك الباحثين الغربيين لاتنفصل عن تطور مراحل الكتابة التاريخية فى أوطانهم ذاتها، كما أنها لاتنفصل عن النظرة الاستعلائية الغربية.

كذلك ؛ لانغفل أن مواجهة الاستشراق تكون من خلال «الاستغراب» - كما نادى بذلك المفكر المصرى حسن حنفى فبدون ذلك ؛ يظل الأمر فى صالح الطرف الآخر، وتكون الكتابة التاريخية العربية فى المجال البيزنطى - كمثال فقط- تعبر عن توجهات الغرب الأوروبى أكثر من توجهاتنا العربية والإسلامية ذاتها !!! مما عبر عن أزمة هوية حقيقية !!!

ثامنًا : على الرغم من الطابع الذكورى لمصادر التاريخ البيزنطى ذاتها، وكذلك مسار حكم أسراته بصفة عامة؛ إلا أنه من العسير كتابة معالمه دون المرأة التى كانت الأم والزوجة والابنة، والعشيقة ، وقد كان لها دورها فى معترك السياسة ، وكذلك الحياة العامة بكافة أشكالها وصورها، وينبغى هنا الإشادة بالدراسة الرائدة بالعربية لـ أ.د. عليه الجنزورى عن المرأة البيزنطية . وهى مؤرخة رائدة فى التاريخ البيزنطى، كما تعد أول مؤرخة عربية حديثة للحروب الصليبية .

ولانغفل فى هذا الشأن ؛ أن التعطش للسلطة الإمبراطورية المطلقة جعل أحيانًا المرأة البيزنطية تدخل معترك المؤامرات لتصل إلى قمة عالم السياسة وكان ضحيتها المفضلة الرجل!

ونصل إلى تصور واقعى، وهو أن التاريخ البيزنطى ذاته هو حصاد تاريخ كل البيزنطيين الرجال والنساء دون التعصب لطرف عل حساب الآخر، على نحو يضر بالرؤية التاريخية الموضوعية.

تاسعًا : على الرغم من القرون العديدة التى عاشتها تلك الإمبراطورية ، إلا أنها امتازت بوجود أيام محددة حاسمة ومكثفة تمركز فيها تاريخها بصورة غير مسبوقة ما بين لحظتى الميلاد والممات، ومن أمثلتها دون حصرها :

- ١١ مايو ٣٣٠م الميلاد .
- ١٦ أغسطس ١٠٧١م؛ معركة مانزكرت .
- ١٣أبريل ١٢٠٤م ؛ الغزو اللاتينى.
- ١٥ أغسطس ١٢٦١مم؛ استرداد البيزنطيين للقسطنطينية .
- ٢٩ مايو ١٤٥٣ ؛ الممات.

ومن الملفت للانتباه ؛ أن الأيام المذكورة كان نتاجًا لمرحلة زمنية سابقة عليها قد تطول لتصبح عدة قرون، وبالتالى فهى تعد بمثابة أيام الحصاد » المفترض أن شهور الصيف (أبريل، مايو ، أغسطس) كانت من أكثر شهور العام تأثيراً على مسار التاريخ البيزنطى . وأن «وقف الشتاء» أحيانًا إلى جوار بيزنطة كما حدث بالنسبة لشتاء ٧١٧- ٧١٨م أسلفت الاشارة من قبل فى عهد الاسرة الأيسورية .

وفيما يتصل بفكرتى الميلاد والممات فى التاريخ البيزنطى؛ نلاحظ أن تلك الإمبراطورية - على نحو خاص- ظلت تكافح شبح الموت بكل وسيلة ممكنة سياسية وعسكرية وتنصيرية على الرغم من كثرة الاعداء من كافة الاتجاهات بصورة غير مسبوقة ، إلا أن الموت كان «ضروريًا » على المستوى التاريخى ليضع نهاية لاحتضار طويل بلا فعالية تاريخية حقيقية خاصة خلال المرحلة الأخيرة من تاريخها ،

ومن مفارقات التاريخ ؛ أن مشيد لحظة الميلاد الامبراطور قسطنطين ، ومن عاصر لحظة النهاية حمل نفس الاسم ولكنه قسطنطين الحادى عشر ، كذلك فإن شهر الميلاد كان عينه شهر الممات وأعنى شهر مايو حيث ولدت فى ١١ مايو ٣٣٠م ، وماتت فى ٢٩ مايو ١٤٥٣م ، ولانغفل أن البيزنطيين أنفسهم اعتقدوا فى نبوءة تقول أن العدو الذى سيجهز على إمبراطوريتهم سيأتى من الشرق وهو ما حدث فعلاً !! ولانغفل هنا تأثير الجانب الغيبى فى الشخصية البيزنطية بصفة عام .

هكذا تاريخ بيزنطة، صراع بين الميلاد والممات ومفارقات تدعو للتأمل .

عاشراً : تأكد لنا من خلال الصفحات السابقة ؛ أن طول عمر الامبراطورية البيزنطية ساهمت فيه إلى حد كبير عدة عوامل مشتركة مثل سياسات بعض الأباطرة الأقوياء، وكذلك كفاءة الجيش والأسطول البيزنطيين عندما كانا قادرين على صنع الانتصارات براً وبحراً، ثم الدبلوماسية والأخيرة ذات دور مزدوج التأثير فعندما كانت الإمبراطورية ذات القدرة على الفعالية التاريخية؛ كانت دبلوماسيتها تعبر بوجه عام عن تلك الفترة ، أما عندما كانت تمر بمرحلة ضعف لجأت إلى الدبلوماسية كحل مؤقت لكسب الوقت وتجنب فتح جبهات متعددة فى وقت واحد .

وبصفة عامة؛ من الممكن مقارنة القسطنطينية فى مراحلها المتأخرة بغرناطة فى الأندلس حيث لجأت العاصمتان إلى طرق بوابة الدبلوماسية رغبة فى سلام شاحب حذر، وكان ذلك حلاً خادعًا لأنه كان يعنى تأخير المصير المحتوم الأخير . ويخلق حلمًا جميلاً ورديًا يستيقظ صاحبه على ضربات الموت !

من جهة أخرى ؛ لانغفل أن من أسلحة تلك الدبلوماسية تمثلت جزئيًا فى ، التنصير حيث تمكن المنصرون البيزنطيون من تحقيق ما عجزت عن تحقيقه قدرات القادة العسكريين أحيانًا ، ولاننسى أن بيزنطة تمكنت من اجتياح روسيا كاملة بفضل ذلك السلاح الفعّال ، وإذا أضفنا إلى ذلك كله عنصر المصاهرات السياسية الذى أوجد واقعًا تحالفيًا جديداً لصالح الإمبراطورية وكانت تدرك أهميته وفعاليته فى تحقيق مصالحها العليا، وهكذا ؛تأكد لنا أن بيزنطة «حاربت» بالدبلوماسية كما حاربت بقواتها العسكرية والتقى الأسلوبان معًا ليتم تدعيم الوجود التاريخى لتلك الإمبراطورية، ولاريب فى أن تعاملها مع عدد كبير من القوى السياسية المعاصرة لها فى الشرق والغرب ؛ أدى إلى إثراء خبراتها الدبلوماسية بصورها المتعددة على نحو أفادها تمامًا فى التعامل مع تقلبات الظروف الدولية المعقدة التى واجهتها . مع ملاحظة : أن تلك الدبلوماسية لم تكن لتمنع المصير النهائى المحتوم لبيزنطه .

حادى عشر : تأكد بالأدلة التاريخية الجلية؛ أن المسلمين كانوا عنصراً فعالاً فى صنع وقائع التاريخ البيزنطى على مدى تسعة قرون كاملة من جملة أحد عشر قرنًا هى عمر ذلك التاريخ ، وهكذا : لايمكن بأى حال من الأحوال كتابة معالمه دون التعرض لفعاليات المسلمين الحربية والسياسية والحضارية على مدى عهود الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد الأسرة الهرقلية حتى عهد أسرة باليولوج ، ومن الخطأ البين ابراز وجه العلاقات بين الطرفين على

الصعيد الحربى فقط واغفال الجوانب الأخرى التى عكست حضارة الاسلام فى القرون الوسطى، ولانغفل أن إبراز الجانب الحربى فقط فى كتابات المؤرخين الغربين يساعد على تكريس الطابع العدائى لحركة الجهاد الإسلامى وتصويرها على أنها للسلب والنهب ولم تكن مصاحبة بدور حضارى واضح المعالم .

ومن الممكن التقرير بأن هناك ثلاثة من قادة المسلمين فى العصور الوسطى ساهموا مساهمة عسكرية بارزة فى ايصال بيزنطة إلى مثواها الأخير فى صورة خالد بن الوليد عام ٦٣٦م ، وألب أرسلان عام ٧١-١م، ومحمد الفاتح العثمانى عام ١٤٥٣م ، ومن الخطأ البين تصور العام الأخير منفصلاً عن الرحلة الطويلة والشاقة التى قطعها المسلمون من القرن السابع وصولاً إلى القرن الخامس عشر الميلادى من أجل تحقيق الحلم الإسلامى الكبير بفتح القسطنطينية، وهكذا؛ فإن التركيز على المرحلة العثمانية على اعتبار أنها شهدت تحقيق ذلك الحلم بصورة نهائية قد يؤدى إلى عدم الموضوعية والنظرة الاعتسافية الجزئية ، لأن المقدمات السابقة أكدت النتيجة الختامية عام ١٤٥٣م.

ولم يغفر الباحثون الغربيون للإسلام وأهله: ذلك الدور ، ومن ثم وجدنا التحامل من خلال دوافع استشراقية لاتخفى على أحد ويستثنى من ذلك قلة قليلة ، وندرة نادرة من المستشرقين المنصفين.

وجدير بالملاحظة ؛ أن التاريخ دومًا يكتبه الأقوياء ، وفى الوضع الدولى الراهن ، ومن خلال وهم «الاسلاموفوبيا » الذى يسيطر على الذهنية الأوربية والأمريكية ، من المفترض دونما مبالغة أن ذلك كله سينعكس بصورة أو بأخرى على مجالات الكتابة التاريخية عن العلاقات الأوربية- الإسلامية فى القرون الوسطى- والجانب البيزنطى أحد عناصرها . من أجل مواصلة إثارة المواجهات الماضوية واشعار القارئ بأن الإسلام دائمًا وأبداً دين العنف والدموية!! وهو أمر مغلوط نظراً لكون الاسلام نفسه حضارة كما وصفه العلامة الراحل حسين مؤنس .

إن الوضع السابق؛ يجعلنا فى مفترق الطرق ، وبدون التنبه إلى ضرورة أن تكتب تاريخنا بأقلامنا، ومن حصاد تجاربنا القومية، والدينية سيظل «الآخرون» يكتبوه لنا وخطورة ذلك الآن أكبر على نحو ينعكس كله على تاريخنا الذى هو أفضل ما تملك ومن المؤكد أن العلاقات العربية البيزنطية ، ومرحلة الحروب الصليبية على نحو خاص سيتم التركيز عليها فى الغرب تحقيقا لتصورات واهمة هى نتاج ما يوصف بأنه عصر العولمة ! والتى فى حقيقتها اذابة الثقافات خدمة للغرب والغرب فقط!

وبعد ؛ فتلك أهم الملاحظات الختامية التى أمكن الخروج من الدراسة، وما زال التاريخ البيزنطى يحمل فى طياته الجديد طالما أمكن التعامل معه من خلال رؤية تاريخية نقدية واعيه لمشاكل دراسته ؛ وهى أساسية من الناحية المنهجية ، والأمل معقود على غيرى من الباحثين الجادين من ذوى الخبرة من أجل تسليط الأضواء الكاشفة على تلك الحقبة الحيوية فى تاريخ العصور الوسطى.

ذلك عرض لأهم النتائج التى نتجت عن الدراسة.

فهرس الملاحق

١- الأسرات البيزنطية الحاكمة (٣٣٠- ١٤٥٣م)

٢- الخلفاء الفاطميون فى مصر (٩٧٢- ١١٧١م)

٣- السلاطين العثمانيون (١٢٩٩- ١٥٢٠م)

٤- الترتيب الزمنى لأهم أحداث التاريخ البيزنطى

٥- أبيات من القصيدة الأرمينية التى أرسلها الامبراطور نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسى المطيع لله متهدداً ومتوعداً .

٦- المستعمرات البيزنطية التى خضعت للبندقية بعد عام ١٢٠٤م

ملحق رقم (١)

الأسرات البيزنطية الحاكمة

أسرة قسطنطين (٣٢٤- ٣٧٨م)

- قسطنطين Constantine (٣٢٤-٣٣٧م)
- قسطنطين الثانى Constantine II (٣٣٧ - ٣٤٠م)
- قنسطانز Constance (٣٣٧ - ٣٥٠م)
- قسطانطيوس Costantius (٣٣٧-٣٦١م)
- جوليان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م)
- جوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤م)
- ڤالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨م)

أسرة ثيودوسيوس (٣٧٩-٥١٨م)

- ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩-٣٩٥م)
- أركاديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨م)
- ثيودوسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)
- مارقيان Maracian (٤٥٠- ٤٥٧م)
- ليو الأول الكبير Leo I The Great (٤٥٧- ٤٧٤م)
- ليو الثانى Leo II (٤٧٤م)
- زينون Zeno (٤٧٤- ٤٩١م)
- أناستاسيوس Anastasius (٤٩١- ٥١٨م)

أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠م)

- جستن الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧م)
- جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧- ٥٦٥م)
- جستين الثانى Justin II (٥٦٥- ٥٧٨م)

- تيبريوس الأول Tiberius I (٥٧٨- ٥٨٢م)

- موريس Maurice (٥٨٢- ٦٠٢م)

- فوكاس Phocas (٦٠٢- ٦١٠م)

- **أسرة هرقل (٦١٠- ٧١٧م)**

- هرقل Heraclius (٦١٠- ٦٤١م)

- قسطنطين الثالث Constantine III (٦٤١م)

- قنسطانز الثانى Constance II (٦٤٢-٦٦٨م)

قسطنطين الرابع Constantine IV (٦٦٨-٦٨٥م)

- جستنيان الثانى Justinian II (٦٨٥- ٦٩٥م)

- ليونتيوس Leontius (٦٩٥- ٦٩٨م)

- تيبريوس الثانى Tiberius II (٦٩٨- ٧٠٥م)

- جستنيان الثانى (عودته) Justinian II (٧٠٥-٧١١م)

- فيليبكوس Philippicus (٧١١-٧١٣م)

- اناستاس الثانى Anastas II (٧١٣- ٧١٥م)

- ثيودوسيوس الثالث Theodosius III (٧١٥- ٧١٧م)

الأسرة الأيسورية (٧١٧- ٨٢٠م)

- ليو الثالث Leo III (٧١٧- ٧٤١م)

- قسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١- ٧٧٥م)

- ليو الرابع Leo IV (٧٧٥- ٧٨٠م)

- قسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠- ٧٩٧م)

- إيرين Irene (٧٩٧- ٨٠٢م)

خلفاء الأيسوريين

- نقفور الأول Nicephorus I (٨٠٢- ٨١١م)

- ستور اكيوس Stauracius (٨١١م)
- ميخائيل الأول رانجاب Nichael I Ranagab (٨١١- ٨١٣م)
- ليو الخامس الأرمينى Leo V (٨١٣-٨٢٠م)

الأسرة العمورية (٨٢٠- ٨٦٧م)

- ميخائيل الثانى Michael II (٨٢٠- ٨٢٩م)
- ثيوفيلوس Theophilus (٨٢٩- ٨٤٢م)
- ميخائيل الثالث (السكير) Michael III , The Drunkard (٨٤٢-٨٦٧م)

الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)

- باسل الأول Basil I (٨٦٧- ٨٨٦م)
- ليو السادس (الحكيم) Leo VI The Philosoph (٨٨٦-٩١٢م)
- الكسندر Alexander (٩١٢- ٩١٣م)
- قسطنطين السابع بورفيروجنيتس Constantine VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م)
- شاركه فى الحكم رومانوس الأول Ramanus I Lecapeus (٩١٩-٩٤٤م)
- رومانوس الثانى Romanus II (٩٥٩- ٩٦٣م)
- نقفور فوكاس Nicophorus Phocas (٩٦٣- ٩٦٩م)
- يوحنا الأول تزيمسكس John I Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م)
- باسل الثانى (سفاح البلغار) Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م)
- قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٥-١٠٢٨م)
- زوى Zoe (١٠٢٨-١٠٥٠م)

شاركها فى الحكم أزواجها :

- رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٤م)
- ميخائيل الرابع Michael IV (١٠٣٤- ١٠٤١م)
- ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١- ١٠٤٢م)

- قسطنطين التاسع (مونوماخوس) Constantine IX (١٠٤٢ -١٠٥٤م)
- ثيودورا (عودتها) Theodora (١٠٥٤ -١٠٥٦م)
- ميخائيل السادس Michael VI (١٠٥٦ -١٠٥٧م)

أسرتي دوكاس وكومنين (١٠٥٧-١١٨٥م)

- إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus (١٠٥٧ -١٠٥٩م)
- قسطنطين العاشر (دوكاس) Constantine X Docas (١٠٥٩ -١٠٦٧م)
- رومانوس الرابع (ديوجينيس) Romanus IV Diogenes (١٠٦٧ -١٠٧١م)
- ميخائيل السابع (دوكاس) Michael VII Ducas (١٠٧١ -١٠٧٨م)
- نقفور الثالث (بوتانياتس) Nicephorus III Botaniates (١٠٧٨ -١٠٨١م)
- الكسيوس الأول (كومنين) Alexius I (١٠٨١-١١١٨م)
- يوحنا الثاني (كومنين) Johan II (Comnenus) (١١١٨-١١٤٣م)
- مانويل الأول (كومنين) Manuel II Comnenus (١١٤٣ -١١٨٠م)
- الكسيوس الثاني (كومنين) Alexius II Comnenus (١١٨٠ -١١٨٣م)
- أندرونيكوس الأول (كومنين) ndronicus I Comnenus (١١٨٣ -١١٨٥م)

أسرة أنجيلوس (١١٨٥ -١٢٠٤م)

- إسحق الثاني Issac II Angelus (١١٨٥-١١٩٥م)
- الكسيوس الثالث انجيلوس Alexius III Angelus (١١١٥-١٢٠٣م) .
- اسحق الثاني Issac II (١٢٠٣-١٢٠٤م)
- الكسيوس الرابع Alexius IV Angelus (١٢٠٤م)
- الكسيوس الخامس Alexius V Angelus (١٢٠٤م) .

- الأباطرة اللاتين في القسطنطينية (١٢٠٤ -١٢٦١م)

- بولدوين الأول أمير فلاندرز Baldwin I of Flanders (١٢٠٤-١٢٠٥م)
- هنري أمير الفلاندرز Henry of Flanders (١٢٠٥ -١٢١٦م)
- بطرس كورتناوي Peter of Courtency (١٢١٧م)

- يولند Yolande (١٢١٧- ١٢١٩م)
- روبرت الثانى (كورتناى) Rober II de Courenny (١٢٢١-١٢٢٨م)
- بلدوين الثانى Baldwin II (١٢٢٨-١٢٦١م)
-- تحت وصاية حنا دى برين ثم منفرداً من (١٢٤٠- ١٢٦١م)

أباطرة نيقية البيزنطيين (١٢٠٤-١٢٦١م)

- ثيودور الأول لاسكاريس Theodore I Lascaris (١٢٠٤-١٢٢٢م)
- يوحنا الثالث لاسكاريس John III Vanatzes (١٢٢٢- ١٢٥٤م)
- ثيودور الثانى لاسكاريس Theodere I Lascaris (١٢٥٤-١٢٥٨م)
- يوحنا الرابع لاسكاريس John III Vanatzes Vanatzes (١٢٥٨-١٢٥٩م)
- ميخائيل الثامن باليولوج Michael VIII Paleologus (١٢٥٩- ١٢٦١م)

أسرة باليولوج (١٢٦١- ١٤٥٣م)

- ميخائيل الثامن Michael VIII Paleologus (١٢٦١-١٢٨٢م)
- أندرونيكوس الثانى Andronicus II (١٢٨٢-١٣٢٨م)
- أندرونيكوس الثالث Andronicus III (١٣٢٨-١٣٤١م)
- يوحنا الخامس John V (١٣٤١- ١٣٩١م)
- يوحنا السادس كنتاكوزين John VI Cantacuzene (١٣٤٧- ١٣٥٤م) .
- أندرويكوس الرابع Andronicus IV (١٣٧٦- ١٣٧٩م)
- يوحنا السابع John VII (١٣٩٠م)
- مانويل الثانى Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م)
- يوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥- ١٤٤٨م)
- قسطنطين الحادى عشر Constantina XI (١٤٤٩-١٤٥٣م)[١].

١- عن ذلك أنظر :

Ostrogorsky , History of the Byzane State, p. 516 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 725-726 .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٤٧- ٢٥٢ .

التعليق

عند إمعان النظر فى قوائم الأباطرة البيزنطيين يمكن الخروج بعدة دلالات توجز فى الآتى:

١- من بين عشرات الأباطرة الذين حكموا من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م، مع استثناء المرحلة الواقعة بين عامى ١٢٠٤- ١٢٦١م على اعتبار أنها تمثل احتلالاً لاتينيًا ، نلاحظ أن أبرز الأباطرة البيزنطيين من خلال أعمالهم السياسية أو الحربية أو العمرانية أو القانونية هم :

١- قسطنطين الأول ٣٢٤- ٣٣٧م

٢- ثيودوسيوس الأول ٣٧٩- ٣٩٥م

٣- جستنيان ٥٢٧- ٥٦٥م

٤- هرقل ٦١٠- ٦٤١م

٥- ليو الثالث الأيسورى ٧١٧- ٧٤١م

٦- ميخائيل الثانى العمورى ٨٢٠- ٨٢٩م

٧- باسل الثانى ٩٧٦- ١٠٢٥م

٨- الكسيوس كومنين ١٠٨١- ١١١٨م

٩- ميخائيل الثامن ١٢٦١- ١٢٨٢م

من الملاحظ ، أن الصفة الغالبة على أولئك الأباطرة أنهم من مؤسسى الأسرات البيزنطية الحاكمة ، وينطبق ذلك ؛ على الأباطرة أرقام (١)، (٢)، (٤)، (٥)، (٦)، (٨) ، (٩) ، أما الاستثناء ، فيرتبط برقمى (٣)، (٧) .

٢- فى حالة جمع مدد الأعوام التى حكمها أولئك الأباطرة نجد أنها حوالى (٢٦٦) عامًا، ونستطيع القول: أنها الأعوام الأكثر فعالية فى التاريخ البيزنطى، وقد أثرت فى كافة القرون التالية، ومن الممكن القول أن مدة استمرارية التاريخ المذكور والتى بلغت (١١٢٣) عامًا؛ أى أحد عشر قرنًا وقرابة ربع القرن، لم تكن فيها فعالية تاريخية حقيقية مؤثرة داخليًا وخارجيًا إلا فى ٢٦٦ عامًا مع عدم اغفال بعض الاستثناء أحيانًا بالطبع ، أما الأعوام الأخرى: فقد تولى أمرها أباطرة ثانويون، ومرة أخرى - لمواجهة جدل متوقع فى هذه الناحية على نحو خاص- فإن الامبراطور الثانوى فى تصورى هو ظل لأباطرة فاعلين سابقين، أو الامبراطور المهزوم عسكريًا وسياسيًا أو الذى أثبتت وقائع التاريخ البيزنطى قصر نظره أو حدوث عواقب

وخيمة لسياسته فى المرحلة التالية لوفاته ، ولذلك : تم إعتبار الامبراطور مانويل كومنين ١١٤٣- ١١٨٠م من أولئك الأباطرة [١].

٣- ليس معنى وجود أباطرة ثانويين ، أنهم بلا قيمة للتاريخ البيزنطى، إذ أنهم كانوا جسوراً عبر عليها الأباطرة الفعّالين المؤثرين فى ذلك التاريخ، وبدونهم ما كان لنا أن ندرك حج فعاليات المؤثرين فى ذلك التاريخ ، وبدونهم ما كان لنا أن ندرك حجم فعاليات الأباطرة السالفى الذكر سواءً المؤسسين للأسرات الحاكمة أو غيرهم من خلال المقارنة التاريخية . الموضوعية التى وحدها من شأنها الاقتراب - قدر مكان - من الحقيقة .

٤- إن دلالة القول بأن (٢٦٦) عامًا هى تركيز لفعاليات بيزنطة تاريخيًا من بين (١١٢٣) عامًا يدل دلالة وضّاحة على أن العمر الطويل لتلك الامبراطورية لم يكن كله وجود بيزنطى فاعل فى التاريخ ب؛ ل كان أشبه ببيات شتوى طويل الأمد، ومن بين ما زاد على أحد عشر قرنًا من الوجود الزمنى، هناك فقط قرنان وقرابة ثلاثة أرباع قرن فقط من الحيوية التاريخية، ومن الخطأ البين تصور أن البقاء فى التاريخ بقاء زمنى بل البقاء يعنى «الدور التاريخى» وهو مالانجده بجلاء إلا لدى قلة من الأباطرة من بين عشرات آخرين كما اتضح من العرض السابق .

وقد يتساءل البعض؛ ما تعليل تلك الاستمرارية إذ أن بيزنطة عُدت إمبراطورية معمرة فى عالم العصور الوسطى؟ والإجابة ليست عسيرة المنال ؛ إذ أن عبقرية المكان وأعنى به القسطنطينية ؛ كان بمثابة العامل الرئيسى وراء ذلك الوضع دون إغفال تأثير العوامل الأخرى، مجتمعه ، ولانغفل ؛ أن الأعوام الـ (٢٦٦) كانت بمثابة مقويات فعالة التأثير فى الجسد الامبراطوري[٢] على نحو ضمن لبيزنطة الاستمرار بمثل تلك الصورة، ولاننكر أن الخلافات

١- أود الاشارة هنا إلى أن تأليف دراسات متخصصة عن مانويل كومنين مثل دراسة ماجد ولينو التى أشدت بها من قبل ، وغيرها ، لايعنى أنه من الأباطرة الرئيسيين الكبار فى التاريخ البيزنطى ، بل أن الأمر مرتبط بالجدل الذى ثار بين الدارسين حول جدوى سياساته ومسئوليته عن الأحداث التالية لمدة حكمه ، وبالتالى ينبغى عدلم الخلط بين الدور التاريخى الفعلى، والجدل الذى ارتبط بامبراطور ما من الأباطرة البيزنطيين.

٢- ولا أدل على ذلك من أن أ.د. إسحق عبيد قرر عن الامبراطور ميخائيل باليولوغوس ما نصه :=

الحادة التى كانت تقع فى صفوف أعدائها ساعدت على إطالة عمرها، وقد كان هناك أعداء على جانب كبير من الخطورة في صورة الروس، والمدن التجارية الإيطالية وعلى نحو خاص البندقية والمسلمين ، والعدو الأول وجدت السبيل لاختراقه من خلال التنصير والثانى وقف وراء كارثة ١٢٠٤م ، بالنسبة للمسلمين فقد امتلكوا القدرة على وضع سطور النهاية فى المسرحية البيزنطة البالغة الطول التى جلبت الملل على مشاهديها خاصة فى مشاهدها المتأخرة المتهاوية .

وهكذا ؛ يمكن القول أن ما زاد على ثمانية قرون ونصف وبالتحديد حوالى (٨٥٧) عامًا كانت بيزنطة فيها تسير فى تاريخ نمطي وتقليدى توقظه بين الحين والآخر مؤامرة هنا وهناك تصل بأحد السياسيين والقادة العسكريين إلى السلطة التى كان لها بريقها الآخاذ فى ذلك العصر .

٥- وقد يختلف الباحثون فيما بينهم حول من هو أكثر الأباطرة السالفى الذكر فعالية وحسمًا فى التاريخ البيزنطى ، ومنطقى أن يتحمس كل باحث لمن درس من الأباطرة، وأن يركز الاختيار فى أعمال الامبراطور موضع الاختيار، ومع ذلك ؛ فهناك شخصيتان بارزتان من داخل وخارج بيزنطه كان لها دورها الفعّال فى تاريخها فى صورة قسطنطين الأول المؤسس البارز ومفتتح القسطنطينية، أما من الخارج فهناك محمد الفاتح العثمانى، الذى لم يقدره المسلمون كما يجب ! وراح ضحية المركزية الأوروبية المتعصبة ، مع ملاحظة ، أنه وضع نهاية لكيان منتحر بضعفه الداخلى، وتعاونت عوامل الداخل والخارج لتصنع إنجاز عام ١٤٥٣م التاريخى ومن الملفت للانتباه ؛ أن عامى ٣٣٠م ، ١٤٥٣م يعدان أكثر الأعوام فعالية فى التاريخ البيزنطى ويكفى للدلالة على ذلك إرتباطه بالممات بعد قرون الاحتضار.

يبقى أن أشير إلى أن كل مؤرخ له اجتهاداته وتصوراته وإمكانياته ووجود تصورات مغايرة أمر وارد ومتوقع تمامًا .

٦- من بين عشرات الأباطرة الذين أشار إليهم الملحق المذكور؛ لايظهر دور سياسى لحواء البيزنطية سوى في حالات قليلة، مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان، وإيرينى Irene

---

= «لقد حقن باليولوغوس بيزنطه بجرعة من الدم الجديد مدت من عمرها مائتى عامًا تقريبًا » انظر: رسحق عبيد، الدولة البيزنطية فى عصر باليولوغوس ١٢٦١- ١٢٨٢م، منشورات جامعة بنى غازى ط. بيروت ب-ت ص١٢ .

(٧٩٧- ٨٠٢م) من الأسرة الأيسورية ، وزوى Zoe (١٠٢٨-١٠٥٠م) من الأسرة المقدونية التى حكمت بمعاونة أزواجها . وهى سنوات قليلة بين أكثر من (١١) قرنًا من عمر الزمان، وذلك كله يعكس - بلاريب - الطابع الذكورى للتاريخ البيزنطى ، ولانفضل أيضًا ؛ أن المؤرخين كانوا من الرجال بإستثناء حالة واحدة نادرة فى صورة الأميرة أناكومنينا ، ومع ذلك ، من الممكن الإقرار بأن النساء فى أحيان متعددة ؛ حكمن من وراء الستار ، وكان لهن دورهن فى توجيه دفة السياسة خدمة لمصالحهن الخاصة بغض النظر- أحيانًا- عن الصالح البيزنطى العام .

٧- على الرغم من تعدد أولئك الأباطرة البيزنطيين؛ إلا أن هناك عنصراً مشتركًا فى الكثير منهم إذا عدداً كبيراً منهم وصل إلى العرش من خلال مؤامرة أو تم التخلص منه من خلال أخرى، والمتآمرون فى الغالب من رجال الجيش أو الأسطول والنادر من رجال الادارة ، وهناك عدة أمثلة على الأباطرة الذين تم قتلهم غيلة، ومن أمثلتهم: موريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفوكاس (٦٠٢-٦١٠م) ، وجستنيان الثانى (٦٨٥- ٦٩٥م) ، (٧٠٥-٧١١م) ، وتيبيريوس الثانى (٦٩٨-٧٠٥م) ، وميخائيل الثالث السكير (٨٤٢-٨٦٧م) ، ونقفور فوكاس (٩٦٣-٩٦٩مم) ويوحنا تزيمسكس (٩٦٩-٩٧٦م) ، والكسيوس الثانى كومنين (١١٨٠-١١٨٣م)، وأندرونيكوس الأول كومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والكسيوس الرابع أنجيلوس (١٢٠٣-١٢٠٤م) .

ولانغفل ؛ أن القتل كان مصيراً لعدد من الأباطرة فى ساحات المعارك التى هزموا فيها مثل ڤالنز (٣٦٤-٣٧٨م) الذى هزم في معركة أدرنة عام ٣٧٨م ضد القوط الشرقيين ، ونقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) الذى هزم فى معركة ضد البلغار عام ٨١١م ، ورومانوس الرابع، يوجنيس (١٠٦٧-١١٧١م) وهزم هو الآخر فى معركة مانزكرت ضد السلاجقة عام١٠٧١م وأخيراً قسطنطين الحادي عشر باليولوج (١٤٤٩-١٤٥٣م) وهو صاحب الهزيمة الأخيرة فى مواجهة الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م، مما دل على تعدد القتلى من الأباطرة البيزنطيين .

٨- هناك عدد من الأباطرة البيزنطيين أنهوا حياتهم السياسية باللجوء إلى الأديرة والإنعزال عن المجتمع وجاء ذلك بعد عزلهم عن السلطة والصدمة النفسية عقب الإخفاق السياسى، ومن أمثلتهم : أناستاسيوس الثانى (٧١٣-٧١٥م) وثيودوسيوس الثالث (٧١٥-٧١٧م) ورومانوس الأول ليكابينوس (٩٢٠-٩٤٤م) واسحق الأول كومنين

١٠٥٧-١٠٥٩م) والكسيوس الثالث أنجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣م) ، وأندرونيكوس الثانى باليولوج (١٢٨٢-١٣٢٨م) .

٩- لانغفل زاوية لها أهميتها وهى تتصل بالناحية النفسية والعقلية لدى عدد من الأباطرة البيزنطيين ومن المؤكد أنها أثرت بصورة أو بأخرى على قراراتهم السياسية ومن أمثلة ذلك أن الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) بعد وفاة زوجته ثيودورا صار رجلاً يفضل الوحدة ، والعزلة وافتقد القدرة على الابتكار - كما لاحظ دونالد نيكول - ومن المفترض اصابته باكتئاب نفسى كما أن باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) بعد وفاة ابنه الأكبر قسطنطين عام ٨٧٩ يقال ذلك أثر سلبيًا على نفسيته وعلى قواه العقلية على مدى الثمانى سنوات الأخيرة من حكمه ، كما تكرر ذات الأمر على باسل الثانى (٩٧٩-١٠٢٥م) الذى نعرف أن حالات من الاكتئاب أصيب بها والواقع أن التفسير النفسى للتاريخ لايلقى التقدير على الرغم من أهميته، مع عدم اغفال أن نقص الاشارات المصدرية ومن بعدها المرجعية لاتجعل الباحث يتعمق فى تلك الزاوية .

١٠- هناك عدد من الأباطرة تم الانتقام منهم ببشاعة من خلال تسميل أعينهم، ومن أمثلتهم: فليبكوس، بردانس (٧١١-٧١٣م) وقسطنطين السادس (٧٨٠-٧٩٧م) وميخائيل الخامس كالافاتس (١٠٤١-١٠٤٢م) ، ورومانوس الرابع ديوجنيس (١٠٦٨-١٠٧١م) .

وقد حدث ذلك كعقاب من جانب خصومهم السياسيين ، أما أشهر حادثة لتسميل العيون فى التاريخ لبيزنطى فهى تلك التى قام بها باسل الثانى ضد البلغار التى أسلفت الإشارة إليها من قبل ، ولاريب فى أن ذلك يعكس لنا أن هناك طابعًا «ساديًا» على المستوى الفردى أو الجماعى فى ذلك التاريخ لايمكن إنكاره أو تبريره من خلال تصورات العصر ، ومثل تلك المؤامرات التى استهدفت اغتيال عدد من الأباطرة ، وكذلك عمليات التسميل هى التى دفعت إداورد جيبون Edward Gibbon لتبنى تصوراته السالفة الذكر هى الأخرى مع تحفظنا لمأزق التعميم الذى يفرض تصور مسبق انتقائى دون إدراك كافة الجوانب الأخرى لاسيما الحضارية المتصلة بتاريخ بيزنطة .

ملحق (٢)

الخلفاء الفاطميون فى مصر [1]

- المعز لدين الله ٩٥٢-٩٧٥م
- العزيز بالله ٩٧٥- ٨٩٦م
- الحاكم بأمر الله ٩٩٦- ١٠٢١م
- الظاهر لإعزاز دين الله ١٠٢١- ١٠٣٦م
- المستنصر بالله ١٠٣٦- ١٠٩٤م
- المستعلى بالله ١٠٩٤- ١١٠١م
- الآمر بأحكام الله ١١٠١- ١١٣٢م
- الحافظ لدين الله ١١٣٢- ١١٤٩م
- الظافر لدين الله ١١٤٩- ١١٥٤م
- الفائز بنصر الله ١١٥٤- ١١٦٠م
- العاضد لدين الله ١١٦٠- ١١٧١م

١- مايسه محمود، داود ، المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، دراسة أثرية وفنية، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص١٣ .

ملحق رقم (٣)
السلاطين العثمانيون
(من ١٢٩٩ إلى ١٥٢٠م)

عثمان الأول بن أرطغرل ١٢٩٩-١٣٢٦م

- أورخان بن عثمان ١٣٢٦- ١٣٦٠م
- مراد الأول بن عثمان ١٣٦٠- ١٣٨٩م
- بايزيد الأول بن مراد الأول ١٣٨٩- ١٤٠٣م
- محمد بايزيد الأول الأول ١٤١٣- ١٤٢١م
- مراد الثانى بن محمد الأول ١٤٢١- ١٤٥١م
- محمد الثانى (الفاتح) ١٤٥١- ١٤٨١م
- بايزيد الثانى بن محمد الثانى ١٤٩١- ١٥١٢م
- سليم الأول بن بايزيد الثانى ١٥١٢- ١٥٢٠م

التعليق

الأمر المؤكد ؛ أن السلطان محمد الثانى ١٤٥١- ١٤٨١م، الملقب بالفاتح يعد أكبر سلاطين العثمانيين تأثيراً فى التاريخ البيزنطى، إذ وضع له النهاية التى تأخرت كثيراً . ويلاحظ أن قيامه بمهاجمة القسطنطينية بعد عامين فقط من توليه السلطنة يؤكد بما لايدع مجالاً لارتياب مرتاب ، أن إسقاط العاصمة البيزنطية كان هدفًا استراتيجيًا للسلاطين العثمانيين وما دور محمد الفاتح إلا تكملة لأدوارهم فى جهادها، ثم أنه يعكس لنا حرصه الشديد على أن يدخل بوابة التاريخ «مبكراً » من خلال ذلك العمل الفذ الذى فصلت أمره فيما سبق من عرض تاريخى؛ وذلك دونما قولبته أو اعتساف فى الأحكام.

من المهم ملاحظة : أن السلاطين الذين سبقوا محمد الثانى وهم ستة من كبار الحكام العثمانيين ، مهدوا لذلك السلطان تحقيق إنتصاره التاريخى الذى قلب الموازين الدولية بصورة غير مسبوقة فى العلاقات بين عالمى الإسلام والمسيحية فى أواخر العصور الوسطى ومطلع الحديثة .

ملحق رقم (٤)

الترتيب الزمنى لأهم أحداث التاريخ البيزنطى

١١ مايو ٣٣٠م، إفتتاح القسطنطينية:

٩ أغسطس ٣٧٨م معركة أدرنة وهزيمة القوط الشرقيين لفالنز .

٣٨١م مجمع القسطنطينية.

٤٣٨م إصدار مجموعة ثيودوسيوس القانونية.

٤٥١م مجمع خلقدونية الكنسى الرابع.

٤ سبتمبر ٤٧٦م سقوط الإمبراطور رومولوس أوجستيلوس آخر إمبراطور رومانى فى الغرب.

١ أغسطس ٥٢٧ م جستنيان يتولى العرش.

١١-١٩ يناير ٥٣٢م ثورة النصر Nika .

٢٧ ديسمبر ٥٣٧م إفتتاح كنيسة أيا صوفيا.

٥٤١-٥٤٤م وباء الطاعون يجتاح القسطنطينية .

٢٨ يونيو ٥٤٨م وفاة ثيودورا زوجة جستنيان .

١٤ نوفمبر ٥٦٥ م وفاة جستنيان

٦١٥م غزو الفرس لمصر .

٦٢٧- هرقل يلحق الهزيمة بالفرس.

٣٠ أغسطس ٥٧٠م ميلاد محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام .

١٨ يوليو ٦٢٢م الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

٦٢٩م معركة مؤته بين المسلمين والبيزنطيين.

٢٢ أغسطس ٦٣٦م، معركة اليرموك وإنتصار المسلمين بقيادة خالد بن الوليد على جيش الامبراطور هرقل .

٦٣٧م الخليفة عمر بن الخطاب يدخل بيت المقدس .

١١ فبراير ٦٤١م وفاة الإمبراطور هرقل .

٦٤٢ م فتح العرب لمصر

٦٤٩م المسلمون يفتحون قبرص Cyprus

٦٥٤م المسلمون يفتحون رودس Rhodes

٦٥٥م معركة ذات الصوارى وانتصار المسلمين على البيزنطيين.

٦٦٩م المسلمون فى عهد معاوية بن أبى سفيان يحاصرون القسطنطينية دون جدوى.

٧١٧-٧١٨م المسلمون فى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك يحاصرون القسطنطينية خلال حكم الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى.

١٨ يونيو ٧٤١م وفاة ليو الثالث الأيسورى.

٧٥٤م عقد مجمع كنسى فى مدينة هيرا على خليج البسفور فى عهد قسطنطين الخامس.

٨ سبتمبر ٧٨٠م وفاة ليو الخزرى.

٢٥ ديسمبر ٨٠٠م شارلمان يتوج من جانب البابا ليو الثالث فى كنيسة القديس بطرس فى روما .

٢٥ ديسمبر ٨٢٠ وفاة ليو الخامس الأرمينى

٨٦٧م قطيعة فوشيوس بين كنيستى القسطنطينية وروما .

٨٧٠م المسلمون يفتحون جزيرة مالطة Malta .

١١ مايو ٩١٢م وفاة ليو السادس.

٩٠٤م المسلمون يفتحون سالونيك Thessalonica .

٩٨٦م هزيمة الامبراطور باسل الثانى من جانب البلغار بقيادة زعيمهم صموئيل فى معركة ممر تراجان Tragan .

١٠١٤م الإمبراطور باسل الثانى يحقق انتصاراً على البلغار فى معركة ممر كمبالونجو Kembalongo.

١٠٠٠-١٠١٩م إخضاع بلغاريا وضمها فى عهد باسل الثانى.

١٠٤٥م رعادة تنظيم جامعة القسطنطينية فى عهد قسطنطين التاسع.

١٥ يوليو ١٠٥٤م الإنشقاق الأعظم بين كنيستى القسطنطينية وروما .

١٦ أغسطس ١٠٧١م هزيمة بيزنطة فى مانزكرت على أيدى السلاجقة .

١٠٨٠م الكسيوس كومنين يتولى العرش البيزنطى.

١٠٨٢م الكسيوس كومنين يقدم امتيازات للبنادقة.

٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م البابا أوربان الثانى (١٠٨٩-١٠٩٩م) يدعو للحروب الصليبية فى كليرمونت .

١٠٩٧م عقد اتفاقية القسطنطينية بين الامبراطور الكسيوس كومنين وأمراء الحملة الصليبية الأولى.

١١٠٨م عقد معاهدة بين الامبراطور الكسيوس كومنين وبوهيمند .

١١١٨م وفاة الكسيوس كومنين وتولى حنا كومنين .

٨ أبريل ١١٤٣م وفاة حنا كومنين

١١٤٧-١١٤٩م الحملة الصليبية الثانية.

١٧ سبتمبر ١١٧٦م معركة مرياكيفالون وهزيمة مانويل كومنين .

٢٤ سبتمبر ١١٨٠م وفاة مانويل كومنين .

١١٨٢م مذبحة اللاتين فى القسطنطينية .

١١٨٥م النورمان يستولون وينهبون سالونيكا .

٤ يوليو ١١٨٧م - ٢ أكتوبر ١١٨٧م معركة حطين وسقوط مملكة بيت المقدس الصليبية .

١٣ أبريل ١٢٠٤م سقوط القسطنطينية فى أيدى اللاتين فى الحملة الرابعة .

١٥ أغسطس ١٢٦١م البيزنطيون يستردون القسطنطينية .

١٢٦٦-١٢٨٣م محاولات شارل الأنجوى الاستيلاء على القسطنطينية .

١٢٧٤م انعقاد مجمع ليون

١٣٠٨م العثمانيون يستولون على افسوس Ephesus .

١٣٢١-١٣٢٨م الحرب الأهلية بين أندرونيكوس الثانى واندرونيكوس الثالث .

١٣٢٦م العثمانيون يستولون على بورصة .

١٣٣١م العثمانيون يستولون على نيقية .

١٣٤١- ١٣٤٧م الحرب الأهلية بين يوحنا الخامس ويوحنا كنتاكوزين .

١٣٤٧م الفناء الكبير The Black Death .

١٣٥٤م العثمانيون يستولون على جاليبولى Gallipoli .

١٣٦٥م العثمانيون يؤسسون عاصمتهم فى أدريانوبلAdrianople .

١٣٧٦-١٣٧٩م الحرب الأهلية بين البيزنطيين .

١٣٨٧م العثمانيون يستولون على سالونيك .

١٣٨٩م معركة كوسوفو .

١٣٩٣م العثمانيون يستولون على تساليه Thessaly .

١٤٠٢م معركة أنقره وهزيمة العثمانيين على أيدى التتار بقيادة تيمور لنك .

١٤٠٣-١٤١٣م الحرب الأهلية بين أبناء السلطان يزيد على السلطة.

١٤٢٣-١٤٣٠م الحرب العثمانية البندقية على سالونيك .

١٤٢٥م العثمانيون يستولون على أزمير Izmir .

١٤٣٩م العثمانيون يستولون على غربى الأناضول

١٠ نوفمبر ١٤٤٤م صليبية ناڤار Navarc وفشلها

٢٩ مايو ١٤٥٣م الفتح العثمانى للقسطنطينية بقيادة محمد الثانى بن مراد الثانى ومقتل قسطنطين الحادى عشر.

١٤٦٠م سقوط ميسترا Mistra .

١٤٦١م سقوط طرابيزون Trebizond .

١- اعتمدت فى إعداد الترتيب الزمنى المذكور على: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م ، ص٢٨١- ص٢٨٤ .

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٢٥٣- ص٢٦٤ .

Browning, The Byzantine Empire, Washington 1997. pp. 295-296 .

ملحق (٥)

أبيات من القصيدة الأرمينية التى أرسلها نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسى المطيع لله (٩٤٦- ٩٧٤م) متهـددأ ومتوعـدأ

من الملك الطهر المسيحى مالك ... إلى خلف الأملاك من آل هاشم
إلى الملك الفضل المطيع أخى العلا ... ومن يرتجى للمعضلات العظائم
أما سمعت أذناك ما أنا صانع ... ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم
فإن تك عما تقلدت نائمًا ... فإنى عما همنى غير نائم
ثغوركم لم يبق فيها لوهنكم ... وضعفكم إلا رسوم المعالم
فتحنا الثغور الأرمينية كلها ... بفتيان صدق كالليوث الضراغم

ويقول أيضًا :

أسير بجندى نحو بصرتها التى ... لها بحر عجاج رائع متلازم
إلى واسط وسط العراق وكوفة ... كما كان يومًا جندنا ذو العزائم
وأخرج منها نحو مكة مسرعًا ... أجر جيوشًا كالليالى السواجم
فأملكها دهراً عزيزاً مسلمًا ... أقيم بها للحق كرسى عالم
واحوى نجداً كلها وتهامها ... وسط واتهام مذحج ومخاصم
وأغزو يمانا كلها وزبيدها ... وصنعاءها مع صعدة والتهائم
فأتركها أيضًا خرابًا بلاقعًا ... خلاءً من الأهلين أهل مغانم
وأحوى أموال اليمانية كلها ... وما جمع القرماط يوم محارم
أعود إلى القدس التى شرفت بها ... بعز مكين ثابت الأصل قائم
وأعلو سريرى للسجود معظمًا ... وتبقى ملوك الأرض مثل خوادم
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم ... لكل نقى الدين أغلف زاعم

التعليق

من الجلى البين من خلال مطالعة تلك الأبيات الشعرية عدة دلالات :

أولاً : تخير ذلك الامبراطور البيزنطي استخدام الشعر؛ من أجل إرسال رسالة تهديد ووعيد للخليفة العباسى المطيع وهو أمر يعكس تفضيله الشعر على النثر لتحقيق ذلك الهدف. كذلك ندرك أن ورودها فى عدد من المصادر العربية يدل على انتشارها ومن المحتمل أن أبياتها ذاعت وانتشرت بحكم كون الشعر أيسر فى الحفظ من النثر بصفة عامة .

ثانيًا: لانغفل ؛ أن ورود عدة مدن عربية إسلامية مثل بغداد ، والبصرة ، وواسط ، ومكة فى القصيدة المذكورة بالإضافة إلى بيت المقدس؛ يدل على أن ذلك الإمبراطور البيزنطى لم يخصص الحديث عن المدينة الأخيرة فقط، مما ينفى فى الأصل فكرة قيامه بحرب ذات طابع صليبى ؛ من أجل استردادها .

ثالثًا: تعكس تلك القصيدة ؛ أن الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد نقفور فوكاس ؛ أدركت بجلاء أهمية سلاح الدعاية من أجل تحقيق أهدافها السياسية ضد أعدائها ، وهكذا ؛ لم تجد أفضل من الزاوية الدينية والعزف على وتر مدينة بيت المقدس؛ من أجل إثارة المعاصرين دون أن يكون ذلك من خلال مفهوم مستقر ومحدد عن الحرب المقدسة.

رابعًا : تكشف تلك القصيدة لنا كيف أن الضعف السياسى لدى المسلمين فى العصر العباسى الثانى؛ جعل ذلك الإمبراطور يتجرأ على الخليفة المطيع ويهدده فيها بالوصول إلى مكة المكرمة ، وهو تهديد أرعن ما كان من الممكن أن يحققه لأنه واقعيًا لم يتمكن إلا من دخول بعض المناطق فى بلاد الشام ، ولم يستمر بها طويلاً ، وهكذا؛ فإن تلك القصيدة لاتدرس إلا من خلال الأوضاع السياسية المتردية عامة التى كانت تعيش خلالها الدولة العباسية على نحو أدى إلى تطاول الدولة البيزنطية حينذاك إلى هذا الحد الغير مسبوق فى لغة الدعاية السياسية والحربية المتبادلة بين البيزنطيين والعباسيين ، وهو أمر لم يحدث خلال عهود الراشدين والأمويين والعباسيين فى عصرهم الأول؛ مما عكس تفرد الحادثة فى تاريخ العلاقات البيزنطية- العربية .

خامسًا : نظراً لكون ذلك الإمبراطور من القادة العسكريين الذين بلغوا المنصب الامبراطورى ، لذلك رفع مثل تلك الشعارات الديماجوجية الخاصة باسترداد بيت المقدس، ومن المفترض فى حالة كونه خارج نطاق النخبة العسكرية؛ ما فكر فى الأصل فى استغلال «الحلم الجماعى» المرتبط بالحج إلى المحارم المسيحية المقدسة ليكون فى مشروعه السياسى.

ملحق (٧)

المستعمرات اليزنطية التى خضعت للبندقية عام ١٢٠٤م

١- موررون من ١٢٠٦- ١٥٠٠م

٢- كورون من ١٢٠٦- ١٥٠٠م.

٣- أرجوس من ١٣٨٨- ١٤٦٣م.

٤- نوبليا من ١٣٨٨- ١٥٤٠م.

٥- مونمفاسيا من ١٤٦٤- ١٥٤٠م .

٦- ليبانتو من ١٤٠٧- ١٤٩٩م .

٧- نجرو بونت من ١٢٠٩- ١٤٧٠م .

٨- پتليون من ١٣٢٣- ١٤٧٠م .

٩- إيجينا من ١٤٥١- ١٥٣٧م .

١٠- تينوس من ١٣٩٠- ١٧١٥م.

١١- ميكونوس من ١٣٩٠ -١٥٣٧م.

١٢- شمالى سپورراديز من ١٤٥٣- ١٥٣٨م.

١٣- كورفو من ١٢٠٦- ١٢١٤م / ١٣٨٦- ١٧٩٧م.

١٤- كيفالونيا من ١٤٨٣- ١٤٨٥م / ١٥٠٠-١٧٩٧م .

١٥- زانتى من ١٤٨٢- ١٧٩٧م .

١٦- سريجو من ١٣٦٣- ١٧٩٧م .

١٧- سانتاماڤرا من ١٥٠٢- ١٥٠٣م .

١٨- أثينا من ١٣٩٤- ١٤٠٢م .

١٩- پاتراس من ١٤٠٨- ١٤١٣ م / ١٤١٧ - ١٤١٩م .

٢٠- ناكسوس من ١٤٩٤- ١٥٠٠م / ١٥١١- ١٥١٧م .

٢١- انوروس من ١٤٣٧- ١٤٤٠م / ١٥٠٧- ١٥١٤م .

٢٢- پاروس من ١٥١٨-١٥٢٠م / ١٥٣١- ١٥٣٦م .

٢٣- $\frac{١}{٤}$ أمورجوس من ١٣٧٠- ١٤٤٦م .

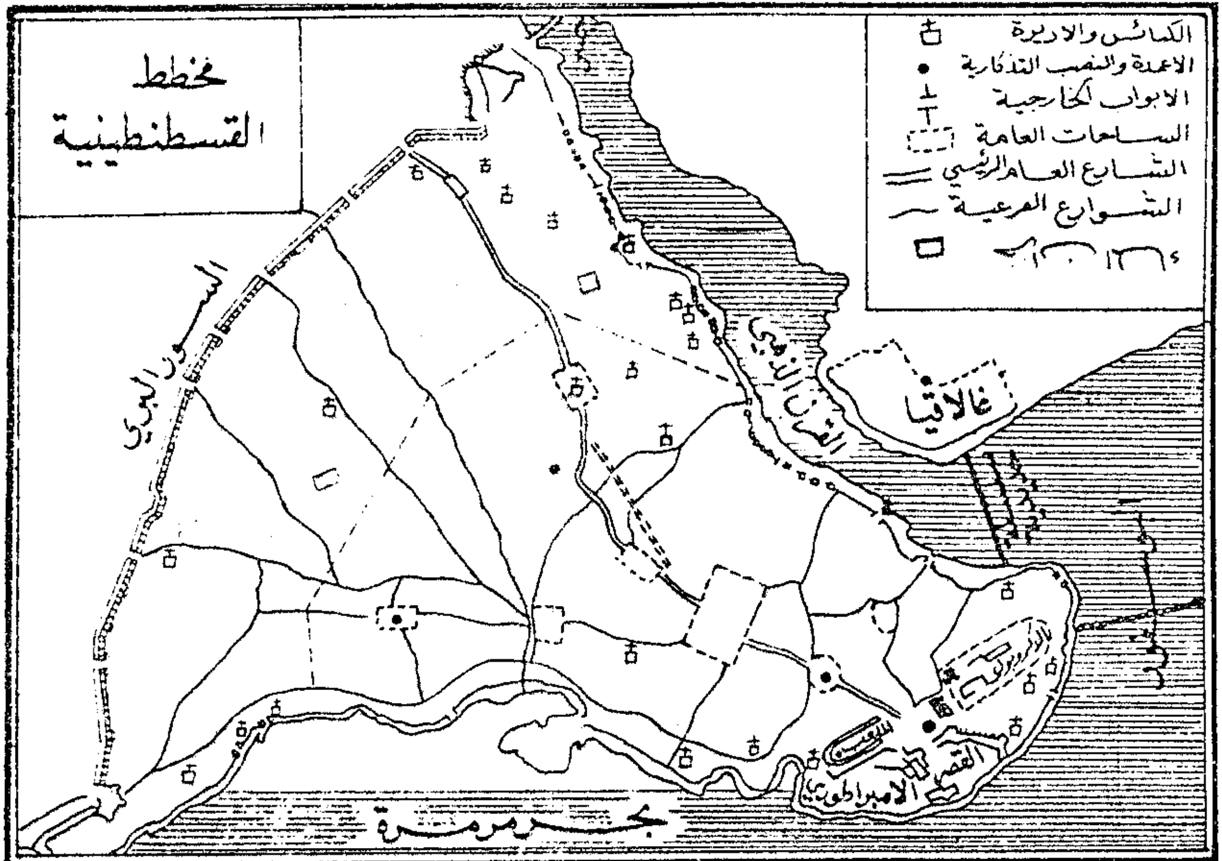
٢٤-ماينا من ١٤٦٧- ١٤٧٩م .

٢٥- قوستنترا ١٤٧٠م [١]

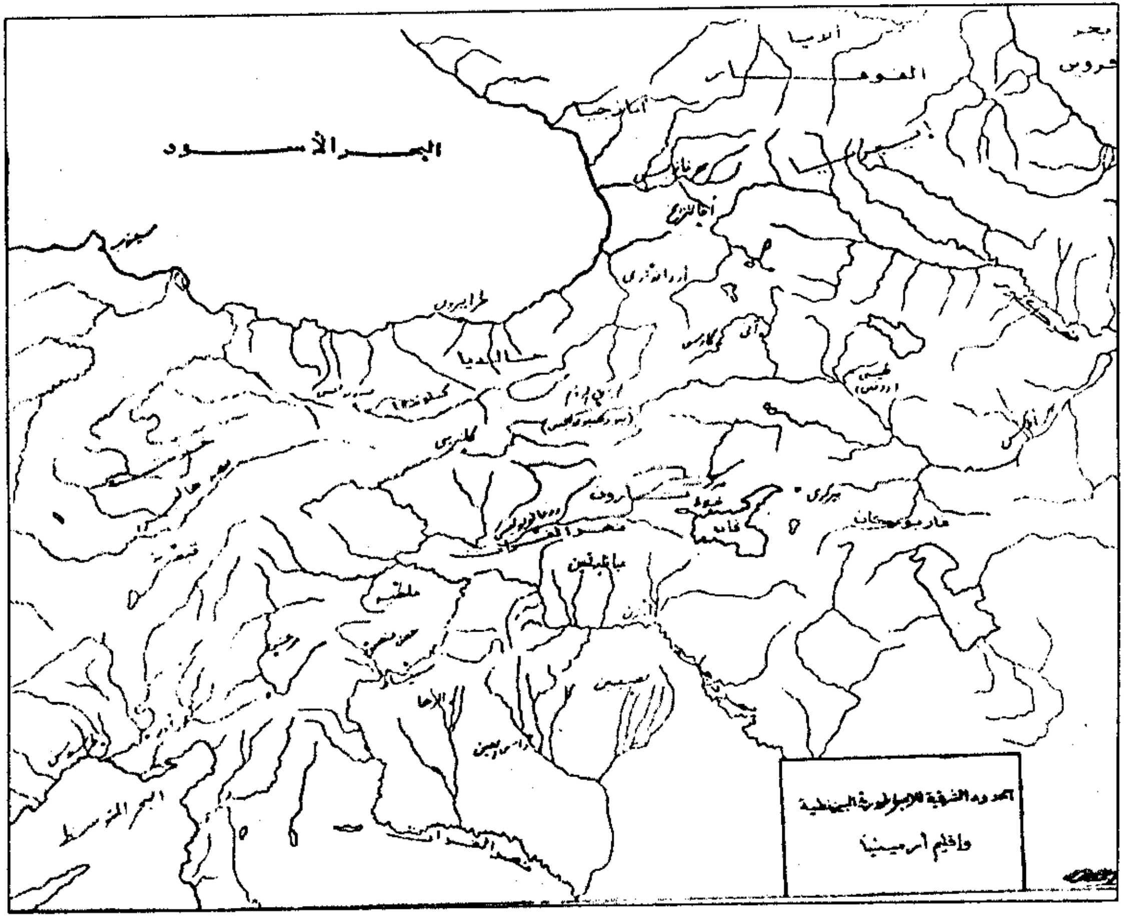
١- اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١- ١٢٨٢م، منشورات جامعة بنغازى ، ط. بيروت ب-ت ، ص١٣٦-١٣٧ .

الخرائط (١)

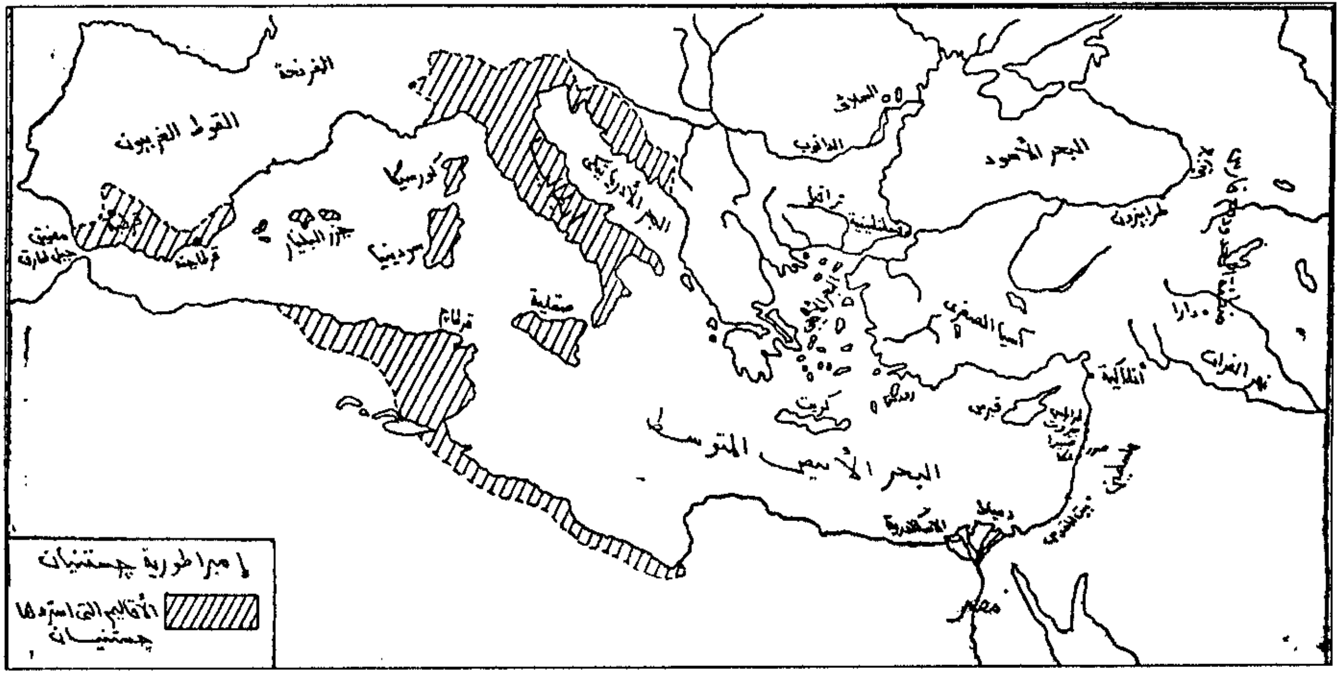
* إعتماداً على : محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسى والحربى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، اسمت غنيم، امبراطورية جستنيان، ط. جدة ١٩٧٧م، نعيم فرح، تاريخ بيزنطه السياسى، ط. دمشق ٢٠٠٤م.



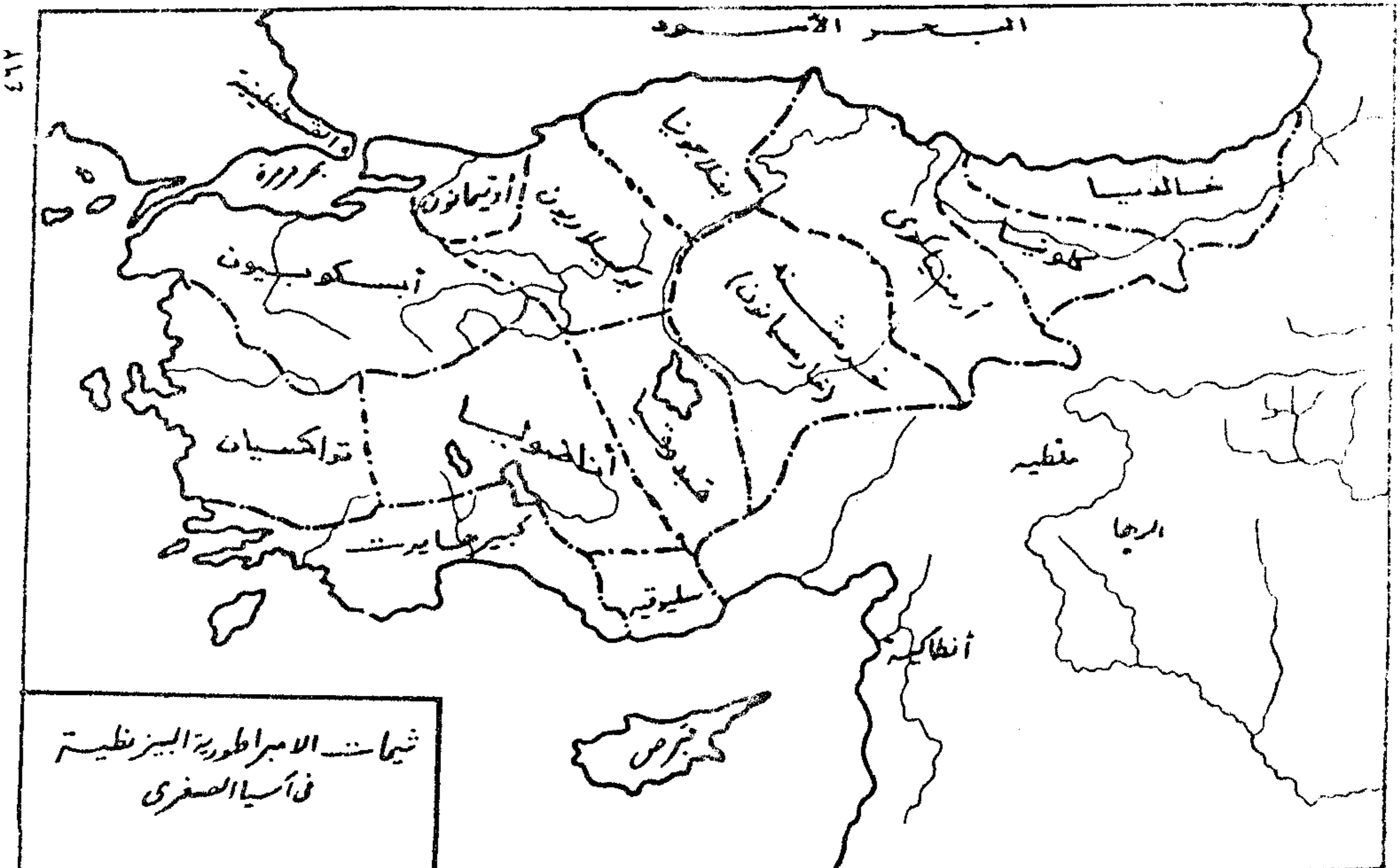
نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسى



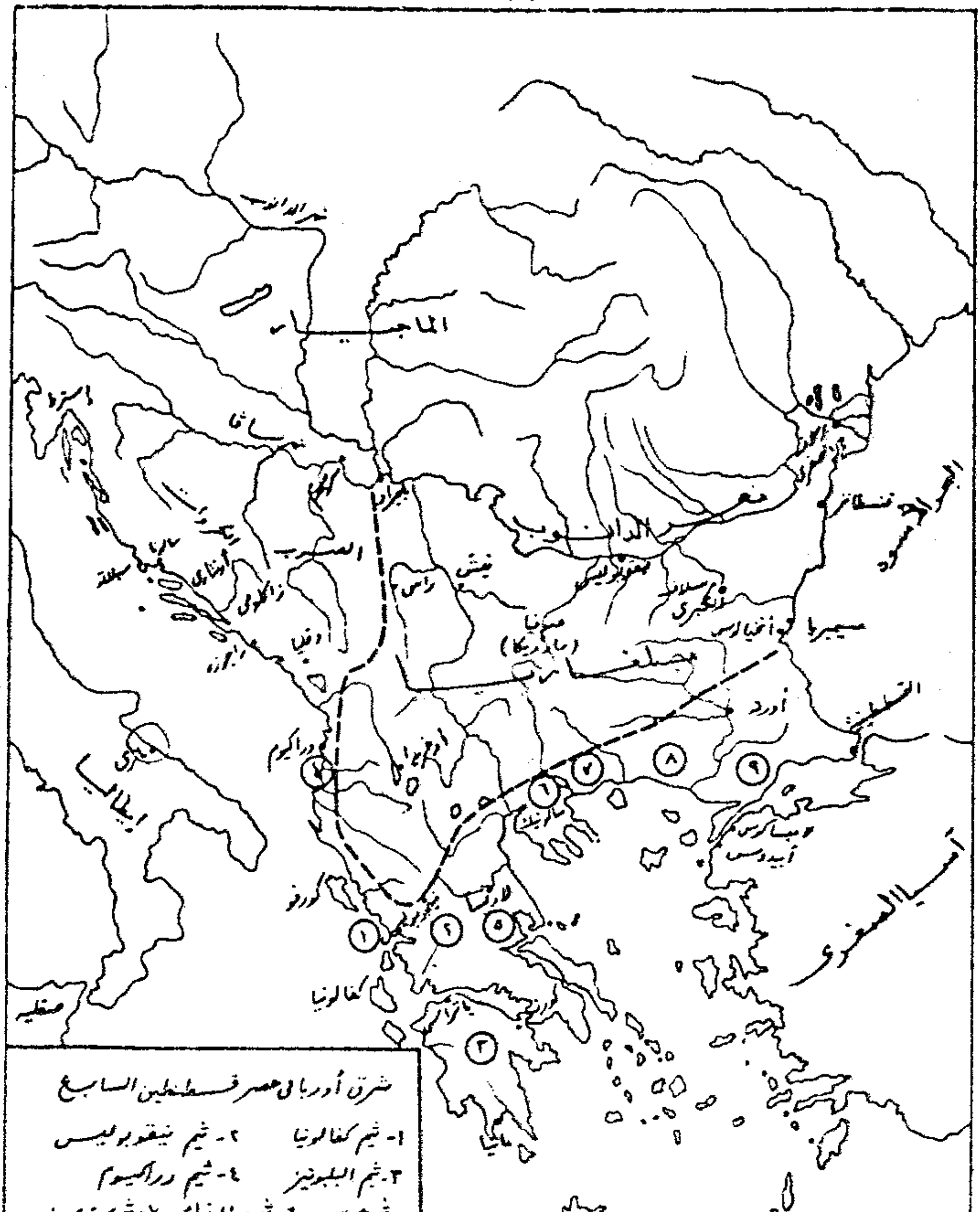
محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



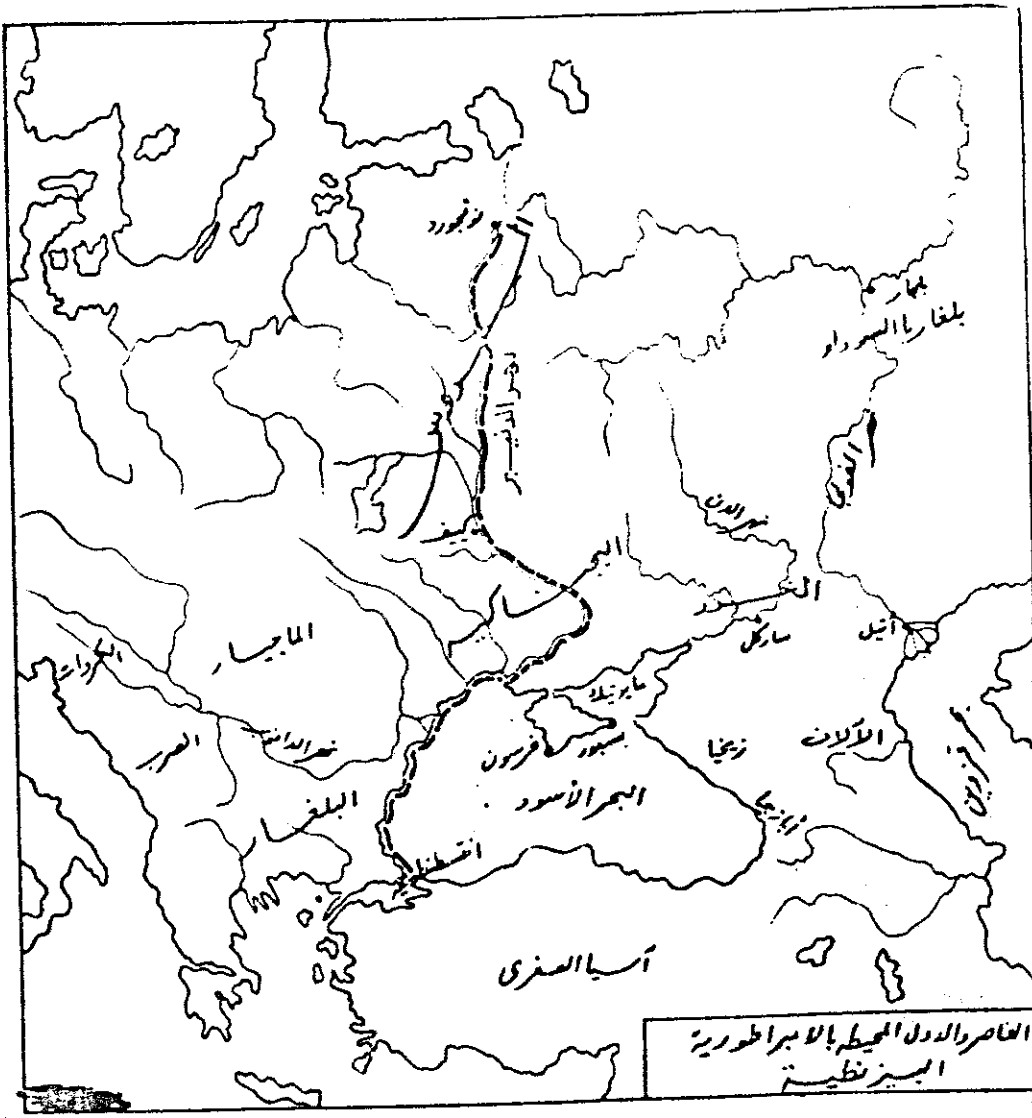
نقلاً عن : اسمت غنيم ، امبراطورية جستنيان



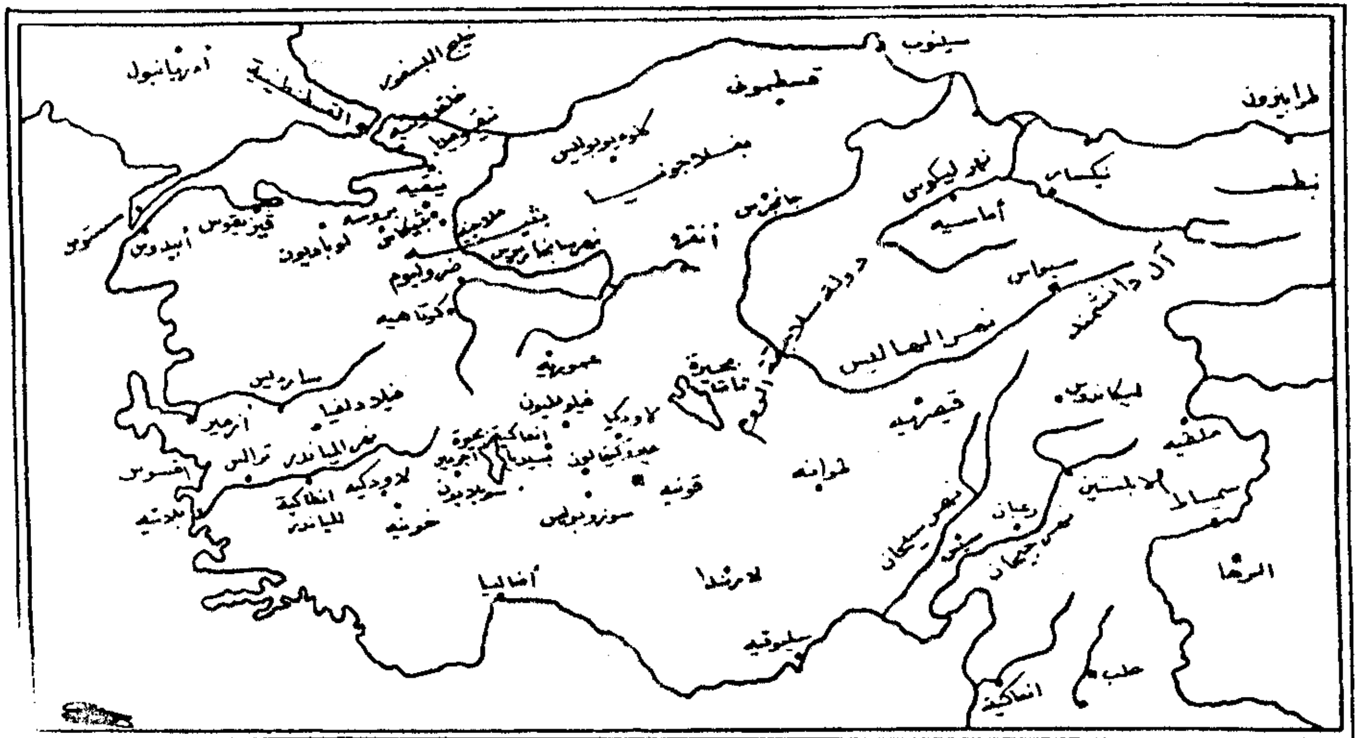
محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية

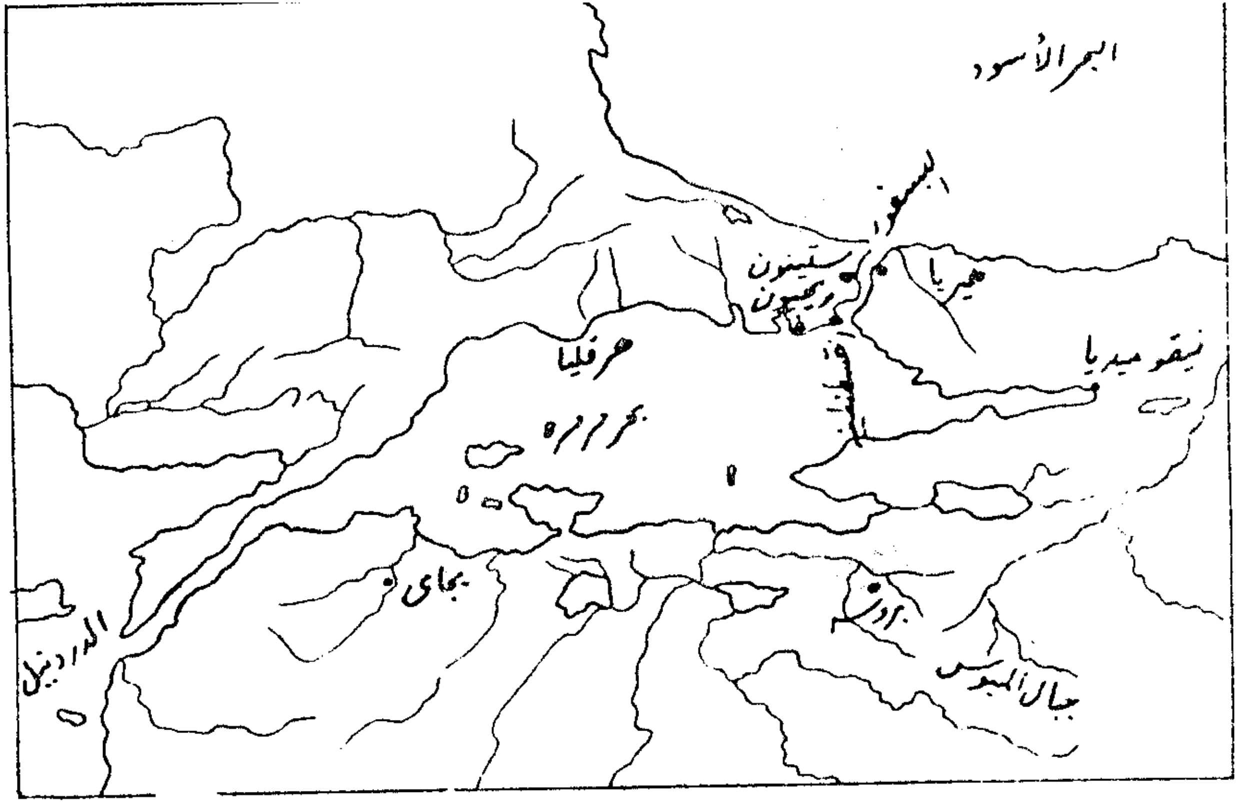


محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



آسيا الصغرى

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



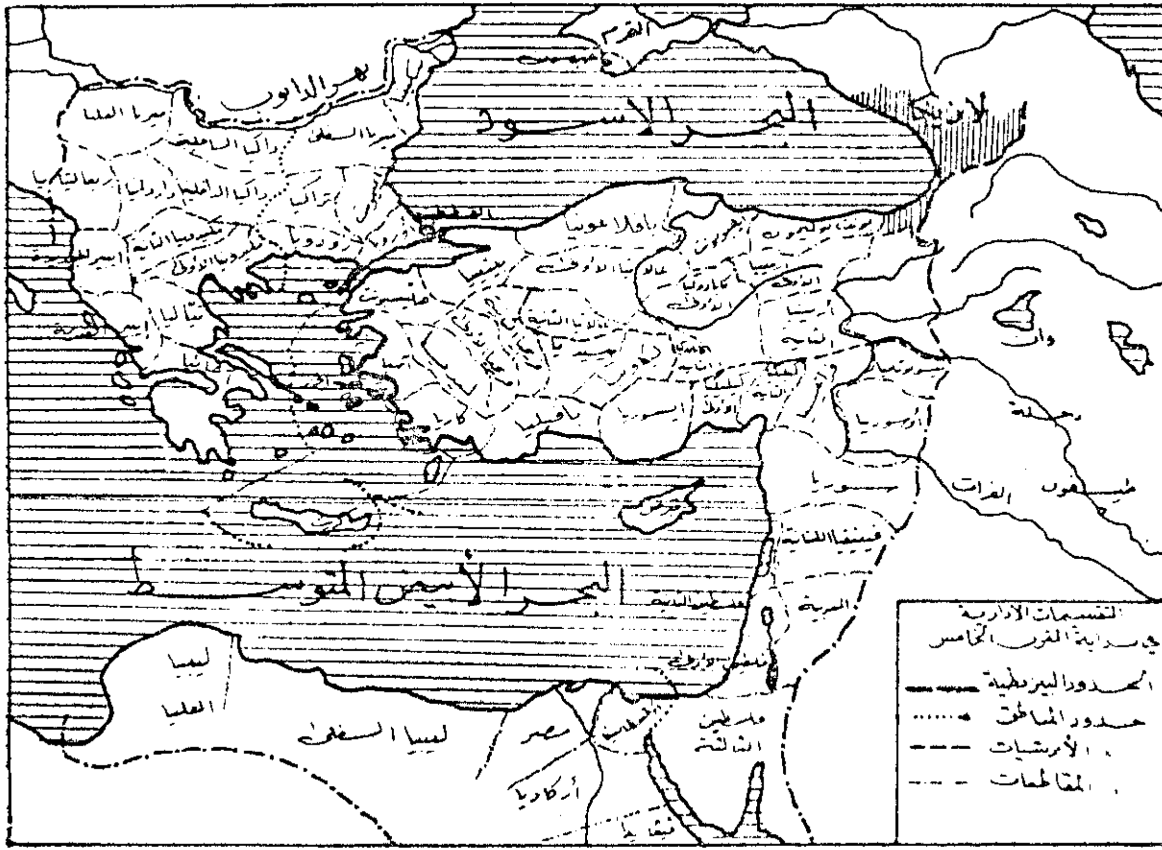
منطقة بحر مرمرة
ومنتزهات الامبراطور

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية

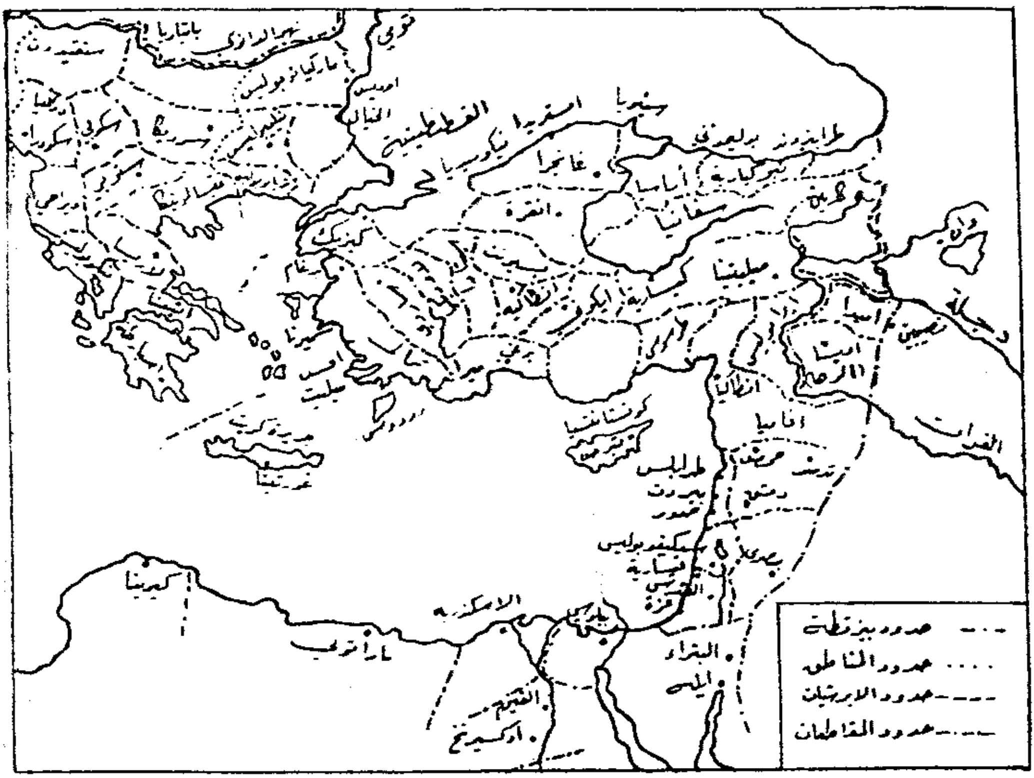
بيزنطة وإيران في القرن السادس



نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي



نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسى



المدن البيزنطية والتقسيمات الادارية في القرن الخامس

نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي

قائمة المختصرات

- A.B.: Analecta Bollandiana.
- A. H.R.: American Historical Review.
- A.O.L.: Arshives de L'Orient Latin.
- B.: Byzantion.
- B.B.O.M.: Birmingham Byzantine and Ottoman Monographs.
- B.F.A.A.U.: Bulletin of The Faculty of Arts Alexandria University.
- B.J.R.L.: Bulletin of the John Rylands library.
- B.E.O.: Bulletin des Etudes Orientales.
- B.F.: Byzantinische Forschungen.
- B.Z.: Byzantinische Zeitschrift .
- C.H.A: Collection des Historiens Armeniens.
- E.I.: Eretz. Israel.
- E.W. W.R.: Encyclopedia of World Woman and Religion.
- C.I.G: Corpus Inscriptionum Graecorum.
- C.S.H.B.: Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.
- C.M.: Classica et Mediaavalia .
- C.M.H.: Cambridge Medieval History.
- D.O.S. : Dumberton Oaks Studies.
- D.O.P: Dumberton Oaks Papers.
- D.T.C.: Dictionnaire de Theologie Catholique.
- E.H.R.: Egyptian Historical Review.
- E.H.R.: English History Review.
- E.Isl: Encyclopedia of Islam.
- E.W.WR.: Encyclopedia of Women and World Religions.
- Ency. Jud. Encyclopedia Judeca.
- E.O.: Echos d'Orient .
- E.R.: Encylopedia of Religion.
- H.: L'Histoire.
- H.Z.: Historich Zeitschrift.

- J.E.S.H.O.: Journal of Economic and Social History of The Orient .
- I. C.: Islamic Culture.
- I.J.T.S.: International Journal of Turkish Studies.
- J.H.S.: Journal of Hellenic Studies.
- J.J.S. : Journal of Jewish Studies.
- J.O.A.S. : Journal of Oriental and African Studies.
- J.M.I.H.: Journal of Medieval and Islamic History .
- J.R.A.S.: Journal of Royal Asiatic Society.
- H.U.C.A.: Hebrew Union College Annual.
- L.C.L.: The Loyb Classical Library
- O. chr. P.: Orientalia Christiana Periodica.
- O.D.B.: Oxford dictionary of Byzantium .
- P.G.: Patrologia Graeca.
- P.L.: Patrologia Latina.
- P.O.: Patrologia Orientalis.
- P.P.T.S.: Palestine Pilgrims Text Society.
- M.E.R.J.: Middle East Research Journal.
- M.G.H.: Monumenta Germaniae Historica.
- Med.S.: Medieval Studies.
- N.P.N.F.: Niciene and Post Niciene Futhers.
- R.A.: Revue Archaeologique.
- R. Af. : Revue Afrique.
- R.H.: Reveue Historique.
- R.H.C.: Recueil des Historiens des Croisades.
- R.O.L.: Revue de L'Orient Latin .
- S. : Speculum.
- S.C.H.: Studies in Church History .
- S.M.: Studi Medievali.
- Z.R.V.I: Zbornik Radova Vizantoloskog Instituta.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر اليونانية واللاتينية والأرمينية والسريانية

- Agathias, The Histories Trans . by J.O. Frendo , New York 1975 .
- Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana , in R.H.C., Hist . Occ. T.V , Paris 1879 .
- Albert of Trois Fontaines, Chronicle of Albert of Trois Fontaine, in Andrea and Whalen (eds.) , Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Ambroise , The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans. by Hubert , New York 1948 .
- Anonymous Syriac Chronicle , Trans. by A. S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol . 92 , 1933 .
- Anonymous , The Chronicle of the Third Crusade Atranslation of Itenerarium Peregrianorum et Gesta Regni Recardi , Trans. by Helen Nicholson , London 1997 .
- Anonymous , Devastatio Constantinople , in A.J. Andrea and E.W. Whalen (eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anonymous, The Deeds of Franks and The other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R. Hill, London 1962 .
- Anonymous , The Anonymous of Soissons in Andrea and Whalen (eds.) Conttemporary Sources for the Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anonymous, The Deeds of Bishops Halberstadt, in A. J. Andrea and B. E., Whalen (eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Anna Comnena, The Alexiad , Trans. by E.R.A. Sewter , Penguin Book , London 1979 .
- Baldric of Dol , in Peters (ed.) , The Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadphia 1971 .

- Bernard of Clairvaux, The Letters of St. Bernard of Clairvaux, Trans . by Bruno Scott James, Institute of Cistercian Studies , Western Michegan University , 1988 .
- Constantine Porphyrogenitus , De Administrando Imperio, Trans . by Jenkins , Washongton 1967 .
- Corpus Juris Civilis , ed . T. Mommsen , p. Kruger, R. Scholl, W. Kroll, 3 vols., Berlin 1945- 1963 .
- Count Hugh of Saint Dol , Report to The West , in A.J Andrea (A.J.), and Brette (E.W.) eds.), Contemporary Sources for The Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Daniel , Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land, Trans . by Wilson, P.P.T.S., vol . IV , London 1895 .
- Diogenis Akritis, ed. and Trans. by J. Mavrogordate , Oxford 1926 .
- Doukas, Decline and Fall of Byzantium to the Ottooman Turks, trans. by Magoulias, Detriot 1975 .
- Einhard, Vita Caroli Magni, in Lewis thorpe (ed.) Two lives of Charlamagne by Einhard and Notker the Stammerer , Penguin Book, London 1969 .
- Ernoul, Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresorier, ed. Par Mas Laterie, Paris 1971 .
- Evagrius Scholasticus, The Ecclesiastical History, Trans . by Michael Whitby , Liverpool 2000 .
- Eucherius, Description of Jeruslaem, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol . III, London 1892 .
- Eusebius, Extraits from Eusebius life of Constantine , Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol . I, London 1896 , The Ecclesiastical History Trans. by Kirsopp Lake, L.C.L., London 1930-1940 .
- Euphrosine , " Pelerinage en Palestine ", Trans . by by De Khitrowo", R.O.L., T. III, Année 1895 .

- Geoffrey of Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of The Crusades, London 1908 .
- Guilbert of Nogent , in Petrs (E), (ed.), the First Crusade, The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source materiales, Philadelphia 1971 .
- Gunter of Paris , in Allen (S.T.) and Ant (A.) (eds.), The Crusades, Toronto 2003 .
- Innocent III, The Register of Innocent III , in Andrea (A.J.) and whalen (B.E..) (eds.), Contemporary Sources for the Fourth Crusade, Leiden 2000 .
- Jacques de Vitry, History of Jerusalem, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol IX , London 1896 .
- Jean de Joinville, The life of St. Louis, in Chronicles of The Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw , Penguin Book , London 1976 .
- Joannes Phocas , A brief Description of the Holy land, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol V , London 1896 .
- John Bishop of Nikou, Chronicle of John Bishop of Nikou , Trans from Ethiopean by Zotenberg , Paris 1883, English Trans . by R.M. Charls London 1916 .
- John Malalas, The Chronicle of John Malalas, Trans. by Elezabeth Jeffrys and Michael Jeffrys, R.Scott, Byzantina Australiensia, Australian Association for Byzantine Studies, University of Sidney 1986 .
- John Moschos, the Spiritual Meadow (Pratum Spiritual), Trans. by John Wortley, Kalamazoo, Michigan 1992 .
- John of Wurzburg, Description of the Holy land , Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol . V London 1896 .
- Julian , Julian letters and Works, trans. by W.C. Wright, 3 vols , London 1913 .

- Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 .
- Kritovoulos, History of Mehmed The Conqueror , Trans. by C.T. Riggs, Princeton 1954 .
- Life of St. Mary / Marinos , Trans by Nicholas Constat, in Talbot (A.M.) , (ed.), Holy Women in Byzantium , Ten Saints' Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Matrona of Perge , in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Mary of Egypt, Trans. by Maria Kouli, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theoktiste of Lesbos, Trans. by Angela C. Hero, in Holy Women, Dumbardon Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Elisabeth The Wonderworker , Trans. by Valerie Karras, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Athanasia of Aegina, Trans. by Lee Francis Sherry, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodora of Thessalonike , Trans. by Alie- Mary Talbot, in Holy Women, Dumbarton Oaks , Washington 1996 .
- Life of St. Mary The Younger , Trans. by Angeliki E. Luion in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodora of Arta, Trans. by Alice- Mary Talbot, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Thomais of Lesbos, Trans. by Paul Hulsall, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodosia of Constantinople , Trans. by Nicholas Constas, in Talbot (A.M.) (ed.), Byzantine , defenders of images , Eight Saints, Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washingtoon 1989 .
- Life of St. Stephen The Younger , Trans. by Alice - Mary Talbot, in Byz-

antine defenders , Dumbarton Oaks, Washington 1989 .

- Life of St. Anthousa of Mantineon, Trans. by Alice - Mary Talbot , in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks , Washington 1989 .

- Life ofSt. Anthousa, daughter of Comnstantine V, Trans. by Nicholas Constas, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington 1989 .

- Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople, Trans. by Elizabeth A. Fisher, in Byzantine defenders , Dumbarton Oaks , Washington 1989 .

- Life of Sts. David, Symeon, and George of Lesbos , Trans.. by Dorothy Abraham and Douglas Domingo- Forasté, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington 1998 .

- Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) , avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed . M.E. Bulqurier , Paris 1858 .

- Michael le Syrien, Chronique du Michael le Syrien Patriarche Jacobite d' Antioche (1166-1199) ed . Par J.B. Chabot , Paris 1899-1905 .

- Michael Panaretos, Chronicle of the Empire of Trebizond , ed. O lampsides, Athens 1958 .

- Nicola Barbaro , Diary of the Siege of Constantinople 1453, Trans . by J.R. Jones, New York 1969 .

- Notker The Stammerer, in Tow Lives of Charlemagne , Trans. by Lewis Thrope , Penguin Book , London 1969 .

- Nicetas Choniates, O'City of Byzantium , Annals of Nicetas Choniates, Trans. by Harry Magolias, Wayne State University , Detroit 1984 .

- Odo of Deul, De Profectine Ludovici VII in Orientem, ed. by Ginyerich Berry , New York 1948 .

- Oliver of Paderborn , The Capture of Damietta, Trans. by Joseph J. Cav-

igan, in Peters, (E.) (ed.) Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 .

- Otto of Freising , The deeds of Frederick Barbarossa, Trans. by Charles Christopher Microw , Toronto 1966 .
- Otto of St. Blasion, The Third Crusade 1187-1190 , in Thatcher , Source Book of Medieval History , New York 1905 .
- Philip of Novara, The Crusade of Frederick II From Philip of Novara , in Peters (E.) (ed.), Christian Society and The Crusades 1198-1229 , Sources in translation including the capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 .
- Photius, The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople , Trans. by Cyril Mango, D.O.S., 3, Harvard 1958 .
- Pierre des vaux de Cernay , The Historia Albigensis, in Peters (ed.) Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980 .
- Procopius of Caesarea, The Buildings , Trans. by H.B. Deaving and G. Downey , London 1940 , Secret History , Trans . by Richard Atwater , Michegan 1961 , The Wandalic War , Trans. by Dewing, Cambridge 1968 , and also in, Evans, Procopius, New York 1972 .
- Psellus , Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia of Michael Psellus, Trans. by Sewter , Penguin Book , London 1966 , also , Ashour (S.) and Rabie (H.) , (eds.) , Fifty documents in Medieval History Cairo 1971 .
- Rainier Sacconi , in Medieval Europe, Pennsylvania 1980 .
- Ralf of Caggeshall, Chronicle of Ralf of Coggeshall, in Alfred J. Andrea and Brette F. Whalen , Contemporary Sources for the Forth Crusade, Leiden 2000 .
- Ramond d' Aguiliers, Historia Francorum , Trans. by John Hill and Lau-

rita Hill, Philadelphia 1948 .
- Robert of Clari, The Conquest of Constantinople, Trans. by E.H. Mc Neal, New York 1936 .
- Robert the Monk, in Peters (E.) (ed.), The First Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials, Philadelphia 1971 .
- Roger of Wendover, The Chronicle of Roger of Wendover , in Peters (E.) (ed.), Christian Society and the Crusades 1198- 1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 .
- Silvia of Aquitana, Pilgrimage to the Holy Places, Trans. by , P.P.T.S., vol . I, London .
- Tacitus, Tacitus on Britain and Germany , Trans. by H. Mattingly , The Penguin Book, London 1954 .
- The Chronicle of Solomon Bar Simson , in Eidelberg (ed.), The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of The First and Second Crusaders, Wisconson 1977 .
- Theophanes, The Chronicle of Theophanes , An English Translation of anni mundi (6095-6305 A.D. 602-813), with introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .
- The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Edilberg, The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades , Wisconson 1977 .
- The Song of Roland Trans. by Sayer, Penguin Book, London 1977 .
- Villeharduin , The Conquest of Constantinople , in Chronicles of The Crusades, Trans. by M. R. B. Shaw , Penguin Book, London 1963 .
- William of Poitiers, Deeds of Duke William , in Houts, (ed.) The Normans in Europe, Manchester 2000 .
- William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea Trans. by Bab-

ثانيًا المصادر العربية :

القرآن الكريم .

- ابن الأثير : (عز الدين محمد ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط. القاهرة ١٩٦٣م ، الكامل فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٦٦م، ط. القاهرة ١٩٩٩م) .
- ابن أيبك الدوادارى : (أبو بكر عبدالله ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) الدرة الزكية فى الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، ط. القاهرة ١٩٧١م ، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م.
- ابن بطوطة : (محمد بن عبدالله ت ٧٧٩هـ ١٣٧٧/م) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط. بيروت ب-ت .
- ابن تغرى بردى : (جمال الدين يوسف ت ٨٧١هـ / ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.
- ابن جبير : (محمد بن أحمد ت ٦١٤ أو ٦١٦هـ) الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار فى اتفاقيات الأسفار ، ط.بيروت ١٩٨٤م .
- ابن الجوزى : (أبو الفرج عبد الرحمن ت / ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج٩، ط. حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ابن الفرات : (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) تاريخ الدول والملوك م(٥) ، ج (١) ، تحقيق حسن محمد الشماع ، ط. البصرة ب-ت .
- ابن حماد : (أبو عبدالله محمد ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م) أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامى نقرة وعبد الحليم عويس ط. القاهرة ١٤٠١هـ .
- ابن حوقل : (أبو القاسم ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) صورة الأرض ، تحقيق دى جويه ، ط . بيروت ١٩٦٧م ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبدالله ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) المسالك والممالك ط. القاهرة ب-ت .
- ابن خلدون : (عبدالله بن خلدون ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ط.

بيروت ب-ت ، المقدمة تصحيح وفهرسة ، أبو عبدالله السعيد المندوه ، ط. بيروت ٢٠٠٥م.

- ابن خياط : (أبو عمر خليفه بن خياط ت ٢٤٠هـ / ٨٥٠م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق مصطفى نجيب نوار وحكمت نوار. ط. بيروت ١٩٩٥م.

- ابن رسته : (أبو على أحمد ت ق ٤هـ / ١٠م) الأعلاق النفيسة ، ط. ليدن ١٨٩٢م.

- ابن الساعى : تلخيص معجم الآداب فى معجم الألقاب ج٤ / ق٢ ، تحقيق مصطفى جواد ط. بغداد ١٩٦٧م.

- ابن شاهين : (غرس الدين خليل ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول راڤيس ، ط. باريس ١٧٩٧م.

- ابن سعد : (ت ٢٣٠هـ / ١٨٤٥م) الطبقات الكبرى، ط. بيروت ١٩٥٨م.

- ابن شداد : (القاضى بهاء الدين ت ٦٣٢هـ ١٢٣٤/م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.

- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبدالله ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م) ، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر ط. القاهرة ١٩٩٩م.

- ابن العبرى : (غريغوريوس ت ٦٨٥هـ / ١٢٥٦م) تاريخ مختصر الدول ، ط. بيروت ١٩٥٨م ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان ، ج١ ، ط. دمشق ١٩٥١م ، بغية الطلب فى تاريخ حلب - القسم الخاص بتراجم السلاجقة ، تحقيق على سويم - الجمعية التاريخية التركية ، ط . أنقرة ١٩٧٦م، الدرارى فى ذكر الذرارى ، تحقيق علاء عبد الوهاب ، ط. القاهرة ١٩٨٤م.

- ابن عذارى : (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ج .س كولاند وليڤى بروڤنسال . ط. بيروت ٩٤٨م. ط. بيروت ١٩٩٨م.

- ابن عربشاه : (أبو العباس شهاب الدين ، عجائب المقدر فى نوائب تيمور، ط. بيروت ١٩٨٦م .

- ابن عساكر : (أبو القاسم على ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م) ، ترجمة محمود بن زنكى تحقيق نيكيتا اليسيف مجلة الدراسات الشرقية . B.E.O., XXV Année 1972

- ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. القاهرة ١٩٥١م.

ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن عباس ت ٤هـ / ١٠م) رسالة ابن فضلان، تحقيق سامى الدهان ط. بيروت ١٩٨٧م .

- ابن الفقيه : (أبو بكر أحمد بن على ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م) كتاب البلدان ، تحقيق يوسف الهادى ، ط. بيروت ١٩٩٦م) .

- ابن الفوطى : (كمال الدين أبو افضل ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابقة، تحقيق مصطفى جواد ط. بغداد ١٣٥١هـ .

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزه ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م

- ابن كثير : (الحافظ عماد الدين اسماعيل ت ٧٤٤هـ / ١٣٧٣م)، البداية والنهاية ، ط. القاهرة ب-ت . الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ط . القاهرة ١٣٤٧هـ .

- ابن منكلى : (محمد بن منكلى ت ٧٧٥ هـ ١٣٧٦/م) الأحكام الملوكية والضوابط النموسية فى فن القتال فى البحر، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس ، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، عام ١٩٧٤م.

- ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف ت ٦٧٧ هـ ١٢٧٨/م) منتخبات من تاريخ مصر R.H.C., Hilt. Or., T.III

- ابن نباته : (أبو يحيى عبد الرحيم ت ٣٧٤هـ / ٩٨٤م) ، ديوان ابن نباته ، ط. بيروت ١٣١١هـ.

- ابن نظيف الحموى : (أبو الفضائل محمد ت ق ٧هـ / ١٣م) التاريخ المنصورى- تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو ، ط. دمشق ١٩٨٣م.

- ابن واصل : (جمال الدين محمد ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٥٣م.

- ابن وردان (القرن ١٠هـ / ١٦م) تاريخ الأغالبة ، تحقيق محمد زينهم ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- ابن الوردى : (أبو حفص زين الدين ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) تتمة المختصر فى أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردى . ط. النجف ١٩٦٩م.
- أبو الفداء : (إسماعيل بن على ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودى سلان ط. باريس ١٨٤٠م، المختصر فى أخبار البشر ، ط. بيروت ١٩٦٠م.
- أبو تمام : (ديوان أبو تمام ط. بيروت ب-ت .
- أبو شامه : (شهاب الدين أبو محمد ت ٦٥٥هـ/ ١٢٦٧م) الذيل على الروضتين ، ط . القاهرة ١٣٦٦هـ.
- أسامة بن منقذ : (مؤيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ط. بيروت ١٩٨١م.
- إسحق بن الحسين : (ق ٤هـ / ١٠م) آكام المرجان المشهورة فى كل مكان، باعتناء فهمي سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الإدريسى : (الشرف الإدريسى ت ق ٦هـ / ١٢م) ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- بيبرس الدواداري : (ركن الدين بيبرس ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٦م) ، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- البلاذرى : (أبو أحمد بن يحيى ت ٧٧هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الحسينى (صدر الدين على بن ناصر القرن ٦هـ/ ١٢م) ، أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق عباس إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م.
- الحميرى : (محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م.س
- الدمشقى : (شمس الدين بن أبى عبدالله ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ط. لبزج ١٩٢٣م.
- الذهبى : (الحافظ الذهبى ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) العبر فى خبر من غبر ، تحقيق

أبوهاجر محمد السعيد ، ط. بيروت ١٩٨٥م ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ط. بيروت ١٩٩٣م.

- الطبرى : (أبو جعفر بن جرير ت ٣١٠هـ / م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط. القاهرة ١٩٩٦م.

- العدوى : (القاضى العدوى ت ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م) الزيارات ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق ١٩٥٦م.

- عطا ملك الجوينى : (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) تاريخ جهانكشاى ت. محمد السعيد جمال الدين ، ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى إيران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م.

- عماد الدين الأصفهانى : (القاضى عماد الدين ت بعد عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية B.E.O., T. VII-VIII Années 1937-1938 .

- العماد الأصفهانى (الكاتب) : (ت بعد عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) الفتح القسى فى الفتح القدسى ط. القاهرة ب-ت .

- الفتح البندارى : (الفتح بن على بن محمد ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى، ط. القاهرة ١٩٧٩م ، تاريخ دولة آل سلجوق ،ط. بيروت ، ط. القاهرة ١٩٠٠م.

- القرمانى : (أحمد بن يوسف ت ١٠٠٩هـ / ١٦١٠م أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ج١ ، ط. بيروت ١٩٩٢م.

- القزوينى : (زكريا بن محمد ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) آثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ٩٩٨م.

- القلقشندى : (أبو العباسى ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ط. القاهرة ١٩٣٠- ١٩٣٣م .

- الكندى : ولاة مصر ط. بيروت ١٩٥٩م .

- المتنبى : أبو الطيب ت ق ٤هـ / ١٠م) ديوان المتنبى، تحقيق عبد الرحمن البرقوقى ، ط . بيروت ١٩٨٠م. ٥٧

- مجهول : (رحالة مراكشى معاصر للقرن ٦م/ ١٢م) الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ،ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- المسعودى : (أبو الحسن على ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) التنبيه والإشراف ، ط. بيروت ١٩٦٨م)، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء العمران ، ط. بيروت ١٩٩٦م.
- مسكويه : (أبو على أحمد ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) تجارب الأمم، ، ط. القاهرة ب-ت .
- المقدسى : (شمس الدين أبو عبدالله ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط. بيروت ب-ت .
- مغلطاى : (علاء الدين مغلطاى ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٣م) مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق آسيا كليبيان على البارح ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- المقريزى : تقى الدين أحمد ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ج٢ ، تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط. القاهرة ، ب-ت ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٤٠م، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٤ ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة .
- ناصر خسرو : (ناصر خسرو علوى ق ٥هـ/ ١١م) سفر نامه ت. يحيى الخشاب ، ط. بيروت ١٩٨٣م .
- اليافعى : (أبو محمد عبدالله ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٣ ، ط. حيدر أباد الدكن ١٣٤٨م.
- ياقوت الحموى: شهاب الدين ت ٨٧٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان ، ط. بيروت ب-ت ، ط. بيروت ١٩٩٧م، المشترك وضعًا والمفترق حقًا ، تحقيق وستنفيلد ، ط. بيروت ١٩٨٦م.
- اليزيدى : (محمد بن أحمد ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) العراضة فى الحكاية السلجوقية ت. عبد النعيم حسنين ، ط. بغداد ١٩٧٩م.

ثالثًا : المصادر المعربة :

- أنا كومنينا : (ق١٢م ٦/هـ) الكسياد ت. حسن حبشى ، المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.

- بطرس توديبود (ت ق ١٢م / ٦هـ) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ت . حسين عطيه ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م.

- بروكوبيوس : (٦م) التاريخ السرى ت. صبرى أبو الخير ، ط. القاهرة ٢٠٠١م (ت ق١٢م / ٦هـ) ، عزرا حداد ، ط. بغداد ١٩٤٥م ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، المجتمع الثقافى أبوظبى ٢٠٠٢م.

- بنيامين التطيلى (ت ق١٢م / هـ) الرحلة ، ت. عزرا حداد ط. بغداد ١٩٤٥م، ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، ودراسة المجتمع الثقافى أبوظبى،٢٠٠٢م.

ثيودريش : (ق١٢م / ٦هـ) وصف الأماكن المقدسة فى فلسطين للرحالة الألمانى ثيودريش، القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى ، ت . سعيد عبدالله البيشاوى ورياض شاهين ، ط. عمان ٢٠٠٣م.

- دانيال الروسى : (ت ق ١٢ م / ٦هـ) رحلة الحاج الروسى دانيال الراهب ، ت. سعيد عبدالله البيشاوى ط. عمّان ١٩٩٢م .

- روبرت كلارى : (ت ق١٣م ٧/هـ) فتح القسطنطينية ، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.

- فوشيه الشارترى : (ت ق ١٢م / ٦هـ) تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العسلى، ط. عمان ١٩٩٥م.

- فلهاردوين : (ت ق ١٣م / ٧هـ) من مذكرات فلهاردوين فتح القسطنطينية ، ت. حسن حبشى ، ط. جدة ١٤٠٣هـ.

- قسطنطين السابع بورفيروجنيتس : إدارة الامبراطورية البيزنطية ت. محمد سعيد عمران، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- مجهول : (ت بعد عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

- مجهول : (مؤرخ سرياني مجهول الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، ت. سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٨٤م.
- مجهول : قصة حملة الأمير إيغور خميس حرج ، ط. موسكو ١٩٨٩م
-مجهول:(ق ٤هـ / ١٠م) حدود العالم من الشرق إلى الغرب ت. عن الفارسية، وتحقيق يوسف الهادي، ط . القاهرة ٢٠٠٢م .
- نيقولا باربارو : (القرن ١٥ م ٩هـ) الفتح الاسلامى للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثمانى ١٤٥٣م ت. حاتم الطحاوى ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- يوحنا النقيوسى : (عاصر القرن ٧م / ١هـ) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى ، ت. عمر صابر عبد الجليل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- يوساب القيسارى : تاريخ الكنيسة ، ت . مرقص داود ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .

رابعًا : المراجع العربية والمعربة :

- إبرار كريم الله : من هم التتار ؟ ت. رشيدة رحيم الصبروتى، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- إبراهيم أبو جابر (د.) القدس ومستقبلها فى القرن الحادى والعشرين، دراسات (٢٤) ، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠٢م.
- ابراهيم العدوى (د.) «إفريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى »، المجلة التاريخية المصرية م (٣) ، العدد (٢) عام ١٩٥٠م، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ط. القاهرة ١٩٥١م، الدولة الأموية والبيزنطيون ط. القاهرة ١٩٥٣م . «قوانين الإصلاح الزراعى فى الامبراطورية البيزنطية »، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العددان (٣) ، (٤) يونيو ١٩٧٣م.
- إبراهيم أيوب (د.) التاريخ الفاطمى السياسى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم بيضون (د.) الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢- / ٧١١- ١٠٣١م، ط. بيروت ١٩٨٦م ، «حملة مؤته مقاربة للمشروع السياسى الأول للدولة الإسلامية فى بلاد الشام»، ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع الدور فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم خميس (د.) «الأوبئة والأمراض التى تفشت بين الصليبيين فى الشرق الأدنى الإسلامى وأثرها ١٠٩٨- ١٢٩١م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- ابراهيم خورى : الشريف الإدريسى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مركز زايد للتراث والتاريخ ط. أبوظبى ٢٠٠م.
- ابراهيم سعيد فهيم (د.) «جى دو لوزينيان وصلاح الدين الأيوبى بين الحرب والسلام» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- إبراهيم طرخان (د.) الحركة اللا أيقونية فى الدولة البيزنطية ،ط. القاهرة ١٩٥٦م،

تاكيتوس والشعوب والجرمانية ط. القاهرة ١٩٥٩ م، المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.

- ابراهيم عبد الفتاح المتناوى(د.) فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ، ط. طنطا ٢٠٠٢م.

- إحسان عباس (د.) جنون«الخطر الأخضر» وحملة تشويه الإسلام، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

- إحسان عباس (د.) العرب فى صقلية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

- أحمد إبراهيم الشريف (د.) دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة ط. القاهرة ١٩٦٨م.

- أحمد إسماعيل عى (د.) تاريخ بلاد الشام فى العصر العباسى ١٣٢ - ٤٦٣هـ/ ٧٤٩- ١٠٧٠م دراسة اجتماعية ، ط. دمشق ١٩٨٣م ، أحمد البيلى (د.) حياة صلاح الدين الأيوبى ط. القاهرة ١٩٤٦م.

- أحمد الحوفى (د.) الطبرى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

- أحمد الخشاب (د.) التفكير الاجتماعى ،ط. بيروت ١٩٨١م.

- أحمد جودت (باشا) تاريخ جودت ت. عبد القادر الدنا، تحقيق عبد اللطيف الحميد، ط . بيروت ١٩٩٩م.

- أحمد حطيط (د.) حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤م.

- أحمد رضا : خيبة السياسة الغربية فى الشرق ت. بورقيبه والصادق ، ط. تونس ١٩٧٧م.

- أحمد رمضان (د.) شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٨م ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى - الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ب-ت .

- أحمد زكى : أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح ، ط. الرياض ١٩٩٥م.

أحمد سوسه : الشريف الإدريسى فى الجغرافية العربية، ط. تونس ١٩٧٤م.

- أحمد عامر (د.) «اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى ، التاريخ والمستقبل يناير ٢٠٠٣م.

أحمد عبد الرازق (د.) تاريخ مصر الإسلامية وآثارها من الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، ط. القاهرة ١٩٩٣م.

- أحمد عبد الرحيم مصطفى (د.) أصول التاريخ العثمانى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- أحمد عبد الكريم سليمان (د.) «رسالة من البطريرك نيقولا مستيكوس إلى الخليفة العباسى» ، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٨)، (٢٩)، عام ١٩٨١-١٩٨٢م.

- أحمد عبدالله أحمد : التجارة فى الساحل الشامى فى القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م (تحت إشرافى بالاشتراك مع أ.د. أحمد رمضان).

- أحمد عتمان (د.) تاريخ اليهود، ج٣ ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.

- أحمد على عجيبة (د.) الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

- أحمد عودات (د.) وجميل بيضون (د.) وشحاده الناظور (د.) تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجرى حتى القرن الثالث عشر الهجرى ، ط. إربد ١٩٩٠م.

- أحمد فؤاد سيد (د.) تاريخ الدعوة الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين - بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، الحكم الإسلامى لفلسطين فى ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ - ٤٩٢هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ ط . القاهرة ٢٠٠٢م .

- أحمد فؤاد متولى (د.) تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبى، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- أحمد كامل محمود : الحاكم بأمر الله وعصره رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

- أحمد كمال الدين حلمى (د.) السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ط. الكويت ١٩٨٦م.

- أحمد محمد عدوان (د.) موجز تاريخ دويلات المشرق الإسلامى ، ط. الرياض ١٩٩٨م.

- أحمد مختار العبادى (د.) فى التايخ العباسى والفاطمى ، ط. بيروت ب-ت ، فى

التاريخ العباسى والأندلسى، ط. بيروت ب-ت ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ط. الاسكندرية ب-ت . قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، ط. بيروت ١٩٨٦م.

- أحمد وصفى زكريا : جولة أثرية فى بعض البلاد الشامية وصف طبغرافى تاريخى أثرى عمرانى للبقاع والبلدان الممتدة من شمالى الاسكندرونة إلى أبواب دمشق، ط . دمشق ١٩٨٤م.

- أدهم الدم ودانيال غوفمان وبروس ماسترز : المدينة العثمانية بين الشرق والغرب حلب، أزمير -اسطنبول ت- زلى ذبيان ، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

- إدوارد جيبون : إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج١، ت . محمد على أبوريدة، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

- أرثر كريتسنس : إيران فى عهد الساسانيين ت- يحيى الخشاب ، مراجعة عبد الوهاب عزام ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- أرثر هيرمان : فكرة الإضمحلال فى التاريخ الغربى ، ت. طلعت الشايب تقديم رمضان بسطاويسى المشروع القومي للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م) ت . محمد أحمد عيسى ، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

- أرشيد يوسف (د.) : سلاجقة الشام من ٤٣٥- ٥٧٠هـ ، ط. الرياض ١٩٨٨م.

- إرنست باركر : الحروب الصليبية ت. السيد الباز العرينى ، ط. القاهرة ٩٦٠م.

- أرنولد توينبى ، الفكر التاريخى عند الاغريق، ت. لمعى المطيعى، ط . القاهرة ١٩٩٠م.

- أسامة زكى زيد (د.) صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م.

- اسبو زيتو : التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟ ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠١م،

- اسحق عبيد (د.) : روما وبيزنطه من قطيعه فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٧٠م ، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية

ط. القاهرة ١٩٧٢م ، الفرسان والأقنان فى مجتمع الاقطاع ط. بنى غازى ١٩٧٥م، الدولة البيزنطية في عصر آل باليولوغوس ١٢٦٦١- ١٢٨٢م . ط. بيروت ب-ت ، «الذات والموضوع فى كتابات مؤرخى العصور الوسطى قراءة فى يوسابيوس وبروكوبيوس »، ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السمنار)- جامعة الكويت، ط. الكويت ١٩٩٥م ، «جان دارك رؤية من خلال الوثائق» الموسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية ، ط. القاهرة ١٩٧٨م. من الارك إلى جستنيان ط. القاهرة ١٩٧٧م. «شمس العرب تسطع على أرض النيل»، ضمن كتاب أثر الإسلام فى مصر وأثر مصر فى الحضارة العربية الاسلامية، ط . القاهرة ١٩٩٩م. محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، ط . القاهرة ١٩٧٨م.

- أسد رستم (د.) الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جزآن ، ط. بيروت ١٩٢٥- ١٩٥م ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج٢، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- إسرائيل شاحاك : التاريخ اليهودى ، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة ، ت. صالح على سوداح ، ط. بيروت ١٩٩م.
- إسرائيل ولفنسون (د.) : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ، ط. القاهرة ١٩٣م.
- إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- إسماعيل نورى الربيعى (د.) تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ط. عمان ٢٠٠٢م.
- إسماعيل ياغى (د.) العالم العربى فى التاريخ الحديث ط. الرياض ١٩٩٧م ، الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث ، ط. الرياض ١٩٩٨م.، تاريخ أوربا المعاصر ، ط. الرياض ٢٠٠٣م .
- أسمت غنيم (د.) امبراطورية جستنيان ، ط. جدة ١٩٩٧م.، «معركة مانزكرت فى ضوء وثائق بسللوس » كلية الآداب، جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ط . الاسكندرية ١٩٨٧م .

- اكمل الدين حسان أوغلى (محرر) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ت. صالح سعداوى ط. استانبول ١٩٩٩م.

- ألفوريد بتلر : فتح العرب لمصر ، ت. محمد فريد أبوحديد ، سلسلة تاريخ المصريين ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

- ألفونس ماريا شنيدر : «قبور الصحابة فى القسطنطينية» ، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين ، ج١ ، ت. صلاح الدين المنجد ، ط. القاهرة ١٩م.

- اليكسى جورافسكى : الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم .ت. خلف محمد الجراد ، ط. دمشق ٢٠٠٠م.

- أميرة مصطفى أمين يوسف (د.) «كونرادين وعرش الصقليتين» المؤرخ المصرى، العدد (٢) يناير ٢٠٠٢م.

- أمين معلوف : الحروب الصليبية كما رآها العرب ت. عفيف دمشقية ، ط. بيروت ١٩٨٩م، ط. بيروت ١٩٩٣م.

- آمال حامد غانم زيان : الإمبراطور الكسيوس كومنين والحملة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠م.

- أمل أحمد حامد : مجمع ليون الثانى ١٢٧م دراسة فى مشروع الوحدة بين كنيستى القسطنطينية وروما فى القرن الثالث عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م.

- أمل سعيد الجابرى : محمد الفاتح وفتح القسطنطينية ، ط. الشارقة ٢٠٠م.

- أنور محمد الزناتى : زيارة جديدة للاستشراق ، ط . القاهرة ٢٠٠م.

- الأمين أبوسعده (د.) «بيزنطة فى الملاحم العربية قراءة فى سيرة الأميرة ذات الهمة» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- أنور عبد العليم (د.) : الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ،ط. الكويت ١٩٧٩م.

- أنيس فريحه (د.) : أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، الجامعة الامريكية ببيروت ، ط. بيروت ١٩٥٦م.
- أيمن فؤاد سيد (د.) الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- إيناس أحمد السيد عباس (د.) صراع القوى فى البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب فى الفترة من ٢٥ - ٢٣٢ هـ / ٦٤٥- ٨٤٦م رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد دراسات البحر المتوسط ، جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥مس ، الترك فى آسيا الوسطى ، ت. أحمد السعيد سليمان ط . القاهرة ١٩٥٨م.
- بارو : الرومان ، ت. عبد الرازق يسرى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .
- برنار لازار : مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ، ت. مارى شهرستانى ، ط. دمشق ٢٠٠٤م .
- برنارد كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكرى محمود نديم، ط. بغداد ١٩٦٢م .
- برنارد لويس : استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد رضوان على ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. اكتشاف المسلمين لأوربا ت. ماهر عبد القادر ، ط. القاهرة . ١٩٩٦م.
- برنادين كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكرى محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٢م.
- بوريس راوشنباخ : «تعميد كييف» مجلة رسالة اليونسكو، العدد التذكارى بمناسبة مرور ألف عام على تعميد كييف رقم (٣٢) ، نوفمبر عام ١٩٨٨م.
- بول بوبار : الفاتيكان عاصمة الكثلكة فى العالم ت. أنطوان الهاشم ، ط. بيروت ١٩٩م.
- بول كنيدى: نشوء وسقوط القوى العظمى ، ت. مالك البديرى ، ط. عمان ١٩٩م.
- بول وليمان : ثيودورا ، جزآن ، ط. بيروت ١٩م.
- بيرل سمايلى : المؤرخون فى العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٨٠م.
- ترتون : أهل الذمة فى الإسلام، ت. حسن حبشى ط. القاهرة ١٩٧م .
- تركى مسيمير العتيبى : الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى صقلية الإسلامي ، ط. الرياض ١٩٨٧م.

- حاسم يونس الحريرى (د.) « دور القيادة الكارزمية » ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبو ظبى ٢٠٠٣م.
- جان جنبير : المسيحية نشأتها وتطورها ت. عبد الحليم محمود ، ط. القاهرة ١٩٨م.
- جان فلورى : الحرب المقدسة ، الجهاد والحرب الصليبية العنف والدين فى المسيحية والإسلام ، ت. غسان مايسو، مراجعة د. جلال شحاده ط. دمشق ١٩٩م.
- جلال حسنى سلامة (د.) : عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، ط. نابلس ١٩٩٨م.
- جلال يحيى (د.) : التاريخ الأوربى الحديث والمعاصر، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م.
- جلوب : الفتوحات العربية الكبرى، ت. خيرى حماد ، ط. بيروت ب-ت .
- جمال الدين سرور (د.) : تاريخ الدولة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٩م.
- جمال الدين الشيال (د.) تاريخ مصر الإسلامية ج٢، العصران الأيوبى والمملوكى، ط . الاسكندرية ١٩٧م.
- جمال فاروق الوكيل : تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادفى ضوء كتاب مارينو سانودو ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ٢٠٠م.
- جمال فوزى محمد عمار (د.) : التاريخ والمؤرخون فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- جمعه الجندى (د.) : حكم النورمان فى صقلية ١٠٩١- ١١٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠ م.حياة الفرنج ونظمهم فى بلاد الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين - دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨م.
- جميل حرب محمود (د.) : الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى ، ط. جدة ١٩٨م.
- جوستاف لوبون : حضارة العرب ت. عادل زعيتر ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- جورج عطية : «الأثر السرياني فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام ، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع

لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت، ومحمد عصفور ، ط. عمّان ١٩٨م.

- جورج يوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة ، ت. أمين سلامة مراجعة سيد توفيق ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- جوزيف كوسى : تاريخ الثورة الفرنسية ط. بيروت ١٩٨٩م.

- جوزيف داهموس : سبعة مؤرخين في العصور الوسطى ت. محمد فتحى الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٨٩م. ، سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ت. محمد فتحى الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م.

- جوزيف نسيم يوسف (د.) «دراسات فى المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين فى سيناء» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨م، ١٩٩م، «الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية»، مجلة كلية الآداب- ، جامعة الاسكندرية م (١) ، عام ١٩٦٩م، نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م ، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م ، «أنشودة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من نقاش» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م. ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤ - ١٤٥٣م ، ط. الاسكندرية ١٩٨م ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها ، ط. بيروت ١٩٨٧م، دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م.

- جودفرى ريكمان : «بحرنا ... البحر المتوسط »، ضمن كتاب البحر والتاريخ تحديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير أ. رايس ، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، أبريل ٢٠٠م.

- جونز (ج.ر) : الحصار العثمانى للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة ، ت. حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- جونز : مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ت إحسان عباس ط عمّان ١٩٨م.

- جيرارد ديمورج : دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية ت. محمد رفعت عواد ، ط. القاهرة ٢٠٠م.

- جيمس : الماجنا كارتا (العهد الأعظم) ت. مصطفى طه حبيب، ط. القاهرة ١٩٦٥م.
- جيمس تبتلى : اكتشاف الكتاب المقدس قيام المسيح فى سيناء ، ت. آسيا محمد الطريحى ، ط. القاهرة ١٩٨م.
- جيمس رستون (الابن) مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبى وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة ، ت. رضوان السيد ط. الرياض ٢٠٠٢م.
- جيهان عبد المقصود فهمى : السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢م.
- حاتم الطحاوى (د.) بيزنطة والمدن الايطالية ، العلاقات التجارية (١٠٨١-١٢٠١م) ط. القاهرة ١٩٩٨م. ، « جون ل . اسبوزيتو التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟» ترجمة قاسم عبده قاسم ٢٠٠١ م ، J.Esposito, the Islamic Threat Myth or Reality , Oxford 1999" . حولية التاريخ الإسلامى والوسيط م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. «كريستوفر كولمبس يدعو فرديناند وايزابيلا لشن حملة صليبية والاستيلاء على القدس ١٥٠١م» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، مجموعة أبحاث مهده إلى الأستاذ قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً تحرير حاتم الطحاوى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- حازم عبد القهار الراوى : الروح المعنوية للجيش العربى الإسلامى فى صدر الإسلام ، ط. بغداد ١٩٩٨م.
- حافظ حمدى (د.) الدولة الخوارزمية والمغول ، ط. القاهرة ١٩٤٩م ، الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، ط. القاهرة ١٩٥٠م.
- حامد زيان (د.) : فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.
- حبيب جاماتى : ثيودورا الممثلة المتوجه ، ط. القاهرة ب-ت .
- حسان حلاق (د.) تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى، الحياة المالية والاقتصادية والإدارية ، ط. بيروت ١٩٨٨م .
- حسن ابراهيم (د.) : الفاطميون فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٣٢م ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط. بيروت ٢٠٠١م.
- حسن الباشا (د.) العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م.

- حسن الساعاتى (د.) «منهج أبى الفداء فى البحث» ، مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١م، ط. دمشق - حماه ١٩٧٤م.

- حسن حبشى (د.) نور الدين والصليبيون حركة الإفاقة الإسلامية فى القرن السادس الهجرى ط. القاهرة ١٩٤٨م ، الشرق الأوسط بين شقى الرحى ، حملة لويس على مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٤٩م، الحرب الصليبية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

- حسن حنفى (د.) مقدمة فى علم الاستغراب ، ط. بيروت ١٩٩٢م.

- حسن صبحى بكرى (د.) الاغريق والرومان والشرق الاغريقى الرومانى ، ط. الرياض ١٩٨٥م.

- حسن ظاظا (د.) الفكر الدينى اليهودى ، ط. دمشق ب-ت .

- حسن عبد الوهاب (د.) قيسارية الشام فى التاريخ الاسلامى ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، «مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب مقالات للحروب الصليبية ، ط . الاسكندرية ١٩٩٧م ، معالم التاريخ البيزنطى السياسى والحضارى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .

- حسن محمود (د.) : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

- حسنين ربيع (د.) «البحر الأحمر فى العصر الأيوبى» ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، إشراف أ.د. أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ط. القاهرة ١٩٨٧م ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.

- حسين أحمد أمين (د.) الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين المعاصرين لها . ط. القاهرة ١٩٨٣م.

- حسين السيد متولى النحال (د.) الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس فى أواخر العصور الوسطى (١٣٦٥- ١٤٠٧م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م.

- حسين العودات : العرب النصارى عرض تاريخى ، ط. دمشق ١٩٩٢م.
- حسين عبد الحميد الأثرم : دراسات فى تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربى ، ط. بنى غازى ١٩٩٦م.
- حسين عطية (د.) إمارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م، إمارة أنطاكية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م.
- حسين مؤنس (د.) تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، فجر الأندلس ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- حسين مجيب المصرى (د.) الصلات بين العرب والفرس والترك ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .
- حكمت شريف (بك) تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام ، تحقيق منى حداد يكن ومارون عيسى خورى ، ط. طرابلس ١٩٨٧م.
- حمدى شاهين (د.) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م .
- خليل السامرائى (د.) وعبد الواحد ذنون : تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس ، ط. بيروت ٢٠٠٠م.
- خليل إينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت . محمد الأرناؤوط ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- خليل رستم : القديس يوحنا الذهبى الفم ، ط. دمشق ١٩٨٣م.
- داونى : أنطاكية فى عهد ثيودوسيوس الكبير، ت. ألبرت بطرس، ط. بيروت ١٩٦٨م.
- دمترى ميكولسكى : المسعودى هيرودوت العرب ، ت. عادل إسماعيل مراجعة نوفل ينوف ط . دمشق ٢٠٠٦م.
- دنلوب : تاريخ يهود الخزر ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية ت. حسن حبشى ، ط . القاهرة ٢٠٠٣م.
- دونالد كواتزت : الدولة العثمانية ١٧٠٠-١٩٢٢م ، ت. أيمن الأرمنادى ، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

- ديفيد سوفير : جغرافية الأديان ت. أحمد غسان سبانو ، ط . دمشق ١٩٩٩م.
- ديفيد صمويل مارجلبوث : القاهرة وبيت المقدس ودمشق ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو ، ط. دمشق ٢٠٠٠م. دراسات عن المؤرخين العرب ت. حسين نصار ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .

ديفز : أوربا في العصور الوسطى ت. عبد الحميد حمدى محمود ط. الاسكندرية ١٩٥٨م، شارلمان، ت. السيد الباز العرينى ط. القاهرة ١٩٥٩م.

- ديمترى غوتاس : الفكر اليونانى والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية فى بغداد والمجتمع العباسى المبكر، القرن الثانى- القرن الرابع هـ / القرن الثامن - القرن العاشر م . ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.
- ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ : عصر الملك الكامل الأيوبى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الموصل عام ١٩٨٨م.

-رأفت الشيخ (د.) ومحمد رفعت (د.) آسيا فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

- رأفت عبد الحميد (د.) «كنيسة بيت المقدس فى العصر البيزنطى» المجلة التاريخية المصرية م (٢٥) عام ١٩٧٨م. «الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٣م . الدولة والكنيسة ج٢، قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ط. القاهرة ١٩٩٩م. «مصر والعرش البيزنطى» ضمن كتاب مصرو عالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم رؤوف عباس، ط. القاهرة ١٩٨٦م ، «سوزيين المؤرخ الغزاوى» ضمن ندوة فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان ، مركز البحوث والدراسات التاريخية - جامعة القاهرة ، ط . القاهرة ١٩٩٦م. ، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ط. القاهرة ١٩٩٧م ، «الثورة الشعبية فى القسطنطينية ٥٣٢م» ، ضمن كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة. ط. القاهرة ١٩٩٧م ، «مصرع حوليان الفيلسوف الإمبراطور» ضمن كتاب قطوف دانية مهداه إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعى ، ط. عمّان ١٩٩٧م. «الملك الكامل بين

الإفراط والتفريط» ، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٩٨م. الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة ط. القاهرة ٢٠٠٠م، الفكر المصرى فى العصر المسيحى ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م ، الدولة والكنيسة المسيحية الجديدة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- رجب محمد عبد الحليم (د.) دولة بنى حمود فى مالقه بالأندلس، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م.

- رستو فتزف : تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادى، ت. زكى على ومحمد سليم سالم، ج١ ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.

- رشاد خميس (د.) سيرة سيد بطال غازى فى القصص الشعبى التركى وأثر الصراع الإسلامى البيزنطى فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب ،جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م.

- رشدى الأشهب : المعالم الأثرية فى فلسطين ، ط. القدس ١٩٩٧م.

- رضا هادى عباس (د.) الأندلس محاضرات فى التاريخ والحضارة ط. ڤاليتا- مالطه ١٩٩٨م.

- رمزى : تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار فى وقائع غازان وملوك التتار ، م (١) . ط. أورينورغ ١٩٠٨م .

- روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ت. صالح العلى ، ط. بيروت ١٩٨٣م.

- روبرتس (ج.م) موجز تاريخ العالم ج١ . ت فارس قطا ، ط. دمشق ٢٠٠٤م.

- روبرت لوبيز : ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠- ١٣٥٠ ت. محمود أبو صوة ، ط. ڤاليتا- مالطه ١٩٩٧م.

- ريمون استانبولي مفاتيح أورشليم القدس ، حملتان صليبيتان على مصر ١٢٠٠- ١٢٥٠، ت. عايدة الباجورى تقديم ومراجعة أ.د. اسحق عبيد ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

- رينيه جروسيه : الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ت. أحمد أيبش ، ط. دمشق ٢٠٠٢م.

- زاكية رشدى (د.) «تاريخ الأدب السريانى» مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس ، م (١٧) عام ١٩٧٣م.

- زاهر رياض (د.) شمال أفريقيا فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٨١م.
- زبيدة عطا (د.) الترك فى العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ط. القاهرة ب-ت . ط . القاهرة ١٩٧٧م. المقاتل البيزنطى . ط. المنيا ١٩٨٢م. الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
زكى النقاش (د.) العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م.
- زهيرة البيلى التاريخ يصنعه المرضى ، ط. القاهرة ١٩٨٥م مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٢١٥هـ ١٢٤٥/هـ / ١٨٠٠-١٨٣٠م ط. عمان ١٩٩٦م.
- زينب بيره چكلى شعر الثورات الداخلية فى العهد العثمانى ، ط . عمان ١٩٩٩م. ذات السوارى ط. الشارقة ٢٠٠٦م.
- زينب عبد القوى (د.) الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩- ١٢٩١ ط. القاهرة ١٩٩٦م. «جامعة أكسفورد فى العصور الوسطى» حولية التاريخ الإسلامى والوسيط م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. اليهود فى إنجلترا العصور الوسطى، ١٠٦٦-٢٩٠م ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.
- زينب عصمت راشد (د.) تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ط. جدة ١٩٨٩م.
- سالم مخيمر (د.) وخالد حجازى أزمة المياه فى المنطقة العربية الحقائق والبدائل الممكنة سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م.
- ستيفن رنسيمان الحضارة البيزنطية، ت. عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة زكى على ، ط. القاهرة ١٩٦٤م ، المسيحيون العرب فى فلسطين ، ط . اسكس ١٩٦٨م، تاريخ الحروب الصليبية ت. السيد الباز العرينى ، ط. بيروت ١٩٦٧-١٩٦٩م، ط. بيروت ١٩٩٣م
- سر الختم عثمان (د.) مدينة صورة فى القرنين ١٢ ، ١٣ م، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- سرور عبد المنعم (د.) السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك

فولك الأنجوى ١١٣١- ١١٤٣ / ٥٢٦ - ٥٣٨هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م . «جودفرى دى بويون حاكمًا للكيان الصليبى ١٠٩٩- ١١٠٠م» مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس عدد عام ٢٠٠٤م .

- سعاد ماهر (د.) البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، ط. القاهرة .

- سعد رستم ، التوحيد فى الأناجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا ط. دمشق ٢٠٠٢م. الفرق والمذاهب المسيحية من ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

- سعد السعدى : معجم الشرق الأوسط ط. بيروت ١٩٩٨م.

- سعد زغلول عبد الحميد (د.) الاسكندرية قاعدة عسكرية فى القرن الأول من تاريخها العربى وموقعة الصوارى، ضمن كتاب سواحل مصر عبر العصور، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- سعيد أحمد برجاوى ، الدولة العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى ، ط. بيروت ١٩٩٣م.

- سعيد عبدالله البيشاوى (د.) نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٩١م ط. عمّان ١٩٩٠م. الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٢-٦٩٠هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠م ، «الأراضى الزراعية ومنتجاتها فى الخليل فى العصر الفرنجى ٤٩٢- ٥٨٣هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م ، «الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها (١٠٩٩-١١٨٧م ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط . الاسكندرية ٢٠٠٤م .

- سعيد السيد على فرغلى (د.) «إضمحلال حكم الأنجلوسكسون فى إنجلترا ٩٧٩-١٠٦٦م / ٣٦٨ - ٤٥٨هـ . بحث ضمن كتاب بحوث فى تاريخ

العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.

- سعيد عاشور (د.) أوربا العصور الوسطى - التاريخ السياسى ط. القاهرة ١٩٦٢م، ط القاهرة ١٩٧٢م، ط . القاهرة ١٩٨١م. «الامبراطور فردريك والمشرق العربى » المجلة التاريخية المصرية ، عدد عام ٩٦٣م الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٣م. أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م. تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ٢٠٠٣٣م.

- سعيد عاشور (د.) ومحمد أنيس (د.) النهضات الأوربية فى العصور الوسطى وبداية الحديثة ط. القاهرة ١٩٥٦م.

- سلوى بالحاج صالح (د.) المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، ط . بيروت ١٩٩٧م.

- سليم شعشوع ، صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس ، شفا عمرو- فلسطين ١٩٩٠م .

- سليم عرفات المبيض النصرانية وآثارها فى غزة وما حولها ط. غزة - فلسطين ١٩٩٨م.

- سليمان الخرابشة ، الصراع الفاطمى- السلجوقى فى بلاد الشام ٤٤٧- ٥٦٦هـ / ١٠٠٥- ١١٧٠م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م.

- سليمان الرحيلى (د.) العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة فى عهد الخليفة هارون الرشيد والامبراطور شارلمان ط. الرياض ب-ت .

- سميرة يونس (د.) النورمان والدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر ط. القاهرة ١٩٩٥م .

- سها إبراهيم منصور ، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.

- سهير نعينع (د.) «العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية ومصر والشام فى القرنين ١١ ، ١٢ الميلاديين فى ضوء الوثائق التاريخية» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ

العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير علىَ أحمد السيد وابراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.

- سهيل زكار (د.) «أبو الفداء» ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣- ١٣٣١م ط. دمشق - حماه ١٩٧٤م ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ط. دمشق ١٩٨١م ، الحروب الصليبية ، ت. سهيل زكار ط. دمشق ١٩٨٤م ، الموسوعة الشامية عدة أجزاء ، ط . دمشق ١٩٩٣- ١٩٩٥م.

- سهيل زكار (د.) ووفاء جونى (د.) واكتمال إسماعيل (د.) حروب الفرنجة (الصليبية)، ط. دمشق ٢٠٠٥م .

- سيار الجميل (د.) العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ط. بيروت ١٩٨٩م .

- السيد الباز العرينى (د.) أجناد الروم ، ط. القاهرة ١٩٥٦ ، الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٨١م ط. القاهرة ١٩٦٠م ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٢م، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

- سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ت . عفيف البعلبكى ، ط. بيروت ١٩٩٠م .

- سيد الناصرى (د.) تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ط. القاهرة ١٩٧٥م ، الروم والمشرق العربى ط. القاهرة ١٩٩٣م .

- السيد عبد العزيز سالم (د.) التاريخ والمؤرخون العرب ط. الاسكندرية ١٩٧٦م ، تاريخ الحضارة الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م.

- سيده كاشف (د.) مصر فى عصر الولاة ، ط. القاهرة ب-ت .

- شارل ديل ، البندقية جمهورية أرستقراطية ت. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، ط. القاهرة ١٩٤٨م.

- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م ، ط. القاهرة ١٩٦٠ م.

- شاكر أبوبدر ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ط. بيروت ب-ت .

- شاكر مصطفى (د.) «دخول الترك الغز إلى الشام» ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام من

القرن السادس إلى القرن السابع عشر المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ط. بيروت ١٩٧٤م ، التاريخ العربى والمؤرخون ط. بيروت ١٩٨٠م.

- شحاده على الناطور (د.) تاريخ صدر الإسلام وفجره ، ط. عمّان ٢٠٠١م.
- شعبان محمد خلف هنغاريا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩- ٦١٤هـ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة المنيا عام ٢٠٠٤م.
- شكرى فيصل (د.) حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى ط. بيروت ١٩٧٤م.
- شمس الدين الكيلانى ، صورة أوربا عند العرب فى العصور الوسيط ، ط. دمشق ٢٠٠٤م.
- شوقى الجمل (د.) وعبدالله عبد الرازق (د.) تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى الحاضر المستقبل ، ط. الشارقة ٢٠٠١م.
- صابر دياب (د.) المسلمون وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجرى ، ط. القاهرة ١٩٨٤م .
- صبرى أبو الخير (د.) تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- صالح السعدون ، فتح القسطنطينية ط. دمشق ب-ت . العلاقات الخارجية للأندلس فى عهد الإمارة ط. الرياض ب-ت .
- صبحى عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- صلاح الدين المنجد (د.) المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة » مجلة معهد المخطوطات العربية ق (٢) ، ج(١) عدد مايو ١٩٥٦ م. معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط. بيروت ١٩٧٤ م .
- صلاح الدين بحيرى (د.) أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٩م .
- صلاح الدين المنجد (د.) الشرق فى نظر المغاربة والأندلسيين فى القرون الوسطى ، ط . بيروت ١٩٦٣ م.
- صلاح ضبيع (د.) العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية فى عصر

آل باليولوغوس ١٢٦١-١٤٥٣م رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب- جامعة جنوب الوادى عام ١٩٩٨م.

- صلاح هريدى (د.) دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

- ضيف الله بطاينه (د.) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٩م.

- طارق مترى (د.) «المسيحيون الشرقيون والإسلام» ضمن كتاب العلاقات الاسلامية المسيحية قراءات مرجعية فى التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ط. بيروت ١٩٩٤م.

- طارق منصور (د.) الجيش فى الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادى رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة الزقازيق فرع بنها عام ١٩٩٣م. الروس والمجتمع الدولى ٩٤٥- ١٠٥٤م ط. القاهرة ٢٠٠١ م ، قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ط. القاهرة ٢٠٠٢م. «ماريا المصرية نموذج للقصص الدينى فى العصور الوسطى». ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. «الملحمة البيزنطية ديجنيس اكريتيس رؤية أدبية » ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطى أولاً: الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. بيزنطة والعالم الخارجى ج١، البيزنطيون والعالم الإسلامى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «فن القتال عند البيزنطيين دراسة فى الاستراتيجية فى ضوء تكتيكا ليو الحكيم» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى أبحاث مهداه إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين عامًا تحرير حاتم الطحاوى ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «النار الاغريقية - قراءة جديدة فى ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية» ، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٤) ، عام ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ م.

- طارق منصور (د.) ورأفت عبد الحميد (د.) مصر فى العصر البيزنطى ٢٨٤- ٦٤١م ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- طارق منصور (د.) ومحاسن الوقاد (د.) النفط واستخدامه وتطوره عند المسلمين ٦٤- ٩٢٣هـ / ٦٨٤- ١٥١٧م ط. القاهرة ٢٠٠٦م

- عائشة بنت عبدالله ، البحر الأحمر فى العصر الأيوبى ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م.

- عائشة سعيد أبو الجدايل (د.) الإمبراطورية البيزنطية فى القرن السابع الميلادى / الأول الهجرى دراسة التطورات والتغيرات ط. الرياض ١٤١٥هـ .
- عادل زيتون (د.) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى فى العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م ، العلاقات الاقتصادية فى العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ط. دمشق ١٩٨٢م، «ملاحظات على أطروحة هنرى بيرين من خلال كتاب «محمد وشارلمان»، ضمن الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السمنار) ، قسم التاريخ - كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٣-١٩٩٤م.
- عارف تامر (د.) الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين - الحاكم بأمر الله ، ط. بيروت ١٩٨٠م.
- عاطف مرقص (د.) قبرص والحروب الصليبية فى القرنين ١٢، ١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م.
- عبد الحفيظ محمد على (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عصر حنا كومنين ١١١٨-١١٤٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.
- عبد الحميد البطريق (د.) وعبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- عباس إسماعيل الصايغ (د.) تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية ، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- عباس إقبال ، تاريخ المغول ضد حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ت. عبد الوهاب علوب ، المجمع الثقافى ، ط. أبو ظبى عام ٢٠٠٠م .
- عباس عزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ط. بغداد ١٩٨٧م .
- عباس عمار : المداخل الشرقى لمصر ، ط. القاهرة ١٩٤٦م.
- عباس فاضل السعدى (د.) ياقوت الحموى دراسة فى التراث الجغرافى العربى مع التركيز على العراق فى معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- عباس محمود العقاد عبقرية خالد ، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

- عباس التكرورى ،موسوعة الخلفاء الراشدين ، ط . عمان ٢٠٠٣م.
- عبد الجبار الجومرد (د.) هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- عبد الجبار السامرائى (د.) «الرسائل التى بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة » الفيصل ، العدد (٥٥) ، محرم ١٤٠٢هـ/ نوفمير ١٩٨١م.
- عبد الحافظ البنا (د.) النظام الاقطاعى فى المملكة اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٩٨م.
- عبد الرحمن حميدة (د.) «أبو الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه - فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته عام ١٢٧٣- ١٣٣١م ط . دمشق - حماه ١٩٧٤م. «طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركوبولو» مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق السنة (١٢) ، العددان (٣٩) . كانون الأول ١٩٩١م .
- عبد الرحمن زكي (د.) ومحمود عيسى الحروب بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٧م.
- عبد الرحمن سامى القول الحق فى بيروت ودمشق ، ط. بيروت ١٩٨١م.
- عبد الرحمن العبد الغنى (د.) «فوتيوس والقطيعة بين كنيستى روما والقسطنطينية فى القرن التاسع الميلادى» ، عالم الفكر، العدد (٣ أتوبر - ديسمبر ١٩٨٦م).
- عبد الرازق محمد أسود، موسوعة الأديان والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠م.
- عبد السلام الزمانينى (د.) «أزمنة التاريخ الإسلامى ج١ ق٢ ، ، ط. الكويت ١٩٨٢م).
- عبد السلام زيدان (د.) الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧- ١١٤٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة جنوب الوادى عام ٢٠٠٠م.
- عبد السلام عبد العزيز فهمى (د.) السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، ط. دمشق ١٩٩٣م.

- عبد الشافى محمد عبد اللطيف (د.) العالم الإسلامى فى العصر الأموى ٤١- ١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م) ، ط. القاهرة ١٩٨٤م.
- عبد العزيز الدورى (د.) العصر العباسى الأول دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى ، ط. بغداد ١٩٩٧م . نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط. أبوظبى ٢٠٠٠م.
- عبد العزيز رمضان (د.) العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى عهد الامبراطور مانويل الأول كومنينونس ١١٤٣- ١١٨٠م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م. . المرأة البيزنطية من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى رسالة دكتوراه - كلية الآداب ، جامعة عين شمس عام ٢٠٠٣م. «مدخل إلي مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت» حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٣) عام ٢٠٠٣م .
- عبد العزيز عبد الدايم (د.) إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الحديث أوربا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية- البروسية ١٧٨٩- ١٨٧١ ، ط. القاهرة ب-ت . تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) ومحمود محمد جمال الدين (د.) التاريخ الأوربى الحديث عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- عبد الغنى محمود عبد العاطى (د.) السياسية الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين ، ط. القاهرة ١٩٨٣م .
-عبد الفتاح الغنيمى (د.) معركة بلاط الشهداء فى التاريخ الاسلامى والأوربى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، الاسلام والثقافة العربية فى أوربا ، ط. القاهرة ١٩٧٩م.
- عبد القادر اليوسف (د.) الإمبراطورية البيزنطية ، ط. بيروت ١٩٦٦م، العصور الوسطى الأوربية ، ط. صيدا ١٩٦٧م علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر ، ط. صيدا ١٩٦٩م.
- عبد القادر طليمات (د.) ابن الأثير المؤرخ ، ط. القاهرة ١٩٦٩م .

- عبد اللطيف حمزة (د.) أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م .
- عبد اللطيف عبد الهادى السيد (د.) «دراسة نقدية لمنهج الكتابة التاريخية عند جاك دى فترى»، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض. ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- عبد الله بن سعيد الغامدى (د.) مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ، جامعة أم القرى- سلسلة بحوث الدراسات الإسلامى، مكة المكرمة ١٤١٤هـ .
- عبدالله الربيعى (د.) «الدوافع الدينية للحركة الصليبية ضمن ندوة الاطار التاريخى للحركة الصليبية «إتحاد المؤرخين العرب ، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- عبدالله عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٧٣م.
- عبدالله محمد عبد الرحمن (د.) علم اجتماع التنظيم ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م.
- عبد المنعم ماجد (د.) الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، ط. القاهرة ١٩٥٩م . العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٦٦م. التاريخ السياسى للدولة العربية ج١، ط. القاهرة ١٩٦٧م ، ط. القاهرة ١٩٧٩م. العصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ العباسيين التاريخ السياسى ، ط. القاهرة ١٩٧٣م. ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- عبد النعيم حسنين (د.) سلاجقة إيران والعراق ، ط. القاهرة ١٩٧٠م ، دولة السلاجقة، ط. القاهرة ١٩٧٥م .
- عبد الواحد داود الاشورى ، الانجيل والصليب ، قدم له وعلق عليه محمد على سلامة ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- عثمان توران ، الأناضول فى عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ت. على عوده الغامدى، ط. الرياض ١٤١٨هـ.
- عرفان شهيد ،روما والعرب مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب ت. محمد فهمى عبد الباقى محمود ، ط. القاهرة ب-ت

-عرفان عبد الحميد فتاح (د.) النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط. عمان ٢٠٠٠م.

- العروسى المطوى ، الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ، ط. تونس ١٩٥٤م .

- عزت زكى حامد قادوس (د.) العملات اليونانية والهللينستية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .

- عزيز أحمد (د.) تاريخ صقلية الاسلامية ، ت. أمين توفيق الطيبى، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- عزيز سوريال عطية (د.) العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٢م. الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ت. فيليب صابر ، ط . القاهرة ١٩٧٧م، تاريخ المسيحية الشرقية ، ت. إسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.

- عصام الدين عبد الرؤف (د.) بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى ، ط. القاهرة ب-ت.

- عصام محمد شبارو (د.) السلاطين فى المشرق العربى معالم دورهم السياسى والحضارى ، ط. بيروت ١٩٩٤م. الأندلس من الفتح العربى المرصود إلى الفردوس المفقود ٩١- ٨٩٧هـ / ٧١٠-١٤٩٢م ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.

- عطيه القوصى (د.) اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية ط. القاهرة ٢٠٠١م،

- عفاف صبره (د.) العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة ١١٠٠- ١٤٠٠م ، ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. «الجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسى البيزنطى من القرن الرابع الميلادى إلى الفتح الإسلامى ما قبل ٨ - ٦١هـ / ٦٢٩- ٦٨٢م م، المجلة التاريخية المصرية م (٤٣) ، عام ٢٠٠٥م.

- علاء الدين حسين مكى ، فن الحرب عند العرب دراسة فى الفتوحات الكبرى فى العصر الراشدى ، ط . بغداد ١٩٩٩م.

- على أبو عساف «طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم» مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق السنة (١٢) . العددان (٣٩)، (٤٠) كانون الأول ١٩٩١م.

- على أحمد السيد (د.) الخليل والحرم الابراهيمى فى عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩-

١١٨٧م / ٤٩٢- ٥٨٣هـ) ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- على السيد على (د.) «الفناء الكبير» والموت الأسود فى القرن الرابع عشر الميلادى- دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، المجلة التاريخية المصرية م (٣٣) عام ١٩٨٦م، المجلة التاريخية المصرية عدد ( ) عام ١٩م.

- على السيد على (د.) وقاسم عبده قاسم (د.) الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م .

- على العواجى (د.) مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية فى الفترة من ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م إلى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م. رسالة دكتوراه غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩م.

- على الغمراوى (د.) ملحمة البطولة الجرمانية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م «المصادر الهجيوجرافية قبل النهضة الكارلونجية»، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت ، العدد (٢) عام ١٩٧٢م. «المؤلفات الدينية فى أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن»، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، عدد ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤م. مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبى الوسيط ، ط. القاهرة ١٩٧٥م «معالم ألمانيا التاريخية Monumenta His-torica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألمانى فى العصور الوسطى»، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عدد عام ١٩٨٦م .

- على بكر حسن (د.) الطبرى ومنهجه فى التاريخ ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م .

- على بن ابراهيم النملة (د.) التنصير فى المراجع العربية دراسة ورصد وراقى للمطبوع ، ط. الرياض ٢٠٠٣م.

- على حسنى الخربوطلى (د.) الإسلام وأهل الذمة ، ط. القاهرة ١٩٦٩م .

- على حسين الشطشاط (د.) نهاية الوجود العربى فى الأندلس ، ط. القاهرة ٢٠٠١م

- على صالح محيميد (د.) الغزو الصليبى والعالم الإسلامى ، ط. الرياض ١٩٨٢م .

- على عبد العظيم تعيلب (د.) الحركات الحديثة للقشرة الأرضية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م .

- علي عوده الغامدي (د.) «معركة مرياكيفالون ٥٧٢هـ / ١١٧٦م» مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى، العدد الأول ، السنة الأولى، مكة المكرمة عام ١٤٠٩هـ .
- علي محمد الصلابي (د.) الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط ، ط. بيروت ١٩٩٩م ، الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي ، ط. القاهرة ٢٠٠١م. فاتح القسطنطينية ، السلطان محمد الفاتح ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م ، الدولة الأموية، عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار ، ط. الشارقة، ٢٠٠٦م .
- علياء ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس، نور الدين محمد. ط . صيدا ٢٠٠٣م.
- عليه الجنزوري (د.) المرأة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، العلاقات البيزنطية الروسية في عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧- ١٠٥٦م ، ط. القاهرة ١٩٨٩م ، إمارة الرها الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ، ط. القاهرة ١٩٨٦م، الإمبراطورة إيريني ، ط. القاهرة ١٩٨١م. هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٩٩م.
- عماد الدين خليل (د.) الإمارات الأرتقية في الجزيرة الفراتية ١٠٧- ١٤٠٩م / ٤٦٥- ٨١٢هـ ، ط. بيروت ١٩٨٠م. عماد الدين زنكي ، ط. بيروت ١٩٨٢م. «فلسطين في الأدب الجغرافي العربي»، ضمن كتاب دراسات تاريخية ، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- عمر عبد السلام تدمري (د.) «دار العلم في طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجري» مجلة عالم الفكر، م (١٢) ، الكويت عام ١٩٨١م . لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية ١٣- ١٣٢هـ / ٦٣٤- ٧٥٠م ، ط. طرابلس ١٩٩٠م ، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية ١٣٢- ٣٥٨هـ/ ٧٥٠ - ٩٦٩م ، ط. طرابلس ١٩٩٢م لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٥٨- ٥١٨هـ / ٩٦١- ١١٢٤م، ط. طرابلس ١٩٩٤م . «مدينة صور في كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامي حتى التحرر من الصليبيين» ضمن كتاب صور من العهد الفينيقي

إلى القرن العشرين. منتدى صور الثقافى ١٥-١٦ حزيران ١٩٩٧م ، ط. صور ١٩٩٧م.

- عمر فروخ (د.) «أبو الفداء وتعليل التاريخ» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣- ١٣٣١م ، ط. دمشق ١٩٧٤م.

- عمر كمال توفيق (د.) الامبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضى المقدسة ، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م. مقدمات العدوان الصليبى الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٦م، المؤرخ وليم الصورى ، مجلة كليــة الآداب- جامعة الاسكندرية م (٢١) عام ١٩٦٧م ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م .

- عيد على الحفاف (د.) ومحمد أحمد عقله المومنى (د.) دراسات فى التراث الجغرافى العربى الإسلامى ، ط. عمان ١٩٩٩م .

- الغزى ، نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢م.

- الفاخورى ، تاريخ الأدب العربى ، ط. بيروت ب-ت .

- فاروق عز الدين (د.) القدس تاريخيًا وجغرافيًا ، ط. القاهرة ١٩٨١م .

- فاروق عمر فوزى (د.) العباسيون الأوائل ١٣٢- ٣٤٧هـ / ٧٤٩- ٨٦١م الثورة - الدولة المعارضة ، ج٢ ، ط. عمّان ٢٠٠٣م.

- فاروق عمر فوزى (د.) ومحسن محمد حسين (د.) الوسيط فى تاريخ فلسطين فى العصر الاسلامى الوسيط ، ط. رام الله ١٩٩٨م

- فازيليف ، العرب والروم ت. محمد عبد الهادى شعيرة ، ط. القاهرة ب-ت .

- فاطمة الشناوى (د.) معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧- ١٢٩١ م / ٥٣١ - ٦٩١هـ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧م.

- فاطمة مصطفى عامر (د.) تاريخ أهل الذمة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى ،ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- فايد حماد عاشور (د.) العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامى فى العصر الأيوبى، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م .

- فردريك يو البراكين والزلازل ت. الدمرداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٧٩م.

- فرديناند بروديل تاريخ وقواعد الحضارات ت. حسين شريف ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، البحر المتوسط المجال والتاريخ ت. يوسف شلب الشام ، ط.حمص ٢٠٠١م .

- فايز نجيب إسكندر (د.) دراسة لاتفاقية تجارية بين إمبراطورية طرابيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م نيكتاس خونياتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرية الصليبيين قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م ٦٠٠هـ / ب-ت ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت ، الفتوحات الاسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ / ٦٣٢- ٦٦١م) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م «متى الرهاوى والحملة الصليبية ١٠٩٢- ١٠٩٩م / ٤٨٨-٤٩٢هـ» ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. المنصورة ب-ت ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملازكرد (١٠٧١- ٤٦٣هـ) فى مصنف نقفور برنينيوس مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م. أسرة برينيوس ودورها فى التاريخ البيزنطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م. استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية آنى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م ، مصر فى كتابات الحجاج الروس فى القرن الرابع عشر ، والخامس عشر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م. «بنيامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطى وبداية الفتح الإسلامى لمصر (٦٢٣-٦٦٢م) ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ج١ ، ط. القاهرة ٢٠٠٣ م.

- فتحى عثمان (د.) الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، ٣ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.

- فتحية النبراوى (د.) «حياة الإمبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن ١٢م» المجلة التاريخية المصرية م (٢٧) عام ١٩٨١م ، علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث. ط. القاهرة ١٩٩٦م .

- فؤاد عبد المعطى الصياد (د.) المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- فوزى رضوان العربى (د.) «بيت المقدس تحليل تاريخى» ضمن الندوة الدولية القدس التاريخ والمستقبل تقديم أ.د. محمد رأفت محمود تحرير محمد إبراهيم منصور ، ط. أسيوط ١٩٩٧م.
- فوزى مكاوى (د.) تاريخ العالم الاغريقى وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ق.م ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- فلاديمير سينفو ،حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ت. سعد بن حذيفه الغامدى ، ط. الرياض ١٩٨٣م.
- فيصل السامر (د.) ابن الأثير ، ط. بغداد ١٩٨٦م .
- فيليب حتى (د.) لبنان فى التاريخ ت. أنيس فريحه ونقولا زيادة ، ط. بيروت ١٩٥٩م.
- قاسم عبده قاسم (د.) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٩م. «الشعر والتاريخ دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) عام ١٩٨١-١٩٨٢م. «الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية » ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م(٢) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ط. القاهرة ١٩٨٨م ، ماهية الحروب الصليبية ، الايديولوجية - الدوافع ، النتائج ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٠م، عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسى والاجتماعى ، ط. القاهرة ١٩٩٤م. السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- قتيبه الشهابى «صمود دمشق أمام الحملات الصليبية ، ط. دمشق ١٩٩٨م .
- قسطنطين زريق (د.) « ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة السنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية» مجلة الأبحاث - الجامعة الأمريكية بيروت السنة (١٢) ، ج٢ يونيو ١٩٥٩ م، «عبرة من عصر أبى الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣- ١٣٣١م ، ط. دمشق - حماه ١٩٧٤م .

- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ت. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ، ط. بيروت ١٩٩٨م .
- كارولين جولر ، مستشرقو المدرسة الإيطالية ت. رانيا قرداحى، ط. دمشق ٢٠٠٥م .
- كارين أرمسترونج ، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم ، ت. سامى الكعكى ، ط. بيروت ٢٠٠٤م.
- كامل عياد ، «المؤرخ أبو الفداء ومنزلته العلمية» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٣٣١مم ، ط. دمشق - حماه ١٩٧٤م.
- كراتشكو فسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ت. صلاح الدين هاشم، ط. القاهرة ١٩٥٧م .
- كريستوفر دوسون تكوين أوربا ، ت. محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٦٧م .
- كمال أمين محمد حسب الله (د.) إمارة أنطاكية الصليبية (١٠٩٨- ١٢٦٨م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م .
- كمال الدسوقى (د.) تاريخ ألمانيا ، ط. القاهرة ١٩٦٩م .
- كمال السيد أبو مصطفى (د.) دراسات أندلسية فى التاريخ والحضارة ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م.
- كويلاد وفينوجرادوف الإقطاع فى العصور الوسطى بغرب أوربا ، ت. محمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٥م .
- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ت. بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط. بغداد ١٩٥٤م .
- لطفى عبد الوهاب (د.) «بعض المصادر البيزنطية لتاريخ سوريا فى العصر البيزنطى»، بحث ضمن أعمال المؤتمر الدول الرابع لتاريخ بلاد الشام م (١) تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور ، ط. عمان ١٩٨٦م. «حولية ثيوفانيس مصدر بيزنطى عن بلاد الشام فى العصر الأموى» ، المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد

الشام فى العصر الأموى، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول عام ١٩٨٧م ، اليونان مقدمة فى التاريخ الحضارى ، ط . بيروت ١٩٩٦م .

- ليلى عبد الجواد (د.) السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤ - ١٢٦١م، رسالة ماجستير غير منشور كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ٦٥٩- ٧٨٤ هـ/ ١٢٦١- ١٢٨٢ م. مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد (٤٦) ، (٤٧) ، عام ١٩٨٦م. «القسطنطينية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين «مجلة المؤرخ المصرى، العدد (٣) (٤) ، ط. القاهرة ١٩٨٩م، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م. « حملات مانويل كومنين على المجر (١١٥١- ١١٦٧م) فى ضوء كتابات حنا كيناموس» ، المجلة التاريخية المصرية العدد (٣٧) ، عام ١٩٩٠م «أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطى ١٠١٨- ١٠٩٧م» المؤرخ المصرى ، العدد (١٤) يناير ١٩٩٥م . «البابوية والامبراطورية البيزنطية ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) تكريمًا للأستاذ الدكتور إسحق عبيد تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- مأمون كيوان ، اليهود فى الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد ، ط. عمّان ١٩٩٦م .

- ماجدة حسن صدقى ، العلاقات البيزنطية التركية فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م .

- مانفرد لوركر معجم المعبودات فى مصر القديمة ت. صلاح الدين رمضان مراجعة الدكتور محمود ماهر ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- مانويل جاسبارومير «رحيل أبى عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه» وضمن كتاب فصول فى تاريخ الأندلس بداية النهاية ، ت. عبد الفتاح عوض، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- مايسة محمود داود (د.) المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة دراسة أثرية وفنية ، ط. القاهرة ١٩٩١م .

- مايكل هارت ، المائة الأوائل ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباتو ، ط. دمشق ٢٠٠١م .

- مالكوم ليونز وجاكسون ، صلاح الدين ت. على ماضى ، مراجعة نقولا زيادة ، وفهمى مسعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- مجدى غنيم ، الحرير ، ط. القاهرة ١٩٩٣م .
- مجموعة من الباحثين العرب والأوربيين، ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩- ١٣٩٩هـ وزارة التعليم العالى السورية ، ط. دمشق ١٩٧٩م.
- مجموعة من المؤرخين الروس موجز تاريخ العالم ، ت. محمد عينانى ، ج١ ، ق١ ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- مجيد خورى ، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان ، ط. بغداد ١٩٣٩م.
- محسن محمد حسين (د.) «مسئولية صلاح الدين فى فشل حصار صور» المجلة العربية للعلوم الإنسانية م (٧) ، العدد (٢٦) ، ط. الكويت ١٩٨٧م.
- محمد أحمد أبو الفضل (د.) «قضاة ثوار فى الأندلس» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م .
- محمد أسد الله صفا ، چنكيز خان ، ط. بيروت ١٤٠٨هـ .
- محمد التونجى (د.) بلاد الشام إبان الغزو المغولى ، ط. بيروت ١٩٩٨م .
- محمد الزحيلى (د.) الإمام الطبرى ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- محمد السيد الوكيل (د.) العصر الذهبى للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلة لتلك الدولة ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- محمد السيد محمد عبد الغنى (د.) لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م .
- محمد الصابر ، عبادة ميتراس فى روما رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م.
- محمد الطالبى (د.) الدولة الأغلبية التاريخ السياسى ت. المنجى الصيادى ، ط. بيروت ١٩٨٥م.
- محمد الهمشرى والسيد أبو الفتوح وعلى إسماعيل موسى ، إنتشار الإسلام فى أوروبا

، ج١ الرياض ١٩٩٧م.

- محمد بحر عبد المجيد (د.) اليهود فى الأندلس ، ط. القاهرة ١٩٧٠م .

- محمد ثابت توفيق ، ذات الصوارى ، ط. الرياض ٢٠٠١م

- محمد جاسم حمادى المشهدانى (د.) موارد البلاذرى عن الأسرة الأموية فى أنساب الأشراف ، ط. مكة المكرمة ١٩٨١م .

- محمد حرب (د.) العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، ط. دمشق ١٩٩٩م.

- محمد حرب فرزات (د.) «حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين وبلاد الشام». مجلة الدراسات التاريخية جامعة دمشق، ، السنة (٢٢) العددان (٣٩)، (٤٠) ، كانون الأول عام ١٩٩١م.

- محمد حسن العيدروس (د.) تاريخ العرب الحديث ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- محمد حميدالله (د.) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، ط. بيروت ١٩٦٩م.

- محمد خالد المومنى (د.) الفقهاء وثورة أهل الربض فى الأندلس (٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمّان، ١٩٩٥م.

- محمد دسوقى محمد حسن ، العلاقات السياسية الفرنسية والانجليزية وأثرها على الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧- ١٢٢٣ / ٥٣١-٦٢٠هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرع دمنهور عام ٢٠٠٦م.

محمد زايد عبدالله عيد ، العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢- ١٠٥٩م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.

- محمد زكى زنجيب (د.) علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية فى عصر أسرة كومنين ١٠٨١- ١١٨٥ م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٥م.

- محمد سهيل طقوش (د.) تاريخ الفاطميين فى شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠١م. تاريخ السلاجقة فى بلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠٢م التاريخ الإسلامى الوجيز ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.

- محمد شاكر محمود، الجرمان ونظمهم وعلاقاتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادى ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عا ١٩٩٣م.
- محمد شفيق غربال (محرر) ، اموسوعة العربية الميسرة م (٢) ، ط. بيروت ١٩٩٥م.
- محمد صالح منصور (د.) أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قاريونس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م.
- محمد صفى الدين (د.) جيمور فولوجية قشرة لأرض ، ط. بيروت ١٩٧١م.
- محمد صلاح سالم (د.) القدس الحق التاريخ والمستقبل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- محمد طه جاسر (د.) تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٢٠٠٢م.
- محمد عبد الحفيظ المناصير، الجيش فى العصر العباسى الأول ١٣٢هـ/ ٢٣٢هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠م.
- محمد عبد الشافى المغربى (د.) آسيا الصغرى فى العصور الوسطى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى القرن ١١- ١٣م ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م. مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م. العصور الوسطى الأوربية رؤية فى المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- محمد عبد العزيز عزيز (د.) «تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبى بعد سنة ١٢٩١م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وابراهيم خميس ، ط . الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- محمد عبد القادر أبو فارس (د.) دروس وتأملات فى الحروب الصليبية ، ط. عمّان ٢٠٠٢م.
- محمد عبد المنعم ، الاسكندرية المكتبة الاكاديمية فى العالم القديم، ط . القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمد عبده حتامله (د.) «الاتفاقية السرية الملحقة بمعاهدة تسليم غرناطة عرض وتحليل»، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداه إلى عبد العزيز الدورى ، ط. عمّان ١٩٩٥م.

- محمد عثمان عبد الجليل (د.) ثورة توماس الصقلبى فى الامبراطورية البيزنطية ٨٢١-٨٢٣ هـ ٢٠٥/-٢٠٥هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة طنطا عام ١٩٩٢م، «السامريون فى فلسطين وعلاقاتهم بالدولة البيزنطية ٣٠٥ - ٦٣١م ، المؤرخ المصرى، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥م.

- محمد على القطب، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ط. صيدا ٢٠٠٢م .

- محمد على المغربى ، الهزات الزلزالية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

- محمد فؤاد كوبريللى ، صيام الدولة العثمانية ت. أحمد السعيد سليمان ، ط. القاهرة ١٩٩٣م .

- محمد فتحى الشاعر (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى عصر جستنيان ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٨٥م.

- محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط. بيروت ١٩٧٧م.

- محمد كامل عياد (د.) تاريخ اليونان ج١، ط. دمشق ١٩٩٣م.

- محمد كرد على ، خطط الشام ، ط. دمشق ١٩٥٦م.

- محمد لقمان الأعظمى ، السيرة النبوية ، ط.جدة ب-ت .

- محمد مؤنس عوض (د.) «ببليوجرافية الحروب الصليبية- المراجع العربية والمعربة» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط . م (٣) عام ١٩٨٥م ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧ ميلادية ، ط. القاهرة ١٩٩١ م ، الجغرافيون والرحالة المسلمون فى بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٥م ، وليم الصورى مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية المرحلة من ١١٣٧- ١١٥٠م ٥٣٢/- ٥٤٥هـ سلسلة دراسات شرق أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م ، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٩٦م، فصول ببليوغرافيا فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، في الصراع الإسلامى الصليبى معركة أرسوف ١١٩١م، ط. القاهرة ١٩٩٧م، فى الصراع الإسلامى الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ/ ١١٤٦-

١١٧٤، ط. القاهرة ١٩٩٨م، الحروب الصليبية ، دراسات تاريخية ونقدية ، ط. رام الله ١٩٩٩م ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب فى القرنين ١٢ ، ١٣ ك / ٦ ، ٧ هـ ، ط. القاهرة ١٩٩٩- ٢٠٠٠م ، الاضطهادات الصليبية لليهود فى حوض الراين عام ١٠٩٥م من خلال حولية الربى اليعازر بارناثان - مركز بحوث الشرق الأوسط- سلسلة دراسات شرق أوسطية عام ٢٠٠٠م، الحروب الصليبية السياسة ، المياه ، العقيدة، ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م (تحرير) ، إغارات أسراب الجراد وأثرها فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م / ٥٠٩- ٥٥٤هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، «أضواء على تاريخ موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، أبحاث مهداه إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين تحرير حاتم الطحاوى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين ١٢-١٣م / ٦ ، ٧ هـ حولية التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٣) ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م ، «الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م ، التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية فى القرنين ٦ ، ٧ هـ/ ١٢ ، ١٣ م ، ط. را الله ٢٠٠٤م «فكرة الجهاد الإسلامى فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وابراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، مؤرخون مصريون رواد لمرحلة العصور الوسطى ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م «أ.د. حسن حبشى مؤرخ مصرى رائد للعصور الوسطى»، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

- محمد متولى (د.) وجه الأرض ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.
- محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط اقسطنطينية ١٢٠٤م/ ٦٠٠هـ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة المنيا عام١٩٨٧م .
- محمد محمد مرسى الشيخ (د.) الممالك الجرمانية فى أوربا العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م. «سياسة الامبراطور البيزنطى ثيوفيلوس تجاه الخلافة

العباسية مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية العدد (١٣) عام ١٩٧٩م. «الخزر وعلاقاتهم بالإمبراطورية البيزنطية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (٤) ، عام ١٩٨٠م «الفتح النورمانى لإنجلترا - ملحمة فريدة فى تاريخ انجلترا ونورمنديا فى العصور الوسطى» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م.

- محمد مقيد آل ياسين (د.) الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى ، ط. بغداد ١٩٧٩م .
- محمد مصطفى زيادة (د.) مصر والحروب الصليبية ، رسائل الثقافة الحربية رقم (٢٩) ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى ، ط. القاهرة ١٩٥٤م ، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٦١م.
- محمد فريد الشوباشى ، ألمع ساعات الحرج فى تاريخ الانسانية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- محمد فتحى أمين (د.) الغزو المغولى لديار الاسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م.
- محمد نصر مهنا (د.) الإسلام فى آسيا من الغزو المغولى دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م .
- محمود إسماعيل (د.) الأغالبة ١٨٤- ٢٩٦هـ سياستهم الخارجية ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمود الحويرى (د.) العادل الأيوبى صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، اللومبارديون فى التاريخ والحضارة ٥٦٨- ٧٧٤م ، ط. القاهرة ١٩٨٦م . مصر فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- محمود السيد (د.) تاريخ عرب الشام فى العصر المملوكى ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ط . الاسكندرية ٢٠٠٠م، التتار والمغول ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، الفتوحات الإسلامية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م .

- محمود المقداد (د.) تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٢م .
- محمود رزق محمود (د.) العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبى حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م .
- محمود سعيد عمران (د.) «معركة حارم ١١٦٤ م قصة التحالف البيزنطى الصليبى الأرمينى ضد نور الدين محمود» المؤرخ العربى، العدد (٨) ، بغداد ١٩٧٧م. الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م «أركولف ورحلته إلى الشرق» ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط م(٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م . نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامى من خلال مراسلاته ، ط. بيروت ب-ت . السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل كومنين ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م «شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس» ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى/ التاسع الهجرى» القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م ، مملكة الوندال فى شمال أفريقيا ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، «تحصينات مدينة القسطنطينية فى مواجهة الغزوات الخارجية بحيث ألقى فى ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحر - إتحاد المؤرخين العرب ، ط . القاهرة ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م . معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسى الحربى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥- ١٢٩٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥ م. الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ط . بيروت ٢٠٠٢م.
- محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود ، ط. عمان ٢٠٠٢م .
- محمود محمد الرويضى «قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة المنيا العدد (٤١) يوليو ٢٠٠١ م. إمارة الرها الصليبية ، جامعة مؤته ٢٠٠٢م.
- مرمرجي الدومنيكى ، بلدانية فلسطين العربية منشورات المجمع الثقافى ، ط. أبوظبى ١٩٩٧م.

- مصطفى الحاج ابراهيم «الآفاق الجغرافية عند أبى الفداء وكتابه تقويم البلدان» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماه فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣- ١٣٣١م ، ط.دمشق - حماه ١٩٧٤م .

- مصطفى الحيارى (د.) ، القدس زمن الفاطميين والفرنجة ، ط. عمّان ١٩٩٤م ، صلاح الدين القائد وعصره .. ط. بيروت ١٩٩٤م .

- مصطفى الشكعة (د.) سيف الدولة الحمدانى مملكة السيف ودولة الأقلام ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- مصطفى الكنانى (د.) العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١- ١٢٩١م / ٥٦٧- ٦٩٠هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨١م. حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٨- ٦٦٩هـ ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م .

- مصطفى طه بدر (د.) محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول ، ط. القاهرة ١٩٩٩م .

- مفيد رائف محمود العابد (د.) معالم تاريخ الولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦- ٦٥١م ط . دمشق ١٩٩٩م .

- مفيد الزيدى (د.) موسوعة الحروب الصليبية ، ط. عمّان ٢٠٠٤م .

- ممدوح الزوبى ، الموسوعة العربية الميسرة ، الأديان - المذاهب المعتقدات المصطلحات الدينية .ط.دمشق ب-ت .

- ممدوح درويش مصطفى (د.) التاريخ الرومانى من أقدم العصور حتى بداية العصر الامبراطورى، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

- ممدوح مغازى ، الحياة السياسية وبعض مظاهر الحضارة فى إمارة المورة الصليبية فى عهد أسرة فيلهاردوين ١٢٠٥- ١٣١٠م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة طنطا عام ٢٠٠٠م .

- ممدوحة محمد سلامة (د.) الكارزمية - القدرة على التأثير على الآخرين» مجلة علم النفس العدد (١٤) ، أبريل مايو - يونيو ١٩٩٠م .

- منى البرى العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية وجنوبى إيطاليا زمن الأسرة المقدونية ٢٧٣- ٤٣٢هـ / ٨٨٦- ١٠٤٠م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م .

- منى حسن محمود (د.) المسلمون فى الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ٩٢- ٢٠٦هـ / ٧١٤- ٨١٥م . ط. القاهرة ١٩٨٦م .

- منى حماد (د.) «وليم الصورى والصراع الفرنجى الإسلامى ١٠٩٩- ١١٨٤م» ضمن كتاب أبحاث ودراسات فى التاريخ العربى مهداة إلى ذكرى مصطفى الحيارى تحرير صالح الحمارنة - الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠١م.

- منى محمد بدر محمد (د.) أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- موريس كين ، حضارة أوربا العصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- موريس لومبار ، الإسلام فى مجده الأول ت. إسماعيل العربى ، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م.

- موس ميلاد العصور الوسطى ت. عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة السيد الباز العرينى ط . القاهرة ١٩٦٧م. ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- مونتجومرى (الفيلد مارشال) ، الحرب عبر التاريخ ت. عبد المنعم النمر ، ط. القاهرة ١٩٧١م.

- مونتجومرى وات، فى تاريخ أسبانيا الإسلامية (مع فصل فى الأدب بقلم بييركاكيا) ت. محمد رضا المصرى ، ط. بيروت ١٩٩٤م .

- ميخائيل اسكندر ، القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م .

- ميخائيل زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ت. إلياس شاهين ، ط. موسكو ١٩٨٦م.

- مى علوش ، أشهر حصارات المدن فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م.

ميشيل جحا ، (د.) الدراسات العربية والاسلامية فى أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م.

- ميشيل جرجس ، الكنيسة المصرية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

- ميشيل مان موسوعة العلوم الاجتماعية ت. عادل مختار الهوارى وسعيد عبد العزيز مصلوح ، ط. الكويت ١٩٩٤م.

- ميكيلى أمارى ، تاريخ مسلمى صقلية ، ط. ت . محب سعد ابراهيم وسوزان اسكندر، ط. فلورنسا ٢٠٠٣م.

- ميلاد المقرحى (د.) تاريخ أوربا الحديث ١٤٥٣- ١٨٤٨م ، منشورات جامعة قاريونس، ط. بنى غازى ١٩٩٦م .
- نادية حسن صقر (د.) السلم فى العلاقات العباسية البيزنطية فى العصر العباسى الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م .
- ناصر عبد الحميد زيدان : الدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور جستين الثانى وتيبريوس ٥٦٥- ٥٨٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- ناهد عمر صالح (د.) السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الامبراطور أندرونيكوس الثانى باليولوغوس (١٢٨٢- ١٣٢٨م) . رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٩٩م ، «الاتحاد الكنسى فى عهد الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس (١٣٥٤- ١٣٧٦م» مجلة المؤرخ المصرى، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥م .
- نبيل عبد الحميد رضوان (د.) جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده فى مطلع العصر الحديث ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م .
- نبيل لوقا بباوى (د.) إنتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نبيلة ابراهيم (د.) ، سيرة الأميرة ذات الهمة دراسة مقارنة ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- نبيلة ابراهيم مقامى (د.) العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان فى جنوب إيطاليا وصقلية ١٠٢٥- ١١٩٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م .
- نبيلة عاقل (د.) الإمبراطورية البيزنطية ، ط. دمشق ١٩٦٩م. تاريخ خلافة بنى أمية ، ط. دمشق ١٩٧٥م.
- نجلاء حسين توفيق ، سياسة الدولة العثمانية فى البلقان تجاه الصرب ١٣٢٦- ١٤٥٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة أسيوط عام ٢٠٠١م.
- نجيب العقيقى (د.) المستشرقون ، ج١، ط. القاهرة ١٩٨٠م .الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى ، ط. القاهرة ١٩٦١م . تاريخ إنجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسيط ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .

- نعمان محمود جبران (د.) «محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج» مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٢) ، العددان (٣٩) ، (٤٠) كانون الأول عام ١٩٩١م.

نعوم شقير (بك) تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سينا من أول عهد التاريخ إلى اليوم.

- نعيم زكى فهمى (د.) العلاقة بين إمارة أنطاكية الصليبية والدولة البيزنطية فى عهد الحملة الصليبية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م.

- نعيم فرح (د.) «ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام فى العهد البيزنطى» الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور ، ط. عمّان ١٩٨٦م. تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى ، ط. دمشق ١٩٩٥م. الحضارة البيزنطية ، ط. دمشق ٢٠٠٣م ، تاريخ بيزنطة السياسى ، ط. دمشق ٢٠٠٤م .

- نعيمة ابراهيم (د.) اسيا الصغرى والحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م.

- نقولا زيادة (د.) «سوريا زمن الصليبيين المقتطف عدد يوليو ١٩٣٥م. رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٦م ، ط. بيروت ١٩٨٦م ، الجغرافيون والرحلات عند العرب ، ط. بيروت ١٩٨٢م .

- نور الدين حاطوم (د.) المدخل إلى التاريخ ، ط. دمشق ١٩٦٥م. تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا ج١ ، ط. دمشق ١٩٨٢م.

- نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية ت. حسين مؤنس ومحمود زايد ط . القاهرة ١٩٥٧م.

- نورمان كانتور التاريخ الوسيط ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

- واشنطن إيفرنج ، أخبار سقوط غرناطة ت. هانى يحيى نصرى ، ط. بيروت ٢٠٠م.

- وديع فتحي (د.) العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى

(٧٤١-٨٢٠م ١٢٤/- ٢٠٥هـ) ط. الاسكندرية ١٩٩٠م. بيزنطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية فى عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧- ٨٨٦م ٢٥٣/-٢٧٣هـ) ، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م ، العلاقة بين الدولة والكنيسة فى عصور نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) ،مجلة المؤرخ المصرى العدد (٢٨) عام ٢٠٠٥م.

- وسام عبد العزيز فرج (د) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م . «الإمبراطور باسيل الثانى (سفاح البلغار) ٩٧٦- ١٠٢٥ العوامل التى أثرت على السياسة فى عصره ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. «قوانين الملكية الزراعية فى الامبراطورية البيزنطية دراسة تحليلية ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية من ٣٢٤- ١٠٢٥م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس ٨٨٦- ٩١٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩١م . «السلاف الصقالبة فى شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١- ١٠١٨م) ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ السياسى والادارى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م. «التجارة فى العصر البيزنطى الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادي والاجتماعى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- وفاء عبدالله المزروع (د.) جهاد المسلمين خلف جبال البرنات من القرن الأولى إلى القرن الخامس الهجرى ط . القاهرة ب-ت .
- وفاء محمد ، الامبراطور موريس ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس .
- ول ديورانت ، قصة الحضارة ج١٤، ت. محمد بدران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .
- وليم سليمان قاده (د.) «العلاقات الإسلامية المسيحية فى الواقع المصرى ، المفهوم الأساسى الماصى والحاضر والمستقبل» ضمن كتاب العلاقات الاسلامية - المسيحية قراءات مرجعية فى التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط. بيروت ١٩٩٤م .

- وولتر فيشيل ، يهود فى الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الاسلامية ، العباسية - الفاطمية الالخانية، ت. سهيل زكار ط. دمشق ٢٠٠٥م .
- هبة الزحيلى (د.) الإسلام وغير المسلمين ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- هارتمان وباراكلاف ، الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ت. جوزيف نسيم يوسف، ط. الاسكندرية ١٩٧٠م، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م.
- هارفى بوتر ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، ط. القاهرة ١٩٩١م.
- هارولد ايدرس بل مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ت. عبد اللطيف أحمد على ومحمود عواد حسن ، ط. القاهرة ١٩٥٤م .
- هارولد لامب ، جنكيز خان وجحافل المغول ، ت. مترى أمين، ط . القاهرة ١٩٦٢م .
- هارى ألمز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ج١ ت. محمد عبد الرحمن برج ، ط. القاهرة ١٩٨٤م .
- هاملتون جب «تاريخ دمشق » ، ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبى» ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ت. يوسف أبيش ، ط. بيروت ١٩٧٣م.
- هانى عبد الهادى البشير (د.) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١- ١٠٨١م، رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٩م. «البيالصة فى آسيا الصغرى فى ضوء مصنف بطرس الصقلى» المؤرخ المصرى، العدد (٢٤) يناير ٢٠٠١م. «نقفور بطريرك القسطنطينية (٨٠٣- ٨١٥م) ، ومؤلفه التاريخ المختصر ، المؤرخ المصرى، العدد (٢٦) يناير ٢٠٠٣م.
هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ، ط. ت أحمد محمد رضا ، ط . القاهرة ١٩٨٥م.
- هربرت فشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ت. محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- هسى ، العالم البيزنطى ت. وأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- هنادى السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الأول ٤٩٤-

٥٢هـ/ ١١٠٠- ١١١٨م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس عام٢٠٠٦م.

- هناء بركات ، التاريخ السياسى لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى سقوطها ١٤٦١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨م.

- هنرى كتن ، القدس الشريف ت. نور الدين كنانه ، ط. عمّان ١٩٨٩م.

- ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها فى النهضة الفكرية فى العصر الوسيط ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣م.

- ياسين التكريتى ، الأيوبيون فى شمال الشام والجزيرة رسالة د؛توراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

- يسرى الجوهرى (د.) جغرافية البحر المتوسط ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م.

- يحيى أحمد عبد الهادى (د.) أهل الذمة فى العراق فى العصر العباسى الأول الفترة السلجوقية نموذجًا ٤٤٧- ٥٩٠هـ / ١٠٥٥-١١٩٤م ، ط. إربد ٢٠٠٤م.

- يورى ميخايلوفتش كوبيسانوف، الشمال الشرقى الأفريقى فى العصور الوسطى المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨م.

- يوسف أحمد ياسين (د.) بلدان الأندلس فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافية (٥٧١-٦٢٦هـ / ١١٧٨-١٢٢٦م) مركز زايد للتراث ، ط. أبوظبى ٢٠٠٤م.

- يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط. دمشق ١٩٩٨م.

- يوسف بغدادى، «الرها» مجلة المشرق ، السنة (٨) العدد (٤) ، عام ١٩٠٥م .

- يوسف بن أحمد حواله ، بنو عباد فى أشبيلية ٤١٤- ٤٨٤هـ/ ١٠٢٣- ١٠٩١م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جدة ١٩٨٩م .

- يوسف درويش غوانمه (د.) إمارة الكرك الأيوبية ، ط. عمان ١٩٨٢م ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج، ط. عمّان ١٩٩٥م .

- يوشع براور ، عالم الصليبيين ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، ط. القاهرة ١٩٨١م.
- يوغوليبو بسكى «رحلة السائح الروسى دانيال إلى الأراضى المقدسة فى أول عهد الصليبيين مجلة المشرق ، العدد (٩) السنة (٢٤)، عام ١٩٢٦م.
- يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاستشراق فى أوربا حتى بداية القرن العشرين ت . عمر لطفى العالم ، ط. بيروت ٢٠٠م.
- يوهان هويزنجا ، إضمحلال العصر الوسطيت. عبد العزيز توفيق جاويد ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

خامسًا : المراجع الأجنبية

- Adams (G.B.) , The History of Engand from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London 1905 .
- Adelson (H.L.), Medieval Commerce, New York 1962 .
- Allen, "The Justinian Plague", B., 49, 1979 .
- Amelineau (E.), " La Conquete de L'Egypte par les Arabes ", R.H.I. vol CXIX , 1915 .
- Anastos (M.V.), " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies: a personal account ", in Laion and Magnice (eds.), Byzantium Aworld Civilization , Washington 1992 .
- Angold (M.) , Byzantium The Bridge from Antiquity to the Middle Ages, London 2001 .
- Arnold (T.), The Spread of Islam in The World , A History of Peaceful Spreading , India 2001 .
- Asbrighe (T.), The First Crusade , New History , The Roots of Conflict between Christianity and Islam, Oxford 2004 .
- Asimov (I), Constantinople the Forgotten Empire , Boston 1970 .
- A†iya (A.S.) The Crusade of Nicopolis , London 1934 , The Crusade, Historigruphy and Bibliography , London 1962 .
- ATtwater (D.) The Penguin dictionary of Saints, London 1977 .
- Awad (M.M.) " Highlights on the Medical Contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A.P.525- 602 A.H.) during the Ayyubide Rule in Egypt ", M. E. R. J., vol 12, March 2003 .
- Babinger (F.), Mehmet der Eroberer und Seine Zeit, Munich 1953 .
- Baldwin (M.) " Mission To the East in the Thirteenth and Foureenth centuries", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . V, Philadelohia 1985 ., " The latin States under Baldwin III and Amalric I 1143-1174", in Setton (ed.), A History of the Crusades , vol II Pennsylvania 1958 .

- Barisic (F.) (ed.) Melanges Georges Ostrogorsky , Beograd 1963 .
- Barker (ed. (ed.) , Relations between East and west in the Middle Ages Edinburgh 1973 .
- Barker (E.), The Crusades, London 1949 .
- Barker (J.) Justinian and the Later Roman Empire , Wisconson 1966 . Manuel II Paleologns (1391- 1425) A study in later Byzantine Statesmauship , New Brunswick 1969 .
- Barth (H.), Constantinople, Paris 1906 .
- Bartlett (W.B), An ungodlly war The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade, Glaucestershire 2000 .
- Baynes (N.) "The death of Julian the Apostate in a christian legend , in Byzantine Studies and other Essayes, connecticut 1974.
-Bynes (N.) and Moss (L.B.) (eds.) Byzantium , Oxford 1948 .
- Beatan (R.) and Ricks (D.) (eds.) , Digenes Akrites, New approaches to Byzantine Heroic Poetry , Lodon 1993 .
- Becher (M.), Charlemagne , Trans. by David S. Bachrach, London 03 .
- Beer (J.M.), Villehardouin : Epic Historian, Geneva1968 .
- Berry (V.G.), " The Second Crusade , in Setton (ed.) , A History of the Crusades, vol . I , Pennsylvania 1950.
- Binns (L.E.) , Innocent III , London 1931 .
- Bosworth (C.E.) , " The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab incursions" , Proceedings of The Second Symposium on the History of Bilad al- Sham during the early Islamic Period up to 40 A.H., A.D. 640 , the Fourth international Conference on the History of Blad al- Sham ed. by M.A . Bakhit , vol . I , French and English Papers, Amman 1987 . , " Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Perios (132-A.L/ 750-45), A.H. / A. D 1059), Proceedings of the Fifth international

conference on the History of Bilad al- Sham , ed. M.A . Bakhit (English and French Section) , Amman 1991 . " Byzantium and the Arabs War and Peace between Two World Civilizations " J.O. A.S., 3-4 , Athens, 1991-1992 .

- Bowersock (G.W.) , Julian the Apostate, London 1978 .
- Brand (C.M.), " Byzantiues and Saladin 1185-1192 , Opponents The Third Crusade", S. vol . XXXVII, 1962 , Byzantium confront the west 1180-1204 , Cambridge 1968 .
- Brehier (L.), La Schism Orientale du XI Siecle, Paris 1899 , L'Eglise et L'Orient au Moyen age , Paris 1928 ., Vie et Mort de Byzance, Paris 1946 .
- Brice (W.C) , " The Turkish Colonization of Anatolia , B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955 .
- Bridge (R.) , " The History ", in Daniel (G.) (ed.), The Byzantines, London 1962 .
- Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 .
- Brooks (E.W.), " The Campaigne of 717-718 from Arabic Sources", J.H.S., vol . XIV, 1899 ., " Byzantium and Arabs in the time of the Early Abbasids", E.H.R., vol . XV , 1900 . " Arabic lists of the Byzantiune, Themes", J.H.S., vol XXI, 1901 . , " The Arab Occupation of Crete", E.H.R., vol . XXVIII, 1913 .
- Brown (H.F.) The Venetians and Venetian quarter in Constantinople to Close of the Twelfth Century ", J.H.S., vol . XL , 1920 .
- Browning (R.), The Emperor Julian , London 1975 . History of the Byzantine Empire , New York 1980, Justinian and Theodora, London 1987 .
- Brubacker (L.), Haldon (J.) Byzantium in the Iconoclast Era (Ca 680-850): The Sources , An annotated Survey , B.B.O.M., Birmingham2001.

- Brundage (J.) (ed.), The Crusades, motives and achievements , Boston 1964 , " Holy war and The Medieval Lawyers", in The Crusades motives and achievements , Boston 1964 .
- Bryer (A.) and Herrin (J.), (eds.), Iconoclasm , Birmingham 1971 .
- Buekler (G.), Anna Comnena, London 1929 ., Harunl Rashid and Charles The Great , Massachusetts 1931 .
- Bury (J.B.), A History of the Eastern Roman Empire, London 1952 ., " The treatise De Administrando Imperio", B.Z., vol. XV, 1906 .
- Byrne (E.), " Genoese Trade with Syria in the Twelfth century ", A.H.R., vol . XXV, 1919 .
- Cahen (C.), " La Campagne de Mantzikert d'apres les Sources musulmans", B., T IX , 1934 , La Syrie du nord a'l'epoque des Croisades , Paris 1940 ., " The Turkish Invasion " Setton (ed.), A History of the Crusades , vol . I , Pennsylvania 1952, Pre- Ottoman Turkey , ageneral Survey of the materey and Spiritual culture 1071-1330, Trans. by J.J. Jones, New York 1968 .
- Cameron (A.), Procopius and The Sixth century , Oxford 1989 , Los Angelos 1985 .
- Canard (M.) , Sayf al Daula, Alger 1934 ., Histoire de la dynastie des Hamadanides de Juzira et de Syrie , T.I , Paris 1953 ., " La Guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien ", R. Af., T. LXXIX , Année 1956, " La destruction de l'eglise de la resurrection par le Calife Hakim et L'Histoire de la descente du feu Sacre ", B. XXXV, Année 1965 .
- Cantor (N.), Medieval History , The life and death of Civilization, New York 1969 .
- Carr (A.), Hill (B.) , Brand (C.) Peterson (T.) and Takacks (S.) (eds.) Komnenian Culture, Papers From the Session at the 20 th Annual

Byzantine Studies conference , Ann Arbor , Michigan, on 21 September 1994 (B.F. vol. XXIII, 1996).

- Chalandon (F.) , Les Comnenes, Jean II et Manuel I Comnene, Paris 1912

- Chapman (C.) Michael Paleologue restarateur de L'Empire Byzantine (1261-1782) , Paris 1926 .

- Charanis (P.), " The Byzantine Empire in the eleventh Century", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . I, Pennsylvania1958 .

- Cheira (M.A.), la lutte entre les Arabes et Byzantines : La Conquete et L'Organisation des Frontieres aux Vii et VIII Siecles, Alexandrie 1947 .

- Chibnall (M.), The Normans , Massachosetts 2000 .

- Ciggaar (K.) , Western Travellers to Constantinople, The West and Byzantium 962-1204 , Cultural and Political Relations , Leiden 1996 .

- Clot (A.), Mehmed II le Conquerant de Byzance (1432-1481), Paris 1990.

- Colomans (C.B.), Constantine The Great and Christianity , New York 1914 .

- Colish (M.L.), Medieval Foundations of the Western intellectual Tradition 400-1400, London 1998 .

- Collins (R.), " Visigothic Spain , 409-711, " in Carr (D.) (ed.) Spain A History , Oxford 200 .

- Conrag (L.), The Plague in Early Medieval Near East , Unpublished . D. diss in Near Eastern Studies , Princeton university 1981 .

- Constantinides (C.C.), " Byzantine Scholars and the Union of Lyons 1274", in Beaton (R.) and Roneche (C.) , (ed.) the Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, centre for Hellenic King's College, London 1993 .

- Coulbora (ed.) , Feudalism in History Princeton 1950 .
- Cowdrey (H.E.), "Pope Urban II and the Idea of Crusade", S.M. 36, 1995., " Pope Gregory VII and the Bearing of Arms" in kedar , Riley - Smith and Hierstand (eds.) Montjoie : Studies in Crusade History in Honour of Hans Eberhard Mayer, Aldershot 1997 ., " The Carthusians and their Contemporary World : The Evidence of Twelfth- Century Bishops, Vitae ," in The Crusades and latin Monasticism, 11 th - 12 th centuries, Great Yarmouth 1999 .
- Crampton (R.J.), A concise History of Bulgaria, Cambridge 1997 .
- Dargon (G.), Emperor and Priest , The imperial office in Byzantium, Trans. by J. birrell, Cambridge 2003 .
- Daustrup (J.), " Manuel's Coup againest Genoa and Venice in the light of Venice Commercial Policy ", C.M.T.X, 1949 .
- Davis (e.) " William of Tyre", in Barker (ed.) , Relations between East and West in the Middle Ages, Edinburgh 1973 .
- Diehl (C.) , " Etude Byzantines, Introduction a' L'Histoire de Byzance , Paris 1905 , History of the Byzantine Empire, Trans. by George B. Ives, Princeton 1925 .
- Byzantium, Greatness and decline , Trans. by Naomi Walford , New Jersy 1957 .
- Theodora "Empress of Byzantium, Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New York 1972.
- Dols (M.W.) The Black Death in The Middle East , Princeton 1977.
- Doney (D.) , Earthquakes at Constantinople and vicinity (324-1453), S., vol XXX, 1955 .
- Dowins (N.), Basic Documents in Medieval History , New Jersy 1959 .
- Doyle (W.), Origins of The french Revolution , Oxford 1999 .
- Dvornik (F.), The Photian Schism History and Legend, Cambridge 1948 .
- Ebeid (E.), " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the Fourth Crusade 1204", E.H.R. vol XV, 1969 .

- Edbury (P.) , The Kingdom of Cyprus and the Crusades 1191-1374 , Cambridge 1981 . " William of Tyre , A Historian of the Crusades and The Kingdom of Jerusalem (1130-1148) ", B.F.A.A.U., 1988 .
- Edbury (P.) and Rowe, William of Tyre Historian of the latin East , Cambridge 1988 .
- El - Azhari (T.K.), The Saljuqs of Syria during the Crusades 463-549 A.H. / 1070-1154 A.D, Berlin 1997 .
- Emereau (C.) , " les Origins et la Formation de Constantinople" R.A., T.XXXI , 1925 .
- Enan (M.A.), Decisive moments in the History of Islam, New Delhi 2001 .
- Evans (G.R.), Bernard of Clairvaux, New York 2000 .
- Evans (J.A.S.) , Procopius , New York 1972 , The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. LIV, 1984 ., The Age of Justinian, The Circumstances of imperial Power, London 1996 , The Empres Theodora Partner of Justinian, Texas 2002 .
- Fahmy (A.M.), Muslim Sea - Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth century A.D., Cairo 1966 .
- Farag (W.A.), Byzantum and its Muslim Neighbours during the reign of Basil II, 976- 1025, ph . D., University of Birmingham 1979 ., "
- Finly (G.) , History of Greece vol . III, Oxford 1877 .
- Fouracre (D.), The Age of Charles Martel, Essex 2000.
- France (J.) , Victory in the East, A Military History of the First Crusade Cambridge 1996 .
- Freedman (Ch.) , The Greek Achievement , the Foundation of the Western World, New York 1999 .
- Friedley (F.A.,) Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937 .
- Friedman (Y.) Encounter between enemies in Captivity and Ransom in the Latin kingdom of Jerusalem, leiden 2002 .

- Friendly (A.) the Dreadful ful Day : The Battle of Manzikert 1071 , London 1981 .
- Fuller (J.F.), Decisive battles of Western Europe and their influnces upom history , London 1954 .
- Gadolin (A.R.), " Alexios I Comnenus and the Venetians Trade Privileges: A New interpertation" B., 50, 1980 .
- Gardiner (L.), Byzantine Emperors , Woman and Power in Byzantium A.D. 527-1204 , London 1999 .
- Geanokoples (G.J.), Emperor Michael Paleologus 1282-1298, Cambridge , 1959 .
- Gero (S.) , Byznatine Iconoclam during the Reign of Leo III with Particular attention to the Oriental Sources , Louvain 1999 .
- Gibb (H.), " Zengi and the Fall of Edessa", in Setton (ed.), A History of the Crusades , vol .I , Pennsylvania 1952 .
- Gibbon (E.), The decline and Fall of the Roman Empire , vol III, New York 1995 .
- Gibbons (G.A.), The Foundations of The Ottoman Empire, Oxford 1916 .
- Gill (J.) The Council of Florence , Cambridge 1959 ., " Greek and Latin in acomnon council, The Council of Florence (1438-1439), O. chr. P. vol XXV, 1959 .
- Goodwin (G.) , A History of the Ottoman Architecture, Oxford 1997 .
- Graber (A.), " Byzantine Architecture and Art ", C.M.H., vol. IV Cambridge 1967 .
- Grant (R.M.), Eusebius as Church Historian, Oxford 1980 .
- Goitein (S.), " Contemporary letters on the Caprue of Jerusalem by The Crusaders ", J.J.S., vol X, 1952 . , " Saladin and the Jews", H. U.C.A., vol XXVII , 1956 .
- Gregoire (H.), Le Communique arabe sur la prise de Thessalonique 904", B. 22, 1952 .

- Grousset (R.), Histoire d'Asie , le monde Mongol, Paris 1922 .
- Hagenmeyer (H.) , Peter der Ermite, Leipzig 1879 , " Chronologie de la Premiere Croisade", R.O.L. , T. VII, Année 1899 .
- Halden (J.F.), Byzantium in the Seventh Century , The Transformation of aculture, Cambridge, 1997, "Blood and Ink : Some Observations on Byzantine attitudes Toward Warfare and diplomacy ", in Shepard (J.) , and Franklin (S.), (eds.), Byzantine Diplomacy , Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studies, The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003 .
- Halecki (O.), The Crusade of Varna, New York 1943 .
- Hamilton (B.) , " The Elephant of Christ : Regnald of Chatillon" in Monastic Reform , Catharism and the Crusades, 900-1300, London 1979 , "Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem" in J. Chrysostomides (ed.), Katheyetria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday , Cambridge 1988 , " The Cathars and the Seven Churchs of Asia", in J. Howard Johnstone (ed.) Amsterdam 1988 , " Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualist Texts, in Biller (P.) and A. Hudson (eds.) , Heresy and literacy , 1000-1530, Cambridge 1994 .
- Harris (J.) Byzantium and the Crusades, London 2003 .
- Havighurst (A.), The Pirenne Thesis Analysis Criticism and Revision, Boston 1958 .
- Hammad (M.), Latin and Muslim Historiography of the Crusades, A Comparative Study of William of Tyre and izz Addin Ibn Al Athir, ph . D. University of Pensylvania 1987.
- Head (C.) Justinian II of Byzantium, Madison 1972 , Imperial Twilight : The Palaeologos Dynasty and the decline of Byzantium, Chi-

cago 1977, Imperial Portraits, Byzantine Portraits , Averbal and graphic gallery , New York 1982 .

- Hergentother (J.), Photius Patriarch von Constantinople : Seine Leben , Seine Schriften und das griechirlchte Schsma , 3 vols, Regensburg 1897- 1869 .
- Herrin (J.) Women in purple , Rylers, of Medieval Byzantium , Princeton 2001 .
- Hillenbrand (C.) The Crusades. Islamic Prospectives, illinois 1999 .
- Hadges (R.), Whitehouse (D.), Mohammed , Charlemagne and the Origins of Eyrope, Archaeology and The Pirenne Thsis, New York 1983.
- Hollister (C.W.) Medieval Enrope: A Short Source Book, U.S.A. 1992 .
- Holt (P.M.), The Crusader States and their Neighbours , London 2004 .
- Housely (N.), Crusades aganest Chirtians Their Origins and early development 1000-1216", in Peter W. Edbury(ed.), Crusade and Settlement, Cardiff 1982 , The Crusades, London 2002 .
- Houts (ed.) The Normans in Europe, Manchester 2000 .
- Higgins (M.J.), The Persian war of the Emperor Maurice I , Washington 1939.
- Hill (G.H.,) History of Cyprus , 3 vols , Cambridge 1948 .
- Hill (J.H.), Raymond IV Count of Toulose , Syracuse 1967 .
- Holmes (W.G.), The Age of Justinian and Theodora, 2 vols ., London 1912 .
- Holmes (G.), (ed.) The Oxford History of Italy, Oxford 1997 .
- Hunt (J.) The French Revolution, London 1998 .
- Hussey (J.), " Michael Psellus" S., vol . X , 1935 , " The Later Macedonians the Comneni and The Angeli," C.M.H., vol . V, Cambridge 1979, The Byzantine World, New York 1961 .
- Hutton (W.H.) , Constantinople, The Story of the Old Capital of The Empire , London 907 .

- Inalick (H.), " Busra and the Commerce of The Levant ", J.E.S.H.O ., vol III, 1960 , " L'Empire Ottoman", Actes du ler Congres Internatonal des Etudes balkaniques et Sud . est europeannes, III, Sophia 1969 , " The Ottoman Turks and the Crusades 1451- 1522", in Setton (ed.) , A History of the Crusades vol . VI , Wisconson 1989 ., " The question of the Emergence of the Ottoman State ", I.J.T.S., vol . II, 1980 .
- Inalcik (H.) and quataert (D.) , (eds.), An Economic and Social History of the Ottoman Empire , vol . II , 1600-1814 , Leiden 1972 .
- Janin (R.), Constantinople byzantine: development Urbain et repertoire Topographie, Paris 1950 .
- Jarry (D.) and Jary (J.) Collins dictionary of Sociology, Glasow 1995 .
- Jeffreys (E.), Croke (B), and Scott (R.) (eds.) Studies in John Malalas, Sydney 1990 .
- Jenkins (R.J), " The Supposed Russian attack on Constantinople in 907', A., 1949.
- Jones (A.H.M.) , The Later Roman Empire 284-602, Baltimore 1986 .
- Jones (J.R.M.), The Siege of Constantinople 1453 , Seven Contemporary accounts , trans . by J.R. M. Jones, Amesterdam 1972 .
- Jugue (M.), Le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O., T.XV, 1912 , " Michael Psellus", D.T. C.T. XIII, 1936 .
- Kaegie (W.), Byzantium and The Early Islamic Conquests, Cambridge 2000 , Heraclius Emperor of Byzantium , Cambridge , 2003 .
- Kamil (J.) , Coptic Egypt, History and Guide Cario 1990 .
- Kaplan (S.), The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York 1960 .
- Kazhdan (A.P.) (ed.), Oxford dictionary of Byzantium, Oxford, 1991.
- Kazhdan (A.P.) and Epstein (A.W), Change in Byzantine, Culture in The Eleventh and Twelfth centuries, los Angelos 1985 .

- Kedar (B.), Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton 1988 .
- Keen (M.) The Pelican history of Medieval Europe, London 1976 .
- Kelly (J.N.D.), The Oxford dictionary of Popes, Oxford 1996 .
- Kleinbauer (E.), Saint Sophia at Constantinople, Dublin 1999.
- Kleinbauer (E.), White (A.) Muthhews (H.), Hagia Sophia, Istanbul 2004 .
- Kordses (M.), " The Question of Constantine Palaiologos" Coronation", in Beuton (R.) and Roveche (C.) (eds.) The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies, King's College , London 1993 .
- Krey (A.C.) , " A Neglected Passage in The Gesta and its Bearing on the literature of the First Crusade", in The Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his former Students, New York 1928 , " William of Tyre, The making of an historian in the Middle Ages", S., vol XVI , 1941 .
- Kuelzer (A.), Byzantine and early Post Byzantine Pilgrimage to the Holy land and Mount Sinai in Byzantine World , Burlington 2002.
- La Due (W.J.) , The Chair of Saint Peter , A History of The Papacy , New York 1999 .
- La Monte (J.) , " To what extent was the Byzantine Empire the Suzerian of The Latin Crusading state", B., vol vol. VII, 1932 , The World of The Middle Ages, New York 1949 .
- Lethaby and Swainson , The church of Sancta Sophia Constantinople Astudy of Buzantine building, London 1894 .
- Lewis (A.), Naval Power and Trade in the Mediterranean 500-1000 A.D., Princeton 1954 .
- Lewis (B.), " Maimonides, Lionheart and Saladin", E.I., vol VIII, Jerusalem 1964 .
- Lille (D.) , Byzantium and the Crusader States 1096-1204, Trans. by J.C. Morris and Tean Ridings , Oxford 1993 .

-Little (W.) and Coulson (F.) , The Shorter Oxford English dictionary of Historical Ptinciples, vol . II, Oxford 1950 .

- Lock (P.) The Franks in The Aegean 1204-1500 , London 1995 .

- Longnon (J.) , " The Frankish States in Greece (1204-1311) , in Setton (ed.) A history of the Crusades, vol. II , Wisconson 1989 .

- Lopez (R.) , " Silk Industry in the Byzantine Empore, " S., vol . XX , 1945.

- Lopez (R.) and Raymond (L.W.) , Medieval trade in the Mediterranean world , New York 1961 .

- Luchaire (A.), Innocent III, 6 vols, Paris 1905-1908.

- Maas (M.), John Lydus and the Roman Past , London 1992 .

- Maddan (TF) A Concise History of the Crusades, London 1999.

-Magdalino (P.) , The Empire Manuel I Komnenos 1143-1180, Cambridge 1997 .

- Mainston (R.J.), Hagia Sophia Architecture , Structure and liturgy of Justinian's Great Church , Hungary 1997 .

- Mango (C.) Byzantium the Empire of New Rome, New York 1980 .

- Maniatis (G.C.), " Organization, Market Structure and Modus Operand; of the Private Silk industry in the 10 th Century Byzantium" D.O.P., 53 , 1999 .

- Manz (B.F.), The Rise and Rule of Tomerlane, Cambridge 1989 .

- Marriot , The Eastern question , Oxford 1958 .

- Martin (E.G.) A History of the Iconoclastic Controversy , London 1978 .

- Mayer (H.E.) Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge , Hannover 1960, " Literat urbericht uber die Veroffentlich , Ungem 1958-1967 , H. Z., 3, 1969 ., The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford1987 .

- Mayer (H.E.) & Mclellan (L.), " Select Bibiography of the Crusades" in Setton (ed.) A History of the Crusades, vol . VI Wisconson 1989 .

- Mazower (M.), Salonica City of Ghost , Christians, Muslims and Jews, 1420-1950 , New York 200 .
- Mckitterick (R.) and quiuault (R.) (eds.) Edward Gibbon and Empire, Cambridge 1997 .
- Mcyendorf and Baynes (N.), The Byzantine Inheritance in Russia" in Baynes and Moss (eds.) Byzantium An Introduction to the East Roman civilization, Oxford 192 .
- Mijotovich (G.) Constantine Paleologus , The last Emperor of the Greeks 1448-1453 , Chicago 1968 .
- Mohammad (T.M.), " Ibn Mangali between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences", J.M.I.H., vol . III 2003 .
Mohammed (O.N.) , Muslim Christian Relations , Past , present , Future , New York 1999 .
- Mundy (J.H.), Europe in the High Middle Age 1105-1309 , London 1973.
- Moorhead, Justinian , London 1994 .
- Munro (D.) , " The Speech of Pope Urbanus II at Clermont" A.H.R. , vol II , 1905 ., "Did The Emperor Alexius I ask for aid at the Council of Piacenza", A.H.R., vol. XXVII , 1922 .
- Nelson (R.S.) Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom modern monuments , Chicago 2004 .
- Newhall (R.A.), The Crusades, New York 1963 .
- Niavis (P.G.), The Reign of The Byzantine Emperor Nicephor I, Athens 1987 .
- Nicholson, Tancred: Astudy of his Career and work in Their reation to the First Crusade and the establish ment of the Latin States in Syria and Paestine, Chicao 1940 .
- Nicol (D.), Biographical Dictionary of The Byzntine Empire, London 1991, The Byzantine Lady: Ten Portrit 1250-1500, Cambrige 1994 , Byzantium and Venice A Study in Diplomatic and Cul-

tural Relation Cambridge 1995 , The Reluctant Emperor A biography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk 1295-1383, Cambridge 2002 , The Last Centuries of Byzantium 1261-1453, Cambridge 2002 .

Nicolle (D.) , Yarmuk ad 636, The Muslim Conquest of Syria, Oxford 1994, Constantinople 1453- The end of Byzantium, London 2005 .

- Noouan (T.), " Byzantium and khazars a special relashonship ", in Shepard (J.), and Frankin (S.), (ed.) , Byzantine Diplomacy , Papers from the Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studees, Cambridge , March 1996, Hampshire 1997 .

- Norwich (J.J.), A Short History of Byzantium , Penguin Book, London 1998 , Byzantium , The decline and Fall, New York 2000 .

- Oman (C.) , A History of the art of war in the Middle Ages, London 1924 .

- Ostrogorsky (G.), Pour L'Histoire de Feodalite byzantine, Trans. by H. Gregoire, Brussels 1954 , History of the Byzantine State, Trans . by J. Hussey Oxford 1956 , " De Pronoia unter den Komnenen", Z.R.V.I, 1970 .

- Painter (S.) , A History of the Middle Ages 284-1500, New York 1954 .

- Parker (K.), Early Modern Tales of Orient , London 1999 .

- Perroy (E.), The Hundred Years War , Trans. by D.C. Dauglas , London 1951 .

- Peters (E.) (ed.), Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 , Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980, Europe and the Middle Ages, New Jersy 1997 .

- Pirenne (H.), Mohammed and Charlemagne, London 2001 , Medieval Europe Economic and Social History of Medievak Europe, Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972 .

- Pitcher (D.E.) , An Historical Geography of the Ottoman Empire From

earliest Tmes to The end of The Sixteenth Century Leiden 1972.

- Pazhdan (A.) (eds.) Oxford dictionary of Byzantium , Oxford 1991 .
- hilips (J.), and Hoch (M.) (eds.) The Second Crusade , Scope and Consequences, Manchester 2001 .
- Prawer (J.) , The Latin Kingdom of Jerusalem , European Colonialism in The Middle Ages, London 1979 .
- Prundage (J.) " Prostitutions , Miscegenation and Sexual Purity in the First Crusade", in Edbury (ed.) Crusade and Settlement , Cardiff, 1985 .
- quataert (D.) , The Ottoman Empire 1700-1922, Cambridge 2000 .
- Raaflaub (K.), " The Transformation of Athens in the fifth century ", in Boedeker (D.) and Raaflaub (K.) eds.), Democracy , Emire and the Arts in fifth century's Athens, Cambridge 1998 .
- Rand (E.K.), Founders of the Middle Ages, New York 1975 .
- Rashdall (H.), The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .
- Regan (G.), The First Crusades Byzantine's Holy Wars, New york 2003 .
- Peinink (G.I) and Stolte (B.H.) (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and confrontation , Paris 2002 .
- Riant (C.), " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades ", A.O.L., T.I, Année 1880 .
- Riasauovsky (N.) , A History of Russia , New York 2000 .
- Richard (J.) La Comte de Tripolis Sous la Dynastie Toulousaine , Paris 1945 , " La bataille de Hattin, Saladin defait L'Occident ", H.T. XLVII, Année 1982 , The Crusades 1071- 1291, Trans, by Jean Birrell, Cambridge 1999 .
- Ridley (F.A.), Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937 .
- Ringrose (K.), " Eunuchs as cultural Mediators", in B. F., vol . XXIII, 1996 .
- Roscher (H.), Papst innocent III und die Kereuzzuge, Gottingen 1969 .

- Roth, Ashort History of the Jewish People, London 1953 .
- Ruhricht (R.), Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heligen Landes Bezuglischen Literatur, vol 333 Bis 1878, Berlin 1878 .
- Runciman (S.), A History of the First Bulgarian Empire, London 1930 , The Byzantine Civilization , New York 1956 , The Eastern Schism , Astudy of the Papacy and the eastern churches during The XI and XII centuries, Oxford 1956 , The Emperor Romanus Lecapenus and his reign , Cambridge, 1963 , The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965 , " The Pilgrimage to Palestine before 1095" , in Setton, A History of the Crusades, vol . I , Pennsylvania A History of the Crusades, Penguin Book, London 1978 .
- Rybarov , Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 .
- Schlumberger (G.), Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle Nicephor Phocas, Paris 1890, le Siege , la prise , et le Sac de Constantinople par les Turcs , Paris 1922 , Renauld de Chatillon Prince d'Antioch au Temps des Croisades, Paris 1932 .
- Segal (J.B.), Edessa, The Blessed City, Oxford 1970 .
- Sharf (A.), Byzantine Jewry from Justinian to the Fourth Crusade, New York 1971 .
- Shepard (J.) and Franklin (S.) (eds.) , Byzantine Diplomacy, Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies , The Promotion of Byzntine Studies , Hampshire 2003 .
- Siegfried (A.), The Mediterranea , Trans. by Hemming , London 1948 .
- Skinner , Physical Geography , New York 1974 .
- Spuller (C.A.) , L'Eclogue des Isaurians : Texte, Traduction et Histoire , Cernaurzi 1929 .
- Stephenson (C.) , Medieval History, New York 1943 .
- Stephenson (P.) , Byzantium's Balkan Frontier A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 , Cambridge 2000 ., The Legend of

Basil The Bulgar- Slayer , Cambridge 2003 .
- Steigler , Dictonary of earth sciences , London 1976 .
- Stein (E.), Studien zur Geschichte der byzantinischen Reiches vor nehmtich unter den Kaisern Justinus II und Tiberius, Stuttgart 1919 .
- Swainson (H.), Lethaby (W.R.) The Church of Sancta Sophia Constantinople , A Study of Byzantine building , London 2003 .
- Sumption (T.), The Albigensian Crusade, London 1988 .
- Sybel , The History and literature of the Crusades, Trans. by . Duff Gddon, London 1861 .
- Thomson (J.K.T.) , Decline in History , The European Experience , Cambridge 1998 .
- Throop, (P.A.) Cirticism of the Crusade A study of public opinion and crusade propaganda, Amsterdam 1940 .
- Tobler (T.) , Bibliotheca Geographica Palestinae , Leipzig 1876 .
- Topping (P.) , " The Morea 1374-1470", in Setton (ed.) , History of the Crusades, vol . II, Wisconson 1989 .
- Tougher (S.) The Reign of Leo VI (886-912) , Politics and People, Leiden 1997 .
- Tout (T.F.), The Empire and the Papacy 918-1273, London 1914 .
- Toynbee (A.), Constantine Porphyrogenitus and his world , London 1977 .
- Treadgold (W.) , History of the Byzantine state and society , California 1997 , A Concise History of Byzantium , New York 2001 .
- Turk (E.L), The History of Germany , London 1999 .
- Umann (W.), History of Political Thought , The Middle Ages, London 1978 .
- Ure (P.N.) , Justinian and his age , London 1951 .
- Van Houts (E.), The Normans in Europe , New York 2000 .
- Vasiliev (A.), " The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721",

D.O.P., Nos. 9-10 , Massachostes 1956 , " The Foundation of the Empire of Trebizend (1204-1222) , S., vol XI, 1936 , " The Empire of Trebizond in History and Literature" B.vol . XV, 1940-1941 , History of the Byzantine Empire , Madison 1952 .

- Vatikiotes (P.T.), " Al Hakim BI Amrilla The God King idea realised", I.C., vol XXIX , No . I, January 1955 .
- Vikan (G.), " Byzantine Art" in Augeliki E. Laiou and Henry Maguire (eds.) Byzantium Aworld Civilization D.O.S., washington 1992.
- Vissey (D.) , " William of Tyre and The art of Historiography", Med . S., vol XXXV, 1973 .
- Vogot (A.) Basile ler Empereur de Byzance (807-886) et la Civilisation Byzantine à la fin du Ixe Siecle, Paris 1908 .
- Vryonis (S.), The decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh through The Fifteenth century , Berkely , los Angelos 1971 .
- Waley , Later Medieval Europe from St. Louis to Luther, London 1976 .
- Walker (P.) "The Crusade of John Tzimisces in the light of New Arabic evidence" B. XLVII, 1977 .
- Weitzmann (K.), The Monastry of Saint Catherine at Mount Sinai , the Icons , vol . I, Princeton 1976 .
- Whittow (M.) , The Making of Byzantium 600-1025 , los Algelos 1996 .
- Wilkinson (J.) Jerusalem Pilgrims before the Crusades , London 1977 .
- Wolfran (H.) , History of the Goths , Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkely 1990 .
- Wolff (R.K.), "Baldwin of Flanders and Hainaut , First latin Emperor of Constantinople, his life and resurrection," S., vol XXVII, 1952 .
- Wright (W.), Early Travels in Palestine, London 1848 .
- Yewdale (R.B.), Bohemond I Prince of Antioch, Amsterdam 1970 .

- Yecel (E.) Hagia Sophia , Istanbul 1986 .

- Ziegler (C.B), The History of Russia, London 1999 .

- Ziegler (P.) The Black Death London, 1960 .

- مواقع على شبكة الانترنت :

- مركز الدامبرتون أوكسى

Dumbarton Oaks
WWW. doaks. org.

مركز دراسات العصور الوسطى والتاريخ البيزنطى- جامعة فوردهام

Fordham University , Center for Medieval Studies
WWW . Fordham . edu.

- جمعية الرقى بالدراسات البيزنطية

- Society for the Promotion of Byzantine Studies.
WWW byzantium . uk sp Bs.

جامعة نوتردام

University of Notre Dame
WWW. byzantine , nd. edu.

- جامعة شمالى فلوريدا

University of North Florida
WWW . Unf. edu .

رقم الايداع ٢٠٠٧/٣٤٨٢

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-322-207-1

مطبعة صحوة

٧ شارع اسماعيل رمضان – الكوم الأخضر – فيصل

تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣ – ٠١٠١٠٠٩٦٧٨